



من وثائق
الإخوان المسلمين
المجهولة

الجزء الثالث

جمال البنا

الباب الأول
اللائحة الداخلية العامة
لهيئة الإخوان المسلمين

الباب الثاني
مشروعات واقتراحات

- (١) خطوط في الإصلاح على ضوء الإسلام
- (٢) مشروعات رفعت لمكتب الإرشاد أو للمرشد نفسه إما مباشرة أو عن طريق أقسام
- (٣) مشروع مقدم للمناقشة للاتجاهات الأساسية في السياسة التعليمية

الباب الثالث
الرسائل

- (١) دستورنا
- (٢) في الدعوة

الباب الرابع
في ساحات القضاء

- (١) أقوال كبار الشهود
- (٢) المرافعات (قضية سيارة الجيب)
- (٣) مرافعة الأستاذ علي فهمي طمان المحامي في قضية الإمام الشهيد

الباب الخامس
الإخوان المسلمون والآخر

هؤلاء هم الإخوان !!
أريد أن أتحدث إلى الإخوان

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

هذا هو الجزء الثالث من كتاب «من وثائق الإخوان المسلمين المجهولة» ، وهو يضم جملة صالحة من الوثائق ، وقد بدأناه بوثيقة عن «اللائحة الداخلية العامة» التي وضعت عام ١٩٥١ م .

وحمل الباب الثاني اسم «مشروعات واقتراحات» بدأناه برسالة «خطوط في الإصلاح على ضوء الإسلام» الذي قدمها قسم المهن ، وتلا ذلك عدد من المشروعات المقترحة تقدم بها أعضاء متحمسون رفعت لمكتب الإرشاد أو للمرشد العام نفسه إما مباشرة أو عن الطريق الإداري وهما ورقتان كل واحدة تضمنت عددًا من الاقتراحات والمشروعات البناءة التي لو أخذ حتى ببعضها لكان له أثره الكبير على تقدم الدعوة ، ولكن مكتب الإرشاد كما ذكر مقدمو الورقتين أصبح «مدفناً» تدفن فيه الاقتراحات والمشروعات ، ولا يسمع عنها شيء ، وأخيراً فهناك مشروع مسهب شيئاً ما عن الاتجاهات الأساسية في السياسة التعليمية ، وما جاء في هذا الباب يكشف عن وجود بيروقراطية متجذرة تُسد كل المستجدات ، وهو نقص كان يفترض أن تبرؤ منه الدعوة لأنها ليست حكومة ، وإنما هيئة ينتظمها الحب في الله والقيام بما يوجبه الإسلام من إصلاح .

أما الباب الثالث فهو عن «الرسائل» ويضم رسالتين أولاهما هي «دستورنا» بقلم الإمام الشهيد ، والثانية رسالة «في الدعوة» وهي تضم عددًا من أبرز مقالات الإمام الشهيد التي كتبها في مجلة الإخوان المسلمين القديمة ، وقد عُيّنت باختيارها في الموضوع وفي الصياغة بحيث تصلح كل مقالة لأن تكون خطبة جمعة .

وعنى الباب الرابع بنوع جديد من الوثائق وهي الخاصة بقضايا الإخوان ، وبالذات قضية سيارة الجيب التي اكتسبت شهرة كبيرة لأنها كشفت عن كل أوراق النظام الخاص ، وضم الباب ثلاث رسائل الأولى «أقوال كبار اليهود» ، والثانية ملخصاً لأبرز المرافعات فيها أمام القضاء ، وهاتان الرسالتان هما مما أصدرتهما دار الفكر الإسلامي ، أما الرسالة الثالثة فهي مرافعة المحامي الإخواني الأستاذ علي فهمي طمان في قضية اغتيال الإمام الشهيد ، وقد اخترناها لأنها تعد مركزاً ولأنها مع هذا استغرقت حياة الدعوة والداعية معاً .

ويضم الباب الخامس وهو عن «الإخوان والآخر» رسالتين الأولى «هؤلاء هم الإخوان» وهي رسالة صدرت دون أن يذكر بها من طبعها وأغلب الظن أنها مصلحة الاستعلامات ، وقد طبعت في أعقاب حادث المنشبة التي اتهم الإخوان فيها بمحاولة اغتيال جمال عبد الناصر ، وما تلا ذلك من اعتقالات ومحاكمات جائرة ، والرسالة تضم كلمات بقلم عدد من كبار الكتاب أولهم طه حسين الذي لم يندد بالإخوان قدراً ما أنه أضاف فصلاً جديداً عن الفتنة الكبرى ، وبعده الأستاذ محمد التابعي الذي ندد بالإخوان ورماهم بكل نقيصة ، وتلاه الأستاذ علي أمين والأستاذ مصطفى أمين اللذين استخدمتا الأسلوب الصحفي في التنديد بالإخوان واتهامهم بالتخريب والعمالة والإرهاب .

وعلى نقيض ذلك تأتي الرسالة الثانية وهي بعنوان «أريد أن أتحدث إلى الإخوان المسلمين» بقلم الداعية الهندي أبو الحسن الندوي التي عبر فيها عن أجمل عواطفه وصدق آماله في الإخوان المسلمين ، كما قدم عددًا من أفضل التوجيهات بحكم خبرته الطويلة في مجال الدعوة الإسلامية .

وسيصدر الجزء الرابع قريباً ، ويحتمل أن نجد مادة للجزء الخامس .. وبالله التوفيق .

جمال البنا

المحرم ١٤٣١ هـ

القاهرة في

يناير ٢٠١٠ م

الباب الأول

اللائحة الداخلية العامة لهيئة الإخوان المسلمين

تقديم:

كنا قد أصدرنا في الجزء الأول "قانون النظام الأساسي لهيئة الإخوان المسلمين العامة" في ٢ شوال ١٣٦٤هـ - ٨ سبتمبر ١٩٤٥م ، وقد عثرنا على طبعة أخرى له ، وأرفق بها اللائحة الداخلية العامة للإخوان المسلمين في ٢ صفر ١٣٧١هـ و ٢ نوفمبر ١٩٥٤م ، وهذه اللائحة الداخلية لم نعثر عليها من قبل ، ولذلك أوردناها هنا .

جمال البنا

(١)



بسم الله الرحمن الرحيم

اللائحة الداخلية العامة

بعد الإطلاع على المادة ٣٢ من قانون النظام الأساسي لهيئة الإخوان وما تخول لمكتب الإرشاد العام من إنشاء أقسام ولجان ووضع اللوائح اللازمة لها .

وبعد الإطلاع على المادة ٦٢ من قانون النظام الأساسي لهيئة الإخوان المسلمين المعدل في ١٩ من ربيع الأول سنة ١٣٦٧ هـ الموافق ٣٠ من يناير سنة ١٩٤٨ م ، وعلى ما أوجبه هذه المادة من إعادة النظر في القوانين السابقة وتعديلها على ضوء أحكام ومواد القانون الأساسي .

رأى مكتب الإرشاد وضع لائحة داخلية عامة وأقرها في اجتماعه في يوم ٢ صفر سنة ١٣٧١ هـ الموافق ٢ نوفمبر سنة ١٩٥١ م .

البناب الإخوان

في الهيئات الإدارية للإخوان المسلمين

- المادة (١) :** الإخوان المسلمون هيئة واحدة ولكنهم يقسمون من جهة الإدارة إلى هيئات إدارية هي الشُعبة والمنطقة والمكتب الإداري ، وهذه الهيئات الثلاثة خاضعة لمكتب الإرشاد .
- المادة (٢) :** الشُعبة هي أصغر الوحدات الإدارية ، وكل مجموعة من الشُعب تتكون منها منطقة ، وكل مجموعة من المناطق يتكون منها مكتب إداري ، ويراعى في تكوين المناطق والمكاتب الإدارية التقسيمات الإدارية الحكومية وسهولة المواصلات وما عدا ذلك من الاعتبارات .
- المادة (٣) :** يمكن أن تكون شُعبة في كل قرية أو بلدة ، والأصل في المنطقة أن حدودها هي حدود المركز أو القسم أما حدود المكتب الإداري فهي المديرية أو المحافظة .
- المادة (٤) :** تتبع كل شعبة المنطقة التي تدخل في دائرتها وتتبع كل منطقة المكتب الإداري الذي تدخل في اختصاصه والمكاتب الإدارية في كل القطر تتبع مكتب الإرشاد وهو الهيئة الإدارية العليا للإخوان المسلمين والمشرف على سير الدعوة والموجة لسياستها وإدارتها .

الفصل الإخوان

الشُعبة

- المادة (٥) :** ينقسم الإخوان في الشُعبة إلى إخوان تحت الاختبار وإخوان عاملين ، فالإخوان تحت الاختبار هم الذين اعتنقوا فكرة الإخوان حديثاً وهؤلاء يقضون مدة لا تقل عن ستة أشهر تحت الاختبار يثبت فيها الأخ أنه قام بواجبات عضويته في الشُعبة بصورة مرضية وفي هذه الحالة تعتمد عضويته من المركز العام ويؤذن له بأداء البيعة بناء على طلب الشُعبة ويقوم رئيس الشُعبة أو من يقوم مقامه بمبايعته نيابة عن المرشد العام ، أما الإخوان العاملون فهم كل من قام بواجبات عضويته واعتمدت عضويته من المركز العام وبايع على ذلك وأقسم على البيعة طبقاً للمادة (٤) من قانون النظام الأساسي .
- المادة (٦) :** تقيد أسماء الأعضاء العاملين في كل شُعبة في سجل خاص ، وتقيد أسماء الأعضاء الذين تحت الاختبار في سجل آخر ، وينقل اسم من يصبح منهم عضواً عاملاً إلى السجل الأول .
- المادة (٧) :** يشترط في العضو ما يأتي :
- (أ) ألا يقل عمره عن ثمانية عشر عاماً .
- (ب) أن يكون حسن السير والسلوك ولم تصدر ضده أحكام مخلة بالشرف .
- (ج) أن يكون فاهماً فكرة الإخوان ناهضاً بواجباته .

(د) أن يفرض على نفسه اشتراكاً شهرياً يدفعه للشعبة بانتظام مساهمة في أعباء الدعوة طبقاً للمادة (٦) من قانون النظام الأساسي .

(هـ) أن يتعهد بالعمل بقانون الإخوان المسلمين ويبيع بيعتهم .

المادة (٨) : إذا قصر العضو في أداء واجباته أو أخل بعضويته كان لرئيس الشعبة ومجلس إدارتها أن يوقعا عليه العقوبات المبينة بالمادة (٧) من قانون النظام الأساسي .

المادة (٩) : يقسم الأعضاء العاملون في الشعبة إلى أسر بحيث لا يزيد عدد الأسرة عن خمسة ، يختار أحدهم نقيباً للأسرة .

المادة (١٠) : الأسرة وحدة متكاملة متضامنة في المسؤولية ويمثلها نقيبها أمام رئيس مجلس إدارة الشعبة .

المادة (١١) : يدير الشعبة مجلس إدارة مكون من خمسة أشخاص أحدهم يختاره المركز العام وهو رئيس الشعبة أو نائبها ، والأربعة الباقون تنتخبهم الجمعية العمومية للشعبة على أن يكون اثنان منهم وكيلين والثالث سكرتيراً والرابع أمين صندوق ، وعلى أن يكون الانتخاب سرياً .

المادة (١٢) : على عضو الشعبة الذي له حق اختيار أعضاء مجلس الإدارة كلما اختار واحداً من الأربعة أن يبين أمام اسمه الوظيفة التي اختاره لها .

المادة (١٣) : أعضاء الجمعية العمومية للشعبة الذين يملكون حق الانتخاب هم الأعضاء العاملون بالشعبة الذين سددوا اشتراكهم إلى آخر شهر قبل الانعقاد أو المعفون من الاشتراك بقرار قانوني . ويكون الانعقاد صحيحاً إذا توافرت فيه شروط المادة (٤١) من النظام الأساسي .

المادة (١٤) : يشترط فيمن يختار عضواً لمجلس إدارة الشعبة :

(أ) أن تكون سنه ٢١ سنة هلالية على الأقل .

(ب) أن يكون قد مضى على عضويته في الشعبة مدة عام على الأقل لم يعرف عنه في أثنائها ما يتنافى مع واجبات العضوية .

المادة (١٥) : يقسم أعضاء المجلس جميعاً قبل مباشرتهم العمل اليمين المنصوص عليها في المادة (٤٥) من قانون النظام الأساسي .

المادة (١٦) : لمجلس إدارة الشعبة أن يكون لجاناً من الأعضاء العاملين تشرف على أوجه النشاط المختلفة في الشعبة ، ويجوز أن يكون المجلس ممثلاً في كل لجنة بعضو من أعضائه .

المادة (١٧) : يختص مجلس إدارة الشعبة بالنظر في المسائل الآتية :

إدارة الشعبة من الناحية الإدارية والمالية .

الإشراف على النشاط الفني للشعبة .

تمثيل الشعبة أمام الجهات الحكومية والأهلية ويكون هذا التمثيل في شخص الرئيس أو من ينوب عنه .

المادة (١٨) : إذا غاب نائب الشعبة أو رئيس مجلس الإدارة يرأس المجلس أكبر الوكيلين سناً .

المادة (١٩) : كل أعضاء الشُعبة المقيدين فيها خاضعون لإدارة الشُعبة وكل عضو يقيم في دائرة الشُعبة عليه أن يقيد اسمه فيها ويشترك في نشاطها أيًا كانت صفته .

المادة (٢٠) : لمجلس الإدارة أن يطلب حل الشُعبة إذا تبين عجزها عن تحقيق الأغراض التي أنشئت من أجلها وحينئذ تؤول أموال الشُعبة وأثاثها بعد سداد ديونها إلى المركز العام للإخوان المسلمين بالقاهرة ولو لم ينص على هذا قرار الحل .

المادة (٢١) : لا يكون هذا الحل قانونيًا إلا إذا كان بناء على قرار من الجمعية العمومية في دور انعقاد يحضره ثلاثة أرباع الأعضاء المسددين لاشتراكهم ويكون القرار بأغلبية ثلثي الحاضرين ، ولا ينفذ قرار الحل إلا بعد اعتماده من مكتب الإرشاد .

المادة (٢٢) : لمكتب الإرشاد من تلقاء نفسه أن يحل أي شُعبة تخرج عن سير الدعوة بقرار منه طبقاً للمادة (٥٥) من القانون الأساسي .

المادة (٢٣) : للشُعبة أن تجتمع في حدود القانون الأساسي وهذه اللائحة وأن تضع لنفسها لائحة خاصة تتفق مع ظروفها ولكنها لا تسري إلا بعد أن يقرها مكتب الإرشاد .

الفصل الثاني

المنطقة

المادة (٢٤) : تتكون من كل الشُعب الواقعة في دائرة المركز أو القسم منطقة تسمى باسم المركز أو القسم ، ويجوز أن تكون حدود المنطقة أوسع أو أضيق من حدود المركز أو القسم .

المادة (٢٥) : لكل منطقة مركز يديرها مكون على الوجه الآتي :

- (أ) رئيس الشُعبة الرئيسية رئيساً وهذا في الأقاليم ، أما في مصر والإسكندرية فرئيس الشُعبة التي تعتبر رئيسية لقوتها وقدرتها على الإنفاق ، ويجوز أن يختار المركز العام رئيساً للمنطقة أحد أعضاء مجلس إدارة الشُعبة الرئيسية أو المعتمدة كذلك أو أخاً عاملاً يرى فيه الكفاية
- (ب) رؤساء الشُعب الداخلة في المنطقة .
- (ج) زوار الشُعب وزائر المكتب الإداري .
- (د) مندوبو أوجه النشاط في الشُعبة الرئيسية .

المادة (٢٦) : الزوار جميعاً رأيهم استشاري وليس لهم حق التصويت على القرارات .

المادة (٢٧) : يُصح أن يختار سكرتير وأمين صندوق الشُعبة الرئيسية سكرتيراً وأميناً للمنطقة ، ويجوز لنواب الشُعب أن يختاروا السكرتير وأمين الصندوق من الإخوان العاملين بالشُعبة الرئيسية ، وفي مصر والإسكندرية يجوز اختيار السكرتير وأمين الصندوق من أي شُعبة أو من بين نواب الشُعب .

الفصل الثالث

المكتب الإداري

المادة (٢٨) : يتكون من كل المناطق الواقعة في دائرة المديرية أو المحافظة مكتب إداري يسمى باسم المديرية أو المحافظة ويجوز أن تتسع حدود المكتب أو تضيق عن حدود المديرية أو المحافظة .

المادة (٢٩) : لكل مكتب إداري مجلس يديره يكون على الوجه الآتي :

- (أ) رئيس الشعبة الرئيسية رئيساً للمكتب الإداري وهذا في الأقاليم ، أما في القاهرة والإسكندرية فرئيس الشعبة التي تعتبر رئيسية ، ويجوز أن يختار مكتب الإرشاد من الإخوان العاملين في الأقاليم وغيرها رئيساً للمكتب الإداري ولو لم يكن رئيس شعبة أو عضواً فيها .
- (ب) وكيل الشعبة الرئيسية أو أحد الإخوان العاملين بها وكيلاً للمكتب الإداري وهذا في الأقاليم ، أما في القاهرة والإسكندرية فوكيل الشعبة المعتبرة رئيسية ، ويجوز أن يكون رئيس أي منطقة من المناطق يختاره أعضاء المكتب من بينهم .
- (ح) سكرتير وأمين الشعبة الرئيسية سكرتيراً وأميناً للمكتب وهذا في الأقاليم ، أما في القاهرة والإسكندرية فيجوز أن يكون الأمر كذلك ويجوز لأعضاء المكتب انتخابهم من بين أعضائه أو من أي منطقة أو شعبة أخرى .
- (د) رؤساء المناطق في دائرة المكتب الإداري .
- (هـ) أعضاء الهيئة التأسيسية بدائرة المكتب الإداري .
- (و) مندوبو النشاط في المكتب الإداري .
- (ز) زائر مكتب الإرشاد ورايه استشاري وليس له حق التصويت.

الفصل الرابع

مكتب الإرشاد

المادة (٣٠) : مكتب الإرشاد العام هو الهيئة الإدارية العليا للإخوان المسلمين وله بهذه الصفة :

- (أ) الإشراف على سير الدعوة وتوجيه سياستها وتنفيذ أحكام قانون النظام الأساسي ومراقبة القائمين على التنفيذ .
- (ب) تمثيل الشعب والمناطق والمكاتب الإدارية وكل الهيئات الإخوانية في كل الشؤون .
- (ح) وضع النظم والقواعد وتخير الوسائل التي تحقق غاية الإخوان المسلمين .
- (د) تعيين الوعاظ والدعاة العموميين الذين يعبرون عن فكرة الإخوان واعتماد تعيين من تريد الشعب والمناطق والمكاتب الإدارية أن تعينه منهم دون بقية موظفيها لصلة الوعاظ والداعية بالفكرة الروحية .
- (هـ) تأليف الرسائل وإصدار النشرات والتعليمات التي تكفل شرح الدعوة وبيان أغراضها ومقاصدها ومراجعة ما تصدره الشعب وغيرها من الهيئات الإخوانية قبل نشره لصلته بصميم الفكرة .

المادة (٣١) : المرشد العام هو الرئيس الأعلى للإخوان المسلمين وله :

- (أ) الإشراف على كل هيئات الإخوان وتوجيهها ومراقبتها .
- (ب) تمثيل مكتب الإرشاد وتنفيذ قراراته ومراقبة القائمين على التنفيذ ومحاسبتهم على كل تقصير .
- المادة (٣٢) :** ينوب الوكيل العام للإخوان عن المرشد العام أثناء غيابه ويقوم بكل ما يسند إليه المرشد العام من أعمال .

المادة (٣٣) : مهمة السكرتير العام للإخوان تنحصر فيما يأتي :

- (أ) توجيه الدعوة لحضور جلسات مكتب الإرشاد وجلسات الهيئة التأسيسية .
- (ب) إعداد جدول الأعمال لكل جلسة وكتابة محاضر الجلسات وتبليغ القرارات للمختصين فور صدورها وإنفاذ الجزء الخاص به منها .
- (ح) إعداد النشرات الدورية والقرارات العامة والمذكرات التي يرى المكتب كتابتها ما لم يكلف بذلك غيره من الأعضاء .
- (د) الإشراف على الصلة بين مكتب الإرشاد والهيئات الإخوانية الأخرى وتنظيم التخاطب بينها واتخاذ ما يلزم لكتابة الخطابات والرد عليها تحت مسؤوليته ، ويجب ألا يتأخر الرد على أي مراسلة ترد لمكتب الإرشاد أو عن إصدار أي خطاب في موضوع يتقرر أكثر من ثلاثة أيام من تاريخ الورد أو القرار إلا إذا كان هناك ما يوجب التأخير ، وعليه أن يستشير المرشد العام أو الوكيل العام فيما يشكل عليه من الشؤون وأن يحيل الرسائل إلى المختصين من العاملين ، وعليه أن يراقب دفاتر الصادر والوارد من البريد وأن يحيط المكتب علمًا بملخص الرسائل الواردة في الفترة السابقة على كل جلسة .
- (هـ) القيام على حفظ الأختام والأوراق والدفاتر والسجلات والملفات المتعلقة بأعمال المكتب .

(و) الاتصال بالهيئات الإخوانية لمراقبة تنفيذ قرارات مكتب الإرشاد وعليه أن يقدم للمكتب تقريرًا مختصرًا في كل شهر عن حالة تنفيذ القرارات .

المادة (٣٤) : الخطابات الصادرة عن المركز ومكتب الإرشاد يوقع عليها من المرشد العام أو ممن يقوم مقامه ومن السكرتير .

المادة (٣٥) : يختار السكرتير من يقومون بمعاونته من الموظفين والإخوان ويعينهم مكتب الإرشاد ولكن السكرتير هو المسئول شخصيًا عن أعمالهم .

المادة (٣٦) : لمكتب الإرشاد عند تغيب السكرتير انتداب من يقوم مقامه من أعضاء المكتب .

المادة (٣٧) : مهمة أمين الصندوق حفظ أموال المكتب وحصر ما يرد منها وما ينصرف ، وعليه بحكم هذه المهمة :

(أ) أن يتسلم كل الأوراق ذات القيمة (مما يتعلق بمالية المكتب نفسه) من اللجنة المالية محصورة مرقومة مختومة بخاتم المكتب .

(ب) أن يتسلم دفاتر قسائم الإيصالات والأذونات للصرف والتوريد ونحوها مما يتعلق بعمله محصورة مرقومة كذلك مختومة بخاتم المكتب .

(ح) أن يعد دفتر للخزينة يقيد به كل ما يرد إلى عهده وكل ما يخرج منها مع ذكر التاريخ والمستند .

(د) أن يتقدم إلى المكتب قبل اليوم الخامس عشر من كل شهر أفرنجي ببيان مفصل عن الورد والمنصرف في هذا الشهر ومدى مطابقته للنظام الموضوع لهما .

(هـ) على أمين الصندوق أن يعطى إيصالاً بكل ما يرد إلى عهده وألا يصرف شيئاً من هذه العهدة خارج البنود المقررة بالميزانية إلا بإذن موقع عليه من الرئيس أو الوكيل إذا كان ذلك في اعتماد جديد ، وعلى كل حال يجب أن يوقع المتسلم على هذا الإيصال بما يفيد تسلم القيمة .

المادة (٣٨) : جلسات المكتب دورية ويحدد المكتب يوم الجلسة وساعاتها وعلى كل عضو أن يحضر الجلسة الدورية دون حاجة إلى دعوة ، وإذا حدد المكتب جلسة غير دورية فلا يدعى لها من الأعضاء إلا من لم يحضر تحديدها .

المادة (٣٩) : على السكرتير العام أن يرسل قبل كل جلسة بيومين على الأقل جدولاً بأعمال الجلسة إلى كل عضو من أعضاء المكتب .

المادة (٤٠) : تقدم الأسئلة والاقتراحات كتابة لتدرج بجدول الأعمال وعلى من يريد إدراج اقتراح أو سؤال أن يقدمه لسكرتير العام قبل الجلسة أربعة أيام على الأقل فإذا تأخر عن هذا الميعاد أدرج اقتراحه أو سؤاله في جدول أعمال الجلسة التالية .

ولكن يجوز للرئيس في حالة الاستعجال أن يأمر بإدراج الاقتراح أو السؤال في جدول الأعمال كلما كان هناك وقت كاف لإخطار الأعضاء بالاقتراح أو السؤال .

ويجوز للمكتب أن يقبل الاقتراح أو السؤال أثناء انعقاد الجلسة وذلك في حالة الاستعجال .

المادة (٤١) : الجلسات غير الدورية إما أن يحددها المكتب ، وإما أن تكون بناء على دعوة المرشد العام أو ثلثي الأعضاء .

المادة (٤٢) : تكون الجلسة قانونية إذا حضرها أغلبية الأعضاء المطلقة فإذا تأجلت لعدم تكامل الأعضاء كانت الجلسة التي تليها قانونية بأي عدد يحضر وينبه الأعضاء جميعاً إلى ذلك بخطاب من السكرتير أو من يقوم مقامه إذا كان هو ضمن المتخلفين .

المادة (٤٣) : يرأس الجلسة المرشد العام ، فإذا غاب فالوكيل ، فإذا غاب فأكبر الأعضاء سنّاً .

المادة (٤٤) : يفتح الرئيس الجلسة في موعدها المحدد فإذا لم يتم العدد القانوني بعد خمس عشرة دقيقة أجلها وكلف السكرتير إخطار الأعضاء بما تقتضيه المادة (٤٢) .

المادة (٤٥) : في أي اجتماع من اجتماعات المكتب يتلى محضر الجلسة السابقة ويصدق عليه ، ثم تتلى أسماء الحاضرين والمتخلفين والمعتذرين وينظر في أعضائهم ، ثم تتلى الإجابات الواردة عن الأسئلة السابقة والتقارير الواردة من اللجان المختصة أو تحول إليها للإجابة مع تحديد موعد لهذه الإجابة ثم تعرض الاقتراحات وتناقش وتنتظر أو تحول إلى اللجان كذلك مع تحديد الوقت اللازم لدراستها ثم ينظر في الأعمال الطارئة وتختتم الجلسة كما بدأت بشعار الإخوان ولهيئة المكتبة أن تستعجل النظر في بعض الأمور لأهمية خاصة .

المادة (٤٦) : لا يجوز لغير أعضاء المكتب حضور جلساته إلا بدعوة خاصة أو إذن خاص .

المادة (٤٧) : تكون قرارات المجلس صحيحة إذا صدرت عن الأغلبية المطلقة للمجتمعين في اجتماع له الصفة القانونية .

المادة (٤٨) : إذا عقد المكتب جلسة إضافية أو مستعجلة لأمر طارئ وجب ألا تتناول الجلسة أي موضوع آخر حتى يفرغ من الموضوع الذي دعى إليه فإن اتسع الوقت لغير ذلك فيها و إلا فلا .

المادة (٤٩) : يجوز لأي عضو أن يقترح قفل المناقشة في موضوع ما إذا رأى المناقشات التي دارت كافية لتجلية الموضوع أو أنها استغرقت أكثر من الوقت اللازم وتقرر هيئة المكتب ما تراه في هذا الاقتراح .

المادة (٥٠) : لا تجوز العودة لمناقشة موضوع صدر فيه قرار من المكتب إلا بعد مضي ثلاثة أشهر من تاريخ القرار أو إذا وجد من الأسباب ما يدعو إلى ذلك بعد موافقة المكتب على إعادة المناقشة .

المادة (٥١) : كل عضو يقصر في أداء واجباته يؤاخذه المكتب بكامل هيئته ومن أمثلة ما يعتبر تقصيراً :
(أ) إفشاء سر المداولات أو القرارات التي يوصي بكتمانها .

(ب) التقصير في مهمة وكلت إليه .

(ج) التأخر أو التخلف عن حضور جلسيتين للمكتب دون عذر مقبول ولهيئة المكتب تقدير قيمة العذر .

(د) إذا تصرف تصرفاً يمس كرامته كأخ أو كمسلم أو يضر بالفكرة ضرراً مباشراً أو غير مباشر .

المادة (٥٢) : يجوز لأعضاء المكتب أن يجازوا العضو المقصر بلفت النظر شفويًا أو كتابيًا وبالإنذار وبالغرامة المالية وبالإيقاف لمدة لا تزيد عن شهر وبالإعفاء من عضوية المكتب ، والإعفاء يجب أن يكون بأغلبية ثلاثة أرباع الحاضرين .

الفصل الخامس

الأقسام واللجان التابعة للمكتب

المادة (٥٣) : يؤلف المكتب من بين أعضائه أو أعضاء الجماعة العاملين جماعات تختص كل منها بدراسة وخدمة ناحية معينة من نواحي النشاط الإخواني ، وتسمى هذه الجماعات أقساماً أو لجاناً ، ويصح أن تكون هذه الجماعات دائمة أو مؤقتة .

المادة (٥٤) : الأقسام واللجان التي يؤلفها مكتب الإرشاد تخضع له وتتبعه ومقرها المركز العام .

المادة (٥٥) : تعرض أعمال الأقسام واللجان على المرشد العام أو على المكتب إذا رأى المرشد ذلك أو رآه المكتب ، فإذا أقرت هذه الأعمال أبلغت للهيئات الإدارية عن طريق السكرتير العام .

المادة (٥٦) : يعين مكتب الإرشاد رؤساء الأقسام واللجان ويعين المرشد العام من يعاونونهم في العمل بناء على اقتراح رؤساء الأقسام واللجان .

المادة (٥٧) : الأقسام الأساسية التابعة لمكتب الإرشاد الآن هي :

(١) قسم نشر الدعوة .

(٢) قسم العمال .

(٣) قسم الفلاحين .

(٤) قسم الأسر .

(٥) قسم الطلبة .

(٦) قسم الاتصال بالعالم الإسلامي .

(٧) قسم التربية البدنية .

(٨) قسم الصحافة والترجمة .

(٩) قسم المهن .

(١٠) قسم الأخوات المسلمات .

واللجان الأساسية التابعة للمكتب هي :

(١) اللجنة المالية .

(٢) اللجنة القضائية .

(٣) اللجنة السياسية .

(٤) لجنة الخدمات .

(٥) لجنة الإفتاء .

(٦) لجنة الإحصاء .

قسم نشر الدعوة

المادة (٥٨) : الغرض من إنشاء قسم نشر الدعوة هو تنظيم الدعاية لفكرة الإخوان تنظيمًا فنيًا ونشر الدعوة بكافة الوسائل التي لا تتنافى مع روح الإسلام ومن ذلك :

(أ) إعداد الدعاة للخطابة والمحاضرات والكتائب ، على ألا يسمح لهؤلاء أن يخطبوا في الأحفال العامة إلا بعد التأكد من صلاحيتهم .

(ب) إصدار ما تحتاج إليه الدعوة من رسائل ونشرات علمية وثقافية ورياضية .

(ج) تنظيم إصدار الرسائل والكتب التي يصدرها الإخوان المسلمون ولها مساس بالدعوة بحيث لا تطبع أي رسالة إلا بعد عرضها على القسم وإقرار نشرها ، وعلى كل أخ يؤلف كتاباً أو رسالة من هذا القبيل ألا يطبعها قبل عرضها على القسم ، فإذا أقرها القسم اعتبرت من رسائل الإخوان .

(د) إعداد الإخوان بصفة عامة إعدادًا إسلاميًا من النواحي البدنية والروحية والعلمية عن طريق تنظيم المحاضرات والرسائل في المواضيع التي يهتم الأخ معرفتها وتوجيههم إلى قراءة الكتب النافعة التي تزيد من ثقافتهم الإسلامية وتبعث الروح الرياضية في محيط الإخوان المسلمين ونشر الألعاب الرياضية المناسبة لتقوية أبدانهم وتحسين صحتهم .

(هـ) إعداد الشُعب والمناطق بالدعاة والمحاضرين في الحالات التي يراها المركز العام أو تفوض إليه .

المادة (٥٩) : ينشأ في دائرة كل مكتب إداري مدرسة للدعاة أو أكثر ويقوم قسم نشر الدعوة بوضع برنامج موحد لهذه المدارس ويحدد المواضيع التي تدرس والكتب التي يدرسها الطلبة في كل موضوع ومدة الدراسة وغير ذلك مما يتعلق بالدراسة ، ويتخير القسم بعد انتهاء الدراسة الطلبة الذين تثبت صلاحيتهم كدعاة .

المادة (٦٠) : على كل مكتب إداري البدء في إنشاء مدرسة واحدة على الأقل من تاريخ وصول برنامج الدعاة إليه ويعين المكتب مدرسي المدرسة من بين الإخوان ويصح أن يكون بعضهم من أصدقاء الإخوان ذوي الكفايات العلمية .

المادة (٦١) : يطبع مكتب الإرشاد على نفقته ما يراه صالحًا من الرسائل والكتب بعد الإنفاق ماليًا مع مقدميها ويتولى المكتب الإشراف على نشرها وبيعها .

المادة (٦٢) : يجوز للقسم أن يؤلف من القائمين على شؤونه لجاناً تهتم كل لجنة منها بناحية معينة من نواحي نشاطه ومرد كل لجنة في أعمالها إلى القسم باعتباره المسئول عن كل هذه الأعمال .

قسم العمال

المادة (٦٣) : يقوم قسم العمال على الأغراض الآتية :

- (أ) تنظيم نشر الدعوة في محيط العمال وإيجاد جو إسلامي في المصانع والشركات والنقابات العمالية .
- (ب) توجيه العمال إلى الاستفادة من النقابات والنشاط العمالي وإلى ما يحفظ حقوقهم .
- (ج) تنظيم التعاون بين العمال والقيام على حاجاتهم ومطالبهم .
- (د) دراسة مشاكل العمال وإيجاد الوسائل الصالحة لحلها والعمل على التقريب بين العمال وأرباب العمل .
- (هـ) دراسة نظم العمل ومحاولة تصحيحها وردها إلى أصل إسلامي .
- (و) تثقيف العمال ثقافة إسلامية وتوجيههم إلى ما يرفع مستواهم التعليمي والخلقي والاجتماعي والصحي .

المادة (٦٤) : يقوم قسم العمال بدراساته الفنية ويضع رسائله ونشرايته ، وهذه تعرض على المرشد العام فإذا وافق عليها بلغت للمكاتب الإدارية لتنفيذها .

المادة (٦٥) : للقسم أن يتصل بمندوبى العمال في المكاتب الإدارية والمناطق إذا اقتضت دراسته أن يتصل بهم ، واتصالات القسم وتنظيم المؤتمرات العامة تكون طبقاً للخطة التي يعتمدها المرشد العام .

قسم الفلاحين

المادة (٦٦) : يقوم قسم الفلاحين على الأغراض التالية :

- (أ) تنظيم نشر الدعوة في محيط الفلاحين وإيجاد جو إسلامي في المزارع والنقابات الزراعية .
- (ب) توجيه الفلاحين إلى الاستفادة من النقابات وإلى ما يحفظ حقوقهم .
- (ج) تنظيم التعاون بين الفلاحين والقيام على حاجاتهم ومطالبهم .
- (د) دراسة مشاكل الفلاحين وإيجاد الوسائل الصالحة لحلها والعمل على التقريب بين الفلاحين والملاك .
- (هـ) دراسة نظم الاستغلال الزراعي ومحاولة تصحيحها وردها إلى أصل إسلامي .
- (و) تثقيف الفلاحين ثقافة إسلامية وتوجيههم إلى ما يرفع مستواهم التعليمي والخلقي والاجتماعي والصحي .

المادة (٦٧) : يقوم قسم الفلاحين بدراساته الفنية ويضع رسائله ونشرايته وهذه تعرض على المرشد العام فإذا وافق عليها بلغت للمكاتب الإدارية لتنفيذها .

المادة (٦٨) : للقسم أن يتصل بمندوبى الفلاحين في المكاتب الإدارية والمناطق إذا اقتضت دراسته أن يتصل بهم واتصالات القسم وتنظيم المؤتمرات العامة تكون طبقاً للخطة التي يعتمدها المرشد العام .

قسم الأسر

المادة (٦٩) : يقوم بوضع الدراسات والتوجيهات الخاصة بالأسر ، ويشرف على تنظيمها في حدود السياسة التي يضعها مكتب الإرشاد .

قسم الطلبة

المادة (٧٠) : يقوم قسم الطلاب على الأغراض الآتية :

(أ) تنظيم نشر الدعوة الإسلامية في محيط الطلاب وإيجاد جو إسلامي بصفة عامة في المعاهد الدراسية .

(ب) تقديم الثقافة الإسلامية المناسبة للطلاب على اختلاف معاهدهم وأسنانهم .

(ج) القيام على حاجات الإخوان الطلاب وتنظيم التعاون المدرسي بينهم .

(د) تنظيم الاستفادة من الطلبة في العطلات الصيفية وإفادتهم .

(هـ) توجيه الطلبة إلى الاستفادة من النشاط المدرسي .

المادة (٧١) : يقوم قسم الطلاب بدراسته الفنية وبوضع رسائله ونشرااته وتعليماته التي يراها ، ثم تعرض أعماله على المرشد العام فإن وافق عليها بلغت للمكاتب الإدارية .

المادة (٧٢) : للقسم أن يتصل بمندوبي الطلاب في المكاتب الإدارية والمناطق إذا اقتضت دراسته أن يتصل بالطلاب ، واتصالات القسم وتنظيم المؤتمرات العامة تكون طبقاً للخطة التي يعتمدها المرشد العام .

قسم الاتصال بالعالم الإسلامي

المادة (٧٣) : من أغراض هذا القسم :

(أ) العمل على ربط الأقطار الإسلامية بعضها ببعض وتوجيه السياسة العامة لها ، بتوحيد مناهج الثقافة الإسلامية وتوحيد القوانين والتشريعات ورفع الحواجز الجمركية وتسهيل إجراءات الدخول – والإقامة في هذه الأقطار .

(ب) تحرير الأوطان الإسلامية من كل سلطان أجنبي وذلك بتقوية الروح الوطنية ومقاومة أي عدوان داخلي أو خارجي على حقوق الشعوب وإيثار العادات والمظاهر الإسلامية والاعتصام بالوحدة العربية والإسلامية والتعاون على استكمال الحرية لكل قطر من الأقطار الإسلامية .

(ج) إقامة حكومات إسلامية ديناً ودولة في كل هذه البلاد وتكوين وحدة سياسية إسلامية .

المادة (٧٤) : ينشأ في القسم لجان تقوم على أوجه النشاط المختلفة منها :

- لجنة الشرق الأدنى وتضم البلاد العربية وباقي الشعوب الإسلامية في إفريقيا كما تضم تركيا وإيران .
- لجنة الشرق الأقصى (أفغانستان – تركستان – الصين – الهند – الهند الصينية - اندونيسيا – اليابان) .
- لجنة الإسلام في أوروبا .

المادة (٧٥) : يدرس القسم قضايا العالم الإسلامية ويعد لكل قضية ملفاً خاصاً بها كما يعد لكل قطر ملفاً خاصاً يشمل كل ما يهم معرفته عن هذا القطر مما يتصل بأغراض القسم .

قسم التربية البدنية

المادة (٧٦) : يضع قسم التربية البدنية المناهج والدراسات اللازمة لتربية الإخوان تربية بدنية إسلامية وإعدادهم للقيام برسالتهم ويشرف على تنظيم هذه الناحية طبقاً للسياسة التي يضعها مكتب الإرشاد .

قسم الصحافة والترجمة

المادة (٧٧) : يشرف هذا القسم على جرائد ومجلات الإخوان في حدود السياسة التي يقرها مكتب الإرشاد ، ويقوم بحفظ ما تكتبه الصحف العربية وغير العربية عن الإخوان بحيث يمكن الرجوع إليه عند الحاجة كما يترجم ما تقتضي مصلحة الدعوة ترجمته من العربية وإليها .

قسم المهن

المادة (٧٨) : يقوم قسم المهن على الأغراض الآتية :

- نشر الدعوة في محيط أصحاب المهن وإيجاد جو إسلامي عام في بيئتهم .
- حصر الإخوان في كل مهنة والعمل على الاستفادة من المهنة بالنسبة للدعوة والأفراد والإخوان .
- الاستفادة من النقابات المهنية المختلفة والعمل على إيجاد جو إسلامي فيهم .
- إعداد المناهج المختلفة في شتى النواحي على أساس من الإسلام والعمل على تنفيذها بواسطة أصحاب المهن .
- توجيه الحركات الإصلاحية في العالم الإسلامي وصبغها بالصبغة الإسلامية .

المادة (٧٩) : يقوم قسم المهن بدراسته الفنية ويضع رسائله ونشرايته ، وهذه تعرض على المرشد العام فإن وافق عليها بلغت للمكاتب الإدارية لتنفيذها .

المادة (٨٠) : للقسم أن يتصل بمندوبي مختلف المهن إذا اقتضت دراسته أن يتصل بهم ، ولكن الدعوة والتنظيم تكون بناء على أمر المرشد بعد عرض الأمر عليه .

قسم الأخوات المسلمات

المادة (٨١) : يحكم هذا القسم لائحته الخاصة المعتمدة في ١٢ شعبان سنة ١٣٦٧ الموافق ٢٠ يونيو سنة ١٩٤٨ .

اللجنة المالية

المادة (٨٢) : مهمة اللجنة المالية هي تنظيم مالية الجماعة وإعداد كل ما يضبطها وينميها ، من ذلك :

- (أ) إعداد الدفاتر القانونية المنظمة لكل عمل من الأعمال المتصلة بالمالية .
- (ب) جرد الموجودات وتقدير المشتريات وعمل الميزانية السنوية وتقدير التقرير المالي السنوي .

(ح) مراجعة الحسابات والمستندات وجرد الخزائنة وبيان سير العمل في الدفاتر ووجوه الخطأ في العمل واقتراح ما يصلحه .

(د) وضع كشف شهري للوارد والمنصرف مع بيان ملاحظات اللجنة .

(هـ) حصر دفاتر الإيصالات والأوراق ذات القيمة وتسليمها لأمين الصندوق بإيصال موقع عليه يحفظ لدى رئيس اللجنة

(و) التفكير في تنمية الموارد المالية ودراسة كل المقترحات التي يراد بها الوصول إلى تحقيق هذه الغاية .

اللجنة القضائية

المادة (٨٣) : مهمة اللجنة القضائية هي الإشراف على قضايا الإخوان التي ترفع عليهم أو منهم بصفتهم إخوان ودراستها والمرافعة فيها أو الإشارة بمن يقوم عليها ، وعلى اللجنة أن تحتفظ لديها بصورة كاملة من ملفات القضايا معدة للإطلاع عليها حتى آخر إجراء فيها ، وليس للجنة في حالة رفع القضايا أن ترفعها إلا بعد أن يأذن مكتب الإرشاد ، كذلك ليس لها أن تتخذ إجراء غير قضائياً عادي إلا بعد عرض الأمر على المكتب .

المادة (٨٤) : مهمة اللجنة السياسية هي دراسة التيارات السياسية العامة والخاصة في الداخل والخارج ودراسة الحوادث السياسية الطارئة وتحديد موقف الإخوان منها ودراسة المقترحات التي توجه للمكتب بهذا الخصوص إذا رأى أن يحيلها على اللجنة ، وليس للجنة حق إصدار قرارات باسمها ولكنها تعرض ما تراه على مكتب الإرشاد وله الرأي .

المادة (٨٥) : مهمة لجنة الخدمات أن تنظم وتسهل القيام بما يطلب من خدمات خاصة وأن توجد شبكة من الإخوان في كل الجهات للمساعدة في خدمة الإخوان وتلبية طلباتهم أو تسهيلها .

المادة (٨٦) : مهمة لجنة الإفتاء تمحيص المسائل الفقهية التي تعرض على المكتب وبيان الرأي الإسلامي الصحيح فيها مؤيداً بالأدلة من الكتاب والسنة وأقوال أئمة المسلمين رضوان الله عليهم .

المادة (٨٧) : مهمة لجنة الإحصاء أن تقوم بإحصاء أوجه النشاط المختلفة للإخوان وأن تقدم التقارير عن ذلك النشاط كل ثلاثة أشهر .

المادة (٨٨) : رؤساء الأقسام واللجان عليهم أن يقدموا تقارير مختصرة في آخر كل شهر عن حالة النشاط في القسم أو اللجنة في مدى الشهر السابق ، وعليهم أن يضمنوا هذه التقارير ملاحظتهم عن سير العمل وما لوحظ من أوجه النقص ، سواء كان هذا النقص راجعاً إلى القائمين بالعمل أو لعيب في الأنظمة المطبقة ، مع بيان ما يجب عمله لتلافي مواضع النقص والعيب .

الباب الثاني

العلاقة الإدارية بين الهيئات

المادة (٨٩) : الشعبة خاضعة للمنطقة التي تتبعها – والمنطقة خاضعة للمكتب الإداري الذي تتبعه والمكتب الإداري خاضع لمكتب الإرشاد .

المادة (٩٠) : ليس للشعبة أن تتصل بمكتب الإرشاد إلا عن طريق المنطقة ، فالمكتب الإداري ، وليس للمنطقة أن تتصل بمكتب الإرشاد إلا عن طريق المكتب الإداري ولو كان الأمر متعلقاً بشكوى من تصرفات المنطقة أو المكتب فإذا لم تبلغ المنطقة أو المكتب الإداري الشكوى جاز الاتصال المباشر بمكتب الإرشاد في شأن الشكوى فقط .

المادة (٩١) : الاتصالات بين الشعب تكون عن طريق المناطق فيما يدخل في اختصاص المناطق والاتصالات بين المناطق تكون عن طريق المكاتب الإدارية فيما يدخل في اختصاص المكاتب الإدارية ، والاتصالات بين المكاتب الإدارية تكون عن طريق مكتب الإرشاد فيما يدخل في اختصاص المكتب .

الباب الثالث

الصلة المالية بين الهيئات

المادة (٩٢) : تتكون مالية كل من الشعبة والمنطقة والمكتب الإداري ومكتب الإرشاد من الاشتراكات والتبرعات والإعانات والأوقاف وما تقبله هذه الهيئات من موارد الإيرادات الأخرى .

المادة (٩٣) : على كل شعبة أن تساهم بما يكفي نفقات المنطقة التي تتبعها ثم المكتب الإداري ، وعلى كل مكتب إداري أن يقدم شهرياً للمركز العام ما يكفي نفقاته ، ويحدد مكتب الإرشاد ما يدفعه كل مكتب شهرياً وتواريخ الدفع .

المادة (٩٤) :

- على كل أخ أن يسدد اشتراكه في الشعبة التي ينتسب إليها .
- ويجوز أن يدفع الأخ أكثر من اشتراك واحد إذا تعدد نشاطه .
- وللإخوان العاملين في المركز العام أن يسددوا اشتراكهم للمركز نفسه .

المادة (٩٥) : على نقيب كل أسرة أن يحصل اشتراك الأسرة ويورد إلى أمين صندوق الشعبة في موعد أقصاه اليوم الرابع من كل شهر .

المادة (٩٦) :

- يمك أمين صندوق الشعبة دفترًا للإيرادات والمصروفات صفحتين متقابلتين وتبويب كل صفحة إلى خانات حسب أنواع الإيرادات والمصروفات ويقيد أمين الصندوق اشتراكات كل أسرة كجملة واحدة مع ذكر اسم الأسرة أو رقمها ويستخرج إيصالاً إجمالياً للأسرة يسلمه لنقيبها ، ثم يقيد الإيرادات الأخرى التي تصله كل تحت الخانة الخاصة به مع التوضيح اللازم ، وأهم الإيرادات الأخرى التبرعات وهي المبالغ التي يدفعها الإخوان غير العاملين والمبالغ التي يدفعها بعض الإخوان بصفة استثنائية غير دورية ، والمبالغ التي يتبرع بها غير الإخوان .
- أما في جانب المصروفات فيقيد أولاً الجزء الذي يرسل من جملة الإيرادات إلى المنطقة ، ثم يقيد باقي مصروفات الشعبة ، ويجب أن يراعى ألا تزيد مصروفات الشعبة عن إيراداتها مضافاً إليها رصيدها من الشهور السابقة .

- يجب أن يسلم رئيس الشُعبة اشتراك الشُعبة الشهري إلى أمين صندوق المنطقة في موعد أقصاه اليوم الخامس من كل شهر مع توضيح العناصر التي يتكون منها المبلغ (اشتراكات - تبرعات -) ومع بيان مقدار رصيد الشُعبة في ذلك التاريخ بعد توريد المبلغ .

المادة (٩٧) :

- يمسك أمين صندوق المنطقة دفترًا للإيرادات والمصروفات - صفحتين متقابلتين مبنية كل منها إلى خانات - ويقيد في جانب الإيرادات ما يصله من كل شعبة موضحًا أمام المبلغ اسم الشُعبة أو رقمها ومفصلاً المبلغ تحت خانات الصفحة إلى العناصر التي يتكون منها ويستخرج إيصالًا إجماليًا بالمبلغ يسلمه لرئيس الشُعبة ، ويقيد كذلك أي إيرادات أخرى تصله مع استخراج إيصال بكل المبلغ .
- ويقيد في جانب المصروفات المبلغ الذي يرسل للمكتب الإداري أولاً ثم مصروفات المنطقة في حدود نصيبها من الإيرادات ، مضافاً إليه رصيدها من الشهور السابقة .
- ويجب أن يسلم رئيس المنطقة النسبة المذكورة إلى أمين صندوق المكتب الإداري في موعد أقصاه اليوم السابع من كل شهر مع توضيح العناصر التي يتكون منها المبلغ وبيان الرصيد النقدي للمنطقة بشُعبها في ذلك التاريخ بعد توريد المبلغ .

المادة (٩٨) :

- يمسك أمين الصندوق المكتب الإداري دفترًا للإيرادات والمصروفات - صفحتين متقابلتين - وتبويب كل صفحة إلى خانات حسب أنواع الإيرادات والمصروفات ويقيد في صفحة الإيرادات المبالغ التي تصله من المناطق موضحًا أمام كل مبلغ اسم المنطقة أو رقمها ومفصلاً المبلغ تحت الخانات حسب العناصر التي يتكون منها ، ويقيد كذلك أي إيرادات أخرى تصله مع استخراج إيصال لكل مبلغ ، ويقيد في صفحة المصروفات المبلغ المرسل إلى المركز العام ، ثم مصروفات المكتب الإداري في حدود نصيبه من الإيرادات مضافاً إليه رصيده من الشهور السابقة .
- ويجب أن يسلم رئيس المكتب الإداري اشتراكه الشهري إلى أمين الصندوق العام في موعد أقصاه اليوم العاشر مع توضيح العناصر التي يتكون منها المبلغ وبيان رصيد المكتب الإداري بمناطقه وشُعبه في ذلك التاريخ بعد توريد المبلغ .

المادة (٩٩) : يجب إجراء تفتيش دوري من كل هيئة على الهيئات التي تتبعها ، فيفتش المكتب الإداري على المناطق والشُعب ويجب أن يراجع رئيس كل هيئة دفتر الإيرادات والمصروفات مع أمين الصندوق ، وللمركز العام أن يفتش على الجميع .

المادة (١٠٠) : يمسك أمين الصندوق العام دفترًا عامًا للإيرادات والمصروفات - صفحتين متقابلتين - ويقيد في جانب الإيرادات ما يصله من المكاتب الإدارية موضحًا أمام كل مبلغ اسم المكتب الإداري أو رقمه ومفصلاً المبلغ تحت الخانات حسب العناصر التي يتكون منها ، كذلك أي إيرادات أخرى تصله مع استخراج إيصال بكل مبلغ

المادة (١٠١) : يجب ألا يصرف أي مبلغ من الصندوق العام إلا بإذن صرف موقع عليه من "المرشد العام" أو القائم مقامه ويجب حفظ مستندات الصرف في ملفات .

المادة (١٠٢) : تبدأ السنة المالية في أول يناير وتنتهي في آخر ديسمبر وعلى أمين الصندوق العام في أول كل عام أن يقدم الحساب الختامي عن السنة السابقة ومشروع الميزانية عن السنة الجديدة إلى مكتب الإرشاد لإقرارها وليحدد على أساسها ما يصرف على كل باب من أبواب النشاط وليراعى فيها في توجيهاته إلى المكاتب الإدارية والمناطق والشعب ويعرض الحساب الختامي ومشروع الميزانية الجديدة على الهيئة التأسيسية عند أول اجتماع وعلى أمين الصندوق أن يمكن مراجع الحسابات من الإطلاع على الدفاتر في أي وقت .

المادة (١٠٣) : يجب استخراج إيصال (من أصل وصورة بالكربون) لكل من ورد مبلغاً من المال وكذلك يجب الحصول على إيصال من كل من استلم مالاً وفاتورة بكل ما اشترى .

المادة (١٠٤) : إذا زاولت الشعبة (أو المنطقة أو المكتب الإداري) نشاطاً يدر ربحاً كعمل مدرسة أو مستوصف أو محل تجاري واستخدمت فيه جزءاً من أموالها فترسل نسبة ٢٠ % من الأرباح السنوية إلى المركز العام عن الطريق الإداري العادي مع عدم خصم الهيئة التالية لها أي مبلغ من هذه النسبة بل تصل كلها إلى الصندوق العام مع التوضيح اللازم .

**سبحانك اللهم وبحمدك
نشهد ألا إله إلا أنت
نستغفرك وتتوب إليك**

الباب الثاني مشروعات واقتراحات

- (١) خطوط في الإصلاح على ضوء الإسلام .
- (٢) مشروعات رفعت لمكتب الإرشاد أو للمرشد نفسه إما مباشرة أو عن طريق أقسام .
- (٣) مشروع مقدم للمناقشة للاتجاهات الأساسية في السياسة التعليمية .

(١)

الإخوان المسلمون
قسم المهن

خطوط في الاصـلاح على ضوء الإسلام

حسان
داككات القريه
بني هادي

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

يتوفر الأخصائيون من الإخوان المسلمين على دراسة الأحوال الاقتصادية والشئون المالية التي تؤثر تأثيراً عميقاً في نواحي حياتنا والتي تفرض منطقتها الدقيق على الأشخاص والأشياء فرضاً لا يستطيع مصلح أن يتجاهل خطره .

ومشاكل الاقتصاد القومي العالمي من الكثرة والتشعب بحيث أضحت تلمس حلولها يحتاج إلى جهود طويلة ويقظة وحذر ، وليس هذا لخدمة دنيا الناس فحسب ، بل لخدمة تعاليم الدين الذي أنزل الله أصوله على أنبيائه الكرام ، وفي طليعة هذه الأصول التي اتفقت عليها الكتب السماوية كلها تحريم الأثرة والترف والربا والاستغلال الحرام ، ويسرنا أن تتلاحق جهود كتاب الإخوان في هذا المضمار الواسع وأن يلتفت قسم المهن بالمركز العام إلى هذه الناحية الهامة ويمنحها قدرًا مشكورًا من جهود الموفقة إن شاء الله .

ولعل هذه الرسالة الموجزة تكون قد عالجت جانباً حساساً من مشكلاتنا الاقتصادية والله نسأل أن يهدينا إلى الحق .

وجزى الله كاتبها على جهده وقصده خير الجزاء .

حسن الهضيبي

القسم الأول

الاقتصاد والنقد والضرائب

أولاً : الاقتصاد :

جعل الإسلام تنظيم شؤون الحياة المدنية وحل مشاكل الناس الاجتماعية والسياسية الاقتصادية ، جزءاً من توجيهه لأتباعه فليس عجباً أن يتناول الإسلام حل المشكلة الاقتصادية بنظام اقتصادي كامل له مميزاته وخواصه التي لو طبقت لكان فيها إسعاد البشرية ، إذ تقوم حياتهم على أسس مستقرة ، يكفل للفرد فيها راحة نفسية ، وراحة جسمية ، وقدرة على العمل ، وإشباعاً لرغباته في حدود الحلال ، حتى يستطيع أن يؤدي واجبه نحو ربه بنفس ملؤها الثقة والإيمان والرضي والاطمئنان وبذلك ينال خيرى الدنيا والآخرة .

وإذا تصفحنا هذه الآية الكريمة من كتاب الله نجدها قد شملت أسس النظم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في الإسلام في بضع كلمات ملؤها الإعجاز ، تلك الآية هي قوله تعالى :

"الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ" .

"فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، أساس حل المشكلة الاجتماعية" .

"وإحلال الطيبات وتحريم الخبائث ، أساس حل المشكلة الاقتصادية" .

"ورفع الإصر والأغلال عن المؤمنين وتحرير الناس من رق العبودية وسيطرة الحاكمين وتغلب القوى على الضعيف أساس حل المشكلة السياسية" .

فالغاية من الاقتصاد في الإسلام هي تهيئة الحياة المادية تهيئة من شأنها أن تساعد على تحقيق المثل الأعلى الإسلامي ، ولكي تصل إلى هذه الغاية التي هي فرض واجب على كل مسلم فإن العمل على تغيير الأوضاع الفاسدة ، وإزالة منا يخالف الشريعة السمحاء وتصحيح الأخطاء التي سببها نظام الحكم الظالم الذي رزحت تحته البلاد منذ زمن ليس بالقصير ، مما يساعد كثيراً على تحقيق هذا الهدف المنشود .

(أ) خصائص أوضاعنا الاقتصادية الحاضرة :

تقوم الأوضاع الاقتصادية التي نسير عليها على أساس المنفعة الفردية المجردة عن كل المقومات المعنوية والخلقية ، عن المصالح الجماعية ، فالفرد يعمل بقصد الربح المادي عن طريق إنتاج السلع أو تأدية الخدمات – التي عليها طلب – ليحقق لنفسه أكبر قسط من الكسب ، والدولة لا تتعرض لهذا العمل الذي قد يفئ على صاحبه ربحاً طيباً ، ولكنه يجر على المجتمع منفعة سلبية كبيرة ، وبعبارة أخرى

يترك للفرد أن يقوم بنشاطه الاقتصادي حتى لو أدى هذا النشاط الفردي إلى تقليل الإنتاج الكلي عن طريق تقليل المقدرة الإنتاجية أو المنفعة الكلية للمجتمع ، ولقد ورثنا هذه الأوضاع الاقتصادية من النظام الاقتصادي الأوربي ، فهو مأخوذ عنه ، ولكنه متخلف عنه متميز بالجمود والتأخر والرجعية نتيجة للتخلف السياسي والتأخر الاجتماعي ، وظروف السياسة العالمية ، وهذه الأوضاع الاقتصادية البالية تتميز عموماً بالمظاهر الآتية :

(١) انعدام التوازن في أوجه الاستثمار ، سواء في الميدان الزراعي أو الصناعي أو في التجارة الخارجية ، وذلك لعدم وجود سياسة توجيه اقتصادية سليمة ، يسير بالاستثمار في صالح الجماعة .

(٢) الرأسمالية دون مراقبة فعالة من الدولة حتى لتصل في بعض صورها إلى النظام الإقطاعي في الاقتصاد الزراعي وإلى بداية عهد الثورة الصناعية في ميادين الصناعة بما في ذلك احتكار عرض راس المال وسريان سعر الفائدة .

(٣) عدم الاتساق في توزيع الدخل الأهلي نتيجة للعوامل السابقة ، مما أدى إلى التفاوت وكبر الفرق بين الطبقات المختلفة لهذا الشعب ، فثراء فاحش ، وفقير مدقع ، والطبقة المتوسطة معدومة ، والذي نسميهم متوسطين على قاعدة بعض الشر أهون من بعض .

(٤) انخفاض الدخل الحقيقي الأهلي انخفاضاً يجعل مصر في مؤخرة الدول في هذه الناحية .

(٥) الظلم الفادح الواقع على الفقراء ، إذ يدفعون الجزء الأكبر من إيرادات الدولة عن طريق الضرائب الغير مباشرة .

(٦) خضوع سياسة الاستثمار في مصر لسلطان أجنبي ، فالبنك الأهلي وهو بنك الدولة الذي يفترض فيه أن يوجه الأموال لما فيه خير البلد ، لا يزال يخضع لنفوذ أجنبي من ناحية رأس المال والإدارة وارتباطه الوثيق بسياسة بنك إنجلترا وأليست حادثة استغلاله لإقراض بنك مصر سنة ١٩٣٩ وضغطه الغير قانوني على الحكومة والذي يتنافى مع دكريتو إنشائه ولمد أجل امتياز به بعبدة عن الأذهان .

والبنوك التجارية في مصر هي فروع لبنوك أجنبية ، وكل اهتمامها تنمية التجارة الخارجية وتنفيذ سياسة البنوك التي تنتسب إليها ، ولو كان ذلك يتعارض مع صالح مصر .

(٧) سياستنا النقدية لا تزال في حاجة ماسة إلى الإصلاح ، فالجنية المصري منخفضة القيمة ، وكاد يصبح الجنية الإسترليني عملة صعبة بالنسبة لنا رغم كبر رصيدنا منه ، وهذا الجنية الإسترليني معروف بانخفاض قيمته بالنسبة لعملات الدول الأخرى .

وقد كان العامل الأول في ذلك هو عدم وجود نهج اقتصادي أو سياسات طويلة المدى تنفذ على مر السنين ، سياسة ترسم وتدرس لرفع مستوى الإنتاج وتنوعه في مختلف ميادين الاقتصاد ، وتصحح أوضاعنا الاقتصادية الخاطئة ، وتعمل على تحقيق استقلالنا الاقتصادي وتنقية حياتنا التجارية من شوائبها ، وتعمل على تقوية مركز الجنية المصري واستقلاله وموازنة ميزان مدفوعاتنا .

هذه هي أبرز خصائص أوضاعنا الاقتصادية ، ومظاهر الضعف فيها- وقد أسميناها – أوضاعنا ، ولم نسماها نظاما لأن النظام له خصائصه ومميزاته وأهدافه ، أما هذه الأوضاع فهي خليط من آراء وسياسات قصد بها الاستغلال الاقتصادي لصالح الاستعمار ومن أوجدتهم من الأفراد .

(ب) خصائص النظام الاقتصادي في الإسلام :

أما النظام الاقتصادي في الإسلام فله خصائصه ومميزاته وأهدافه الواضحة فهو يضحى بالمجتمع في سبيل الفرد ، بل أنه لا يهتم بالفرد إلا باعتباره النواة الطبيعية للمجتمع ، ويجعل المجتمع مسئولاً عن سعادة أفراد ، فالإسلام يترك للإنسان الحرية في استغلال المال ، واستثمار ما وسعه الجهد ، ما لم يتعارض هذا النشاط الاقتصادي مع صالح المجموع ومن أجل ذلك ترك للإنسان الحرية في جمع المال واستثماره إلا إذا كان القائم على استغلال المال سفيها لا يحسن التصرف في استثماره بما فيه صالح المجموع فنعم المال الصالح للرجل الصالح ، وقد قال تعالى : "وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا" .

ذلك أن جميع أحكام وتشريعات الإسلام تلاحظ الناحية الاجتماعية العامة ، وأن أحكامه الاقتصادية ينظر إليها من ناحية المجموع كما ينظر إليها من ناحية الفرد سواء بسواء ، فإن تعارضت المصلحتان رجحت كفة المجموع بلا نزاع .

وبقبول هذا المبدأ يمكن قبول الأفكار الإسلامية ، ببسر وسهولة وتسقط اعتراضات كثيرة تقوم على أساس الفلسفة الأوربية المادية البحتة ، لذلك كانت (خصائص النظام الذي نسعى إلى تحقيقه على ضوء الإسلام) يمكن أن نوجز منها الآتي :

(١) إعطاء الدولة حق توجيه النشاط الاقتصادي لما فيه صالح المجموع فيسعى الفرد لمصلحة المجتمع وتوسع الدولة لمصلحة الأفراد .

من أجل ذلك كان رأس العلاج من الناحية العملية في الوقت الراهن بعد هذه الثورة السلمية المباركة ، وحركة الجيش لتصحيح الأوضاع ، هو إيجاد شعور عام بضرورة حشد الجهود في سبيل الإنعاش الاقتصادي ، فيجب أن يؤمن كل فرد بأنه يعيش لخدمة مثله الأعلى أولاً ، وأن جهوده الإنتاجية يجب أن تستهدف مصلحة وطنه ، وأن التمايز المادي لن يصل بصاحبه إلى مرتبة تفوق مراتب الآخرين وأن المال والغني ليسا مقياساً للقيم البشرية ، وأن أعظم الناس قدراً هو أتقاهم وأنفعهم لوطنه وللأمة الإسلامية ، ففي ظل هذا النظام يبذل كل فرد قصارى جهده في الإنتاج ليصل به إلى الحد الامثل ، ويمنح المجتمع من دخله ما يعين الدولة على حسن القيام بالتزاماتها كما أوجبها الإسلام ، فالدولة تعيد توزيع ما تحصل عليه من دخول الأفراد بأشكال مباشرة وغير مباشرة على الأفراد متفرقين ، وعلى المجتمع في صورة اشباع الطلب الجماعي ، وحينئذ تكون النتيجة الحتمية رغد المجتمع ورفاهيته ، بما لا يزيد عليه ، ذلك أن المال في الإسلام ليس غاية في ذاته كما هو مشاهدة في الاقتصاد الغربي ، بل هو وسيلة لغاية أسمى هي سعادة المجتمع ، فالإسلام دين تكافل فأفراد المجتمع الإسلامي إن أصابهم رخاء عم الجميع ،

وإذا أصابهم ضرر ، أصاب الجميع فالكل في المنشط والمكروه على سواء ، والمؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً .

(٢) النهج الاقتصادي : لا بد أن يقوم التوجيه الاقتصادي في الدولة على أساس سياسة طويلة المدى ، هدفها حل المشاكل الاقتصادي للمجتمع والأفراد ، وسبيلها الاستعانة بالفنيين في وضع هذه السياسات على وضع كل شخص في مكانه الطبيعي الذي ينتج فيه ، وأن من عيوب الأوضاع القديمة أن يرسل الشخص إلى بعثة فيتخصص في ناحية معينة وعند عودته يوظف في مكان بعيد عما تخصص فيه ، وتدفع الدولة ثمن سوء هذا التصرف .

(٣) رفع الربا من المعاملات ومن الغريب أن بعض الناس يقولون أن ذلك مستحيل ، فالفائدة هي موضع نقد شديد فالدورة الاقتصادية (الأزمة الاقتصادية) سببها سعر الفائدة كما أن حذفها من المعاملات يؤدي إلى العمالة الكاملة ، ونادي بذلك عظاما الاقتصاد ، فكينز يرى هذا الرأي وهار وشاكل وهكس أما بويدار فينادي بوضع سياسته حتى يتوفر رأس المال الذي قد يطلب مستقبلا ، بحيث لا يفرض سعر فائدة على المقترض ولو كان منتجاً .

(٤) تدخل الدولة في تمويل المشروعات ، وإخضاعها لرقابة قوية حازمة .

(٥) إيجاد العمل والكسب لكل قادر .

(٦) أن يحصل كل فرد عن طريق أجره إذا توفر له العمل ، وإما عن طريق الدولة إذا لم يتوفر له العمل بحق المأكل والملبس والسكن .

(٧) أن تكفل الدولة التعليم بما يهيئ الفرص لجميع المواطنين على حد سواء ، فطلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة أن تهئ الدولة لجميع الأفراد فرص التداوي عند المرض حتى نحصل على جيل سليم فالمؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف .

وأن تحقيق هذه الحقوق لهي مقررة في الإسلام ، وقد تجلى سمو إدراك هذا المعنى أن اعتبر عمر بن الخطاب أمير المؤمنين نفسه مسئولا عن بغلة عثرت في العراق لم لم يمهد لها الطريق .

(٨) العمل على إنماء الدخل الأهلي وحسن توزيعه .

(أ) إنماء الدخل الأهلي :

من الحقائق المسلم بها أن الاستعمار للصفوف الأمامية نتيجة للعوامل السابقة وللسياسة الاستعمارية والاحتلال أذنان والصدارة في شئوننا العامة ، الدخل الأهلي المصري منخفض فيجب أن نزيد المساحة المزروعة ، وأن نتجه إلى الصناعة وإلى منابع الثروة واستغلالها فنستفيد من إيراداتنا المالي بتعديل التقنين المائي الحاضر ، وإن كل ما في مصر مسخر لكم ما في السموات والأرض ، "وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً" ، "وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ" .

والتحول إلى الصناعة فوراً من روح الإسلام الذي يقول نبيه (صلى) "إن الله يحب المؤمن المحترف" ، "من أمسى كالأ من عمل يده ، أمسى مغفوراً له" .

وينظر الإسلام إلى تقدم الصناعة نظرة تقدير ، فسياسته تدفع إليه حتى أن الله أثني على داود وسليمان لتقدمهما الصناعي "وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ * أَنْ أَعْمَلَ سَابِغَاتٍ وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ وَأَعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ" ، "وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِنَحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ" ، ثم لا يكون في مصر مصنع للسلاح "وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنْ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزَعْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ * يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبٍ وَتَمَائِيلَ وَجَفَانَ كَالْجَوَابِ وَقُدُورَ رَأْسِيَاتٍ أَعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا" لم لا يكون في مصر مسبك عظيم ، ولا مصنع كامل للأدوات المعدنية "وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعٌ لِلنَّاسِ" ، ثم نهمل ما عندنا من هذا المعدن هذا الإهمال ، وهو من أجود الأنواع كما قدر الخبراء .

(٩) تحريم المكسب الخبيث :

ومن تعاليم الإسلام ن تحريم موارد الكسب الخبيثة ، وتحديد الخبث في الكسب بأنه ما كان بغير مقابل من عمل : كالربا والقمار واليانصيب ونحوها ، أو كان عوضاً لما يضر : كثمن الخمر والخنزير والمخدر ونحوها أو اقتناتا على حقوق الغير كرب العمل الذي يبخس أجر العامل .

كل هذه موارد للكسب لا يبيحها الإسلام ولا يعترف بها ، وامتدح المال الصالح للرجل الصالح ، وأوجب الحرص عليه ، وحسن تدبيره وتثميته ، وحث على الإنفاق الصالح وحرمة الاكتناز ، وما شرعت الزكاة إلا لتطهير المجتمع من آفاته .

وأعلن الإسلام أن الحاكم مسئول عن حماية هذا النظام ، وعن حسن التصرف في المال العام ، يأخذه بحق ويصرفه بحق ويعدل في جبايته وما الإسلام إلا فكرة تحميه الدولة .

ثانياً : شئون النقد :

ذكرنا بعض الأصول التي يقوم عليها النظام الاقتصادي الإسلامي ، والروح التي تملئها علينا تلك الأصول التي تنتج مع التطبيق السليم وضعها اقتصادياً دائماً ، ليس أفضل منه ، فهي توجب استقلالنا النقدي ، واعتماده على رصيد ثابت من مواردنا ومن ذهبنا وإنتاجنا ، لا على أدونات الخزنة البريطاني ، ودار الضرب البريطانية ، والبنك الأهلي البريطاني ، وإن حمل أسم الأهلي المصري .

فالبنك الأهلي المصري اسماً – والبريطاني إدارة وسياسة – لا ينتهز فرصة تمر إلا ويغتنمها لإخضاع الاقتصاد المصري لصالح لاقتصاد البريطاني .

فعندما قامت الحرب العالمية الأولى (١٩١٤-١٩١٨) قامت بريطانيا بأكبر سرقة عرفها التاريخ ، سرقة هي امتصاص دماء شعب وتسخير أمة وتمويل الحرب دون مقابل .

فنشر في الجريدة الرسمية قرار في ١٩٤٦/١٠/٣٠ من وزارة المالية وليس موقعاً عليه من أحد ، ولعله من المستشار المالي الإنجليزي فالبنك الأهلي المصري توضع سياسته وتوجهاته في لندن وفقاً

لصالح الاستعمار وما المستشار المالي الإنجليزي في مصر إلا أحد الأيدي المنفذة لسياسة الاستعمار ، وقد جاء في هذا القرار أن للبنك الأهلي أن يستبدل الذهب كغطاء للبنكوت المصدر بسندات على الخزنة البريطانية ، وهذا يخالف أشد المخالفة لقانون البنك ، والجدير بالذكر هي أدونات الخزنة البريطانية فقط دون أدونات الخزنة المصرية التي يجوز استعمالها كغطاء للبنكوت المصدر ، وبذلك فمنذ ذلك التاريخ (١٩٤٦/١٠/٣٠) أصبحت قاعدة النقد في مصر هي الجنية الإسترليني .

ولقد ترتب على هذا القرار الخاطئ والغير قانوني استطاعة بريطانيا أن تحصل على ما تريد من ملايين الجنيهات بتقديمها أدونات على الخزنة البريطانية لإنفاقها على شتى الأغراض دون أن يكون لمصر الحق أن تناقش أو تراقب أو تعترض ، فليس لمصر إلا أن تورد جزءاً من الدخل الأهلي للاستعمار ، أليست هذه الملايين عامل من عوامل انخفاض الدخل الأهلي وانتشار الفقر وتأخر الإنتاج والتقدم الاقتصادي ؟

أليس معنى ذلك أن الإنجليزي يشارك المصري دخله فيعمل على انخفاضه فوق ما هو منخفض بطبيعته .

كذلك ترتب على هذا القرار ثبات سعر الصرف بين الجنية المصري والإسترليني ولقد استفادت بريطانيا وحدها ووقعت افدح الخسائر على مصر ، فضاعت عليها ملايين نتيجة هذا الثبات فيسعر الصرف ، وأصبح المتداول من أوراق البنكوت في حالة مد وجزر من عام وآخر ، بفعل تقلبات ميزاننا ، الميزان التجاري وظروف الحالة الاقتصادية الإنجليزية دون أن يكون لنا سلطان على تخفيف حدة تلك التقلبات .

عرقل البنك الأهلي المصري سنة ١٩٢٥ بيع أدونات الخزنة البريطانية لتشتري مصر بثمنها ذهباً ووضع العراقيين أمام هذه العملية ، فلم تتم فضاعت على مصر هذه الفرصة واشترك البنك مع الحكومة المصرية في المسؤولية .

سنة ١٩٣٩ احتاج بنك مصر إلى سلفة لتدعيم مركزه فلجأت الحكومة إلى البنك الأهلي ولكنه استغل هذه الفرصة ، فرفض مخالفاً بذلك قوانينه ، وضغط على مصر ضغطاً غير قانوني منافياً للشرف ، مستغلاً ظروفها الاقتصادية ، وأخيراً اشترط أن تمد امتيازته بـ ٤٠ عاماً فكان له ما أراد .

عند صدور قانون سنة ١١/٨ سنة ١٩٤٨ بجعل أدونات الخزنة المصرية غطاء للنقد المصري اختفت الادونات البريطانية من قسم الإصدار ، لتظهر تحت شكل آخر في قسم العمليات المصرفية وبذلك ضمن سهولة تمويل القوات البريطانية بما يريدون من ملايين الجنيهات ذلك أن سياسة البنك التقليدية والتي خلق من أجلها هي الاقتصاد المصري لما يريده الاستعمار ، وخلق موارد للإنفاق الإنجليزي باقتطاع الملايين من الدخل الأهلي المصري ، فلا عجب أن يظهر الفتور والتأخر في مصر وحدها بل في كل بلد نكب بالاستعمار البريطاني .

فلماذا لا نأمن البنك لتخلص من شروره وآثامه ؟

لقد وضع الأستاذ زكي سعد مشروعاً للتأميم ، ولكن الملك السابق والمشفرون الرسميون على شئوننا العامة قيدوا المشروع ، فهل يكتب لهذا المشروع أن يرى النور في عهد النور .

إن سياسة البنك قد أدت خدمات جليلة للاستعمار على حساب المصالح القومية فسرقت بريطانيا جهودنا دون أن نشعر وهذا ساعد بريطانيا أن توطد أقدامها في وادي النيل فلم تحتاج بريطانيا ولم تلتجئ لسداد نفقاتها بفضل سياسة البنك الأهلي وحينئذ قد فوت البنك فرصة ذهبية قد تمكن لمصر من استرداد أسهم سندات قنال السويس التي استولى عليها الإنجليز في ظروف مريية في عهد الخديوي إسماعيل .

وبفضل سياسية البنك وسياسة المشرفين على شئوننا العامة أن أصبحت الحكومة مدينة للبنك الأهلي لأول مرة بمقدار ٤٠ مليوناً من الجنيهات بعد أن كانت دائماً دائنة ، فالواجب التحقيق في هذه الحالة ومعرفة المسؤولين من الرسميين وكبار الموظفين حتى تتطهر حياتنا الاقتصادية مما يشوبها .

ومن العجيب وقد بينا طرفاً من الأضرار التي كان يعتمد البنك إحداثها للاقتصاد المصري ليستفيد الإنجليز أعداؤنا لم يجرؤ أن يتقدم أحد من الرسميين أو أي وزير فيضع سياسة تحد من هذه الأضرار وينهج نهجاً عملياً يخلصنا من هذه المؤسسة الاستعمارية .

ولكن لا عجب فبريطانيا إنما تعكر المياه وتوجد طبقة تصنعها على يديها وتمكن لهذه الطبقة من السيطرة على هذه الأمة لتتخذ منها مطية لتنفيذها مآربها ، فتحيط أعمالها بستر شرعي في ظاهره وباطل خداع في حقيقته ، فهل أن الأوان لإيجاد نفر مخلص يكف عن أساليب الاستعمار وينهج نهجاً عملياً لدرء هذه المفساد والأخطار .

لا شك أن ما حدث لهو جريمة في حق هذه الأمة ، ولا ريب أن جميع وزراء المالية على التعاقب ورجال الاقتصاد في هذا البلد لمسئولون جميعاً عن هذه الجريمة لأنهم لم يرسموا سياسة للتخلص من هذا البنك الاستعماري العتيق ؟

فواجبنا إلغاء قرار ١٩٤٦/١٠/٣٠ الذي لم يوقعه أحد وعدم قبول السندات على الخزنة البريطانية والتخلص من الموجود منها ، وإذا أرادت بريطانيا أن تحصل على نقدنا لتغطية العجز في ميزان مدفوعاتها لمصر فإما أن تبيع الأصول التي تمتلكها في مصر أو تقترض أو تعطينا ما نحن في حاجة إليه من سلاح وعتاد وآلات وتحديد سعر الصرف بين الجنيه المصري والجنيه الإسترليني من ثباته .

ولقد أنتج ضعف الرقابة على النقد ، والاستهانة بأمره استهانة بلغت حد الاستهتار ، هذه المآسي التي نصطلي بناها من التضخم الذي استتبعه غلاء المعيشة ، وتلك العوامل المصطنعة المفتعلة التي تسبب عن الأرصد الإسترلينية التي تحاول أن نتخلص منها دون جدوى – ما هي إلا نتيجة من نتائج قرار أكتوبر سنة ١٩٤٦ فلم يحدث في تاريخ الدول الراقية فيما نعلم أن (بنكا) يستغل قراراً – لم يمض عليه أحد – هذا الاستغلال الشائن ، كما فعل هذا البنك فيصدر بمقتضاه ما يشاء من أوراق دون رقيب أو حسيب أو اعتراض بمجرد إخطار من الاستعمار بطلب نقود .

ومن أفضع التخيرير بهذا الشعب أن يسلم جهوده ومنتجاته نظير أوراق وأذونات مجمدة ، وأن مصر إذا حزمت أمرها ، وأحكمت تصرفاتها ستصل ولا شك إلى ما تصبوا إليه .

ولعل أسوأ نتيجة لهذا القرار - قرار أكتوبر سنة ١٩٤٦ - وسياسة البنك الأهلي المصري أن أنهكت انجلترا مصانعنا وآلاتنا وأخذت احتياطياتنا في الشركات لتجديد معداتها وجمدته ورسمت سياسة من شأنها عدم استيراد آلات وتجديد المعدات فنظف في تأخر اقتصادي ، ولا تفرج عن المجدد إلا لشراء سلع استهلاكية فكيف إذن نجدد معدتنا فالواجب التخلص وتحرير سياستنا الاقتصادي من نيران الأغلال الإنجليزية .

ولقد انفصلنا عن الكتلة الإسترلينية ، وكاد يتم تأمين البنك الأهلي .. وطالبنا بالديون الكثيرة التي لنا على الإنجليز لتجديد معدتنا الإنتاجية ونفترج لتقوية الجنية المصري زيادة الإنتاج والتقليل من الاستيراد لاسيما مواد الترف كما يجب أن نفكر في إنشاء كتلة إسلامية - ككتلة الإسترليني - كوحدة اقتصادية ولا تتعامل فيما بينها بالربا .

لا شك أن ذلك سيدفع بنا إلى التقدم الاقتصادي والرفاهية وتأمين النقد .

(ب) تنظيم المصارف والإتمان:

(١) أن تأمين البنك الأهلي البريطاني والذي يتسمى بالمصري خداعاً لمن أهم المسائل التي يجب أن تتحقق ولقد بينا مبلغ الأضرار التي عادت علينا من سياسة هذا البنك الاستعماري العتيد ، ولماذا لا يُستدعي الأستاذ زكي أسعد ليشرف على سياسة تأمين البنك ولاسيما أن مشروع التأمين قد وافق عليه خبراء أمريكا بعد دراسته .

فيجب أن يؤمم ويحول إلى بنك الدولة الإسلامي .

(٤) لا يقوم بعملية خصم الكمبيالات وعمليات القروض الاستهلاكية إلا البنك المركزي الإسلامي نظير عمولة تغطي النفقات فقط ولا يتقاضى فائدة ما حتى يمنع الربا وذلك يؤدي إلى مزايا عدة أهمها :

(أ) أن البنوك ستوجه أموالها وكذلك الأفراد الذين سيحرمون من هذه المعاملات إلى نواحي الاستثمار الأخرى في الميدان الزراعي والتجاري والصناعي .. الخ .

(ب) إن البنك المركزي حين يقوم بخصم الكمبيالات بقطعها بدون فائدة واختفاء الفائدة سيساعد على رواج التجارة حيث سيسهل الحصول على الأموال اللازمة لتحويل المشروعات المدروسة الناجحة .

(ج) أن البنك المركزي حينما يكون هو البنك الوحيد الذي يقوم بعملية الخصم سيتمكن من توجيه الحياة الاقتصادية إلى ما يريد وذلك بتسهيل القطع أو منعه .

(د) من جهة القروض الاستهلاكية فهي حين تترك البنك المركزي ليقوم بها ليست بدعة ولكنها مأخوذة من أرقى دول أوروبا ، فقد أنشأت ألمانيا بنكا للزواج والأولاد .. الخ تابع للدولة يقوم

بالإقراض لهذه الأسباب الاضطرارية دون فائدة ولآجال طويلة وهذا سيؤدي إلى منع المقترضين لأسباب أخرى (القمار – الملاهي – الكماليات) .

ثالثاً : الضرائب :

(أ) السياسة الضريبية :

في سياستنا الضرائبية يحسن إبراز النقط الرئيسية الآتية :

- (١) يجب أن تكون الضرائب المباشرة هي عماد الميزانية وليست الضرائب الغير مباشرة كما هو الحال طبقاً للأوضاع الاقتصادية السائدة ، حيث أن الضرائب غير المباشرة يتحمل عبئها الكادحون من الشعب مما يزيد هذه الطبقة بؤساً على بؤس .
- (٢) يراعى في فرض الضرائب الجمركية مصلحة الإنتاج الوطني وتشجيعه مع مراعاة أن لا يكون ذلك على حساب المستهلكين ولفائدة أصحاب رؤوس الأموال بل يكون رائد السياسة الجمركية صالح للاقتصاد الوطني وتشجيع الصناعات الثابتة والتي يرجى لها النمو والازدهار لتوافر عناصرها الأولية في داخل القطر .
- (٣) الحد من استيراد الكماليات وفرض رسوم جمركية عالية على السلع الكمالية حتى يتحدد استهلاكها في أضيق حدود .
- (٤) إصلاح الإدارة القائمة على جباية الضرائب بما يوفر للجمهور سرعة المحاسبة وتحصيل الضرائب المستحقة بعدل ودقة وذلك برفع مستوى الموظفين علمياً ومادياً وضمان استقلالهم وحريتهم في الرأي وزيادة الأيدي العاملة بهذه الأداة وذلك بالنسبة إلى الضرائب المباشرة والغير مباشرة .

(ب) بالنسبة للضرائب مباشرة :

- (١) رفع حد الإعفاء في جميع الضرائب النوعية إلى ٢٥٠ جنية للمتزوج الذي يعول أولاداً ، وإلى ٢٣٠ جنية للأرمل الذي يعول أولاداً ، وإلى ٢٢٠ جنية للمتزوج ولا يعول أولاداً ، وإلى ٢٠٠ جنية للعازب .
- (٢) التدرج في سعر الضريبة بالنسبة إلى جميع الضرائب النوعية وذلك بزيادة سعر الضريبة على الشرائح العليا من الدخل تطبيقاً لنظرية المنفعة المادية وعدالة التوزيع الضرائبي كل حسب مقدرته على الدفع .
- (٣) وضع حد أقصى للأرباح التجارية والصناعية إذا تقدمت المنشآت آلت الزيادة برمتها إلى الخزينة وهذه الضريبة الجديدة ليست لغرض الحصيلة وإنما لغرض منها وضع صمام أمان للغلاء فهي كفيلة والحال هذه أن تحمل الممولين على أن ينفقوا عند الحد الأقصى المقدر للأرباح وذلك بالحد من ارتفاع الأسعار والجشع في استغلال جهود المستهلكين .

(٤) تعديل القانون رقم ٩٩ لسنة ١٩٤٩ الخاص بفرض ضريبة عامة على الإيراد وذلك بزيادة سعر الضريبة على الشرائح العليا من الدخل ابتداء من ١٠٠٠ جنيه في السنة حتى ١٠,٠٠٠ جنيه ثم جعل الضريبة بعد ذلك ٨٠% على ما زاد على مبلغ ١٠,٠٠٠ حتى ٢٠,٠٠٠ جنيه ثم ٩٠% على ما زاد على ٢٠,٠٠٠ جنيه .

(٥) فرض ضريبة الزكاة لأن الزكاة أعظم فريضة اجتماعية تعالج أدواء المجتمع فتقف حاجزاً دون الأمراض الاجتماعية الفتاكة التي إذا بلغت مداها في الشعب المصري ذهبت بالدين والأخلاق وكل الأسس الاقتصادية السليمة وأن ديننا ليفرض على ولي الأمر القيام على جباية الزكاة وإنفاقها في مصارفها وفي ذلك يقول أمير المؤمنين وخليفة المسلمين أبو بكر الصديق رضي الله عنه وأرضاه: إن الزكاة حق المال والله لو منعوني عقلاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله صلي الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعه .

(٦) وأننا إذ تعوزنا المالية بتنفيذ قانون الضمان الاجتماعي فإن في تحصيل فريضة الزكاة أكبر منبع تعتمد عليه الدولة في محاربة الفقر قال الله تعالى : "وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ * لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ" .

(٧) فرض الضريبة على الاستغلال الزراعي فهو كثيراً ما يأتي بدخل كبير فيتعين أن يتساوى بغيره تحقيقاً للعدالة الاجتماعية وجعل حدّاً للإعفاء فيه كما هو في الضرائب النوعية الأخرى.

* * *

المرافق العامة والتأميم

لما كانت هيئات المرافق العامة تقدم خدمات عامة للجمهور كان من الواجب على الحكومة أن تشرف عليها إشرافاً وثيقاً بتوفير إدارة قوية حازمة تكفل راحة الجمهور ونظراً لان هذه الشركات كان بعضها يهمل تحسين المرافق وبعضها لا ينفذ شروط الالتزام وبعضها يتحايل على تنفيذ شرط تسليم الموجودات في نهاية المدة مجاناً فلا يكلف نفسه مهمة تجديد الأدوات وقد تسبب عن ذلك أن سلمت بعض الشركات موجوداتها إلى الحكومة بحالة رديئة . ومن هذه الشركات من أهمل أداء إتاوة الحكومة ، ومن المؤسف حقا أن نرى أن قانونا صدر في سنة ١٩٤٧ ينظم التزامات المرافق العامة ومع ذلك لم يطبقه كثير من هذه الشركات :

وأن أهم أسباب هذه الأفعال من جانب الشركات يرجع إلى :

(١) عدم وجود إدارة قوية تشرف على تنفيذ عقود الالتزام والقوانين الخاصة بالمرافق العامة .

(٢) لان هذه الشركات كانت قوية بما لها نفوذها بواسطة أعضاء مجالس إدارتها ولذلك نرى :

(أ) إنشاء إدارة قوية للإشراف على شركات المرافق العامة .

(ب) تعديل قانون المرافق العامة تعديلا يجعل أي تلوؤ من الشركات في تنفيذ التزاماتها سواء بالنسبة إلى القانون نفسه أو بالنسبة إلى تقديم البيانات التي تطلبها الحكومة أو تنفيذ عقودها يعطي الحكومة الحق في الاستيلاء على المرفق وتأميمه .

(ح) تحريم عضوية مجلس إدارة شركات المرافق العامة وكذلك المناصب الرئيسية بها على الوزراء وكبار الموظفين وأعضاء المجالس النيابية .

* * *

القسم الثاني

الزراعة والصناعة والتعمير والسياحة

أولا : الزراعة :

- (أ) مياه الري .
- (ب) التوسع الزراعي .
- (ح) الإنتاج الزراعي .

ثانيا : التصنيع :

- (أ) التعدين والتجوير .
- (ب) التصنيع الزراعي .
- (ح) الكهرباء .
- (د) المصانع والتعليم الصناعي .

ثالثا : المواصلات :

- (أ) الطرق .
- (ب) السكة الحديد .
- (ح) التليفون .
- (د) الترام والأتوبيس .

رابعاً : العمارة وهندسة المدن :

- (أ) القرية وبيت الفلاح .
- (ب) المساكن بالمدينة .
- (ح) تخطيط المدن .
- (هـ) المنشآت الحكومية .

خامساً : السياحة والآثار :

(أ) الزراعة :

(أ) مياه الري:

الإيراد الحالي لنهر النيل سواء من المياه المخزونة أو مياه الفيضان يستعمل في زراعة حوالي ستة ملايين فدان فقط .

وهذا تبذير شديد في ثروتنا من المياه ، وتمكيننا للبلاد من الوصول بالأراضي المنزرعة إلى عشرة ملايين فدان يلزم توفير المياه بالوسائل الآتية :

(١) خفض المقنن المائي الحالي الذي توزع على أساسه مياه الري بنسبة ١٥% وجعل زراعة الأرز بطريقة الشتل ما أمكن ، واستعمال الباقي من مياه التخزين لخزاني أسوان وجبل الأولياء الاتفاق حالياً مع حكومة السودان لرفع منسوب التخزين الحالي خلف خزان جبل الأولياء بمقدار ١,٥٠مترًا.

(٢) وضع اليد على أكبر قدر ممكن من مياه الفيضان باستعمال طريقة الري الحوضي لكل ما يمكن زراعته من الأراضي الجديدة المنخفضة ، وكذلك في الأراضي المرتفعة بتنفيذ مشروعات الحجر والرفع المناسبة .

(٣) التوسع الشامل في استعمال المياه الجوفية في الأراضي المنزرعة حالياً وكذلك الأراضي الجديدة حتى يتوفر قدر كبير من إيراد النهر لاستعماله في جهات أخرى .

(٤) استعمال مياه المصارف الكبيرة .

(٥) استعمال مياه الآبار الارتوازية والأمطار بالصحراء وسيناء وبتركيز الاهتمام في هذه المصادر الخمسة للمياه وما تستلزمه من مشروعات يجب صرف النظر حالياً عن مشروعات أعلى النيل مع مواصلة بحث مشروعات التخزين داخل حدود البلاد في منخفض وادي الريان والنظرون والسدود المختلفة .

(ب) التوسع الزراعي :

(١) المياه المتوفرة من المصدر الأول من المصادر الخمسة السابقة تستعمل فوراً في إصلاح وزراعة المليون فدان المنخفضة والموزعة بين شمال الدلتا وشاطئ ترعة النوبارية وباقي مديريات الشرقية والفيوم والوجه القبلي .

(٢) المصدر الثاني للمياه وهو ماء الفيضان يستعمل على نطاق واسع في إصلاح زراعة الثلاثة ملايين فدان الباقية . وذلك بحصر هذه الأراضي في حدود المناسيب التي تحتاج إلى رفع أقصاه عشرون متراً ثم تجزئتها من حيث المنسوب والموقع إلى وحدات كبيرة أقلها ٢٥٠ ألف فدان ، ثم دراسة مشروعات الحجر والرفع اللازمة لكل وحدة على أساس ربيها بطريقة الحياض وزراعتها زراعة نيلية .

وبعد حصر تلك المناطق وتجزئتها يلزم البدء بأقربها للعمران وأسهلها من جميع وجوه الإصلاح ، وقد ثبت بعد الدراسة المبدئية أن المنطقة التي تطبق عليها هذه الأوصاف هي الستمئة الأف فدان المحصورة بين ترعة النوبارية وطريق إسكندرية الصحراوي وبحيرة مريوط ، لذلك يلزم البدء بتجهيزها وزراعتها ، على ضوء ما يتم بها من مشروعات مختلفة يتم دراسة وتجهيز المناطق الأخرى شرق قناة السويس ومدينة الشرقية ثم الأراضي المرتفعة بمديريات الفيوم والوجه القبلي وبلاد النوبة .

ونرى أن يكون إصلاح وزراعة تلك الوحدات الكبيرة ما أمكن بواسطة شركات مساهمة فيها الحكومة تقوم بالتمويل نظير استغلال تلك الأراضي لمدة عشرين سنة يتم تقسيمها بعد ذلك وبيعها لإفراد الشعب .

(٣) المصدر الثالث للمياه وهو المياه الجوفية يتم به تحويل جميع أراضي التي تروي ريا حوضيا إلى الري المستديم سواء منها الأراضي الحالية أو التي تستجد كما في البند السابق .

وتستعمل أيضًا المياه الجوفية ما أمكن في الأراضي المنزرعة حاليا خصوصا في جنوب الدلتا وذلك كي يتوفر لدينا قدر كبير من ماء النيل يستعمل في الأراضي الجديدة وتفيد أيضًا في خفض منسوب المياه الجوفية لتلك الأراضي وتحسين حالتها .

(٤) المصدر الخامس وهو الآبار الارتوازية والأمطار ، فيلزم التوسع في استعمال الأول منه وهو الآبار في زراعة مساحات واسعة بالواحات بالصحراء الغربية وفي بعض مناطق الصحراء الشرقية مثل وادي اللقيطة ، أما الثاني وهو الأمطار فيكون استعماله بشبة جزيرة سينا بإقامة السدود لحجز المياه واستخدامها لزراعة بعض المناطق ، وتستعمل أيضا في إنبات الحشائش الصحراوية بشمال الصحراء الشرقية .

(ج) الإنتاج الزراعي :

يلزم رفع مستوى الإنتاج الزراعي والحيواني على يد مجلس خاص له شخصية معنوية مستقلة ويؤلف لهذا الغرض من الجهات المختصة الحكومية والشعبية ويعمل للأهداف التالية :

(١) تمكين المزارعين من إتباع أحدث الوسائل في الخدمة والري والتسميد ثم في توحيد وبيع المحاصيل بالوسائل التعاونية .

(٢) العناية بالإنتاج الحيواني وتربية ونشر السلالات الممتازة وتحسين صحة الحيوان لتنمية إنتاجه من اللحم واللبن وللمحافظة على صحة الإنسان طريق حماية الحيوان من الأمراض المعدية .

(٣) رفع مستوى التقاوي وانتقاء السلالات الممتازة .

(٤) نشر استعمال الآلات الميكانيكية بطريقة تعاونية .

(٥) التوسع الشامل في زراعة الغابات لإنتاج الخشب ولحماية المدن من العواصف الرملية وتحسين الجو بها بصفة عام .

(٦) نشر تربية الدواجن والطيور ونحل العسل ودودة القز على وسائل عملية وذلك بصفة عامة في جميع جهات القطر .

(٧) نشر الصناعات الزراعية .

ثانيا : التصنيع

(أ) التعدين والتجوير :

المواد الأساسية التي يلزم للدولة العمل على استغلالها فورا ولو باشتراكها الفعلي في رؤوس الأموال اللازمة لتكوين شركات الاستغلال هي :

(١) الحديد – ويلزم البدء بإقامة مصنع حديد أسوان فورا على أساس اشتراك الحكومة في رأسماله لنسبة لا تتجاوز ٤٠% مع رسم سياسة لإقامة أخرى بمناطق القاهرة والسويس

(٢) البترول – ويلزم أن تعطي الحكومة جميع التسهيلات الممكنة للشركات العالمية خصوصا المصرية منها على أن تكون الإتاوة الحكومية بين ٢٥% و ٤٠% حسب حالة الآبار مع العمل لسريع على زيادة معامل التكرير بالقطر .

(٣) الجرانيت والرخام – وهي مواد متوفرة إلى درجة كبيرة جدًا في سائر الجبال المصرية ويمكن استغلالها محليا لمنع الوارد الأجنبي الذي يصل إلى مليون جنيها سنويا كما يمكن تصديرها على نطاق عالمي واسع ، لذلك يلزم تشجيع هذه الصناعة السهلة بإعطاء جميع التسهيلات الممكنة للشركات ومنع الوارد الأجنبي منها ، ولا مانع من اشتراك الحكومة فورا في تأسيس شركة لهذا الغرض لإنتاج الألواح الخام .

(٤) منتجات الحجر الجيري – وهي الاسمنت والسماد ويجب تشجيع هذه الصناعات بجميع الوسائل ودفعها للتصدير كما يجب إنشاء مصنع السماد الذي يعمل بكهرباء خزان أسوان فورا كي يكون جاهزا للعمل بمجرد إتمام مشروع الكهرباء وأنسب موقع لهذا المصنع هو جبل أبو النور بنجع حمادي .

(٥) أما المواد الأخرى كالذهب والنحاس والرصاص والزنك والطلق والاسبستوس والجبس وغيرها فيجب أن توضع لها الأنظمة السهلة التي تجعلها في متناول كل راغب في التعدين ولذلك نقترح الآتي :

(أ) مصلحة المناجم والمحاجر يجب أن تكون مهمتها الرئيسية البحث عن المناجم والدراسة مع جعل النتائج علنية وإتاحتها للجمهور والدعاية لها بكل الوسائل .

(ب) يلغي فورا نظام التصاريح التي يصدرها حاليا سلاح الحدود لمن يرغب في زيارة الصحراء وبذلك يصبح السفر إلى تلك المناطق والإقامة أو التنقل بها حرا من كل قيد كأي جهة أخرى من القطر .

(ح) إعداد أكثر ما يمكن من الطرق الصحراوية سواء بالوسائل الرخيصة السريعة أو بالرصف الكامل للطرق الأساسية .

(د) إنشاء بعض مواقع عامرة مثل اللقيطة والكيلو ٨٠ على طريق قنا – الغردقة وذلك بتكليف مصلحة الأملاك أو وزارة الزراعة بإنشاء تفتيش زراعية تروي بالمياه الجوفية وتزود هذه المواقع كالمعتاد بجميع المباني والمنشآت والمواصلات التليفونية وغير ذلك حتى تكون نقطا عمرانية يعتمد عليها مرتادو الصحراء ورجال التعدين .

(هـ) يبسط نظام الترخيص بمصلحة المناجم وتضاف إليه بنود مشجعة تدفع الشركات وأفراد الشعب إلى العمل بالصحراء

(و) تعفى جميع المنتجات المصرية من رسم المرور بالبواخر بقنال السويس سواء كانت مشحونة لداخل البلاد أو للخارج .

(ب) التصنيع الزراعي :

كل إنتاج زراعي يمكن تصنيعه قبل الاستهلاك أو التصدير هو فائدة كبرى للبلاد لذلك نرى الآتي :

- (١) رسم سياسة بعيدة المدى لتصدير القطن مغزولا أو منسوجا .
- (٢) تشجيع الأفراد والشركات لتعبئة المنتجات الزراعية من الفواكه أو الخضروات التعاونية على القيام بهذه الصناعات كوسيلة لرفع قيمة المحصول بالنسبة للمنتجين المشتركين بتلك الجمعيات .
- (٣) نشر صناعات تعبئة العسل وإنتاج دودة القز .
- (٤) العناية بإنتاج الصفيح محليا .
- (٥) تشجيع وتيسير وسائل تصدير المنتجات المعبأة وفتح الأسواق الخارجية بالطرق التجارية والسياسية .

(ج) الكهرباء :

السياسة العامة للكهرباء يجب أن ترسم على أساس ربط جميع أجزاء القطر المصري بشبكة كهربائية تحمل تيارا يمكن استعماله في تسيير وسائل النقل وإدارة المصانع الأهلية والحكومية والآلات الزراعية والمشروعات اللازمة للوصول إلى هذا الهدف نحتاج إلى وقت طويل وتكاليف باهظة لذلك يلزم تنفيذها على أساس إعطاء الأفضلية لكل مشروع يكون استنباط الكهرباء فيه مرافقا لاستغلال زراعي أو صناعي .

والمشروعات التالية هي المصادر الأساسية للوصول إلى الهدف المذكور والتي يلزم دراستها واعدائها وتنفيذ ما يمكن منها في حدود الإمكانيات المالية للحكومة والشركات :

- (١) مشروع توليد الكهرباء من خزان أسوان .

(٢) مشروع توليد الكهرباء بتوصيل مياه البحر أو الصرف أو النيل إلى منخفض القطارة حسب ما يتقرر على ضوء الدراسات الدقيقة .

(٣) المحطات الحرارية ومساقط المياه الصناعية أو الطبيعية ثم وصل جميع هذه المشروعات بشبكة واحدة .

(د) المصانع والتعليم الصناعي :

الأجنبية نجد أن من بينها مواد بدراسة أرقام الواردات ومصنوعات كثيرة يمكن إنتاجها يمكن إنتاجها محلياً وبخامات محلية ، لذلك يلزم حصر هذه المواد ودراسة الوسائل المؤدية إلى إنتاجها لكفاية الاستهلاك الداخلي ثم للتصدير ، والخطوط العامة لهذه الوسائل ما يأتي :

(١) دراسة المواد المذكورة وأسرارها الصناعية وجعلها من بين مناهج التعليم بالمدارس الصناعية والزراعية .

(٢) الإكثار من هذه المدارس على أن يقام كل منها في الجهة المناسبة من حيث نوع الإنتاج ، فمثلاً تكون مواد التعدين والتحجير هي المواد الأساسية في المدرسة الصناعية بأسوان وتكون بالوحدات مدرسة اختصاصها الأول صناعات تعبئة الفواكه وإعداد صوف الغنم والمواد الطبية التي تستخرج من النباتات الصحراوية .

(٣) وهكذا تكون المدرسة الصناعية إلى جانب رسالتها التعليمية مصنعا مناسباً للإنتاج القريب منه .

(٤) تشجيع الإقبال على المدارس الصناعية بجميع الوسائل ومن بينها تحديد القبول بالمدارس الثانوية على أساس المجموعات بالشهادة الابتدائية .

(٥) إعطاء المصانع جميع التسهيلات الممكنة وأسباب التشجيع من حيث الحماية الجمركية والإعفاء من الرسوم المختلفة لمدة معينة وإعطائها أراضي من أملاك الحكومة مع تأكيد الصلة بين المصانع وطبقة المدارس الصناعية بإعطاء الطلبة فترات تمرينية بالمصانع في الأجازات الصيفية ، وتأكيد الصلة أيضاً بين المصانع والإنتاج العلمي للجامعات والمدارس الصناعية .

(ثالثاً) المواصلات :

هي الشرايين للنهضة الزراعية والصناعية والعمرانية للبلاد لذلك يجب النظر إليها من وجهة المساعدة على تدعيم هذه النهضة وتسييرها وليس من وجه النظر الاستغلالية فقط :

(١) الطرق – يجب رسم – سياسة عامة لإتمام شبكة واسعة من الطرق المرصوفة تربط المواقع الصناعية والزراعية وجهات التعدين والتحجير بداخلية البلاد .

ويكتفي في الطرق الفرعية باستعمال الوسائل الرخيصة لتمهيد وتثبيت السطح .

أما في الطرق الرئيسية فيجب أن يلغى النظام المعمول به حالياً يجعل أساس الطريق من الدبش المهروس . وهي طريقة غالية ولا تعطي سطحاً أملس . ويستعاض عن هذه الطريقة بما وصلت إليه الدول الأخرى من خلط مادة الطريق بالقدر المناسب من الاسمنت حسب النسب العلمية وجعله أساساً ثم فرش السطح باستعمال البازلت والأحجار الصلبة بالوجه البحري وسيناء وباستعمال كسر الجرانيت والأحجار الصلبة بالوجه القبلي وذلك حسب ما يناسب الموقع من أقرب المواد إليه .

ويجب استعمال الآلات الميكانيكية الحديثة التي توفر وقتاً ومجهوداً .

(٢) السكة الحديدية – ويلزم مد خطوط أساسية خلال الصحراء الشرقية والغربية وبلاد النوبة للمساهمة في استغلال وتعمير تلك المناطق .

ويلزم دراسة جمع الوسائل المؤدية إلى الاستغناء عن مهمات السكة الحديد التي تستورد من الخارج .

وكلما تم قسم من الشبكة الكهربائية يجب تسيير القطارات بالكهرباء .

(٣) التليفون – ويلزم رسم سياسة عامة بعيدة المدى لربط أجزاء القطر بشبكة اتوماتيكية . مع العناية التامة بتسيير التليفون لكل راغب وتحسين الخدمة به وتخفيض أسعاره إلى الحد الأدنى والعمل على صناعة أجزائه داخلياً .

(٤) الترام والأتوبيس – ويلزم العمل على الاستغناء عن الترام نهائياً والتوسع في نشر خطوط الأتوبيس داخل المدن وخلال القطر المصري بأجمعه .

(رابعاً) العمارة وهندسة المدن :

(أ) القرية وبيت الفلاح :

يجب صرف النظر نهائياً عن إصلاح القرى الحالية أو مدها بالمياه بأجزائها الداخلية أو إقامة مشروعات عامة بداخلها وذلك لأن جميع القرى بحالة تجعل إصلاحها غير مجدي ، لذلك يلزم رسم سياسة بعيدة المدى للاستغناء عن هذه القرى بإنشاء قرى جديد منظمة بجوارها تدريجياً بتنفيذ الآتي :

(١) يوضع تصميم سهل بسيط لبيت الفلاح على أساس أن يكون بناؤه بالطوب الني وسقفه أيضاً بالطوب المعقود ويطبع هذا التصميم وينشر على نطاق واسع .

(٢) كل مالك لخمسين فدانا فأكثر عليه أن ينشئ لفلاحيه قرية بتصميم توافق عليه الجهات الهندسية المختصة .

(٣) تخصص مساحة جديدة ملاصقة لكل قرية من القرى الحالية وتقسم على أحدث النظم الهندسية وتمد بها خطوط المياه وتقام بها جميع المشروعات الحكومية بالتوزيع المناسب .

وبعد إتمام هذا الأجزاء يمنع قطعياً إقامة مباني القرية القديمة وكل راغب في البناء عليه أن يختار موقعاً بالقرية الجديدة بالثمن مقسطاً على عشرين سنة يخص منها ثمن أرض مسكنة بالقرية القديمة إذا

كان مالكا بها ، وعليه بعد ذلك أن ينشئ مسكنه بالقرية الجديدة على التصميم الهندسي الوارد ذكره في البند الأول أو تصميم آخر توافق عليه الجهات المختصة .

ومع إعطاء التسهيلات الممكنة وعلى الدعاية القوية سوف يتم تدريجيا نقل القرية القديمة إلى القرية الجديدة والاستغناء عن الأولى وتخصيص أرضها للأغراض المناسبة .

(ب) المساكن بالمدينة :

(١) لا يسمح للمالك أن ينشئ عمارة أو مسكنا خصوصا على ارض تقل مساحتها عن ٩٠ متراً بل يجب على هذا المالك أما يبيع للجار أو يشتري من جاره أو يتركها للتنظيم للتصرف .

(٢) تحدد مساحة الشقة السكنية من حجرة واحدة وصالة ومرافقها بخمسين متراً على الأقل ثم يضاف عشرون مترا لكل حجرة تزداد فمثلا ٧٠ متراً لشقة غرفتين .. وهكذا .

(٣) لحل أزمة المساكن يجب تعاون جميع الهيئات الحكومية والشعبية على أقامت مساكن جديدة وعلى الحكومة أن تقدم جمع التسهيلات الممكنة لتشجيع المساكن الرخيصة بتقديم أكثر ما يمكن من الإعفاءات وأيضاً بتسهيل تصنيع المساكن أي تشجيع لإقامة المصانع الحديثة التي تقوم بصناعة أجزاء المساكن وتوريدها للتركيب بالموقع .

(ج) تخطيط المدن :

الأحياء القديمة والإسكندرية وجميع المدن تعتبر عنصرا أساسياً ومظهراً فاسداً يجب القضاء عليه بالطريقة الآتية :

تحدد هذه الأحياء على الخرائط وتطرح في مناقصات عامة بين الشركات لتقوم بإزالتها على الأسس التالية :

(١) يتم حصر السكان ومعرفة رغبة كل منهم من حيث التعويض المالي عن مسكن القديم أو الحصول على مسكن جديدة في الموقع الجديد الذي ستحصل عليه الشركة المختصة من الحكومة .

(٢) بعد أن يتم الحصر تقوم الشركة بإنشاء الحي الجديد على الأرض التي تخصصها الحكومة من أملاكها الملاصقة المدينة .

(٣) بعد انتقال السكان إلى الحي الجديد يتم إزالة الحي القديم وتخطيطه واستغلال أرضه بالإنشاء عليها بمعرفة الشركة أو بيعها .

وعلى الحكومة أن تضع التفاصيل والشروط التي تضمن صالح أفراد الشعب والشركات على حد سواء .

(د) المنشآت الحكومية :

منعاً للإسراف الشديد في تكاليف المنشآت الحكومية يلزم إلغاء أقسام التصميم بالمصالح الحكومية المختلفة وتخصيص قسم واحد لدراسة وتجهيز وطرح المنشآت الحكومية في مناقصات عامة على أساس

أن تتقدم الشركة بالرسومات المناسبة ومواد الإنشاء ووسائله المستحدثة ويكون الاختيار على أساس رخص التكاليف مع الوفاء بالغرض .

(خامساً) السياحة والآثار :

السياحة والآثار القديمة والمعالم الحديثة مصدر عظيم لدخل القومي ، لذلك يلزم العناية التامة بها وإظهارها والإعلان عنها وتجميله واتحاد كافة الوسائل التي تجذب إليها الإظهار :

- (١) ترميم وتجديد الآثار العربية والفرعونية .
- (٢) العناية بالطرق المؤدية إلى تلك الآثار .
- (٣) الإكثار من الفنادق الكبيرة في جميع المناطق السياحية .
- (٤) إظهار الآثار الإسلامية والقبطية بالصحراء وشبه جزيرة سيناء والدعاية لها وتيسير سبل الوصول إليها .

نقدية:

هذه وثيقة وجدت "مدشوشة" وسط أوراق ، وهي مطبوعة بالآلة الكاتبة ومنسوخة على "الرونيو"، وليس فيها ما ينم عن شخصية صاحبها ، ويبدو أنه من الإخوان البارزين ، وقد طبعت طباعة رديئة للغاية وعلى "وش وظهر" الورقة واستغرقت ثلاث ورقات فولسكاب ، أي ٦ صفحات ، وجاء بها أخطاء في النسخ إملائية أو أسلوبية .

وهي تكشف عن بيروقراطية قاتلة تئد كل الأفكار التي لو طبق بعضها لتغيرت صورة الإخوان ، ولأحدثت فيها تطويراً جذرياً حسناً .

ويبدو أن مكتب الإرشاد كان كما قال صاحبه الورقة "قبراً" تدفن فيه الاقتراحات البناءة ، ومما يزيد في مسؤوليته أنه حدث في فترة الإنفراج ما بين الإخوان والحكومة الوفدية التي ألغت الأحكام العسكرية وأعدت الإخوان .

جمال البنا

بسم الله الرحمن الرحيم

مشروعات

مشروعات رفعت لمكتب الارشاد أو للمرشد شخصياً أما مباشرة أو عن طريق أقسام

١ - شجرة الإمام الشهيد :

قدم لفرع الزراعيين بقسم المهن في ديسمبر سنة ١٦٥٢ م .

والغرض منه أن يقوم الاخوان بحال لغرس الأشجار سواء أشجاراً للظل والخشب أم أشجار فاكهة ، بحيث يقوم كل أخ منهم بشراء شتلة شجر وزرعها إما في الحدائق أم أمام المنازل في حدائق جماعية أم في غراس فردية .

رفض المشروع بفكرة الوثنية وهو افتراء على الاسلام ، فالسنة المطهرة توحى بغرس الاشجار على قبور المسلمين ، وقد أوصى النبي بغرس الأشجار والعناية بها وصاية مشددة .

٢ - استغلال ساحل مريوط :

في ديسمبر سنة ١٩٥١ تقدم الأخ صالح غانم برغبة مؤداها أنه هو وبعض إخوانه من شباب الإخوان يودون الاشتراك في مشروع لزراعة الساحل الممتد بين الاسكندرية والسلوم وقد قدمه الأخ عبد البديع صقر لفرع الزراعيين لدراسة المشروع ، وقام الفرع بدراسته دراسة مستفيضة وأعد مشروعاً وافياً وقع في ٢٦ صفحة فولسكاب بين فيه الفوائد الضخمة التي تعود على الدعوة من تنفيذ المشروع .

وفي ١ أبريل تقدم الأخ صلاح غانم بالمشروع لفضيلة المرشد يرجو الإذن في تنفيذه .

ومنذ ذلك الحين لم يسمع عن المشروع عن شيئاً .

ومما هو جدير بالذكر أن هذا المشروع طلب الأمريكان تنفيذه على حساب مشروع النقطة الرابعة .

٣ - صور الشهداء ولوحات الدعاية :

قدمت صور منه للمرشد ولقسم نشر الدعوة ولشركة الطباعة في ديسمبر عام ١٩٥١ م .

كان هدف هذا المشروع هو :

(١) تسجيل جهاد الإخوان في حرب فلسطين .

- (٢) عمل دعاية عامة للإخوان عقب المحنة التي أصابت لتغيير كثير من المزاعم التي اتهموا بها وخاصة في وقت كان فيه زهرة شباب الدعوة بالسجون .
- (٣) تخليد معاني البطولة والتضحية في وقت عزت فيه هذه المعاني .
- (٤) إيجاد مورد مالي لخزانة المركز العام والشعب .
- ... لم يعن أي من الذين قدم لهم المشروع بمجرد الرد .

٤ - أرض شركة الطباعة بشارع محمد علي :

قدم للمرشد وللشركة .

في نوفمبر عام ١٩٥١م

وكانت الشركة تتهيأ لاستلام موجوداتها من الحراسة ثم قدم في فبراير ١٩٥٢ للشركة مرة ثانية .

والمشروع كان يحمل عرضاً من بعض الممولين لاستغلال قطعة أرض شارع محمد علي على أساس بناء قرابة ٣٠ إلى ٤٠ دكان بعرض الشارع وترك مساحة حوالي ١٥٠٠م داخلية تستغل في إنشاء سينما صيفية أو جراج مع استغلال سطح الدكاكين في إنشاء نادي رياضي للإخوان .

وكان الداخل المنتظر من هذا المشروع حوالي ستة آلاف جنيه سنوياً يخصم منها قسط تكاليف المباني .

ثم يُعن حتى بمجرد الرد على هذا المشروع .

٥ - السينما في خدمة دعوة الإسلام :

قدم للسكرتير العام في أغسطس سنة ١٩٥١م وقرر مكتب الإرشاد إحالته على المكتب الجديد الذي كان سينتخب بعد شهرين . وأعيد تقديمه للمرشد في نوفمبر عام ١٩٥١م ثم درست الفكرة مع الاخ إسماعيل على بقسم نشر الدعوة في حوالي ديسمبر ١٩٥٢م .

وكان القصد من هذا المشروع استغلال السينما لنشر دعوة الإخوان بإنتاج أفلام قصيرة وطويلة تصور أمجاد الإسلام وبتأسيس عدد ضخم من دور العرض الشعبية يمكنها السيطرة على سوق الإنتاج السينمائي .

لم يعلم عنه شيء بعد تقديمه .

اشترك مقدم المشروع مع الشبان المسلمين لمحاولة تنفيذ الفكرة .

٦ - التكافل والتضامن الاقتصادي والاجتماعي للإخوان المسلمين :

قدم للمرشد كجزء من مذكرة عن السياسة العامة للإخوان في نوفمبر سنة ١٩٥١م ثم أعيد تقديمه للمرشد وللجنة المالية في أبريل عام ١٩٥٢م .

والمشروع منصوص عليه في قانون الإخوان المادة ٢٨ وقد درسته اللجنة المالية ورفعته لمكتب الارشاد .

وفي نفس الوقت تقدمت حوالي خمسة مشروعات من كثير من أفراد وشعب الإخوان للمرشد .
وجميع هذه المشروعات وإن اختلفت في التفاصيل إلا أنها تصدر من معين واحد هو شعور
الإخوان ونصوص قانونهم ، ترمي كلها إلى إحياء المشروع التعاوني الذي كان قد بدء في تنفيذه عام
١٩٤٧م بصورة موافقة لحال الدعوة المستقبل .
وكل هذه المشروعات وجدت في محفوظات مكتب الإرشاد قبراً خالداً .

٧ - المزارع التعاونية :

قدم لفرع الزراعيين في مارس سنة ١٩٥٢م .
ودرس باللجنة المالية في نفس التاريخ .
وكان هدف المشروع هو تجميع حوالي ٣٠٠ أخ من الإخوان عمال زراعة وخريجي مدارس
زراعة ومدرسين وأطباء ومحاسبون ، وميكانيكيون للاشتراك معاً في جمعية تعاونية لاستغلال أراضي
الإصلاح بشمال الدلتا ، مستغلين في ذلك نشاط الدكتور إبراهيم رشاد الوكيل السابق لوزارة الشؤون
الاجتماعية الذي كان يقوم بالدعاية للمشروع واعتمدت له الحكومة مبلغاً من المال لتنفيذه .
وقد تحدثت بشأنه مع الشيخ فرغلي .
ولكن المشروع مات على عقبات مكتب الارشاد .

٨ - المناحل الاخوانية :

قدمه فرع المزارعين لقسم المهن في أبريل عام ١٩٥٣م
ورفعه قسم المهن للمكتب في نفس الشهر .
بقى في المكتب حتى أعيد بعد نهاية مدته وقبل انتخابات المكتب الجديد .
والمشروع عبارة عن دراسة فنية لكيفية إنشاء وإدارة المناحل واقتراحات للشعب لتتولى إنشاء
مناحل أما ملك أفراد أو ملك الشُّعبة والغرض من ذلك معاونة أفراد الإخوان وخاصة الريفيين منهم على
زيادة دخلهم .

٩ - تربية الدواجن :

مر بنفس خطوات المشروع السابق وكانت له نفس الأغراض

١٠ - الصناعات المنزلية :

اقترحت اللجنة المالية على المكتب أن يستغل المبلغ المتخصص لإعانة أسر منكوبي محنة الإخوان
في مشروع بدر إيراداً ثابتاً محترماً عليها .

وأحال المكتب الأمر على قسم المهن الذي كون لجنة لدراسة المشروع ، وقد وضعت اللجنة .. تقريراً عن ذلك رفع للمكتب حيث حق عليه الموت .

وكان تقرير اللجنة يشمل مشروعاً باستخدام المبلغ المقرر كأمانة في تعليم الأسر صناعات منزلية تلائم ظروفها ثم منحها سلفة لشراء الآلات والخامات اللازمة للصناعة ثم تتعاون هذه الأسر في تسويق منتجاتها .

١١ - معرض أبناء الإخوان :

قدم إلى اللجنة المالية في مايو ١٩٥٣م ودرسته اللجنة ورفعته لمكتب الارشاد في أواخر يونيو ١٩٥٢م .

والمشروع يتلخص في استغلال العنبر الذي كانت تشغله آلة الطباعة بدار الجريدة في إنشاء معارض تقوم شركات الإخوان وأفرادهم الذين لهم نشاط صناعي أو تجاري بعرض منتجاتهم فيه مع إنشاء مكتب للبيع مباشرة أو لقبول توصيات بمشتريات ، ويحصل المركز العام على عمولة من المبيعات والتوصيات التي تتم عن طريق المكتب .

١٢ - رسائل التعريف بالعالم الإسلامي :

رأى قسم الاتصال بالعالم الإسلامي أن الضرورة ماسة لتعريف الجمهور بمختلف أقطار العالم الإسلامي ، ورؤي أن الأنسب هو إصدار سلسلة من الرسائل المبسطة تشمل كافة المعلومات التي علم الإخوان المسلمون معرفتها عن كل بلد إسلامي

وقد وضعت مذكرة بالأسس التي يقوم عليها إصدار هذه الرسائل ، ووعد الأخ رئيس القسم بعرضها على المرشد .

وبعد ذلك نام المشروع .

١٣ - المؤتمر الاقتصادي :

درس بفرع الزراعيين وحول لقسم المهن في فبراير عام ١٩٥٣م واستمرت دراسته بالقسم بين مختلف فروعه حتى شهر يوليو ١٩٥٣م ورفع الأمر للمكتب فقرر المرافقة على المبدأ على أن لا يعلن ولا يتصل بالناس إلا بعد اعداد البحوث وعرضها عليه . فكان هذا القرار كمن يطلب من أخيه أن لا يذهب إلى البحر الا بعد أن يتعلم السباحة؟!!

قد كان الغرض من المؤتمر هو عمل دراسات نظرية وتطبيقية في كل مشاكل الحياة الاقتصادية على ضوء الإسلام .

ولما رؤي أن قرار المكتب وقرار قسم المهن بتكوين لجنة تمهيد للمؤتمر معوق للعمل ، طلب إعطاءات تفويض كامل بالاتصال بالباحثين وإلا فالإعفاء من المهمة أجدر ، فرؤيت الأخيرة .

١٤ - الهجرة إلى العراق :

اقترح رفع لقسم المهن في نوفمبر ١٩٥٣م ويتلخص في أن تسرع الدعوة في استغلال عرض قدمته الحكومة العراقية إلى الحكومة المصرية مؤداه أن تقبل الحكومة العراقية هجرة أسر من عمال الزراعة وخريجي المعاهد الزراعية إلى العراق حيث تمنحهم الحكومة العراقية مساحات من الأراضي لاستغلالها .

ونام في القسم .

دراسات

في المسائل العامة رفعت إلى المرشد العام أو إلى الأقسام

١٥ - الإخوان والقرية :

قدمت للأستاذ عبد القادر وعودة في فبراير ١٩٥١م وسلمها سيادته للأستاذ سيد قطب لدراساتها قبل تقديمه لوزير الشؤون القروية .

وتشمل هذه المذكرة خلاصة لدراسات طويلة عن سياسة الإصلاح الإسلامي وفقا لما ينادي به الإخوان المسلمين في الاقتصاد والاجتماع والتعليم والصحة ونظام الادارة الحكومية .
وقد ضاعت هذه المذكرة بين الدكتور عثمان نجاتي وقسم المهن .

١٦ - سياسة التعليم :

دراسة تفصيلية شاملة في قرابة ٤٠ فولسكاب عن سياسة التعليم في مصر .

قدمت في سبتمبر سنة ١٩٥٢م لقسم المهن فكون فرع المعلمين لجنة لدراساتها ، ودراسة مذكرة أخرى قدمت من الأستاذ سيد قطب .

استمرت اللجنة قرابة الثلاثة شهور تجتمع يومان أسبوعياً ودرست المذكرتين ووضعت ملاحظتها عليهما .

ولكن للأسف أهملت هذه الدراسات إهمالا شنيعاً وقام مجهول بوضع مذكرة تافهة قدمت لوزارة المعارف .. وقد تنبه الأستاذ محمود عبده لتفاهة هذه المذكرة فسحبها من الوزارة وتقدم للمرشد طالبا دراسة ناضجة فتكونت على عجل لجنة أخرى وضعت التقرير الذي طبع ونشر بعد أن كانت الوزارة قد أصدرت قوانين التعليم .

١٧ - سياسة رفع المستوى الثقافي :

دراسة تفصيلية شاملة في قرابة ٦٠٠ فولسكاب تنظم كيفية رفع مستوى الجهلة والمتعلمين الثقافي ، نوقشت في اجتماعات لجنة سياسة التعليم ووفق عليها ورفعت للقسم ، حيث تقرر حفظهما بملفات فرع المعلمين .

مذكرات واقتراحات في التنظيم الإداري للجماعة وأراء في السياسة العامة للدعوة

١٨ - سياسة الدعوة بعد المحنة :

قدمت للسكرتير العام لتناقش في اجتماع الهيئة التأسيسية في محرم ١٣٧١ هـ ، وقد فقدت منه وعند إثارة الموضوع في الهيئة طلب إعادة تقديمها .. فقدمتها للأستاذ المرشد شخصياً في نوفمبر ١٩٥١م وناقشته فيها وقرر إحالتها للمكتب .

والمقترحات الأساسية التي تضمنتها المذكرة تتلخص في :

(أ) تعديل القانون الأساسي وخاصة فيما يتعلق بلقب المرشد العام . ولتنظيم انتخاب المكتب ولإعطاء الإخوان العاملين حقوقاً قانونية في انتخاب المرشد ورسم سياسة الجماعة .

(ب) وضع سياسة لتنظيم وتدعيم بناء الدعوة الداخلي على أساس من ربط الإخوان معاً بمشروعات للتكافل والتضامن الاقتصادي ، وتدعيم نظام الأسر وتدرج الصلة بين الأسر بعضها وبعض في الشعب والمناطق والمكاتب الإدارية والهيئة التأسيسية ومكتب الإرشاد والمرشد العام .

(ح) رسم سياسة للدعوة إزاء الأحداث الجارية في البلد وتنظيم نشاطها الانتاجي في ميدان الخدمات الاجتماعية ونشر الدعوة وتربية الأفراد على النموذج الاسلامي وبين ميدان العمل السياسي تقدمت هذه المذكرة للمرة الثانية ... وقدمت للمرة الثالثة للمكتب الإداري في أغسطس ١٩٥٣م .

١٩ - تنظيم الجهاز الإداري للدعوة :

قدمت للمرشد في نوفمبر سنة ١٩٥١م مع المذكرة السابقة وجرى عليها ما جرى للأولى من إهمال ثم قدمت للمكتب الإداري معاً .

وتشمل المذكرة اقتراحات عن تنظيم العلاقة بين الإخوان في الشعب والمناطق والمركز العام ، وتنظيم نشاط كل أخ ، وتقسيم العمل في كل هيئة إدارية على أقسام ولجان ، وفقاً لما ورد في رسالة التعاليم من مراحل لتكوين العاملين .

٢٠ - الخدمات الاجتماعية للإخوان :

قدمت للمرشد في نوفمبر ١٩٥١م مع سابقتها وجرى عليها ما جرى عليهما .

وتقع في ٢٦ صفحة فولسكاب تحتوي دراسة وافية عن تنظيم العمل في قسم البر وتشرح تفصيلاً طبيعة كل نوع من أنواع الخدمات الاجتماعية التي يمكن للقسم القيام بها وتنظيم إدارتها ، ثم تتحدث عن نوع العلاقة بين القسم ومختلف أقسام الدعوة الأخرى وعن علاقته مع الجهات المختلفة .

٢١ - اقتراح بإنشاء لجان متخصصة للبحوث :

اقتراح رفع للمرشد من الأستاذ عبد المعطي بهجت ومني في شتاء عام ١٩٥٢ م .

ويتضمن إنشاء لجان متخصصة من بعض الاخوان الصالحين لوضع دراسات تطبيقية عن سياسة الحكم الإسلامي في العصر الحاضر ، وتعتبر هذه اللجان امتداد للجنة العملية التي كانت مؤلفة من بعض الإخوان برئاسة الامام الشهيد نفسه .

٢٢ - مشروع تعديل اللائحة الداخلية :

بعد ظهور اللائحة وقيام بضع اعتراضات على ما بها من أحكام ، سمعت أن المكتب بصدد تعديل اللائحة فسألت الأستاذ عبد القادر عودة فأكد ذلك وطلب موافاته بأرائي ، فأعددت مشروعاً كاملاً لللائحة جديدة وقارنت بين اللائحة المعمول بها وبقانون الأساسي ثم ذكرت الملاحظات التي أدت إلى التعديل المقترح ، وقد تضمنت اللائحة المقترحة تنظيمًا دقيقاً للنظام المالي للجماعة لم يرد عنه شئ في اللائحة القديمة ويني النظام الإداري للدعوة المنصوص عليه في مواد اللائحة على القواعد التي وردت في المذكرتين السابق لرفعهما للمرشد في نوفمبر ١٩٥١م (راجع ١٨ ، ١٩) .

وقد سلمت نسخة من هذه اللائحة للاستاذ فريد عبد الخالق بناء على طلب الأستاذ عبد القادر عودة وسلمت أخرى للأستاذ المرشد وذلك في أبريل ١٩٥٢م ثم سلمت نسخة ثالثة لمكتب إداري القاهرة في أغسطس ١٩٥٣ م .

٢٣ - تنظيم عملية نشر المؤلفات الإخوانية :

تقدم الأخ عبد البديع صقر وإخوان آخرون كما تقدم بعض الإخوان من الأقاليم بمذكرات إلى المركز العام يبدون فيها بعض ملاحظات على ما يسري بالنسبة لنشر الكتب الإخوانية .

وأحيلت بعض هذه المذكرات على اللجنة المالية ، فأحيلت على لدراستها ، وبعد دراسة السياسة المتبعة في نشر الكتب ، ودراسة حالة شركة الإخوان للطباعة ودراسة مصير دار الطباعة والنشر الإسلامية وهي مؤسسة كانت ملك المركز العام ، اقترحت عدة اقتراحات ، ودرست المذكرة باللجنة وانتهى إلى أن ترفع للمكتب .

وبعد ذلك نامت المذكرة وما بها من اقتراحات .

٢٤ - اقتراح موارد مالية للمركز العام :

لما انحدرت حصيلة الاشتراكات الواردة للمركز العام انحدارًا مخيفًا ، تدارست اللجنة المالية فيما يمكن عملها لاكتساب موارد تكفي لمواجهة المصروفات المتزايدة بكثرة ، فأعدت مذكرة باقتراحات عدة درستتها اللجنة في مايو ١٩٥٣م وقررت رفعها للمكتب .

والله أعلم ما تم في أمرها .

٢٥ - السياسة المالية للإخوان :

عقب انتخاب الشيخ محمد فرغلي عضواً بمكتب الارشاد ، طلب مني كتابة تقرير عن أحسن الأبواب لتنمية موارد المركز العام وقد انتهزتها فرصة فكتبت مذكرة وافية عن السياسة المالية للإخوان عامة ثم اقترحت بعض الوسائل السريعة الحصول على إيرادات تواجه نفقات المركز العام وقدمتها له في نوفمبر ١٩٥٣ م .

تقديم:

عثرنا على هذا التقرير وسط أوراق "مدشوشة" ، وقد كان مكتوبًا بآلة كاتبة ذات حروف دقيقة ومطبوعًا على الروينو على ورق "جورنال" ، ودون مقدمة أو تاريخ أو إشارة إلى الجهة المقدم إليها ، وفي ست صفحات مزدحمة بالسطور ، وفي التقرير إشارات إلى دراسات لاحقة لا نعرف عنها شيئاً ، كما لا نعرف شيئاً عما تم فيه ، علمًا بأنه كتقرير يضع الخطوط العامة للسياسة التعليمية لا بأس به ، ولا يحتاج إلا إلى إضافات في مضمون برامج الدراسة لأولى مراحل الطفولة عن برنامج للعب والهوايات .. إلخ ، التي تعد جزءاً لا يتجزأ من برنامج دراسي للطفولة .

وقد وردت إشارة إليه في الاقتراحات السابقة وسردت مأساته ..

جمال البنا

بسم الله الرحمن الرحيم

الإخوان المسلمون
المركز العام
لجنة السياسة التعليمية

مشروع مقدم للمناقشة للاتجاهات الأساسية في السياسة التعليمية

أهداف السياسة التعليمية :

أولاً : تربية الناشئة وأعدادهم ليكونوا أفراداً صالحين على ضوء المثل الأعلى للفرد المسلم الذي أشير إليه في بحث خاص تربية تتناول تكوينهم البدني والنفسي ، ثم تثقيفهم بالثقافة الملائمة لنوع الحرفة التي سيحترفها الفرد .

ثانياً : كفالة هذه التربية لكل طفل في سن التعليم .

الوسائل :

(أولاً : إعداد نظام تربوي وتعليمي تسير عليه المدارس في مصر)

النظام الذي وصلنا إليه يعتبر ثورة حقيقية على نظم ومناهج التعليم التي اتبعت في مصر خلال الأعوام المائة الماضية ، ويتلخص هذا النظام في تقسيم فترة التعليم إلى ثلاثة مراحل :

الأولى : إجبارية مجانية لجميع الأطفال فيما بين السنة السادسة (من عمر ٥ سنين) إلى الرابعة عشر وتسمى بمرحلة التعليم العام .

الثانية : مرحلة حرة مجانية وتلي السابقة وتتنوع فيها برامج التعليم وتسمى مرحلة التعليم المتوسط .

الثالثة : مرحلة حرة بمصروفات وتلي السابقة وتتنوع فيها برامج التعليم وتسمى مرحلة التعليم العالي .

مرحلة التعليم العام

تستغرق هذه الفترة ٩ سنوات من عمر الفرد ، تشمل ثلاث مراحل : الأولى مرحلة الطفولة من بداية السنة السادسة إلى نهاية الثامنة ، والثانية مرحلة الصبي من بداية التاسعة إلى نهاية الثانية عشرة ، والثالثة مرحلة بدء المراهقة وتستغرق السنتين الثالثة عشرة والرابعة عشر .

وهدف هذه المرحلة هو تربية الطفل تربية نفسية صحيحة وتعلية غرائزه وصقل ميوله ومواهبه الفطرية ثم إعطاء زاداً ثقافياً يؤهله لأن يتعلم "كيف يطالع" .

نظام التعليم :

الأساس في برنامجنا التعليمي هو أن نجعل الحياة نفسها وسيلة للتعليم ، فالطفل لا تقطع صلته عن الحياة ، بل يشارك فيها بدوره الطبيعي الذي يقوم به في المجتمع ويتخذ من عمله وسيلة لتعليمه ، ولذلك فإن شكل المدرسة يتنوع بتنوع بيئات المجتمع المصري ، ولما كان هذا المجتمع يتكون أساساً من:

- (١) **البيئة الريفية** : وهي الريف المصري الذي يسكنه أكثر من نصف المصريين .
 - (٢) **البيئة المدنية** : وتشمل سكان المدن من محافظات وعواصم مديريات ويبلغون أقل من نصف السكان .
 - (٣) **بيئة الصيد** : وتتكون من قلة من السكان يعيشون على صيد السمك والإسفنج وأم الخلول على سواحل البحرين الأبيض والأحمر .
 - (٤) **بيئة الرعاة** : وتتكون من قلة من السكان يعيشون في صحارى مصر الشاسعة ، وقد أهمل هؤلاء القوم إهمالاً شنيعاً ، والواجب كما يتضح من البحوث الخاصة بالسياسة الاقتصادية والاجتماعية أن نعتني بهم عناية ممتازة .
- وعلى ذلك يكون لدينا ثلاث صور من المدارس أو المناهج الدراسية تسير كلها على أساس واحد مع تنوع في التطبيق ليلائم البيئة .

وطريقة التدريس أقرب ما تكون لطريقة المشروع ، والموضوع الأساسي الذي تدور عليه الدراسة هو "القرآن الكريم" فيقوم البرنامج على أساس الربط بين ما يتلوه التلميذ منه ومن قواعد اللغة العربية والتاريخ والجغرافيا والحساب والمعلومات العامة ، ويلزم المسلمون بحفظ عشرة إلى خمسة عشر جزءاً منه خلال هذه المرحلة ، أما المسيحيون فيأخذون بدل دروس التحفيظ دروساً في كتابهم المقدس على أن يربط بين موضوعات العلوم المختلفة وبين ما يأخذونه في كتابهم .

وفي نهاية هذه المرحلة يكون التلميذ قد استوعب من المعلومات في اللغة العربية ما يجعله يفهم القرآن الكريم فهماً صحيحاً ويحدد قواعد نحوها ومبادئ صرفها ويلم بتاريخها الأدبي ويستطيع تذوقه ، ويلم بالتاريخ المصري والإسلامي إماماً كافياً مع العناية بصفة خاصة بالآثار الموجودة في منطقة المدرسة ، والبرامج الكاملة موضوع بحث خاص ليس هناك مجاله .

خطة التربية والدراسة :

قلنا أن التعليم في هذه المرحلة يتم على أساس ربط حياة الطفل بما سيتعلمه ، وهذا الربط يتم على أساس وجود طبقة جديدة من رجال التعليم ذات ثقافة خاصة نسمي الواحد منها "المربي" ويتخصص المربي فيما يسمى التربية الجماعية .

ويشرف على مجموعة من التلاميذ تجمعهم وحدة السن والحوار في السكن ، ويكون مسؤولاً على دراستهم العلمية والعملية وتوجيههم النفسي والخلقي والبدني ، وهو الذي يوجه المدرسين المتخصصين من الناحية التربوية ، وليس المربي مدرساً ولكنه يقوم بتربية الأطفال وفقاً لنظم التربية الجماعية المستعملة في المؤسسات الاجتماعية مثل مؤسسات أندية الصبيان .

وهناك بحث خاص عن خطة التربية والدراسة نكتفي بالإشارة إليه .

التسجيل :

لمواجهة كافة احتمالات الحياة ولحسن توجيه التلاميذ بعد انتهاء مرحلة التعليم العام تنشأ في المدرسة سجلات وافية يسجل فيها أولاً بأول حالة كل تلميذ من كافة الوجوه .
ومن واقع هذه السجلات يصنف عقب انتهاء مرحلة التعليم للنظر في توجيههم إلى نوع الدراسة الملائم لهم .

مرحلة التعليم المتوسط

بعد نهاية مرحلة التعليم العام تتكشف مواهب الياعين وميولهم الفطرية وهذه المواهب يمكن تقسيمها إلى :

(أ) مواهب ذهنية كالقدرة الفائقة على التفكير المنظم والبحث العلمي والاختراع .

(ب) مواهب يدوية تتمثل في المهارة الصناعية والفنية .. إلخ .

(ح) مواهب اجتماعية تتعلق بقدرة الفرد على معاملة غيره من الأفراد .

وعلى ذلك فمن الواجب تنوع التعليم المتوسط ليهدف إلى تنمية المواهب والميول الفطرية في الأفراد يوجه التلاميذ إليه حسب دلالة سجلات التعليم العام وبذلك يكون لدينا :

مدارس إعدادي الجامعة أو الكليات الصغرى :

وهي مرحلة مدتها ثلاث سنوات المقصود بها إعداد التلاميذ ذوي المواهب الذهنية للاتحاق بالجامعات بعد تنقية هذه الجامعات مما يشوب رسالتها ، ويبدأ التخصص في هذه المدارس منذ عامها الأول وهي تتكون من خمس شعب :

(أ) **شعبة الدين والقانون** : وتعد الطالب للاتحاق بكليات الحقوق والشريعة وأصول الدين واللاهوت

(ب) **شعبة اللغة العربية واللغات الأجنبية** : وتعد الطالب للاتحاق بكليات الآداب واللغة العربية .

(ح) **شعبة العلوم الطبيعية والتطبيقية** : وتعد الطالب للاتحاق بكليات العلوم البحتة والزراعية والصناعية والطب البشري والبيطري .

(د) **شعبة العلوم الاجتماعية** : وتشمل علوم النفس والتربية والاجتماع والفلسفة والاقتصاد والجغرافيا والتاريخ ، وتعد الطالب للاتحاق بكليتي التجارة والآداب .

(هـ) **شعبة الرياضة البحتة والتطبيقية** : وتعد الطالب للاتحاق بكليات العلوم البحتة والهندسة ، وتنتهي هذه المرحلة بامتحان يعقد بمعرفة الجامعات ، أما كل جامعة على حده أو باتفاقهم معا .

مدارس التعليم الفني :

مهمة هذا النوع من التعليم هي تنمية المواهب اليدوية أو الاجتماعية وخطة الدراسة في مدارس هذا النوع تحتوي على تمرين عملي في المصانع أو المزارع أو المتاجر النموذجية يستغرق نصف الوقت

المخصص للتعليم ، أما النصف الآخر فيخصص لتطبيق المعلومات النظرية على ما يحصله التلاميذ عملياً .

والمدارس الفنية خمسة أنواع :

(أ) التعليم الزراعي : ومهمته تخريج المهندسين الزراعيين ومساعدتهم .

(ب) التعليم الصناعي : ومهمته تخريج المهندسين الصناعيين ومساعدتهم .

(ج) التعليم التجاري : ومهمته تخريج التجار والمحاسبين ومساعدتهم .

(د) التعليم الإداري : ومهمته تخريج السكرتيريين ومديري الأعمال ومعاونيهم .

(هـ) التعليم العسكري : ومهمته تخريج الضباط وضباط الصف في الجيش والبوليس .

ومدة الدراسة الفنية المتوسطة أربع سنوات والشهادات التي تمنحها ألقاب مميزة لحاملها وفقاً للنظام الذي شرحناه في البحث الخاص بأهداف الإصلاح الشامل .

التعليم العالي

هو امتداد للتعليم المتوسط . والتعليم الجامعي أمره معروف ، والالتحاق بالجامعة يتم بمجرد اجتياز الطالب امتحان التعليم المتوسط ، أما التعليم العالي الفني فهو مرحلة اختيارية يصح لخريجي التعليم الفني المتوسط الالتحاق بها أو يصح لهم الاكتفاء بتحصيلهم المتوسط ، وهو بنفس أقسام التعليم المتوسط ويمنح خريجيه ألقاباً تزيد في المرتبة على ألقاب خريجي المرحلة المتوسطة ويتولون في الحياة العامة مناصباً ذات مسؤوليات عامة .

ولا يتسع شرح هذه السياسة إلى التدخل في التفاصيل الفنية التي نرجو الرجوع إلى البحث الخاص بها لزيادة التفصيل .

(ثانياً : اعداد المدارس الكافية لاستيعاب من هم في سن التعليم)

المدارس الموجودة فعلاً الآن تتبع نظاماً متنافرة متباينة ، وهذا التنافر لم تقصد به حاجة معينة ولم يهدف لغرض معين ، وهي تضم بين جدرانها حوالي مليون وربع تلميذ ، أي أقل من سدس عدد المصريين الذين في سن التعليم ، ولما كان التعليم العام إجبارياً ويشمل المواطنين بين السنة السادسة والرابعة عشرة ، وهؤلاء يدل بحثنا الخاص انهم يبلغون ستة مليون وربع في عام ١٩٥٠م ، فالواجب على الدولة أن تنشئ من مدارس التعليم ما يستوعب هذا العدد وأن تنشأ من مدارس التعليم المتوسط والعالي ما تدعو الحاجة إليه .

وإنشاء المدارس سواء للمرحلة الإلزامية أو المرحلتين التاليتين يعني إعداد المباني والادوات اللازمة للتعليم وتوفير المربين والمدرسين والأساتذة ومساعدتهم ، والموظفين الفنيين والإداريين ، ويخضع إنشاء المدارس وتوزيعها في أنحاء البلاد للعوامل الآتية :

(١) مراعاة أن يكون عدد التلاميذ في وحدات أو مجموعات متناسباً مع طاقة المدرس أو المربي.

(٢) أن يكون عدد هذه المجموعات أي الفصول في كل مدرسة مناسباً ليكون إنتاج الجهاز الإداري للمدرسة بالغاً الحد الأقصى .

(٣) تكاثف السكان في القرى والعواصم والبنادر .

(٤) توفر الأماكن والمباني الصالحة لإقامة المدرسة وسكن المدرسين .

ويدل بحثنا الخاص على أن العدد الأمثل للتلاميذ في الفصل هو عشرون وفي مبدأ تنفيذ السياسة التعليمية ممكن زيادة عدد التلاميذ إلى ٣٥ أو ٤٠ ، ولا يجوز أبداً أن يزيد عن ذلك . ولا يقل عدد الفصول في المدرسة الواحدة عن خمسين فصلاً وعلى هذا الأساس نجد أن عدد مدارس التعليم العام تبلغ ٦٢٠٠ مدرسة لتعليم ٦,٢٥ مليون تلميذ في الوضع الأمثل ويجوز تخفيضها إلى ٣١٠٠ مدرسة في مبدأ تنفيذ هذه السياسة .

ويتوزع هذا العدد الأخير كالاتي :

٥٧٥ مدرسة في المحافظات الخمس .

٣٢٥ مدرسة في عواصم المديرية والمراكز وعددها مائة .

٢١١٠ " في القرى البالغ عددها ٤٢٠٠ قرية .

٣٠ " في الصحراوات .

٦٠ " لمواجهة أخطاء التقديرات الإحصائية .

ومع أن عدد المدارس الموجودة فعلاً والتي تضم تلاميذ أعمارهم تدخل في نطاق مرحلة التعليم العام المقترحة يبلغ ٦١٠٠ مدرسة إلا أنها لا تضم إلا ١,٢٥ مليون تلميذ ومعظمها مدارس أولية لا تلقى إلا عناية ضئيلة من الحكومة .

ويدل البحث الذي قمنا به أنه من الأفضل عند بدء تنفيذ سياستنا على ترك الأجيال التي التحقت بالمدارس فعلاً تسير في طريقها المرسوم على أن يتعرض النظام القائم بمجرد تخرج هذه الأجيال ، وأن نبدأ سياستنا بقبول التلاميذ الذين في السنة السادسة من أعمارهم (أي الذين أكملوا السنة الخامسة من عمرهم) ، وأن تنشأ الفرقة الأولى أولاً وفي العام التالي تنشأ الفرقة الثانية ونقبل دفعة جديدة في الفرقة الأولى وفي السنة الثالثة تنشأ الفرقة الثالثة ونقبل دفعة جديدة في الفرقة الأولى ومعنى ذلك إتمام إنشاء المدرسة على تسع سنوات .

ونرى أن يترك للشعب أمر إنشاء المدارس وإعداد مبانيها وتتولى الحكومة مدها بالمدرسين والكتب والأدوات المدرسية ، ولما كانت المدرسة ستستكمل فرقها على فترة تبلغ تسع سنوات فإنه من الممكن توزيع عملية البناء على مراحل تبلغ تسع سنوات ، وبذلك لا يتحمل الشعب إرهاقاً مالياً شديداً إذا ما طوِّب بأن يتولى تمويل البناء والأثاث ، كما ستكون عمليات البناء مجالاً لنشاط مدرسي مفيد ، وهذا طبعاً في الجهات التي لا توجد بها مباني مدرسية صالحة .

وفي النظام الذي نقترحه لن يكون هناك مجال للتعليم الحر إلا في مرحلتي التعليم المتوسط والجامعي ، وعلى ذلك فإن المدارس الحرة التي تنظم دراسات تعادل مرحلة التعليم العام سوف تؤمم ويعوض أصحابها إن كانت لهم مباني أو أدوات صالحة .

(ثالثاً : إعداد المدرسين والمربين والفنيين)

إذا كان إعداد المدارس مسألة مالية فإن إعداد المدرسين والمربين والفنيين يخضع لعوامل لا يد للمنظم فيها :

أولاً : مدى إقبال أفراد المتعلمين لاتخاذ التعليم مهنة لهم .

ثانيها : مدى صلاحية أفراد المتعلمين لأن يكونوا مدرسين أو مربين .

ثالثها : العدد الممكن إقناعه باتخاذ التعليم مهنة له .

رابعها : مدى كفاءة مدارس إعداد المعلمين والمعلمات الموجودة حالها أو الممكن إيجادها في فترة قريبة .

ولقد بحثنا هذه العوامل بالتفصيل ، ويمكن تلخيص نتائج الدراسة في :

من حيث العامل الأول من الممكن إيجاد إقبال كاف من المتعلمين على اتخاذ التعليم مهنة لهم إذا حسنا الكادر المادي ورفعنا من مستواهم الثقافي بحيث تكون مهنة المعلم سيدة المهن من حيث مستواها الأدبي والاجتماعي .

ومن حيث العامل الثاني فإن الوسائل الحديثة لاختبار الشخصية كفيلة باكتشاف الأفراد الصالحين لمزاولة التربية والتدريس ، وهؤلاء يجب تشجيعهم على احتراف التدريس بكل السبل الممكنة .

ومن حيث العامل الثالث فإن الدراسة الإحصائية تبين أننا في حاجة إلى أحد عشر سنة لإعداد العدد اللازم من المربين والمدرسين وذلك بعد مضاعفة طاقة المدارس الثانوية الموجودة باستغلالها كمدارس ليلية نظامية بجانب عملها كمدرسة أساسية نهائية وبالتوسع في استخدام الأجانب والاستعانة بخريجي الجامعات لاعطاء بعض الدروس في الرياضة والكيمياء والتاريخ الطبيعي وغيرها واستعمال السينما في تدريس كثير من المواد كالجغرافيا والتاريخ والتربية الوطنية والتاريخ الطبيعي والطبيعة والكيمياء العملية .

وبعد فتح المجال أمام طلبة التعليم الأولى للالتحاق بالمدارس الثانوية .

وبعد إنشاء العدد الكافي من كليات اعداد المعلمين الجامعية التي تسيير وفقا لبرنامج دراسي خاص ببرنامج إعداد المربين يشمل مقرراً علمياً جامعياً في التربية وعلم النفس والفسولوجيا والخدمة الاجتماعية مدته سنتان ثم يخرج ليعمل كمدرس تحت التمرين بالمدرسة العامة حيث يباشر مهمته تحت إشراف كبير المربين على ان يعود إلى كليته خلال العطلة الصيفية لتلقي محاضرات وحلقات بحث لتحليل المشاكل التي اعترضته خلال عامه الأول ثم يؤدي امتحانا خاصاً ويتكرر هذا في الأعوام الثلاثة التالية ويمنح في النهاية دبلوماً عاليًا في التربية وعلم النفس .

أما برنامج إعداد المدرسين فيقبل فيه طلبة الجامعات على أن يحضر هؤلاء الطلبة خلال العطلة الصيفية محاضرات في التربية وعلم النفس وطرق التدريس تؤهلهم لممارسة التدريس بعد تخرجهم من الجامعات .

وعدد مدرسي معاهد المعلمين والمعلمات الابتدائية والعالية الحالية كاف لأن يخدم عددًا أكبر من التلاميذ إذا حولت المعاهد الابتدائية إلى كليات جامعية وأستعين ببعض الأساتذة الأجانب ودعمت أقسام علم النفس بكليات الآداب لتستطيع تخريج عددًا أكبر .
أما مدارس المعلمين الأولية الحالية فمن الواجب إلغاؤها .

(رابعاً : تنظيم وإدارة حركة التعليم)

يسير النظام الجديد الذي اقترحنه لإدارة حركة التعليم في مصر مع النظام الإداري الجديد للدولة المصرية ، وذلك وفقاً للمبدأ الذي ألمحنا الإشارة إليه في القسم الثاني من هذه الوسائل وهو استقلال الشعب بأمر التعليم ، وتحطيم كابوس المركزية الثقيلة لديوان وزارة المعارف العمومية بالقاهرة ، ونكتفي هنا بالإشارة إلى طبقات الجهاز الإداري التعليمي المختلفة :

(١) **لجنة التعليم القروية أو المحلية** : هي إحدى لجان المجلس القروي أو المحلي ، ومهمتها الإشراف على جميع التبرعات اللازمة لبناء المدرسة والقيام بالأعمال الإدارية والمالية لبناء المدرسة ، ثم معاونة ناظر المدرسة على النهوض بمستوى المدرسة عملياً ومادياً وتقديم المعاونة الثقافية للفلاحين الكبار . ثم الاشتراك في تنظيم الحركة التعاونية بالمديرية أو المحافظة عن طريق انتخاب أعضاء مجلس التعليم الإقليمي ، وهي باعتبارها جزءاً من هيئة المجلس القروي أو البلدي ستعمل على تنسيق الحركة الثقافية مع نواحي نشاط المجلس الأخرى وتوزيع إيرادات المجلس العامة على ضروب نشاطه المختلفة بما يحقق المصلحة العامة ، وبما يجعل من المدرسة القوة الرافعة للإصلاح في القرية أو الحل .

(٢) **مجلس التعليم الإقليمي** : هو أحد فروع مجلس المديرية بعد تعديل قانون هذه المجالس بما يضمن لها حرية العمل وسعة السلطان داخل حدود الإقليم ، ومجلس التعليم يتكون من هيئة نيابية ومكتب فني يتولى شؤون الإدارة ، والهيئة النيابية تنتخب بمعرفة مندوبين مفوضين من لجان التعليم القروية ويشترط في المرشحين لها علاوة على الشروط المطلوبة في أعضاء البرلمان أن يكونوا حاصلين على شهادات عالية وأن يكونوا مقيمين فعلاً أولهم مصالح مباشرة في دائرة الإقليم .
ومهمة مجلس التعليم الإقليمي تتلخص في :

(١) وضع الخطوط التفصيلية لتنفيذ سياسة التعليم في الأقاليم وفقاً لقرارات وتوجيهات مجلس التعليم الأعلى .

(٢) توجيه ومعاونة لجان التعليم القروية على أداء مهمتها .

(٣) استخدام المدرسين والموظفين الفنيين والإداريين اللازمين .

(٤) الإشراف على المدارس وتوجيهها .

(٥) وضع الميزانية السنوية وتنفيذها .

ويتكون المكتب الفني للمجلس من إدارة تعليمية منظمة تتولى تنفيذ السياسة التعليمية داخل الإقليم يرجى الرجوع إلى البحث التفصيلي لبيان تكوينها ونظامها .

(٣) **مجلس التعليم الأعلى** : هو المنظم لشؤون التعليم في الدولة ويتكون من وزير المعارف رئيساً وعضوية :

وكيل وزارة المعارف ومديرو العموم بديوان هذه الوزارة ، ورؤساء المجالس الإقليمية ومديرو إدارتها ، ومن مديرو الجامعات ، ومن ممثلين للنقابات المهنية المختلفة ، ومن وكلاء وزارات الشؤون البلدية والقروية والصحة والزراعة والتجارة والصناعة والاقتصاد الوطني والخزانة .

وهذا المجلس هو الهيئة التي تنظم عمل ديوان الوزارة المعارف وتتلخص مهمته في الإشراف العام على التعليم في الدولة ووضع الخطوط لتنفيذ السياسة التعليمية ووضع الميزانية السنوية للتعليم في الدولة .

ثم تحديد مناهج الدراسة والإشراف وتوجيه معاهد إعداد المعلمين والمعاهد الفنية العالية ، والإشراف العام وتنسيق العمل بين مختلف الجامعات .

ثم الإشراف على الامتحانات العامة وعلى شئون الثقافة العامة في الدولة .

ويتولى ديوان وزارة المعارف تنفيذ قرارات المجلس الأعلى للتعليم وإعداد جداول أعمال جلساته . وتنظيم هذا الديوان وشرح إدارته موضوع بحث خاص .

الباب الثالث الرسائل

- (١) دس تورنا .
- (٢) في الدع وة .

(١)



نقدية:

طبعت هذه الوثيقة دار الكتاب العربي ولم يكتب عليها شيئاً سوى العنوان ، فلم نعرف هل كتبت لمناسبة خاصة ، أو إنها كانت في بعض كتابات الإمام الشهيد واستخلصت منه ، ومن المعروف أن دار الكتاب العربي للحاج حلمي المنياوي لم تنشط إلا في أوائل الخمسينات ، وأنها أنقذت مطبوعات الإخوان من المستوى البدائي الذي كانت عليه في الثلاثينات والأربعينات ، كما أن الحاج حلمي المنياوي كان زميلاً في اعتقالات الحل الأول في الطور التي لم يفرج عنهم إلا في عام ١٩٥١ ، وهذا ما يدل على انها استخلصت من كتابات سابقة للإمام الشهيد .

والإشارات التي جاءت عن "علاقة الحاكم بالمحكوم" وحق كل فرد في أن يرفع على الحاكم قضية أمام أية محكمة عادية ، فالإسلام لا يعرف في ذلك كبيراً ولا صغيراً عنده وكلهم سواسية كأسنان المشط ، وكذلك ما جاء عن حد السرقة وحد الزنا ، وإنه لم يثبت في تاريخ الإسلام أنه قطعت أيدي أكثر من ستة أشخاص وأن جريمة الزنا لم يثبت ولا مرة واحدة إلا بشهادة أربعة شهود لا بد أن يروا رأي العين .

نقول أن هذه الإشارات يجب أن تكون محل عناية خاصة للذين ينادون بتطبيق الشريعة ، وكذلك ما جاء من أن "التربية الدينية هي الأساس" .

جمال البنا

بسم الله الرحمن الرحيم

دستورنا

في هذه الأيام التي يكثر فيها الكلام عن الدستور ، ولجنة الدستور ، وكيفية وضعه ، وماذا ينص عليه فيه ، يتساءل الناس عن معني قول الإخوان المسلمين "القرآن دستورنا" ومكان هذا الكلام من الدستور المرتقب ، وما ينبغي أن يكون عليه الدستور الجديد حتى يكون متفقا مع ما جاء بالقرآن الكريم من أحكام .

ليست دعوة الإخوان المسلمين شيئا جديداً ، وإنما هي الدعوة التي أمرنا الله تعالى بها إلى آخر الزمان (مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ) ، وقد اذن الله لهذه الدعوة أن تنشأ في مصر ثم تجتاز حدودها إلى جميع البلاد الإسلامية حتى لم يعد (الإخوان المسلمون) اسماً لجمعية أو هيئة في مصر ولكنه أصبح علما على بعث فكرة الإسلام الخالص النقي ، ونهضة المسلمين في جميع مشارق الأرض ومغاربها .

ولما كان هذا البعث لا يتفق مع ما وقع فيه المسلمون بسبب تركهم دينهم وعدم اتباع أوامره ونواهيه والأخذ بفضائله من جهل وذل واستعباد ، كان أعداء الإسلام والمستعمرون وطلاب المنافع الحرام والجهلة من كبراء المسلمين حرباً على دعوة الدين : يشوهون من مقاصدها ، وينسبون لها ما ليس منها بالكذب والافتراء وتزييف الوقائع ، حتى لقد أخبرني بعض العائدين من السويد أن الجرائد نشرت صور نفر من الناس مقطوعي الأيدي يظن أنهم من مشوهي الحرب وكتبت تحتها : هكذا يقطعون الأيدي في القاهرة من أجل السرقة ، وأخبرني بعض مراسلي الصحف الأجنبية أن القوم في إنجلترا يعتقدون أن دعوة الإخوان المسلمين هي دعوة إلى ترك جميع المدنية والرجوع إلى عيشة البدو في الصحراء .

فرايت لذلك أن أعبر عما يمكن أن يشتمل عليه الدستور الجديد من مبادئ مأخوذة من القرآن .

وقبل ذلك يجب أن نعلم أن القرآن الكريم لم يقم على القوانين وما اشتملت عليه من عقوبات ومعاملات وعبادات فقط فإن القرآن نحو ستة آلاف آية ومجموع آيات الأحكام فيه لا يزيد عن خمسمائة آية فصلها العلماء وبنوا عليها فقها كثيراً لا يختلف إلا في قليل عن أحكام العصور الحديثة . وإنما قام القرآن على تهذيب الأخلاق وتركية النفوس وتطهيرها ، وإصلاح المجتمع من المفسد والعمل على سد الذرائع للجرائم كافة ؛ وما العقوبات التي وردت فيه إلا عقوبات صارمة الغرض منها كف الناس عن الشر إن لم يثمر فيهم التهذيب وتجاوزوا حدهم بعد أن استوفوا حقوقهم .

فنحن حين نطالب بالعمل بكتاب الله وسنة رسول الله لا نبغي من وراء ذلك إلى تطبيق الأحكام الواردة في القرآن فحسب ولكننا نرجو أن نجعل القرآن منهاجاً يسار عليه في الحياة ويطبق بحذافيره .

وكان هذا حسبنا من كل دستور آخر لأن القرآن هو الدستور الكامل الشامل الذي لم يترك صغيرة ولا كبيرة في بناء الأمة الا عالجه ، تارة بالتفصيل ، وتارة بالإجمال تاركاً لها أن تمضي في التفصيل على ما تقتضيه مصالحها ولا تتعارض مع الأصول التي وضعها .

هل الحكم بالقرآن فرض؟!

ولنذكر الآيات التي تدل على أن الأخذ بكتاب الله فرض علينا لا يحق لنا أن نتحلل منه بأي وجه من الوجوه ، ولا ينبغي أن نتعلل في عدم تطبيقه بالظروف والملابسات ، لأن هذه الظروف والملابسات من فعلنا ويجب العمل على إزالتها .

هذه هي الآيات فافقرأها أن شئت :

قال الله تعالى :

- (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا).
- (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا) .
- (وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ) .
- (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ) .
- (وَأَنْ احْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ * أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ) .
- (أَفَعِيرَ اللَّهِ أَبْتِغِي حُكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ) .
- (وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) .
- (وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) .
- (المص * كِتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ * اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ) .
- (وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ) .
- (وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) .
- (وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) .
- (إِنَّ الَّذِينَ يُحَادِّثُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كَمَا كُتِبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقد أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ) .

هذه آيات بينات فيها أقطع برهان على وجوب الحكم بكتاب الله ، ولا يقول بغير ذلك إلا من رضى لنفسه بالكفر والظلم والفسق ، ومحادة الله ورسوله وعدم الاعتصام بحبل الله ، فهو قليل الحظ من التوفيق والهداية .

أحكام القرآن

اشتمل القرآن - فيما اشتمل عليه - على أحكام عملية يمكن تلخيصها فيما يلي :

(١) العبادات :

وهي ما شرعه الله تعالى لتنظيم علاقته بخلقه كالصلاة والصوم والزكاة والصدقات والحج .. إلخ ..

(٢) المعاملات :

وهي الأحكام التي تنظم علاقات الناس ببعضهم وتقيم الروابط بينهم على العدل والرحمة والتعاون والمحبة ورفع أسباب الضر والعدوان واجتلاب الخير والمنفعة للناس جميعًا ويدخل في ذلك نوعان :

المعاملات المدنية : من بيع وإجارة ورهن وشركة .. الخ .

وهذه القوانين في الشريعة كأحدث القوانين في العصر الحاضر إلا ما حرم الله فهو حرام إلى يوم القيامة .

والأحوال الشخصية : من زواج وطلاق وعدة وثبوت نسب .. الخ .. وهذه قد أمرنا فيها بترك الناس وما يدينون فإن جاءوا إلينا حكمنا بينهم بما أنزل الله .

(٣) **العقوبات** : وقد شرعت لحفظ حياة الناس وأعراضهم وأموالهم : تأديبا للناس وزجرا لهم عن ارتكاب الجرائم مثل عقوبات القتل والسرقه وقطع الطريق وأهل الفساد والزنا والقذف أي القصاص والحدود .

(٤) **أحكام نظمت العلاقة بين الحاكم والمحكوم** وبيان حقوق ولي الأمر على الرعية وحقوق الرعية على ولي الأمر وأحكام الشورى والعدل والمساواة بين الناس .

(٥) **وأحكام أخرى شرعت للحرب والقتال** وتنظيم علاقة المسلمين بغير المسلمين .. الخ ..

علاقة الحاكم بالمحكوم

ولما كان الدستور المراد وضعه ينظم علاقة الحاكم بالمحكوم جريًا على ما تجري عليه الأمم الغربية وتحسب أنها سبابة إليه كما يحسب جهلة المسلمين : فليس من الممتع علينا أن نضع الأحكام كلها من القرآن ونبرز فيها المعاني المهمة التي تقوم عليها حياة الأمم وصالح حالها :

• فينص فيه على أن الحاكم تختاره الأمة لمدة محددة أو غير محددة على أن يكون محاسبًا ليس فقط عن أعماله السياسية بل على أعماله الجنائية والمدنية يحاكم أمام أية محكمة عادية بل إن لأي إنسان أن يرفع عليه الدعوة بذلك أمام المحاكم فالإسلام لا يعرف في ذلك كبيرًا ولا صغيرًا كلهم عنده سواسية كأسنان المشط .

• وكذلك ينص فيه على أن القوانين مصدرها شرائع الإسلام - وشرائع الإسلام من الطول والعرض بحيث تتسع لأحكام الزمان جميعًا : فما اتفق منها مع أصولها كان شرعًا بإقرار ولي الأمر له ، وما لم يتفق أطرحناه إعتقادًا منا بأن الله ما أراد لنا أن نتجنبه إلا لخير أرادته لنا .

- وينص فيه على وجوب تعليم الرجل والمرأة شرائع الإسلام على السواء ، أما العلوم الأخرى فهي فرض كفاية يتحمل المسلمون إثم التقصير في تحصيلها إلى أن يحصلها من بينهم من يفي بحاجة الأمة في كل فرع وفن .
- وينص فيه على حق الفقراء جميعاً من المسلمين وغير المسلمين في العمل وفي المسكن والملبس والمأكل .
- وينص فيه على احترام الأديان الأخرى وحرية أهلها في عقائدهم وعصمة أرواحهم وأعراضهم وأموالهم إلا بالحق .

ولست في ذلك أضع مواد الدستور فلذلك مجال آخر وإنما أشير إلى بعض المسائل التي يظنها الناس من مميزات العصر الحاضر وما هي كذلك وإنما هي من قواعد الإسلام وأصوله بأسم تاركها ويعاقبه الله على عصيانه فيها ولو كانت المعصية بينه وبين نفسه .

التربية الدينية هي الأساس

قلت إن الإسلام لم يقم نظامه على العقوبات بل فام في حقيقة الأمر على تهذيب النفس وتطهير القلب .

وقد قال الرسول عليه السلام : "ما تركت من خير إلا وأمرتكم به وما تركت من شر إلا ونهيتكم عنه" . فالتربية كفيلة بتنشئة المرء على حب الخير ومساعدة الناس ومواداتهم والإحسان إليهم . وهي التي تخلق فيه روح التسامح وتبعده من روح البغي وكلما تعصب المسلم لعقيدته بعد عن التعصب ضد الناس ، واحترام عقائدهم وأموالهم وأعراضهم وأرواحهم . وأما العقوبات فهي لا تأتي إلا في المقام الأخير لأنها إنما وضعت لشواذ الناس الذين لا تردعهم الموعظة الحسنة .

والأديان كلها سواء في ذلك فإذا طالبنا بحكم القرآن فإننا نطالب بما أمر الله به في سائر الأديان من الفضيلة والنهي عن الرذيلة ، والبغي دائماً يصاحب الجهل ، والاعتداء لا يتأتى إلا من عدم الشعور بالواجب . وإنه لخير للمسلمين وللمسيحيين أن يتهدبوا بتهديب دينهم حتى يلتقوا على الخير والفضيلة ويجب على الحكومة أن تدخل هذا التعليم بصورة جدية في المدارس الابتدائية والثانوية للمسلمين والمسيحيين على السواء .

الأحوال الشخصية لغير المسلمين

إن مما أتى به الإسلام يعتبر من المعاملات ما يسمى بقوانين الأحوال الشخصية – وهذه لا ينطبق على المسيحيين ولا على غيرهم بل ينطبق عليهم حكم ديانتهم لذلك أمرنا بتركهم وما يدينون . فما داموا متفقين على التحاكم إلى كتابهم فليس لنا بهم شأن أما إذا جاءونا فإننا نحكم بينهم بما أنزل الله .

... والمعاملات

وأما المعاملات من مثل البيع والإدارة والرهن فليس للمسيحية فيها نصوص ، لذلك كان الأخذ بما تراه الأغلبية في مصلحتها واجباً : يأخذه المسلمون على أنه دين ويأخذه المسيحيون على أنه قانون –

ولعله من الخير لهم أن يأخذهم المسلمون على أنه دين لأن هذه الفكرة تعصمهم من الزلل في تنفيذه ، وعين الله الساهرة ترقبهم لا رغبة الحاكم التي يمكن التخلص منها في كثير من الأحيان – على أن المعاملات في شريعة الإسلام غاية في السمو والعدالة – وليس للمسيحيين أن يشكو من أنها تحرم الربا فهو محرم في ديانتهم وقد أقام المسيحيون على ذلك ثلاثة عشر قرناً حتى أصبحت شرائع الإسلام في هذه الناحية تعتبر بالنسبة لهم شرائع قومية .

... والعقوبات

وأما العقوبات فأكثر ما يعترض بها علينا قطع يد السارق ورجم الزاني المحصن ، وقد بينا في كثير من المناسبات أنه لا تقطع يد السارق إلا إذا استوفي حقه من التعليم ومن المسكن والملبس والمأكل والعلاج ، وسدداً دينه إن كان مديناً ، ولذلك لم يثبت في تاريخ الإسلام ، أنه قطعت أيدي أكثر من ستة أشخاص . ورهبة العقوبة مانعة من التعدي . وأما حد الزنا فحسبنا أنه لم يثبت ولا مرة واحدة إلا بشهادة الشهود – وهم أربعة لا بد أن يروا رأي العين .

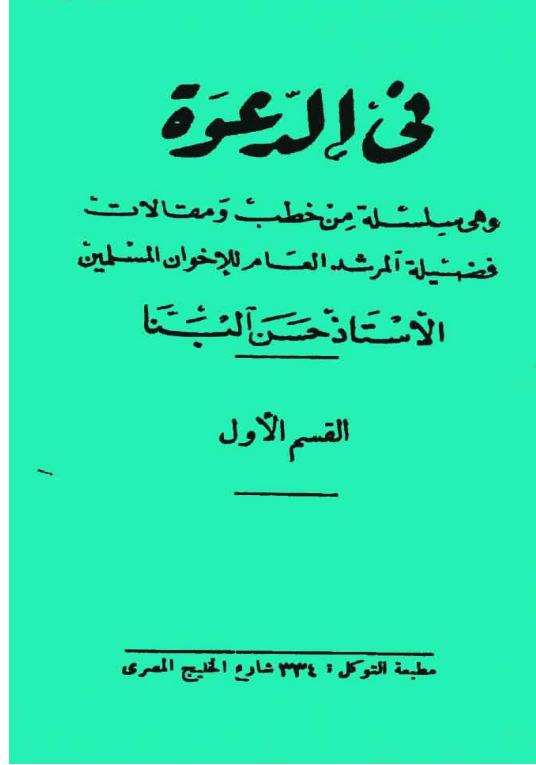
فهذه عقوبات تهديدية لكي تبين للناس فداحة الجرم إن هم أقدموا عليه ، وعادلة لأنها لا تطبق إلا في مجتمع إسلامي متكامل توفرت فيه دعائم التربية السليمة وأسباب الاستقرار الاجتماعي المادية والأدبية .

وراء الحدود القليلة التي نص عليها الكتاب وبينتها السنة ، باب واسع لنظام العقوبة في الإسلام اسمه "التعزيز" ، استفاضت فيه بحوث فقهاء الإسلام ، وبلغت حدًا من الغنا والدقة يعز معهما على دارس القانون أن يرى جهل المسلمين بها وغفلتهم عن الاستفادة منها ، وآراء الفقهاء فيها تقابل الآراء المعمول بها في القوانين القائمة ، فماذا علينا لو تلمسنا الرأي الأنفع فيما عندنا قبل أن نتسول له عند غيرنا ، فنكون بذلك قد أرضينا ربنا الذي قال : "وَأَنْ أَحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ" ، ولم يكن بمثل ما أنزل الله ونكون كذلك قد حفظنا على أمتنا عزتها القومية ، وأمانتها في رعاية الميراث العزيز الذي تلقاه التاريخ إليها ؟!

وبعد فإنه يجب أن يتبين الناس أغراضنا من الدعوة إلى الإسلام والحكم بشرائعه .. إنها الدعوة إلى العلم والعمل ، وإلى النظام الإلهي المحكم في محاربة الرذيلة والجهل والمرض .. دعوة إلى الطهر والاستقامة والخير للناس كافة ..

والله يتولانا بتأييده ...

(٢)



تقديم:

هذه إحدى الرسائل التي توليت اختيار مادتها وطبعها ونشرها كجزء من نشاط "دار الفكر الإسلامي"، وقد تم ذلك ما بين عام ١٩٤٦ و ١٩٤٧، كما يفهم مما جاء في المقدمة أن هذه المقالات نشرت منذ اثني عشر عامًا، وقد كان نشرها عام ١٩٣٥، فيكون تاريخ ظهور المطبوعة ١٩٤٧، ولأنها مقصورة على مقالات مختارة للمرشد المؤسس حسن البنا فإنها تعد من وثائق الإخوان حتى وإن لم تصدرها هيئة الإخوان، ويزيد في أهميتها أنها تعود إلى عام ١٩٣٥ أي منذ ٧٤ عامًا.

وهناك ميزة أخرى لهذه المقالات، تلك هي أن أي واحدة تصلح أن تكون موضوعًا لخطبة في جمعة أو في مناسبة أخرى، ويتوفر فيها الأحكام والإيجاز.

جمال البنا

مُقَدِّمَةٌ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

كان من فضل الله وتوفيقه الذي أحاط به هذه الدعوة أن انتشر صيتها ، وذاع سمعها ، وتكاثر يوماً بعد يوم أعضاؤها .. والمنتهمون إليها .. والمؤمنون بها ، ولما كانت تعنى أول شيء بتركيز معنى الدعوة في نفوسهم ، فقد كان يجب أن ينشر أكبر عدد ممكن من البحوث الموضحة للفكرة ، وقد رأينا أن خير ما يؤدي إلى ذلك هي مقالات وخطب فضيلة المرشد العام إذ هو مؤسس هذه الدعوة ، وعمودها القائم ، وروحها الخافق ، فاخترنا في هذا القسم عدة مقالات سبق أن نشرت في مجلة الإخوان المسلمين القديمة منذ اثني عشر عاماً تقريباً .

وإذا كان لنا أن نعلق بشيء على هذه المقالات فهوانها خير دليل على أن دعوة الإخوان كانت واحدة دائماً وإنما احتفظت بطابعها الذي لم يتغير منذ اثني عشر عاماً ، بل منذ أن بدأت ، وليس على كل واحد يريد أن يدرك ذلك إلا أن يوغل فيها برفق ، وعندئذ يصل إلى أعماقها ، ويدرك وحدتها في كافة الأمور .

* * *

في مستهل عام جديد^(١)

أخي وكفى .. تحية من عند الله مباركة طيبة ، فسلام الله عليكم ورحمته وبركاته .

إن من حق هلال المحرم على كل مسلم أن يتمثل لأول رؤيته صور الفخار والمجد التي شهدتها هذه الأهلة زمناً طويلاً ، يوم كان الإسلام غضاً طرياً ، يرفرف علمه الخفاق على رأس الإنسانية الهائلة بعدالته ، الوادعة في رحمته ، وأن يضع إلى جانب هذه الصور الرائعة المشرقة صور الحياة الإسلامية اليوم التي صارت أبعد ما تكون عن سابقتها :

فما الناس بالناس الذين عرفتهم ولا الدار بالدار التي كنت أعرف

ومن حق هذا الهلال على كل مسلم كذلك أن يستعرض عامه الماضي فما كان فيه من خير عمله فليحمد الله ، وما كان غير ذلك برئى إلى الله منه ، وأقلع عنه ، وأن يستقبل العام الآتي بنفس كلها أمل وعزيمة واستعداد لتدارك ما كان والانتفاع بما هو آت ، "وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ" ، "فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ" .

(١) نشرت بالعدد الأول الصادر في ١٦ أبريل سنة ١٩٣٥م من مجلة الإخوان المسلمين .

والناس يا أخي ثلاثة :

رجل لا غاية له .. فهو لا يعلم من وجوده إلا أنه كائن يمشي على رجلين ، ويسمع بأذنين ، ويعمل بيدين ، وهو بعد هذا موجود كمفقود لا تشعر الدنيا بغيبته إن غاب عنها ، كما لم تشعر بوجوده حين وجد فيها ، وما أشبهه بهمسة ضعيفة في صحراء موحشة ذهبت بها الريح كلّ مذهب فتلاشت في أجواز الفضاء "وَلَقَدْ دَرَأْنَا لِحَبَّتِمَّ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ" ، فاحذر أن تكون ذلك الصنف .

ورجل استبدت به مطالب حياته المادية فهو عبد شهوته ، ورهين متعته ، تُصرفه المطامع والأهواء ، فهو لا يفهم الحياة ، إلا أكلا وشرباً ، ولهواً ولعباً ، تسترقه الشهوة من شهوات نفسه فيتجشم قضاءها على أي وجه ، وبأية وسيلة ، لا يهमे من ذلك إلا أن تُقضي ولا يعنيه بعد ذلك ما قتلت من فضائل وما خلقت من مآثم وما تركت من جنائيات وأوزار ، ذلك شأنه في الدنيا ويوم القيامة يقال له "أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ نُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ" ، فاحذر أن تكون ذلك الصنف كذلك .

ورجل أشرق نور الحق على فواده ، وأزهرت مصابيح الهداية في قلبه فانفتحت سحائب الشك ، وزالت غمام الريبة وكشفت أمامه الحجب عن الحقائق فهدى إلى الغاية ، وأرشد إلى الطريق .. واطمئن بالعقبى ، وسمع نداء الحق تبارك وتعالى "أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى" .

"أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ" ، فاستيقظت بصيرته ، واستنارت فكرته وتنبهت مشاعره وأخذ يبحث عن الغاية ، حتى هتفت به هواتف الحقيقة "وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ" ، "فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ" ، "وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى" ، وأخيراً "فَوَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ * وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ" ، فأخلص له عبوديته ، وجعل رضوانه غايته وجنته أمنيته وطرح الدنيا وراء قلبه فلم يعلق به منها إلا ما يوصله إلى ربه وصدق توجهه إلى الله فجد المسير وأخذ في التشمير فهذا هو الرجل ، والرجال قليل وصدق رسول الله ﷺ القائل : الناس كابل مائة لا تجد فيها راحة وهذا الصنف هو الذي تكفل له الحق بالهداية ومنحه محض الرعاية وهم خيرة الله في خلقه وصفوته من عباده والقائمون بدعوته والناصرين لشرعته تنجلي بهم كل فتنة عمياء "وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ" .

فاجتهد يا أخي أن تلحق بهؤلاء ، نعم القوم لا يشقى جليسهم واجعل أول صحيفة من صحائف عامك الجديد أن تحدد الغاية ، وتجدد العزيمة ، وسلام عليك يوم تودع عامًا حافلا بالخيرات وتستقبل عامًا يخطو بك إلى الغاية خطوات .

طريقان^(١)

في مصر نهضة ويقظة ودور خطير من أدوار الانتقال ، ومصر في هذا الدور على مفترق الطرق ، وبعد أن تنكرت دعوة الإصلاح فيها للفكرة الإسلامية حيناً من الدهر أخذت تعود رويداً رويداً وتقرب من سياج الإسلام الميمون المبارك ولست بصدد أن أتعرض هنا لفكرة الإصلاح العامة ، ولكني أريد أن أتناول مظهر الإصلاح الإسلامي في نهضتنا الحديثة وطريقي المصلحين الذين يدعون في هذا البلد ، بل في الشرق كله إلى الإسلام .

انقسم الدعاة إلى فريقين ، فريق جعل الإسلام أساساً فعمد إلى الأصول الإسلامية يفهمها ، والنظريات الإسلامية يدقق فيها وقواعد الإسلام الصحيح يستجليها ويخلصها مما شابها من آثار الحوادث والأيام وعماده في ذلك كتاب الله وسنة رسوله وفقه السلف الصالحين وهم أعرف الناس بهذا الدين جعل هذا أساساً يرتكز عليه دعوته ومقياساً يقيس به كل ما عداه من مظاهر النهوض وأثار اليقظة فإن اعترضته المدنية الأوروبية ومطالب العصر الحديث طبقها على هذا الأساس وقاسها بهذا المقياس فما وافقه أخذ به ، وما خالفه أخذه بالتحوير والتغيير والتهديب والتشذيب حتى يعود صالحاً لهذه القواعد متناسباً مع روح الإسلام وأصوله وعقائده فان استعصى على التهديب وأبى إلا أن يناقض هذه الأصول ويشذ عليها حذر الناس منه ، ونفرهم عنه ، وأبان لهم عن أضراره وذكرهم بقول الله تبارك وتعالى : "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَانْقَلِبُوا خَاسِرِينَ * بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ" .

هذا الفريق من الدعاة أصاب كبد الحقيقة ، ودعا إلى الإسلام بحق وناصر دين الله ، ولم ينخدع ولم ينحرف ، ولم تلعب برأسه الزخارف والأهواء ، وهذا الفريق يقاسي عناء وشدة ، ويجد أمامه عقبات ثقال فإن التيار يعاكسه ولا يوافقه وموجة الشهوات تغطي عليه ، وريح الزخرف الباطل تهب أمامه نكباء فتحول دون السفينة والسير ، ويزيد ذلك عننا أن قومنا سامحهم الله تفرقوا في دينهم وأصيب كثير منهم في أفهامهم قلبسوا الدين كما يلبس الفرو مقلوباً ، واختلط عليهم الأمر فلم يعرفوا ما يأخذون وما يدعون ، وكل حزب بما لديهم فرحون ، وكل فتاة بأبيها معجبة .

وهذا الفريق قليل صابر محتسب مجاهد في سبيل عقيدته عامل ما وجد إلى العمل سبيلاً في مناصرتها لأنه لا سبيل إلى نهوض الشرق إلا بهذا الإسلام الذي جعله الله هدى ونوراً ، وهذا الإسلام عقيدة أقرها كتاب الله ، وجعلها مهيمنة على النظم قوامه على الشرائع ، لا تحوير فيها ولا تبديل .

وهذا الفريق قد يري فيه بعض الناس جموداً وقد يري في دعوته جفافاً لأنه ينظر إليها بمنظار المتحلل الذي نسي المقصد الأسمى في دين الإسلام ، ولكنهم مع هذا ماضون في خطتهم متوكلون على ربه شعارهم قول الله تبارك وتعالى "وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آدَبْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ" .

(١) نشرت بالعدد (١٧) الصادر في ٦ أغسطس سنة ١٩٣٥م من مجلة الإخوان المسلمين .

وفريق ثان من رجال الدعوة إلى الإسلام أيضاً أو ممن ينادون بهذه الدعوة ، طالت بهم الطريق ، وعز عليهم الوصول إلى الغاية ونالت منهم عقبات السير وأخذت بأبصارهم زخارف مدينة الغرب وضعفت في نفوسهم المنعة الإسلامية لتأثر ببيئة أو قلة من محصول علمي أو بعد عن روح الإسلام الصحيح أو بغير ذلك من الأسباب فجعلوا مدينة الغرب أساسا يشكلون الإسلام على غرارها ويطبعون قواعده ونظراته وأحكامه في قوالبها فما وافق هذه المدينة من الإسلام شادوا به ، وطنطنوا بفضله ، واكتسبوا بذلك عطف الجماهير ، ودعموا به ما ذهبوا إليه من الظهور بمظهر الزيادة عن حمي الإسلام وما استعصي من قواعد الإسلام ونظرياته على هذه المدينة وأبي أن ينطبق على قواعدها وأصولها قسروه قسرا وقهروه قهرا وزادوا فيه أو نقصوا أو غلطوا أفهامهم وأفهام الناس معهم ووجدوا في التأويل مندوحة أو شبه مندوحة واتخذوا منه تكأة لما يريدون حتى يخرجوا من ذلك كله بإسلام أوروبي أو بأوروبية شبيهة بإسلام .

وهذا الفريق يدعي خدمة الإسلام ويرى أنه يماشى روح العصر وأنهم هم العلماء العصريون بحق ، أليسوا قد أوجدوا إسلاما عصريا لا يتناقض مع مدينة الغربيين التي تغزو العالم الآن وتجلب عليه بذهبها وفضتها ونسائها ومتعتها وشهواتها ولذائذاها .. ؟

وهذا الفريق يجد من ضعاف النفوس ومن ذوي الحظ القليل من البصر بدين الله من يصدق دعواهم ويحصر زعامة الدعوة الإسلامية العصرية فيهم ، ويسير على غرارهم ويظن أن هؤلاء هم رسل العصر الجديد لإنقاذ الإسلام وأبناء الإسلام وتشريع الإسلام .

خذ مثلا ، وقف هذان الفريقان أمام تشريع الإسلام في الربا فأما الأولون فقالوا حرم الإسلام الربا قليله وكثيره ، دقيقه وجليله وأطلق التحريم في ذلك فقال "وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا" ، وقال "وَدَرُّوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا" ، وقال "كل ربا حرام" ، وروح الإسلام تؤيد هذا التحريم وتنادي به ومدينة أوروبا الإقتصادية قامت على غير هذه النظرة فنحن لا نعبأ بهذا ولا نلين في ديننا لنجاري خصومنا وعلينا أن نعمل حتى يؤيد الله كلمته وينصر دعوته .

وأما الآخرون فقد سلموا لهذه المدينة بنظريتها وأخذوا يتلمسون التأويل لمجاراتها ، فاستتروا بالأضعاف المضاعفة تارة وبالفضل والنسيئة تارة أخرى ، وبالضرورة والحاجة مرة ثالثة ، وبغير ذلك من الألفاظ يديرونها على غير وجهها ويقصدون بها غير ما وضعت له .

ومثلا آخر .. تشريع الإسلام في الحدود إنما بنى على عقوبة الفاعل وزجر غيره وهو لهذا يشند ويقسو في نوع من الجرائم لا يصلح في علاجها إلا الشدة .. ولا يزجر الناس عنه إلا القسوة فيفتي بقطع يد السارق ، ورجم الزاني وجلده ويقول في ذلك الآيات المعروفة ، وقد قطع النبي ﷺ يد المخزومية ولم يقبل شفاعته وأمر برجم معز ولم يحاب فيه أحدا ، والفريق الأول يرى أن تشريع يحب أن يؤخذ كما هو وأن يطبقه كما طبقه السلف من قبل ويعتقد أن في ذلك صلاح الإنسانية كما يؤيد ذلك الواقع في البلاد التي تأخذ بهذا التشريع ولكن مدينة الغرب أخذت في ذلك باللين نزولا على إرادة الشهوات ورياء لإنسانية كاذبة خادعة فيريد الفريق الثاني أن يحابي هذا التشريع المدني وأن يحاول التأويل والتعليل فيما أمر الله به وأخذ رسول الله عنه وثم مُثُل كثيرة ترى فيها مسلك الفريقين يؤيد ما قدمت لك .

فأما الفريق الأول فهو على نور من ربه أخذ بعروة وثقى لا تنفصم عراها ولا يخيب من استمسك بها فإن استطاعوا أن يقنعوا الناس فيها ، وإن استشهدوا في هذا السبيل فنعمت النهاية تحن إليها نفوسهم وتشتاقيها أرواحهم وقد أدوا الأمانة وصدقوا الله عهده .

وأما الفريق الثاني فقد خُذع عن حقه وغُلب على أمره وإنك لتراهم يسيرون اليوم في طريق فإذا رجعت عن مدينة الغرب رجعوا خلفها وهوروا ما وضعوا من أصول ونقضوا ما أسسوا من قواعد فهم كل يوم أمام أساس جديد وأن مدينة أوروبا الآن تتحطم أصولها وتتهدم قواعدها وتنتفض على نفسها ويتبرم بها أبنائها وهذه نظراتها السياسية قد هدمت بأيدي الدكتاتورين ونظراتها الإقتصادية قد حطمتها تلك الأزمة الخانقة التي يرزح تحت عبثها الناس ونظراتها الاجتماعية قد عبثت بها المبادئ الجديدة المتطرفة من نازية وشيوعية وفاشيستيية وضج من هول أثارها الفلاسفة والمصلحون فماذا يريد ساداتنا المتعبدون بمدينة الغرب بعد ذلك ؟ يا قومنا أجيئوا داعي الله وآمنوا به واجعلوا الإسلام ، والإسلام الصحيح ، إسلام رسول الله ﷺ وأصحابه الغر الميامين أساساً لنهضتكم "فَأَمَّا الزُّبْدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ" .

* * *

ناحية واحدة لا تكفي^(١)

الأمة التي تجتاز دور انتقال خطير ، والتي تريد أن تركز حياتها المستقبلية على أساس متين من أسس الرقي والتقدم وتنتفع بيوادر النهوض واليقظة كأمتنا الآن ، لا يكفيها أن تعالج ناحية واحدة من نواحي الإصلاح بل لابد لها من أن تتناول كل النواحي بالتقويم والتجديد حتى يقوى بعضها بعضاً ، فالناحية الاجتماعية والناحية الإقتصادية والناحية الخلقية والناحية الأدبية الفنية والناحية الفكرية العلمية والناحية السياسية والقانونية ، كلها في حاجة إلى أن يشملها منهاج الإصلاح إذا شاءت الأمة أن تظفر بنهضة متناسقة لا اضطراب فيها ولا قصور .

وقد أثرت عوامل الانتقال في كل هذه النواحي في الأمم الشرقية فواجب المصلحين أن يعنوا بها جميعاً ، وأن لا تشغلهم ناحية عن ناحية .

إن النظم الاجتماعية الآن في الشرق مضطربة متذبذبة لا شرقية ولا غربية فنظام الأسرة ، ونظام المدرسة ، ونظام العادات والآداب العامة ، حتى المقابلة والمحادثة والتزاور والتحية وأكبر من ذلك وأصغر لا قاعدة لها ولا أساس تجري عليه فهناك المتدين المتشدد ، وهناك الاباحي المتهتك ، وهناك المبالغ في المحافظة على العادات الموروثة والتقاليد ، وهناك الهازئ الساخر بها ، وليس في البلد عرف اجتماعي عام يقف كل واحد عند حده ويحدو الناس إلى فكرة أساسية مشتركة تملئ عليهم نظاماً متحدًا تصطبغ به الأمة وتمتاز .

(١) نشرت بالعدد (٣٠) من السنة الثانية الصادر في ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٣٤م من مجلة الإخوان المسلمين .

وإن الناحية الاقتصادية عندنا علة العلل فالديون الأهلية تأخذ بخناق الأفراد والأسر الكبيرة ، ونظم البنوك ومواد القانون التجاري وإباحة الربا كلها شواظ من نار مسلط على التجار والزراع والملاك والوارثين يقضي على ما ورثوا وينقل ذلك كله إلى اليد الأجنبية ويثقل كاهل البلاد بعبء فادح ، وإن مما يدمي القلب أن تعلم أن الدين الأهلي لو وزع على أرض مصر المنزرعة لخص الفرد الواحد منها ما يزيد على سبعين جنيهاً في المتوسط ، ومعني هذا أن أرض مصر المزروعة كلها دين لغير المصريين أو ملك لهم بعبارة أخرى .

والشركات الأجنبية ، والخمور الأجنبية ، والنساء الأجنبية ، والسماسة الأجانب عوامل مدمرة للثروة الوطنية وهي عقبة كؤود في سبيل النهوض الاقتصادي وسبب كبير في كثرة العاطلين من الأيدي الوطنيين من المال أو العقار .

أما الناحية الخلقية فقد انهدمت أصولها في النفوس وتحطمت قواعدها وقوانينها وضل الناس طريق الخلق الفاضل في كل بيئة وكل مجتمع وكل مكان وأصبحت ترى مظاهر هذا الاضطراب الخلقى والفساد النفساني في كل مظهر من مظاهر حياة الأمة .

أنفة وكبرياء من الرؤساء والمسؤولين على الفقراء والمستضعفين حيث يحمى التواضع واللين وذلة وصغار من هؤلاء المتكبرين أمام المعتدين الجبارين حيث تمتدح العزة وتحمد الكرامة ، وتكون الشجاعة في الحق أفضل ما تتحلى به إنسانية إنسان ، وتهتك وإباحة ومجون وخلاعة ولذائذ وشهوات ومتع وسهرات حيث يجر كل ذلك الوبال على رؤوس الوداعين الأمنيين الفضلاء الذين تحجزهم فضيلة أنفسهم عن غشيان المنكر أو اقتراء المآثم ، وغش وخداع وكذب وجبن وخلف وأثرة وأنانية وتضييع وقل غير ذلك كثير مما فشا بيننا وزاع فينا وقضى على فضائلنا الشرقية وأخلاقنا النبيلة التي كانت كل عدتنا ، وسر عزتنا ، وأس قوتنا ، وجمال حياتنا وحصن مناعتنا ، وإنما الأمم الأخلاق وإن أعداءنا قد نالوا منا بضعف أخلاقنا أضعاف ما نالوا بقوتهم وجبروتهم ونارهم وحديدتهم وإنهم كذلك قد تمكنوا من أمرنا بقوة أخلاقهم أكثر مما مكنت لهم في ديارنا قوتهم المادية ، تلك حقائق إن لم يرها بعض الناس اليوم فسيروها غداً يوم يكون تاريخ الاجتماع هو الحكم الفصل .

والناحية التعليمية والفكرية فيها هذا الاضطراب نفسه فنحن بين محافظ شديد المحافظة لا يبغى بالقديم بديلاً ، وبين متحلل إلى أقصى حدود التحلل يريد التجديد في كل شيء وبين متوسط يحاول التوفيق ولا يجد سبيله ولا بد من ميزان يزن كل شيء ، ويأخذ من كل شيء أحسنه ويحمل الأمة على سياسة معينة توصلها إلى هذا الحسن الجميل .

وقد أغنتنا الصحف السيارة عن الإفاضة في شأن الناحية السياسية وكلنا بأمرها جد عليم ، وهذا تصوير مختصر مصغر لأثر طور الانتقال في مظاهر حياة أمتنا ، وإنك لتعجب حين ترى إهتمام المصلحين والرؤساء وجهود القواد والزعماء ومن وراءهم تيار الأمة العامة قد اتجه كل ذلك نحو ناحية واحدة لا يفكر في غيرها إلا لمأماً ولا يعرف لسواها إلا اضطراباً تلك هي الناحية "السياسية" ، فالناس جميعاً لا يعنون بغير شئون السياسة ولا يتحركون إلا باسم السياسة ولا يفكرون إلا في الإصلاح السياسي وكلما حدثت إنساناً في بقية شئون الأمة كان جوابه إن البلاء السياسي أصل هذا الفساد فمن الواجب أولاً

أن نقضي على هذا الوباء السياسي ثم بمجرد انتهاء قضيتنا انصرفنا إلى بقية الإصلاحات ثم يدلي لك بحججه وبراهينه .

هذا كلام وجيه في جملته ، وله حظه من النظر والفكر ، وحقيقة أن أصل البلاء هو البلاء السياسي الذي بلينا به ولكن هذا القائل نسي أن خصم الأمة السياسي لم يتمكن من سياستها هذه السياسة إلا بعد أن أضعف أخلاقها وكبلها بالقيود الاقتصادية الثقيلة وذبذب أفكار أبنائها وعقائدهم وتركهم فوضى لا يعرفون جهة يوجهون إليها آمالهم ولا مطمحا تسمو نحوه نفوسهم ، ونحن إذا أردنا أن نعمل للخلاص دون علاج هذه الحال طال بنا الأمد ، وكنا في كل مرة خاسرين ، وكان هو الرابح والتجارب تؤيد ذلك .

فمن خدمة القضية السياسية والعمل لها - بل أكاد أقول إن هذا هو الطريق الوحيد المنتج - أن نعالج نواحي الإصلاح الأخرى ونضع لها دواء ناجعاً حاسماً في الوقت الذي يعمل فيه السياسيون للناحية السياسية الصرفة فننتقدم خطوات في كل ميدان .

خلاصة هذه الكلمة أن انصراف الأمة جميعاً إلى ناحية واحدة هي الناحية السياسية وإهمال بقية النواحي ، ليس من الحكمة في شيء ، ولسنا نقول بذلك أهملوا قضيتنا السياسية وهي مطمحننا ، ولا دعوا الغاصبين يعبثون بحقوق البلاد المقدسة .

كلا فما إلى ذلك قصدنا ولكننا نقول ضعوا للنهضة منهجاً شاملاً يصلح الأخلاق والاجتماع والفكر والاقتصاد ، ويحقق آمال الوطن ويسير بالأمة إلى الكمال .

ولعلنا إن فتنشنا عن هذا المنهج لم نجده في غير القرآن الكريم ، وفي غير مبادئ الإسلام القويم ، فإلى منهج القرآن أيها الزعماء والمصلحون .

النبي العظيم ﷺ (١)

أي قلم يحيط وصفه ببعض نواحي تلك العظمة النبوية ، وأية صحيفة تتسع لأقطار هذه العظمة التي شملت كل قطر ، وأحاطت بكل عصر ، وكتبت لها الخلود أبد الدهر ، وأي مقال يكشف لك عن أسرارها وإن تعجب حين تري هذه العظمة التي تعالت عن متناول الألسنة والأقلام والعقول والأفهام ماثلة في كل قلب مستقرة في كل نفس ، يستشعرها القريب والبعيد ، ويعرف بها العدو والصديق وتهتف بها أعواد المنابر وتهتز لها ذوائب المنائر :

ألم تر أن الله خلد ذكوره إذا قال في الخمس المؤذن أشهد

وشق له من اسمه ليحمله فذو العرش محمود وهذا محمد

وأن العظيم ليكون عظيماً بإحدي ثلاث : بمواهب تميزه عن غيره وتعلو به عن سواه وتجعله بين الناس صنفاً ممتازاً مستقلاً بنفسه عالياً برأسه يجل عن المساماه ، ويعظم على المسابقة أو بعمل عظيم

(١) نشرت بالعدد (٨) من السنة الثانية الصادر يوم ٩ ربيع الأول سنة ١٣٥٣هـ من مجلة الإخوان المسلمين .

يصدر عنه ويعرف به ويعجز الناس عن الإتيان بمثاله أو النسيج على منواله ، أو فائدة يسديها إلى الجماعة ، وينفع بها الناس ، وبقدر ما يكون العظيم متمكناً من وصفه مفيداً في إنتاجه بقدر ما تكون درجته من العظمة ، ومنزلته من التقدير ، ولهذا تفاوتت منازل العظماء ، واختلفت مراتبهم ، فمنهم سابق على ذؤابات العظمة ، ومقتصد بلغ من حدودها ما يرفعه إلى مصاف العظماء ، ومقصر كان نصيبه منها إن نسب إليها ولصق بها أو لصقت به .

والناس ألف منهم بواحد ، وواحد بالألف إن أمر عني ، كذلك يكون العظيم عظيماً بواحدة من هذه الثلاث ، وبجزء من الواحدة يصل إليها ، فكيف إذا جمعها جميعاً ، ووصل في كل منها إلى الغاية التي ليس بعدها غاية ، وجاوز في علوه الحدود التي وضعها الناس للعظمة والعظماء ، وذلك ما اختص به الله تبارك وتعالى نبيه المجتبي ، وحبيبه المصطفى سيدنا محمد ﷺ :

رتب تسقط الأمانى حسرى دونها ما وراءهن وراء

فأما عن المواهب التي ميزه الله بها عن غيره فحدث عن الفيض ولا حرج فلقد كان ﷺ من شرف النسب ، وكرم الأصل في صميم قریش ولبابها وذروة الشرف وسنامه لم تنزل في ضمائر الكون تختار له الأمهات والآباء ، فهو من خير أسرة في أنبل قبيلة لأكرم شعب وأزكى جنس ، ولا غرو فهو ﷺ خيار من خيار من خيار :

شرف يقرع النجوم بردفيه وعز يقلقل الأجيال

وهو من حيث الجمال الخلقى في أسمى معانيه وأعلى رتبته ، قوي البنية ، تام الخلقة ، أجمل الناس طلعة ، وأوفرهم هيبة ، وأرضاهم وجهاً وأعذبهم ابتساماً ، وأفصحهم منطقاً إذا ابتسم كأنما يفتر عن حب الغمام وإذا ضحك رؤى كالنور يخرج من بين ثناياه :

وإذا نظرت إلى أسرة وجهه برقت كبرق العارض المتهلل

وإن ذلك لمعنى عرضي من معاني الكمال الذاتي الذي أودعه الله نفس نبيه محمد ﷺ وولع الناس بالتمدح به ، والإغراق في ذكره ، وهم لو التفتوا إلى غيره من معاني الكمال المحمدي لوجدوا في ذلك البحر الذي لا ينضب معينه ، والمصباح الذي لا يخبو نوره وإنما ذكرناه في معرض التحدث عن العظمة المحمدية لأنه كمال انفراد به المصطفى ﷺ ولم يشاركه فيه أحد سواه ، وهو من حيث الكمال الخلقى بالذروة التي لا تنال ، والسمو الذي لا يسامي ، أوفر الناس عقلاً ، وأسدهم رأياً ، وأصحهم فكرة ، وحسبك أنه أساس هذه القبائل الجافية والنفوس القوية العاتية ولم يستخدم في ذلك الإغراء بالمال ولا الإرهاب بالقوة فلقد كان في قل من الثروة ، وضعف من العدد والعدة ، ولكنه العزم الماضي ، والرأي الثاقب ، والتأييد الإلهي ، والكمال المحمدي أسخى القوم يداً وأنداهم راحة وأجودهم نفساً ، أجود بالخير من الريح المرسله ، يعطي عطاء من لا يخشى الفقر ، ويبيت على الطوي وقد وهب الميئين . وجاد بالآلاف لا يحبس شيئاً . وينادي صاحبه أنفق بلال ولا تخش من ذي العرش إقلالا .

أرحب الناس صدرًا وأوسعهم حلمًا . يحلم على من جهل عليه ولا يزيده جهل الجاهلين إلا أخذًا بالعفو . وأمرًا بالمعروف . تواتيه القدرة ويمسك بعزة النصر فلا يلقي منه خصمه إلا نبلا وكرماً وسماحة وشمما ينادي أسراه في كرم وإباء " اذهبوا فأنتم الطلقاء" .

أعظم الناس تواضعًا . يخالط الفقير والمسكين ويجالس الشيخ والأرملة وتذهب به الجارية إلى أقصى سكك المدينة فيذهب معها ويقضي حاجتها ولا يتميز عن أصحابه بمظهر من مظاهر العظمة . ولا يرسم من رسوم الظهور ويقول لهم في ذلك ما معناه إن الله يكره أن يمتاز الشخص عن أصحابه .

ألين الناس عريكة . وأسهلهم طبعًا . ما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن محرما . وهو مع هذا أحزمهم عند الواجب وأشدهم مع الحق لا يغضب لنفسه فإذا انتهكت حرمة الله لم يقم لغضبه شيء وكأنما يفتأ في وجهه حب الرمان من شدة الغضب .

أشجع الناس قلبًا وأقواهم إرادة . يتلقى الناس بثبات وصبر تمر به الأبطال كلمي هزيمة . وهو ضاحك السن باسم الثغر . وضاح الجبين ينادي بأعلى صوته :

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

ويداعب أصبعه وقد مسها في سبيل الحق :

هل أنت إلا أصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت

وهو من شجاعة القلب بالمنزلة التي تجعل أصحابه إذا اشتد البأس يتقون برسول الله ﷺ ومن قوة الإرادة بالمنزلة التي لا ينتهي معها عن واجب ولا يلين في حق ولا يتردد ولا يضعف أمام شدة ، ويضرب المثل العملي في ذلك لأصحابه فيقول لهم "ما كان لنبي إذا لبس لامة حربه أن يرجع" .

أعف الناس لسانا . و أوضحهم بيانا . يسوق الألفاظ مفصلة كالدر ، مشرقة كالنور . طاهر كالفضيلة . في أسمى مراتب العفة وصدق اللهجة يقول لأصحابه ما معناه "لم أبعث فاحشا ولا متفحشا ولا لعانا ولا صخابا بالأسواق .. إنما بعثت هاديا ورحمة" .

أعدلهم في الحكومة . وأعظمهم إنصافا في الخصومة يقيد من نفسه ويقضي لخصمه ويقيم الحدود على أقرب الناس عليه ويقسم بالذي نفسه بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت .. لقطع يدها .

أسمى الخليفة روحًا . وأعلامهم نفسًا وأزكاها وأعرفها بالله وأشدّها صلابة وقيامًا بحقه وأقومها بفروض العبادة ولوازم الطاعة مح تناسق غريب في أداء الواجبات واستيعاب عجيب لقضاء الحقوق ، يؤتي كل ذي حق حقه . فلربه حقه . ولصاحبه حقه . ولزوجه حقه ، ولدعوته حقه ولكل واجب من واجبات الانسانية ما تتطلبه من أداء وإتقان .

أزهد الناس في المادة وأبعدهم عن التعلق بعرض هذه الدنيا يطعم ما يقدم إليه ولا يعيب طعامًا قط . وإذا لم يجد ما يأكل قال إني صائم وینام على الحصير والأدم المحشو بالليف ويقول في المنعمين المترفين . إن لهم الدنيا ولنا الآخرة . قضى زهرة شبابه مع امرأة من قريش تكبره بخمسة عشرة سنة قد تزوجت من قبله وقضت زهرة شبابها مع غيره ولم يتزوج معها أحد وما تزوج بعدها لمتعة . وما كان في أزواجه الطاهرات بكرًا غير عائشة التي أعرس بها وسنها تسع سنين يهرع إليها الولائد يلعبن بالدمى وعرائس القطن والنسيج .

أرفق الناس بالضعفاء وأعظمهم رحمة بالمساكين والبائسين شملت رحمته وعطفه الإنسان والحيوان يغذيهم بحنانه ويعطف على الكل بحنانه ويقول في كل ذات كبد رطبة أجر . ويُعد الرفق بالحيوان قربة إلى الله . يشكر عليها عبده . ويكافئ فيها خلقه ويعتبر القسوة جريمة حتى على الحيوان الأعجم ويحذر أصحابه فيقول لهم "إن امرأة دخلت النار بسبب هرة حبستها فلا هي أطعمتها ولا هي تركتها تأكل من حشاش الأرض" .

وهو ﷺ مع راحة عقله ونضوج فكره . وقوة إرادته أرق الناس عاطفة ، وأرقهم شعوراً ، وأرقهم إحساساً يجد لزوجه من الحنان والوفاء ما يجعله يقول "حبب إليّ من دنياكم ثلاث : النساء ، والطيب ، وجعلت قرة عيني في الصلاة" ، ويجد لأبنه من الشفقة والحب ما يجعله يقول عندما فقده ما معناه "إن القلب ليحزن . وإن العين لتدمع . ولا نقول إلا ما يرضي الرب . وإنا بعدك يا إبراهيم لمحزونون" .

ويجد من الحنين لوطنه والميل لبلده التي نشأ فيها ونما بها ما يجعله تغرورق عيناه ويقول لأصيل الغفاري وقد أخذ يصف مكة بعد الهجرة "لا تشوقنا يا أصيل ودع القلوب تقر" .

ذلك قبس من نور النبوة ، وشعاع من مشكاة الخلق المحمدي الطاهر وإن في القول بعد لسعة وفي المقام تفصيلاً :

لقد وجدت مكان القول ذا سعة فإن وجدت لساننا قانلاً فقل

وإنك لتجد العظيم يعظم في قومه ويسود في عشيرته بخصلة واحدة من هذه الخصال . فكيف بمن حيزت له بحذافيرها وبلغ في كل منها نهايتها ؟ وإنك لتجد لكل عظيم هفوة . ولكل سيد كبوة . ولكل نابه نقيصة أخذت عليه . وعرفت عنه ، كأنه الكلف يشين وجه البدر أو الغمام يحجب نور الشمس وسل التاريخ ينبئك إنك لست بواجد شيئاً من هذا أمام عظمة النبي ﷺ فقد عصم من النقائص وعلا عن الهفوات وجل مقامه عن أن تلتصق به نبوة :

خلفت مبرءاً من كل عيب كأنك قد خلقت كما تشاء

ذلك من حيث المواهب التي اختص بها الله نبيه العظيم وحبا بها رسوله الكريم ، وأما من حيث عظمة العمل الذي قام به سيدنا محمد ﷺ فبربك قل لي أي عمل أعظم من الرسالة العظمي والنبوة الكبرى والدعوة العامة ، والإصلاح الشامل لكل الأمم بل للجن والإنس في كل ناحية من نواحي الحياة الدنيا وفي الآخرة ، وأي أثر أخلد من القرآن الكريم والتشريع القويم الذي تركه النبي ﷺ للإنسانية من بعده نهدي بهديه ونسير على ضوئه ونصلح بتعاليمه ونلجأ إليه ييأس الناس مما في أيديهم ، ويفلسون من نظمهم وقواعدهم "سُرِّيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَّلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ" .

لو لم يكن للنبي ﷺ من الفضل إلا أنه الوساطة في حمل السماء إلى الأرض واتصال هذا القرآن الكريم إلى العالم لكان فضلاً لا يستقل العالم بشكره ولا تقوم الإنسانية بكفائه ولا يوفي الناس بعض جزائه .

وناهيك بكتاب ضمن للناس إن اتبعوه صلاح الدنيا وسعادة الآخرة وعلاج المشكلات ودواء المعضلات لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

وأنت إذا أنعمت النظر في كتاب الله تبارك وتعالى رأيت القانون الشامل والتشريع الكامل الذي ضمن للفرد حقوقه وحرية وحدد له واجباته العامة والخاصة لله ولنفسه ولأسرته ووطنه وللعالم كله .
وضمن للأسرة سعادتها وهنائها بينائها على أفضل الأسس وأدق القواعد النفسية الاجتماعية ووصف أحسن العلاج لما يطرأ على الأسر من عوامل الإنحلال والفناء مع بيان أفضل الوسائل في توثيق الروابط بين أفراد الأسرة الواحدة على أساس تقدير الجميل والتعاون على الخير ووضع للأمة بعد ذلك أحكام النظم التي تبين صلة الحاكم بالمحكوم وتجعل الأمر شورى . والناس سواسية لا يتفاضلون إلا بأعمالهم ولا يتفاوتون إلا بحقهم ثم قضي على ذلك ببيان الصلة بين الأمم بعضها ببعض ووجوب تعاون بني الإنسان على خير البشرية العام والرقي بمستواها إلى نهاية ما قدر لها من الكمال الممكن .

كل ذلك عرض له القرآن الكريم في لفظ بليغ ، وإيجاز محكم وجاءت السنة المطهرة ففصلت مجمله ، وحددت مطلقه واستقصت جزئياته فكان تشريع الإسلام ، وهو ثمرة البادية – ووليد الصحراء وابن الفيافي القاحلة – أدق تشريع وأكمله وأوفاه وأصلحه على سموه عن النقد وتجافيه عن الخطأ "وَمَنْ يَبْنِغْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ" .

وأي عمل أعظم من هذا ، وأي أثر أخلد منه ؟ إن العالم كله إذا أجمع على عظمة أفلاطون لفلسفته وجمهوريةه وعلى فضل أرسطو وتبريزه في أخلاقه وقوانينه ، وعلى تقدير نابليون لعزيمته وتشريعه مع تعرض كل هؤلاء للهفوات والنقد المر .

ومع أن معظم نظراتهم لا تثبت أمام النقد ولا تتفق مع الواقعيات ، ومع أنهم جميعاً كان لهم من دراساتهم وتقلبهم في معاهد العلم ومدارس الثقافة ما يجعل ذلك ليس غريباً منهم ولا بعيداً عليهم .

إذا كان ذلك كذلك فإن من واجب العالم كله – ولا محيص له عن ذلك – أن يجعل عظمة محمد ﷺ في الخلق جميعاً فوق كل عظمة وفضله فوق كل فضل وتقديره أكبر من كل تقدير و قداسته أسمى من كل قداسة ولو لم يكن له ﷺ من مؤيدات نبوته وأدلة رسالته إلا سيرته المطهرة وتشريعه الخالد لكانا كافيين لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد :

كفاك بالعلم في الأمي معجزة في الجاهلية والتأديب في اليتيم

وأما من حيث ما أسداه إلى الإنسانية من فوائد وحبا به العالم من المنافع فحسبك أن تعلم أنه ﷺ المنقذ للبشرية مما ارتطمت به من أهوال وحروب في عصره الذي بعث فيه ، وأن العالم كله لن يجد العلاج لمشاكله والحل لكل معضلاته إلا بما وضع الإسلام من دواء ووصف من علاج ولو أن الناس كشفوا عن أعينهم غشاوة التعصب وطهروا قلوبهم من أدران الوهم لعموا أن كل مشكلات اليوم بل كل مشكلات العالم حلها الإسلام بأيسر الحلول ووصف لها أنفع الأدوية وليس بين العالم وبين الراحة والهناء إلا أن يعم تشريع الإسلام القويم وسيخلص الناس من تجاربهم إن بعيداً وإن قريباً إلى هذه النتيجة ولتعلمن نبأه بعد حين .

وأما بعد .. فإن كانت العظمة بالتبريز في أساليب السياسة فإن نبينا ﷺ ذلك السياسي الذي لم يخطئه التوفيق في موقف من مواقفه مع الصدق والمناصحة والبعد عن المخادعة والنفاق ، ولئن كانت بالمهارة في قيادة الجيوش وإحراز أعظم النصر بأقل التضحيات فهذا شأنه ﷺ في كل غزوة من غزواته أو سرية من سرايا جيشه المظفر .

ولئن كانت بقوة التأثير فإن تأثير النبي ﷺ في أصحابه لم ير التاريخ مثله في وقت من أوقاته أو صفحة من صفحاته وما رأت الدنيا جماعة من الجماعات سارت على هدي نبيها واتبعت سنة قائدها كتلك الجماعة المؤمنة المخلصة من أصحاب النبي ﷺ .

وإنك لتقرأ كتاب العظمة فترى عظمة محمد ﷺ أوضح سطوره وأروع معانيه ، فليعتز المسلمون بذلك ، وليكن لهم في نبيهم العظيم أسوة حسنة .

* * *

فلنستقبل شهر رمضان^(١)

إنه هلال رمضان . الله أكبر الله أكبر ربي و ربك الله اللهم أهله علينا بالإيمان والسلامة والإسلام والتوفيق لما تحب وترضى هلال خير ورشد . آمن بالذي خلقه الحمد لله الذي ذهب بشهر شعبان وجاء بشهر رمضان .

في مثل هذا الوقت من العام كنا نستقبل رمضان وها هو قد عاد في هذا العام بغرته المشرقة وطلعت البراقة المنيرة لنستقبله مرة أخرى ، فمرحباً بشهر الطاعة والتزكية والعبادة والطهر ، وترى هل شعر أحدنا بأنها حلقة من سلسلة الحياة المحدودة الحلقات نقصت ؟ ومرحلة من مراحل الأجل المعدودة قطعت وخطوة في طريق الحياة إلى النهاية الغائبة عن كل إنسان لا ندري كم كتب بعدها لكل منا من خطوات ، لقد تلاشت هذه الأوقات في محيط العمل الواسع الفسيح وذابت في طيات أمواجه كما يذوب الجليد صهرته الشمس وفنيت فناء لن تعود بعده أبداً وهكذا تتلاحق الأعوام وتتابع السنون .

حبذا لو كان كل واحد منا يحاسب نفسه إذا أصبح وإذا أمسي عن هذه الساعات التي هي أجزاء حياته فيم أنفقها وما الذي اكتسبه فيها وإلى أي مصير أدته وما من يوم ينشق إلا وينادي يا ابن آدم أنا خلق جديد وعلى عملك شهيد فاعتنم مني فإني لا أعود إلى يوم القيامة . ما أرخص الوقت في نظرنا وهو أغلى شيء أليس الوقت هو الحياة لقد قالوا إن الوقت من ذهب ولا أراهم إلا قصروا فإن الذهب إن ضاع منك عوضته والوقت إن ضاع لم تعوضه و لو أنفقت ملء الأرض ذهباً ومن ذا الذي يقيس الحياة بالذهب ؟ إن الذي جعل الوقت من ذهب بخسه حقه فالوقت في حياتنا هو كل شيء وإن كنا لم نعتبره بعد شيئاً وأعتقد أننا في اللحظة التي نقدر فيها أوقاتنا ونعرف كيف ننفقها فيما يتفق مع قيمتها ويتناسب مع قدرها نصبح

(١) نشرت بالعدد (٣٢) من السنة الثانية من مجلة الإخوان المسلمين ، الصادر في ١٣ ديسمبر سنة ١٩٣٤ م .

أرقى الأمم وأسعد الشعوب ، فهل يقدر هذا لنا ، نحن الذين ضبط لنا الإسلام الأوقات ضبطا ليس أدق منه ولا أروع وجعل للذين يراعون الشمس والقمر منزلة في الجنة ؟

تعالوا يا أحبائي : نري الذي استفدناه لأنفسنا أو لأمتنا خلال عام كامل مضي بدقائقه وساعاته وأيامه ولياليه ؟ هل اهتدينا في رمضان الماضي إلى أسلوب صحيح من أساليب تربية النفوس وتطهير الأرواح وتزكية الأخلاق فحرصنا عليه ونهجنا نهجه حتى جاء رمضان هذا العام فإذا نحن أزكى نفوساً وأصفى روحاً وأظهر أخلاقاً من ذي قبل ؟

هل تمكن قطر شرقي إسلامي خلال هذا العام من فرصة سانحة كسر فيها القيود والأغلال وخلص مما هو فيه من الويلات واندفع في طريق الترقى والكمال ؟

هل وفقت حكومة إسلامية أو زعامة شرقية إلى وضع قاموس اجتماعي يوقف تيار هذا الفساد الخلقي والاضطراب الاجتماعي والألم النفسي الذي يشمل كل مرافق الحياة ، وكان له في النفوس أسوأ الأثر وأعظم الضرر ؟

هل أجلى خصم من خصوم الإسلام عن ديار الإسلام ؟

وهل عادت أحكام الإسلام وتعاليم الإسلام في أمة من الأمم كما يريد الإسلام .. ؟

وهل صلحت أخلاق أبناء الإسلام كما يريد الإسلام .. ؟

هل أخذ المسلمون بأحكام القرآن الكريم وطالما سمعوه ووعوه وهم يعلمون أنه أساس الإسلام ؟ لا . إذا لم يجد علينا جديد نسر به ونفرح له ولا زلنا في موقفنا حيث نحن كما كنا منذ عام وإذا استمر الحال على ذلك لم يزدنا من الأيام إلا تأخراً وذلك ما يذيب لفائف القلب لوعة وأسى .

ولئن كان التفريط في الماضي جريمة فإنه في المستقبل أشد جرماً وأكبر إثماً فهيا يا أبناء الإسلام ننتهز فرصة رمضان الجديد لنتجدد .

تجددوا .. تجددوا .. يا شباب الإسلام . اخلعوا هذه النفوس الرثة البالية الخليعة الماجنة الضعيفة الناعمة الغارقة في الأمانى والشهوات واستبدلوا بها رمضان الجديد نفوساً أخرى جريئة في الحق شاعرة بالواجب مقدره للأمانة كلها فتوة وهمة وقوة ونزوع إلى المعالي وعزوف عن الصغائر وطموح إلى المجد الذي خلقه الله لكم في كتابه إذ يقول "وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ" .

جددوا أنفسكم وزكوا أرواحكم واستعينوا بالصلاة والصيام والطاعة والقيام وجددوا توبة نصوحاً ترضي ربكم فيرضي بها عنكم واحذروا أن يمر بكم رمضان ، فلا تصقل به النفوس ولا تزكي به السرائر ولا تطهر به الأرواح وليس بجميل أن ينادي منادي الحق تبارك وتعالى وقد جاء رمضان : يا باغي الشر أقصر ، ويا باغي الخير هلم فلا يبادر المسلمون إلى الإجابة ولا يسارعون إلى تلبية الداعي البر الرحيم

إنه شهر مناجاة وروحانية ولهذا أوتر أن تخلو بنفسك وتسجوب أصدقائك حسك في الخلوة من ليل أو نهار فتسأل نفسك عن واجبها نحو ربها ودينها وأسرتها وأمتها ووطنها وإلى أي حد قامت بشعب هذه الواجبات وفروعها وثق بأنك ستفهم عن نفسك في هذه الخلوة الربانية أكثر مما تفهم عني ولو كتبت لك أضعاف هذه الصفحات وثق يا عزيزي بأن العلم الصحيح إنما ينبع من الروح ويفيض من القلب بالله تراه يملأ نفسك بهجة وسعادة والله ولي توفيقنا وتوفيقك إلى ما يحبه ويرضاه .

* * *

رمضان [٢] (١)

ما أعذبها ساعة تلك التي يخلو فيها الإنسان إلى نفسه بعد متاعب اليوم وعناء العمل . وما أحلاها فترة حين يتخلص المرء من جلبة الحياة وضوضائها ثم يسمو بروحه في هذه الخلوة إلى فضاء من الأخيذة اللذيذة والخواطر العذبة .

ألا إن رمضان في شهور العام هو تلك الساعة الحلوة في ساعات اليوم فهو شهر خلوة نفسية يتجرد فيها الإنسان معظم وقته عن مطالب المادة ولوازم الشهوات وتسبح نفسه في عالم كله جمال وروعة وأنس وبهجة .

والفواصل في كل شيء أمر لا بد منه لتجديد النشاط وتوليد القوة وإعادة السرور واللذة . تلك سنة الله التي جبل عليها نواميس الخليقة جميعا . أفلست تري الليل فاصلة بين نهارين والنهار فاصلة بين الليلين وتصور كيف تكون الحال إذا فقدت هذه الفواصل ؟ أو لست تشعر بالنوم فاصلة بين اليقظتين واليقظة فاصلة بين النومين وما بالك إذا استبدت بك اليقظة أو دام عليك النوم سمرمداً ؟

وأحلى ما تكون هذه الفواصل عذوبة إذا كان قبلها من الأعمال فيه شدة وفيه عنف وأحب ما تكون هذه الفواصل إلى النفس إذا طال مدة المزاولة وغابت عنها الفترة الفاصلة .

(وبعد) فشهر رمضان هو فاصلة العام يدرك النفس الإنسانية وقد غرقت في المادة إلى أدقائها وزاوت عملا شاقا في مكافحة ما يحيط بها من ظروف الحياة ومطالبها حتى إذا جاء رمضان سما بها إلى عالمها وجردها من كل ما يحيط بها وطاف بها في عالم طالما استروحت إليه وحننت إلى رياضه ومعانيه ولهذا كان رمضان شهراً فاصلاً ممتازاً له فضله وقدسيته وأثره وميزته .

كان رمضان في الجاهلية فاضلاً ممتازاً جعلته العرب لتعبدها وخلوتها وتحنتها وعزلتها يتخلص فيه المتألهون من قبائلهم فيعبدون الله أيامه ولياليه حتى إذا انتهت أوقاته المباركة طافوا بالبيت ورجعوا إلى ما كانوا فيه من مزاولة أعمال ومخالطة أقوام وتلك هي السبيل التي سلكها المصطفى ﷺ حين أراد الله تبارك وتعالى أن يشرف الدنيا برسالاته وأن يبعثه رحمة للعالمين وكانت أول آيات القرآن نزولا إلى هذه الأرض في شهر رمضان "شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى

(١) نشرت بالعدد (٣٤) من السنة الثانية من مجلة الإخوان المسلمين ، الصادر في ٢٧ رمضان سنة ١٣٥٣ هـ .

وَالْفُرْقَان" وأنت جد عليم بأن القرآن الكريم هو صقال النفوس وطب القلوب ودواء الأرواح ولأمر كان رسول الله يدارس جبريل القرآن في رمضان .

وكانت غزوة بدر وهي الغزوة التي أيد الله فيها نبيه وأظهر دينه لأول عهد المسلمين بالدعوة العملية في رمضان كذلك "وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ" .

وكانت غزوة الفتح في رمضان أيضاً وبها عظم انتشار الدعوة في الجزيرة العربية وانتهت الموقعة الفاصلة بين الإيمان والشرك باستيلاء الإيمان على قلب الجزيرة ، وذروة سنام مدنها، وفخر أبنائها ، ومعقل عزتها وقدسيتها "مكة المكرمة" مستقر بيت الله العتيق "إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا * لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا * وَيُنصِرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا" .

وفي رمضان ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر والتي تعمر فيها الأكوان بالملائكة المقربين وتشرف بالروح الأمين .

ورمضان شهر معمور النهار بالصيام ومعمور الليل بالقيام وهو إذ كان شهر الخلوة فقد ميزه الله باستحباب الاعتكاف في المساجد والابتعاد عن ضوضاء الاختلاط وجلبه التقلب في شئون الدنيا استكمالاً لخلوة الروح وحرصاً على العبادة من فيوضات الحق في هذا الشهر على القلوب الصادقة التوجه إليه القوية الصلة به .

ولقد علم السلف الصالحون أن رسول الله ﷺ كان ينتهز فرصة هذا الشهر فيعمره بعدة صنوف من صنوف البر يحسن صوم نهاره وتلك فريضة الله التي فرضها على عباده ، ويفيض جوداً وندى بالصدقات وهو ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة وكان أجود ما يكون في رمضان

ويعمر ليله بالقيام تهجدا ونافلة فإذا صلى بالقوم تجوز في صلاته حتى إذا انصرف إلى رحله أطال ثم أطال يقطع الليل تسبيحاً وقرآناً .

ويدارس جبريل كتاب الله بما أن شهر رمضان هو شهر القرآن وبما أن أولي ما ينصرف إليه هذا النشاط الروحي والزكاء النفسي الذي يشع على الفؤاد من أنوار الصيام والقيام ففهم كتاب وتدبر آياته ومعانيه ويعتكف العشر الأواخر يشمر ويوقظ أهله ويشد المنزر .

كذلك كان رسول الله ﷺ وكذلك أخذ بسنته أصحابه الأكرمون رضوان الله عليهم وتبعهم على ذلك صالحو هذه الأمة بإحسان ، فكان منهم من إذا أقبل رمضان ودع أصحابه إلى العيد ثم انصرف بكليته وجزئيته إلى الطاعة وفر بجسمه وروحه وقلبه وفؤاده إلى الله .

ثم خلفت لهم بعد ذلك خلوف أضاعت الصلاة واتبعت الشهوات وأضاعت حكمة الفروض ونسيت أسرار الطاعات وهدرت كرامة الشهر الفاضل وتجاهلت قدسية الفريضة المحكمة فكان منها قوام استحكمت على قلوبهم الغفلة وران عليها ما كانوا يكسبون فأفطرت والناس صيام وجاهرت بالعصيان في غير عذر شرعي وبدون موجب صحي تحللاً واستهتاراً أو تبجحاً واستكباراً ويؤسفك ويؤسفني ويؤسف كل مسلم أن تفسو هذه الفاشية السوء بين سراة الأمة وكبارها حتى كادت تحقق فيهم الآية الكريمة "وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرًا مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ" .

هذا فلان باشا يتناول غداءه في كلوب لا أدري ما أسمه في نهار رمضان ، وهذا فلان يأكل الأكلات الثلاث ولا يستحي من البواب والسفرجي والطباخ والخادم ، وكلهم والحمد لله صيام ، ولست أنسى ذلك السفرجي الصالح الذي جاءني ذات يوم يلتاع أسى وحرنا وينتفض غيره ألمًا ويستقتيني في شأنه مع مخدومه الذي يلزمه أن يقدم له الطعام صباحًا وظهرًا في نهار رمضان .

هذا السفرجي يخاف الله تبارك وتعالى ويخشى سطوته ويتحرج من مساعدة مفطر على إفطاره وإن كان ذلك بحكم عمله ويهدده في مورد رزقه وهذا السيد العظيم في عرف الناس وفي طبقات المجتمع يحارب الله تبارك وتعالى ويجاهر بعصيانه ويستخف بشعور كل أولئك الذين يخشون الله ويخافونه .

أيها الرجل الغافل خير لك أن تعود إلى الطاعة وأن تمتثل أمر الله فإن أبيت إلا ما أنت فيه من عصيان فاعلم أن الله غني عنك وعن صومك وعبادتك وسوف يحاسبك حسابا عسيراً فكن أنت كيف شئت ولكن لا تستعجل غضبة الله عليك باستخفافك بشعور هؤلاء المستضعفين الصالحين من عباد الله واحذر أن تصيبك دعوة أحدهم فرب أشعث أغبر ذي طمرين لو أقسم على الله لأبره .

وهناك قوم آخرون صاموا كما يصوم الناس وقد يقومون كما يقومون ولكنهم أبعد ما يكون عن إدراك حكمة الصوم والانتفاع بفضيلة الشهر فهم في نهارهم إما نائمون وإما عاصون بكلمة نابية أو غيبة قاسية أو نظرة جانبية أو خطرة جافية وفي ليلهم متقلبون بين مجالس اللهو والعبث بله المعصية والرفث وفي طعامهم جشعون نهمون يجمعون الأصناف ويملأون البطون ورمضان عندهم شهر المآكل الطيبة والمشارب السائغة والملاهي والسهرات والتقلب بين أصناف المسليات⁽¹⁾ ، ولقد كان عهدنا فيما مضى بليالي رمضان أنها ساعات معمورة بالقرآن الكريم مأهولة بالعباد مشغولة بالأوراد . أفضل التسلية فيها زيارة إخوان ومجلس قرآن فإذا بنا نرى هذه الليالي الفاضلة تتضاعف فيها المعاصي وتتكاثر فيها الآثام وتصبح أوقاتها مشغولة بالمنكرات بعد أن كانت مأهولة بالطاعات .

أيها المسلمون .. هكذا يكون الانتفاع بشهر رمضان الذي أوشك أن يزايكم إلى حيث لا تعلمون من سيستقبله بعد ذلك ومن سيلحقه في طيات الزمن ولا بد مما ليس منه بد فاغتنموا أوقات رمضان في تجديد أنفسكم وتطهير أرواحكم والإقبال على ما يرضي عنكم ربكم ويضاعف لكم حسناتكم والله ولي توفيقكم إلى ما يحبه ويرضاه .

* * *

(1) رحم الله الإمام الشهيد ، لقد كتب ما كتب قبل ظهور التلفزيون الذي يحتشد له الفنانون ليعرضوا أعمالهم من أفلام أو مسلسلات ، حتى أصبح رمضان شهر التلفزيون لا شهر القرآن .
(جمال البنا)

فلنفتح الإسلام^(١)

الإسلام عقيدة وعمل :

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ" بهاتين الآيتين افتتح الحق تبارك وتعالى سورة مباركة من سور كتابه الكريم ودستوره الحكيم وقانونه المتين و قرأه المبين الذي أنزله للناس نورا وهداية وإصلاحا وسعادة "قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ" .

وإن قوما جري الإسلام على ألسنتهم وتردد ألفاظه في أفواههم ولم يخالط قلوبهم ولم يمتزج بأرواحهم ثم ادعوا بعد ذلك أنهم مؤمنون لم يقبل الله إيمانهم ولم يصدق دعواهم ورد عليهم قولهم فذلك قوله تعالى "قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا فُل لَّمْ نُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ" .

وهذا صنف من الناس ذكر القرآن كثيرا من مظاهر أهله في كثير من الآيات والشواهد وأنحي عليهم بالملائمة وتوعدهم بأليم العذاب ، وهو أن قل أو كثر لون من ألوان النفاق ولون من ألوان الكذب ولون من ألوان الغدر ، ولون من ألوان نقض ميثاق الله وميثاق رسوله ، ولون من ألوان الجهالة بأحكام الإسلام وتعاليمه ، ولون من ألوان خداع النفس أو خداع الناس ، وما يخدع هؤلاء إلا أنفسهم وما يشعرون ، وما ورد في هذه الألوان جميعا في كتاب الله وأحاديث رسوله يمس إن قليلا وإن كثيرا ، ذلك الذي يدعي الإسلام ويزج بنفسه بين أبناء الإسلام ويحسب نفسه في عداد أهل الإسلام على نسبة مطردة مع الخلف بين القول والعمل "إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا" .

لهذا كان المسلمون الأولون رضوان الله عليهم لم يعرفوا الإسلام ألفاظا منمقة ولا عبارات مزوقة ولا تقاسيم فلسفية ولا تعاريف علمية واصطلاحية وإنما كان إسلامهم "عقيدة" استقرت في قلوبهم واستولت على نفوسهم فدفعتهم إلى "العمل" العمل الذي ينطبق على هذه العقيدة ويحقق مراميها ويصدق مضمونها .

هل رأيت ذلك الذي جلس بين يدي رسول الله ﷺ فيما يرويه البخاري فسأله عن أركان الإسلام ثم قال : والله لا أزيد عليها ولا أنقص فقال ﷺ (أفصح إن صدق) ، وهل رأيت ذلك الذي بايع على الإسلام ثم سمع النفير فانتضي سيفه وحمل على عدو عقيدته يجالده حتى استشهد فأخبر عنه الرسول ﷺ في الجنة ، ما الذي دفع هذا إلى أن يجود بدمه في سبيل عقيدته لأول عهده بها إلا أنها خالطت قلبه وأسرت لبه وكانت كل شيء عنده وأغلي لديه من حياته ودمه . لا أريد أن أطيل عليك الحديث في شأن امتلأت به كتب السير الصحيحة وتعطرت بشذاه صفحات التاريخ الثبت وإنما كل الذي أقوله لك في هذا المقام إن أسلافنا الصالحين من أبناء الإسلام كان إسلامهم عقيدة ثابتة راسخة لا يأتيها الباطل ولا يحوم حولها

(٢) نشرت بالعدد (٣٥) من السنة الثانية من مجلة الإخوان المسلمين ، الصادر في ١٤ فيراير سنة ١٩٣٥ م .

الشك ولا تزحزحها الريبة . عقيدة تخللت كل مسالك الروح منها وجرت مجري الدم في عروقهم ودفعتهم إلى عمل صحيح محكم ، وجعلت سرية أحدهم كعلانيته وعلانيته كسريرته ، لو علم أن اليوم آخر أيامه لما زاد على ما كان يعمل ، ولو أنك سألت أحدهم تشقيق الكلام وتفصيل الأحكام وتفريع الفروع والإفتاء في الوقائع فقد لا تجد ذلك إلا عند النادر منهم والقليل فيهم لاعتن تقصير منهم في الفهم فهم أفهم خلق الله لدين الله ولكن عن انصراف منهم إلى لب الأمر ، إلى العمل الذي أمرهم الله به فقال تعالى "وَقُلْ اَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ" .

ثم جاء من بعد هؤلاء خلوف جعلوا دينهم ألفاظا تخالف عقائدهم ودعاوى لا تصدقها أعمالهم واقتصرت عقائدهم على حناجرهم فهم يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم ويتلون أحكام الله وهم أبعد الناس عن انفاذها وتحقيقها وصار نصيبهم من الإسلام أن يلصقوا أنفسهم بالإسلام .

هذه حال أدت بنا إلى ما نحن فيه من اضطراب في النظم وخلل في الفكر وفوضى في الآراء ، والحمد لله إذ فطن الناس إلى هذا فبدت منه بادية خير تبشر بعودة إلى الحق ورجعة إلى الله . وإن كان ذلك كذلك فهيأها أيها الإخوان نفهم الإسلام ونزن أعمالنا بميزانه الصحيح . ولنعرض مظاهر حياتنا على ما يريده الإسلام منا . والحكم بيننا كتاب الله وسنة رسوله اللذان لا يضل من أخذ بهما واهتدى بهديهما .

فإذا كنا كما يريد الإسلام منا . فالحمد لله ، وإن كنا غير ذلك فلنتخذ أحد الطريقتين . إما أن نعود إلى أحكام ديننا فيغير الله حالنا إلى أحسن حال . وإما أن نخلي سبيل هذا الدين . ونخف عن عاتقه فيسلك سبيله إلى العلاء ، إلى الظهور . إلى النصر حيث يأت الله لنصرته بقوم غيرنا لن يكونوا أمثالنا .

* * *

مدينة النور^(١)

هي طيبة هي مهبط الوحي ، هي مستقر رحمة الله تبارك وتعالى ، هي مؤي الخلفاء الراشدين ، هي مهد الأنصار من الأوس والخزرج هي التي أظلت أنبل جماعة عرفها التاريخ بأسره يوم أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله . هي مدينة رسول الله ومراد جبريل ومدرسة القرآن الكريم لأول عهد العالم به . هي بحق مدينة النور .

الله نور السموات والأرض ، وقد شاءت إرادته أن تختص هذه البقعة المباركة بالقبس الساطع والنجم اللامع من هذا النور الرباني فأشرقته به وأضاءت ، وستظل مشرقة مضيئة ما دامت السموات والأرض لأن نورها من نور الله الخالد الذي لا يفنى ولا يبيد .

"يأيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً" أجل ، رسول الله صلي الله عليه وسلم هو السراج المنير بعث النور والهداية في أنحاء الدنيا وأشع الأضواء في بقاع العالم فاسترشد الحائر واهتدى الضال وتعرف الجاهل سبيل الله بعد أن طال به الإعياء وسدت أمامه المسالك ،

(١) نشرت بالعدد (٣٧) من السنة الثانية من مجلة الإخوان المسلمين ، الصادر في ١٨ فبراير سنة ١٩٣٥ م .

وإنها لترجمان صادق للشعور بهذه الحقيقة تلك الكلمات التي أوحاها قلب العباس رضي الله عنه إلى لسانه فسمعناه يترنم :

**وأنت لما ولدت وأشرق الأضواء وضاءت بنورك الأفق
فنحن في ذلك النور والضياء ء وسبل الرشاد نحترق
من قبلها طبت في الظلال وفي مستودع حين يخصف الورق**

أجل أجل لقد طاب رسول الله ﷺ سرًا خفيًا وطاب رسول الله ﷺ وأفدًا على ربه مرضيًا ، وطابت به بقعة ضمت جسده الشريف واحتوت نوره الباهر الساطع فكيف لا تكون بحق مدينة النور .

يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نورًا مبينًا ، بعيشك أجنبي في أي بلاد الله غدًا جبريل وراح وشرف بزيارته الربى والبطاح زلفى نبي الله بكتاب الله ؟ أليس ذلك كله في طيبة وأي نور أبهر من نور القرآن ؟ وأي ضياء أسطع من ضيائه ؟ أفتشك بعد ذلك كله في أن طيبة مدينة النور .

لقد غمر نور الله قلوب السابقين الأولين من أهل المدينة المنورة فاندفعوا سراعا يبائعون رسول الله ﷺ على الإسلام ويوفون بعهد الله ويحفظونه ويموتون دونه حتى نزل في بعضهم قول الله تبارك وتعالى "من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً"

ولقد بهرهم نور القرآن الكريم يوم تلاه عليهم مندوب رسول الله ﷺ مصعب بن عمير فملك عليهم ألبابهم وأشرق به أفئدتهم حتى حمل هذا الإشراق زعيمًا منهم هو سعد بن معاذ على أن يجمع قومه فيخاطبهم في لهجة الجاد الموقن بعد أن تعرف منهم منزلته في نفوسهم وكرامته عليهم "كلام رجالكم ونسائكم على حرام حتى تؤمنوا بما أنزل الله على رسوله" ، فإذا بهم جميعًا مؤمنون بلسان واحد وقلب واحد ، ووقت واحد ، فاعجب لبني عبد الأشهل يبهرهم نور القرآن فإذا بهم في اللحظة من أبناء القرآن .

وأخيرًا هاجر إليهم البشير النذير وحل بواديهم السراج المنير فتكاملت لديهم ثلاثة أنوار . نور الله وكتاب الله ونور رسول الله فامتلات بهذه الأنوار قلوبهم وسطعت بأشعتها الوضاءة نفوسهم وانتشروا بها في آفاق الأرض من حدود الصين إلى مراكش فكان عنها ما تري من هداية في كل أقطار الدنيا وما تبصر من نور في كل مناجي العالم .

وورثها عنهم أبناؤهم فأصبح أهل المدينة ولا غرو أرق الناس طباعا وأزكاهم نفوسًا وألينهم قلوبًا وأطهرهم أرواحًا وأتقاهم سرائر وأكرمهم وفادة وأحسنهم معاملة وسل الزائرين فعندهم الخبر اليقين .

هؤلاء الغر الميامين من ورثة النور ، وجيران رسول الله ﷺ وحراس حرمة الأمين أصابتهم السنون بلأوائها وعضتهم الأزمة بنابها وألمت بهم حادثات الزمن فإذا بهم في خصاصة شاملة وحاجة بادية وشدة محيطية .

لم يأخذ ذلك من نفوسهم ولم ترتفع بالشكوي أصواتهم ولم يببوا لغير الله خصاصتهم ولم يرفعوا إلى غير بابهم حاجتهم لأنهم سلالة أولئك الأمجاد الذين كان أغنياؤهم أكرم الأغنياء بقول الله فيهم : "الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ" وفقراؤهم أعم الفقراء بقول الله فيهم : "يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَاقًا" .

وكيف يضجون بالشكوى ولهم في رسول الله ﷺ أفضل العوض وهو عليه الصلاة والسلام لهم خلف من كل فائت وعزاء في كل ملمة وأنس عند الوحشة والخير والبركة كل البركة وكيف يضجون بالشكوى وقد وعدهم الصادق المصدق

أن يكون لهم شفيعاً إذا هم صبروا على لأوائها وتحملوا عنت بلائها فالبلاء عندهم رحمة والضراء تضاعف لهم حسنات الصبر عليها فإذا بها لديهم نعمة . ولكنه صوت ارتفع من مصري كريم فإذا به يهز أريحية الأمة الكريمة وغيرها من أمم الشرق العريقة في الفضل والبذل وإذا بالجميع يتسابقون في بذل المعونة لجيران رسول الله وأبناء الطيبين الطاهرين من أنصاره^(١) .

فشكراً للمتسابقين إلى الخير ، شكرا يتمثل حسنات في صحفهم ويبدو لهم يوم القيامة نوراً في موقفهم ويظل رضوانا من الله ورسوله يهبط على قلوبهم ز وشكرا للصحافة التي قادت الفكرة إلى النجاح والتسديد وحدتها إلى الخير والتوفيق .

ومن استطاع أن يكون له في هذا الخير سهم يتقرب به إلى الله ورسوله فلا يسوف وفي ذلك فليتنافس المتنافسون .

* * *

أمة في ميدان الجهاد^(٢)

ليست أمة أولى من أمم الشرق الإسلامي بأن تكون في ميدان الجهاد . فقد دنت الآونة وأزفت الأزفة ولا ندري لعل الساعة تكون قريباً فقد جاء أشراتها وهذه نذرها تتوالى سراعا وتمر تباعا وهي فرصة قد تكون لنا وقد تكون علينا فهي إن انتهزناها وأحكمتنا الانتفاع بها نغسل فيها عار العبودية ونتسم نسيم الحرية ونرد بها حقا مغصوبا ومجدا مسلوبا وهي إن بغتتنا على غرة وأخذتنا ونحن في غفلة علينا تعركنا بنفالتها ويكون علينا غرمها ولغيرنا غنمها .

فأمم الشرق في مركز حرج دقيق وليس أولى منها باليقظة والتبصر والحذر والاستعداد فكل أمة من أمم الشرق أمة مجاهدة ولقد زعموا أننا كذلك فهل هذا صحيح؟ أستطيع أن أتصور المجاهد شخصا قد أعد عدته وأخذ أهفته وملك عليه الفكر فيما هو فيه من نواحي نفسه وجوانب قلبه فهو دائم التفكير ، عظيم الاهتمام على قدم الاستعداد أبدا إن دعي أجاب وإن نودي لبي ، غدوه ورواحه وحديثه وكلامه وجده ولعبه لا يتعدى الميدان الذي أعد نفسه له ولا يتناول سوي المهمة التي وقف عليها حياته وإرادته يجاهد في سبيلها تقرأ في قسماات وجهه ، وتري في بريق عينيه ، وتسمع من فلتات لسانه ما يدل على ما يضطرم في قلبه من جوي لاصق وألم دفين وما تقيض به نفسه من عزيمة صادق وهمة عالية وغاية بعيدة . ذلك شأن المجاهدين من الأفراد والأمم فأنت تري ذلك واضحا جليا في الأمة التي أعدت نفسها

(١) يشير الإمام الشهيد إلى مجاعة أمت بأهل المدينة وقت كتابة هذا المقال (١٩٣٥م) ، وقام عدد من سراة مصر بفتح باب التبرع ، وأذكر إنني رأيت في صحيفة "الإخوان المسلمين" صورة للأستاذ عبد الرحمن البنا يخطب ووراءه يافطة كبيرة "تبرعوا لفقراء المدينة المنورة" .
(جمال البنا)

(٢) نشرت بالعدد (١٨) من السنة الثالثة من مجلة الإخوان المسلمين ، الصادرة في يوم ٢٣ أغسطس سنة ١٩٣٥م .

للجهاد . تلحظه في مجالسها وأنديتها وتراه في أسواقها وشوارعها . وتستشعره في مدارسها وبيوتها وتستجليه في شبابها وشيبيها ونسائها ورجالها حتى ليخيل إليك أن كل مكان ميدان وكل حركة جهاد .

أستطيع أن أتصور هذا لأن الجهاد ثمرة إدراك يولد الشعور وينفي الغفلة والشعور يبعث على الاهتمام واليقظة . والاهتمام يؤدي إلى الجهاد والعمل ولكل ذلك آثاره ومظاهره .

أما المجاهد الذي ينام ملء جفنيه ويأكل ملء ماضغيه ويضحك ملء شذقيه ويقضي وقتا لا هيا لآعبا عابثا ماجنا فهيئات أن يكون من الفائزين أو يكتب في عداد المجاهدين .

والأمة التي تري كل حظها من الجهاد كلمات تقال أو مقالات تكتب ثن إذا فتشت قلوب القوم وجدتها هواء وإذا خبرت اهتمامهم بالأمر رأيتهم هباء وانغمسوا في غفلة لاهية ونومة عابثة فمحالهم وأنديتهم ومجامعهم وبيوتهم لا تري فيها إلا لهوا ومجونا وعبثا ودعاية ولعبا وتسلية وقتلا للوقت في غير فائدة كل هم أحدهم متعة فانية أو لذة زائلة أو ساعة مرحة أو نكتة مستملحة فهذه الأمة إلى الهزل أقرب منها إلى الجد بل لاحظ لها في الجد أبداً .

فأين نحن الآن من ميدان الجهاد ؟ إن أردت أن تعرف فارقب الشواطئ والمصايف والمرابع والمخارف والقهاوي (والبارات) والمراقص (والصالات) والمجامع والمنتديات فهناك المجاهدون .

يا قومنا اسلكوا سبيلا غير هذه أو فدعوا علم الجهاد "فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ" .

* * *

صوت من الريف^(١)

الآن ونحن نودع الريف نودعه بقلوب حزينة مكلومة وأنفس آسفة متألمة . فوارحمته ، لكم يا أبناء ريف مصر وما أعز مكانكم من نفوسنا وما أحب إلينا أن تسعدوا لو كان يطاع لقصير رأي . في الريف أمراض فتاكة تهاجم أهله البائسين فتراهم شحب الوجوه ضمير الحواصل خائروا القوي سريعو الأنفاس فهناك الملاريا و صنوف الحمي وهناك الرمد الذي يعقب فقدان حاسة البصر ولقد راعنا ما رأينا من كثرة عدد المكفوفين في كثير من القرى . وهناك البلهارسيا والدوسنطاريا وفقر الدم . والمستشفيات العامة تخفف ويلات هذه النكبات ولكن يحول دون تمام النفع أمر أن أولهما قلة هذه المشافي حتى أنها لا تقي بحاجة الناس ولا ببعض هذه الحاجة وثانيهما سوء المعاملة في كثير منها مما يقف حائلا دون انتفاع القرويين بها والأمر الأول من واجب الحكومة علاجه والأمر الثاني من واجب رؤساء هذه المشافي تلافيه .

وفي القرى فقر وفاقة فالفلاح المصري كثيرا ما يكون أدمه خبزته وكثيرا ما تكون الغبراء فراشه والسماء غطاءه وإن كان ثم فراش فحصير بال أو حشية من القش وإن كان ثم مأوي فالكوخ الذي هو

(١) نشرت بالعدد (٢١) من مجلة الإخوان المسلمين ، من السنة الثالثة ، الصادرة في يوم سبتمبر سنة ١٩٣٥ م .

بحجرات السجون أشبه منه بمساكن الناس ، وثياب بالية رثة تبدو مزقا ويبدو منها هذا الهيكل الآدمي الذي ألح عليه الشقاء فصار أشبه بالموميات وحسبك أن تعلم أن احدي القرى تعطل مسجدها الوحيد وهو منتدي أهلها ومطهرتهم العامة من جراء خمسة جنيها تنقل بها بئر المياه من مكان إلى آخر صحي فلم تستطع القرية وفيها ألفان من الرجال أن تقوم بهذا العمل ووزارة الأوقاف نائمة قريرة . وحسبك أن تعلم أن بعض القرى توزع أرضها على الأهلين بنسبة فدانين لكل أسرة لا تقل عن عشرة أشخاص وحسبك أن تعلم أن الفتى القروي والفتاة القروية يرحبان بالعمل في بلد يبعد عن بلدهما مسافة تزيد عن ساعتين بالسيارة ليعمل كل منهما يومه لقاء أجر لا يزيد على خمسة عشر مليماً . هذه حقائق واقعة مؤلمة رأيناها في الريف ولا ندري أيعلمها أولو الأمر ويهملون أمرها أم لا يعلمونها فيقصرون بذلك في أقدس الواجبات الوطنية المفروضة عليهم .

وفي القرى جهل وخرافة فكثير من أبناء الريف لا يفقه ما يلقي إليه فضلا على أن يستطيع هو أن يبين عما يريد وهم لا يعلمون شيئا من أمر دينهم فلا يحسنون صلاة ولا طهارة ولا يؤدون عبادة على وجهها وكما كان مؤلماً منظر المدارس الإلزامية وهي إما خالية من الطلبة إلا قليلا

وإما مثال واضح لما عليه أطفال الريف من شقاء وبؤس ومع هذا تري كثيرا من علماء الدين وأئمتهم والمتفقيين فيه من الموظفين في المدائن والحوضر ينتهز فرصة أجازته الصيفية فيقضونها في الشواطئ والمصايف يلتمس الراحة من عناء الأعمال ولست أدري أية أعمال هذه التي أرهقته وهو يعمل وقتا محدوداً وينعم بما شاء في المدينة من المنام والمتع أو ليس من حق هذا الريفي عليه أن يفقه في دينه ويرشده إلى سواء السبيل ؟ أو ليس من الظلم أن يبالغ هذا الموظف في المتعة على حين أن يبالغ ذلك الريفي في الشقاء وهما أبناء وطن واحد وبلد واحد .

الريفي غر بسيط لا يعرف حق نفسه ولا حق أمته ولا وطنه ولا يعلم شيئا عن الشؤون العامة العامة لبلاده فضلا عن الشؤون العامة خارج هذه البلاد ومن حقه على المتعلمين أن يفقهوه في ذلك كله والا يدعوه أسير الجهل والخرافة ومن مصلحة زعماء الأمة أن يقودوا أمة تعلم ما لها وما عليها من أن يقودوا أمة كل علمها أن تنطق بأسماء هؤلاء الزعماء .

ما أشبه أمة الريف في مصر بطفل طيب القلب زكي الفؤاد حسن الاستعداد أضاعه أبوه وأهملته أمه وتركته أسرته للكوارث والحادثات .

أيها الوزراء والزعماء والمصلحون والمتعلمون : حقوق هذا الريفي وديعة في أيديكم وتبعه في أعناقكم تحاسبون عليها حسابا عسيرا بين يدي الله وأمام التاريخ فأريحوا أنفسكم واسعدوا ضمائرهم بأداء هذه الحقوق قبل أن تفكروا في إراحة الأجسام بنسيم الشواطئ وهواء البحر العليل وشمس البلاج المشرقة ووداعا أيها الريف ممن يود أن لو استطاع إسعادك ولو كلفه ذلك الحياة .

* * *

سؤال؟ (١)

"ما السبب في أننا نرى الشعوب المسلمة ذليلة ، ونرى أن ما استقل منها أخذ يندفع في طريق الخروج على التقليد والأخذ بما يسمونه التفرنج؟" .. هذا هو السؤال الذي وجهه إلى صديق أعلم عنه التمسك بدينه والغيرة على أمته . ألقاه في لهجة تتم عن ألم دفين ويأس من صلاح حال المسلمين . وما عرفت عنه من قبل إلا قلبا مفعما بالأمل مغمورا بالرجاء .

فأما أن المسلمين الآن مستعمرين أذلاء فليس لتعاليم دينهم في ذلك جريرة وعلم الله وشهد التاريخ أنهم يوم تمسكوا بها سادوا وشادوا أو عمروا الأرض وأناروا للإنسانية طريق الفلاح وأسعدوا الدنيا بحضارة لم تزل وستظل بهجة الحياة وحديث الدهر وعنوان الفضيلة بعد ذلك تنكروا لدينهم وجعلوه وأهملوه ولبسوه كما يلبس الفرو مقلوبا وأمامك الإسلام بتعاليمه القرآنية وسماحته الفطرية وغرره النبوية ، وأمامك ما يعبث به هؤلاء القوم ويسمونه إسلاماً أتراه يمت إلى الإسلام الصحيح بصلة قليلة أو كثيرة؟

خذ أي تشريع وتشريع الإسلام القويم وانظر بعد ذلك هل كان حظ قومنا منه إلا أنهم درسوه وحلوه وقسموه وحددوه وذرعوه ، ثم تركوه وفارقوه ومن طريف المفارقات المبكية أن تدخل معهدا من معاهد طلب العلم الديني في مصر فتري الطلبة يتذكرون دروسهم وفيهم من يتذاكر أحكام الصلاة فيؤذن للوقت وتقام الصلاة وهم جلوس يتذكرون أحكام الصلاة فحظ هؤلاء وأمثالهم من الإسلام أنهم درسوا الإسلام أما أنهم أسلموا فذلك مالا أستطيع أن أسلم به لهم ولأمثالهم .

الإسلام دين يتسامي بنفس المسلم إلى أعلى حدود الكرامة ويجعل له السيادة والعزة فهل فهم المسلمون هذا وعملوا به أم استبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير فصار إسلامهم ذلا ومهانة وضعفا واستكانة .

الإسلام ينادي بالجهاد في سبيل الحق وبيوت المجاهدين مقام درجات الدين فصرفه المسلمون عن معانيه السامية إلى معانيه الدينية وقنعوا من الجهاد بجهاد النفس كما وضعوا لأنفسهم لا كما أمرهم الله أن يكونوا ..

الإسلام خلق وفضيلة وإيمان ورجولة فأين أخلاق المسلمين من تعاليم هذا الدين؟ يطول بي القول إذا أوردت لك ما يمر بك الدقيقة تلو الدقيقة من مفارقات القوم وخروجهم على ما سن لهم هذا الدين الحنيف من أخلاق .

كل خير في تعاليم الإسلام . فيوم كان المسلمون مسلمين كانوا سادة ويوم نبذوا هذا الإسلام وشرعوا لأنفسهم ما لم يأذن به الله وصلوا إلى ما هم فيه وسيظلون كذلك حتى يعودوا إلى دينهم أن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وصدق رسول الله القائل إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم بأذناب البقر وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلا لا يرفعه حتى ترجعوا إلى دينكم.

(١) نشرت بالعدد (٢٣) من السنة الثالثة ، الصادر في يوم يوم ١٧ سبتمبر سنة ١٩٣٥م من مجلة الإخوان المسلمين .

أما الشعوب التي استقلت فإنها اندفعت في طريق نبذ التقاليد والأخذ بالتفرنج لجهل قادة النهضة بتعاليم الإسلام وبعدهم عنها ولرغبتهم في تقليد الأمم الغربية ومسايرتها ولضعفهم عن الوقوف أمامها والاعتزاز بما تراه هي حرباً عليها . ولأن كثيراً منهم لا يمت إلى الشرق إلا بصلة المولد وكثيراً منهم حرم حتى هذه الصلة وإنما هم شريون مولداً تربوا في أحضان الغرب وكرعوا من بؤرة ثقافته وعاداته وأخلاقه وأفكاره ثم رمي بهم الشرق فكانوا أشد عليه من الأجانب . ولأن المتدينين الذين صادفوا هؤلاء كان كثير منهم سبة على الدين ومعاوناً لهؤلاء على هدمه ومحاربتة في أشخاصهم وأشخاص أعمالهم التي لا تمت إلى الإسلام الصحيح . فهؤلاء المجددون أحد رجلين أما ماكر بالإسلام على علم وأما مخدوع لأنه يجهل تعاليم الإسلام وكلاهما خطر .

وهم وإن ظهروا بظهر القوة في بادئ نهضاتهم فسيكون لذلك الأمر ما بعده وسيكشف الزمن ما في ذلك من تزييف .

لو أتاح الله لهؤلاء القادة من يبصرهم الرشد ويزعهم عن التورط في مثل هذه المهاري السحيقة لتربثوا وأخذوا يسيرون بأمامهم في طريق تجديد إسلامي صحيح يعود بها إلى كتاب الله وسنة رسوله .

إلى الشباب العربي .. (١)

خلاصة الخطاب الذي ألقاه فضيلة الأستاذ المرشد في حفلة الشباب العربي بمني عام أدائه فريضة الحج (١٣٥٤) .

أيها الإخوان الكرم ..

و اسمحولي أن أدعوكم بهذا اللقب الإسلامي الكريم الذي اختاره الله للمؤمنين يوم ناداهم في كتابه "وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا" . بل أقول أيها الأخوة الكرام فإن الله يقول : "إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ" .

تحية الإسلام مباركة طيبة ، فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فلست بالخطيب الرسمي في حفلكم هذا الميمون وها أنتم ترونني بينكم بملابس المناسك وإنما هي سنة مباركة استنها الشباب العربي السعودي وفقه الله وأيده ، له أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة ، سنة دعوة الحجيج إلى التعارف والتآلف وتبادل الآراء والأفكار فيما فيه صلاح الحجاز الوطن الإسلامي المقدس أولاً وما فيه سعادة الأقطار الإسلامية ثانياً . وإذا كان الشاعر العربي الأول قد قال :

تمام الحج أن تقف المطايا على خرقاء واضعة اللثام

(١) نشرت بالعدد (٢٣) من السنة الثالثة من مجلة الإخوان المسلمين ، الصادر في يوم يوم ١٧ سبتمبر سنة ١٩٣٥م.

فإننا نعتبر من تمام مناسكتنا أن نقف على مثل هذا الحفل المبارك فننتعرف إلى إخواننا ويتعرفون إلينا . وشتان ما بين موقف هوي في الله والإسلام وموقف هوى خرقاء واضعة اللثام والله خير وأبقي . وذلك ما دعاني إلى أن أدعو نفسي إلى هذا الحفل ثم إلى التكلم إليكم فيه نزولا على ما أثارته خطاباتكم البارعة من شجن كامن في النفوس وهوي لاصق بالفؤاد .

أيها الشباب العربي الكريم ..

لا نريد أن نمدحك فأنت غني بفضائك عن المدح ونحن في حاجة إلى الوقت ولا نريد أن نشكرك على هذه الحفاوة فإنما نزلت فيها على طبعك الكريم وشيمتك العربية من كرم الوفادة وقرى الأضياف ولكننا نريد أن نتناجي بالآمال والآلام ونتلاقى بالعواطف والأرواح ونتواصي بالحق والصبر .

أيها الشباب العربي الكريم ..

لقد كان هواك من قبل عاطفة فاضلة . فأصبح اليوم حقيقة ماثلة . كان عاطفة يهزها قول الله تبارك وتعالى : "وَإِذْ جَعَلْنَا النَّبِيَّ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى" ، وقول الرسول ﷺ لأصيل حين سألته السيدة عائشة الصديقية عن مكة فأخذ يصف لها ريف عرارها وأريج زهرها حتى أغرورقت عينا الرسول ﷺ وقال (يا أصيل دع القلوب تقر) ، وقول بلال رضي الله عنه :

**الأليت شعري هل أبيتن ليلة بواد وحولي أنخر وجليل
وهل أردن يوما مياه مجنة وهل يبدون لي شامة وطفيل**

وقول شيخ الأباطح في لأميته :

وثورا ومن أرسى ثبيرا مكانه وراق لبر في حراء ونازل

وقول المجنون :

وداع دعا إذ نحن بالخيف من منى فهيج أشجان الفؤاد وما يدري

كنا نسمع ذلك كله فيهب عاطفتنا ، ويهيج شجوننا ، ونرقب ذلك اليوم الذي نسعد فيه برؤية البيت الكريم ونري مكة المقدسة ونتشرف برؤية آثارها واستجلاء أسرارها ، ونقف بالخيف من منى ، لا لتغني بليلي المجنون ولكن كل يغني على ليلاه . ذلك هو حبكم ياشباب العرب حين كان عاطفة فاضلة ، أما الآن ونحن بين حراء وثبير ، وفي أرض شامه وطفيل ، وفي أحضان الخيف من منى فأنا نستشعر حبكم والانعطاف إليكم حقيقة ماثلة نسعد بها ، ونشكر الله عليها . فأدام الله ارتباط القلوب المسلمة وجعل هذه الرابطة مصدر الخير والبركة للشرق والإسلام إن شاء الله .

أيها الشباب العربي :

تحدث خطيبكم الأول أن الإسلام دين يجمع بين مصالح الدنيا والآخرة وهذه حقيقة واضحة ملموسة تراها أجلي ما تكون إذا تصورت أن الصلاة وهي لب العبادات وأقدس أعمال الآخرة لا تتم بغير القرآن الذي تقرأ منه وأنت مستغرق في مناجاة ربك أمثال قول الله تبارك وتعالى "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبَ بَيْنَكُمْ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَخْسُ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا

يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمَلَّ هُوَ فَلْيَمَلِّ وَلِيَهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ
وَأَمْرًا تَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشَّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكَّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وَلَا يَأْبَ الشَّهَدَاءُ إِذَا مَا
دُعُوا وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا
إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ
كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفَلَّوْا فَإِنَّهُ فَسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ" ، ومثل قوله
تعالى "وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ" .

مما هو من صميم الشئون الدنيوية ويقابل هذا أنك وأنت مستغرق في سعيك على الرزق وطلب
الكسب وهو لب أعمال الدنيا تسمع قول رسول الله ﷺ (إن الله يحب المؤمن المحترف) ، وقوله : (من
أمسى كالا من عمل يده أمسى مغفوراً له) فيجعل عمل الدنيا من كسب الرزق سبباً لعمل الآخرة وهو
مغفرة الله .

هذا الارتباط الوثيق بين شئون الدنيا والآخرة واضح كل الوضوح في كل ناحية من نواحي التشريع
الإسلامي وإنما أتى المسلمون من ناحية فهمهم دينهم من جهة واحدة فقط .

لهذا حين نجد الشباب العربي يقرر هذه الحقيقة نظمت كثيرا ونعلم أنه قد تعرف موطن الداء وأخذ
في الدواء .

وتحدث خطيبكم الثاني فذكر نهضة الحجاز وأنها لا تزال نهضة وليدة إن كانت مظاهرها الآن
ناشئة فستكون غدا إن شاء الله قوية واضحة فليطمئن الأخ الفاضل فهكذا الكائنات جميعا والطفرة محال
وشأن الأمم شأن الأفراد فنهضة الحجاز الفتية وسمي بجئ بعده المطر وباكورة يتوالى وراءها الثمر :

وإذا رأيت من الهلال نموه أيقنت أن سيصير بدرًا كاملا

ومما يطمئن على هذه النهضة المباركة هذا التواضع الفاضل والتقدير الحكيم . ونحن نعلم أن بواجر
نهضتكم أكثر مما صورتكم وذكرتم . وما دتم ترون أنكم في حاجة إلى الاستزادة فأنتم دائما إلى الخير
والحمد لله وإلى الإمام إن شاء الله ، هذا من جهة ومن جهة أخرى ، فإن هذا الطموح والأمل الذي يلوح
على وجوهكم ويفيض على ألسنتكم . ويتفجر من قلوبكم يزيد الاطمئنان على النهضة العربية . وبالأمل
تحيا النهضات . وباليأس تموت . ولا يأس مع الحياة . ولا حياة مع اليأس وحقائق اليوم أحلام الأمس .
وأحلام اليوم حقائق الغد . ومن يعيش ير "فإن مع العسر يسرا" * إن مع العسر يسرا" ، وقد حرم الله في
كتابه اليأس على المؤمنين ، فقال تعالى : "لا يئس من روح الله إلا القوم الكافرون" ، كما أبان أنها
عوارض تنتاب الأمم ، ثم تتبدل الحال غير الحال فإذا الضعيف قوي وإذا القوي ضعيف "إن يمسسكم
قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس" ، ومن قرأ هذه الآية العجيبة وأنعم النظر لم
يجد عذرا في القعود لأمة ضعيفة ورأي كيف يبذل الله أحوال الأمم وكيف يقتص عدله الشامل من الظالم
للمظلوم ويأخذ بالحق من المعتدي للمهضوم . تلك آية الله في كتابه . أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله
الرحمن الرحيم "طسم * تلك آيات الكتاب المبين * نلوا عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون
* إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحي نساءهم إنه

كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ * وَتُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَنَمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْدُرُونَ" ، ألا أن هذه الآية الكريمة في كتاب الخلود قانون من قوانين الوجود إن انطبق في الماضي فهو أشد ما يكون انطباقاً في الحاضر "سُئِرِهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ" ، فلا تياسوا "وَلَا تَهْؤُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ" .

وتحدث خطيبكم الثالث فذكر أن نهضة الحجاز تقوم على أساس من الإسلام المتين وترتكز على الدعوة إلى الله وإعادة مجد الإسلام . مرحى .. مرحى أيها الإخوان لقد أصبتم الفطرة وهديتم إلى الرشد . وأحب هنا أن أنصح لكم عن عاطفة من الإشفاق تنتاب نفسي وتحز في قلبي فلعل في هذا الأفصح تذكرة وتحذيراً .

أيها الإخوان :

لقد وقف الشرق بعد الحرب العظمى على مفترق طريقين طريق مدنية أوربا وتقليدها والسير وراءها وطريق استحسان الحضارة الشرقية والقومية الشرقية وإحياء مجد الإسلام وتعاليم الإسلام ولكل من الطريقين دعاته والمنادون به ومروجوه . فأما بعض الأمم الشرقية فقد اندفعت في الطريق التقليدية اندفاعاً قوياً شديداً حتى صارت "ملكياً أكثر من الملكيين" ، وبعض آخر أخذ يسير في الطريق أيضاً فغير الأرياء والأوضاع والنظم ولا يزال يسير لا يلوي على شيء . وفريق ثالث لا يزال حائراً لا يدري بأيهما يأخذ يجذبه الهوي إلى الغرب ويرده الإيمان إلى الشرق ، ومن وراء ذلك بقية من أثر السلف الصالح لا تزال تتحرى أحكام الله ومجد الإسلام ، وتعزز بالشرق والعروبة ، ومن هذه البقية طركم المقدس ومن عجب أن القرآن الكريم قد ذكر الطريقين وفضل السبيلين وأرشد إلى أيهما خير مقاماً وأحسن ندياً واسمعوا قول الله تعالى : "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ * بَلْ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ" ، وأعجبوا من كتاب يسبق الحوادث بروائع آياته ، ويهدي الناس بواضح بياناته " وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا" .

هذا تصوير يمثل حالة الأمم الإسلامية الآن ، ورجاؤنا إلى الشباب العربي النبيل أن يعلم تمام العلم أن الإسلام دين تام كامل فصل مصالح الدنيا والآخرة ورسم للناس سبل السعادة وهو وحده الكفيل بإنقاذ الإنسانية وتخليصها من مشاكلها المعقدة ، وسيعلم العالم كله وقد جف ريقه ، واكتوى حلقه بنار الشك والغرض والالحاد ، انه لا ينطفئ ظمؤه إلا بعذب برود من منهل كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ولتعلمن نبأه بعد حين ، فنادوا بالإسلام وتعاليمه ، واستمسكوا بالشرق وحضارته وأقنعوا العالم كله بانكم على حق وبأن غيركم في شبه ، واحملوا قارورة الدواء من كتاب الله وهو الشفاء لما في الصدور وقدموها إلى الإنسانية المعذبة ، واحذروا إن يجرفكم التيار أو تجتالكم الشياطين ، أو يستعزكم الهوي أو تروج فيكم الخدعة ، واعلموا أن سنة الله لا تتخلف "فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ" .

في الإسلام الغاية والوسيلة ، وذلك تعبير ، له تعبير ، وكلكم يوسف هذه الأحلام والاستقصاء أمر يطول وحسبكم قول رسول الله ﷺ : والله ما تركت من خير إلا وأمرتكم به وما تركت من شر إلا ونهيتكم عنه" ، بل قول الله تعالى "الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ

وَالْإِنْجِيلَ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ" .

أيها الشباب العربي الكريم ..

لا تستصغروا أنفسكم ، ولا تحتقروا مهمتكم ، فإنكم أساتذة العالم وأئمة الشعوب ، وأمناء الله على هدايته العظمي للبشرية كلها ولئن تعالت أصوات الغرب من كل جانب : ألمانيا فوق الجميع وإيطاليا فوق الجميع ، وسودي يا بريطانيا وأحكي وكانت تلك كلمات اخترعوها لأنفسهم ، وابتدعوها ما يريدون بها التهام الضعفاء والعدوان على الأمنين ، فإنكم أنتم يا شباب العروبة والإسلام أحق الناس بهذه النعوت والأوصاف لا بدعة تبتدعونها ولا خدعة تسترون وراءها ولكن حقا مقدسا سجله الله لكم في كتابه يوم أنزل على رسول الله ﷺ "كنتم خير أمة أخرجت للناس" لا لتستبدوا بحقوق الضعفاء ولا لتعتدوا عن الأمنين ولكن كما قال الله تعالى "تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله" ، وثقوا يا إخواني إني حينما أخطب شباب العروبة لا أريد للعروبة ذلك المعنى الضيق المحدود الذي يحصرها في قطر من الأقطار ولكن أريد ذلك المعنى الفسيح الرحيب الذي يضم كل شبر أرض فيه مسلم يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله :

إن العروبة لفظ إن هتفت به فالشرق والضاد والإسلام معناه

أيها الشباب العربي الكريم

إن الله تبارك وتعالى قد اختار نبيكم لهداية البشر كافة فهو ﷺ أستاذ الإنسانية وقد بلغكم الرسالة وأدى إليكم الأمانة وترككم من بعده لتتموا ما بدأ به فأنتم أساتذة الإنسانية من بعده والله تبارك وتعالى يقول : "وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا" .

فاذكروا دائما انكم ورثة رسول الله ﷺ وورثة الغر الميامين من بعده من صحابته :

من الرجال المصابيح الذين همو كأنهم من نجوم حية صنعوا

أخلاقهم نورهم من أي ناحية أقبلت تنظر في أخلاقهم سطعوا

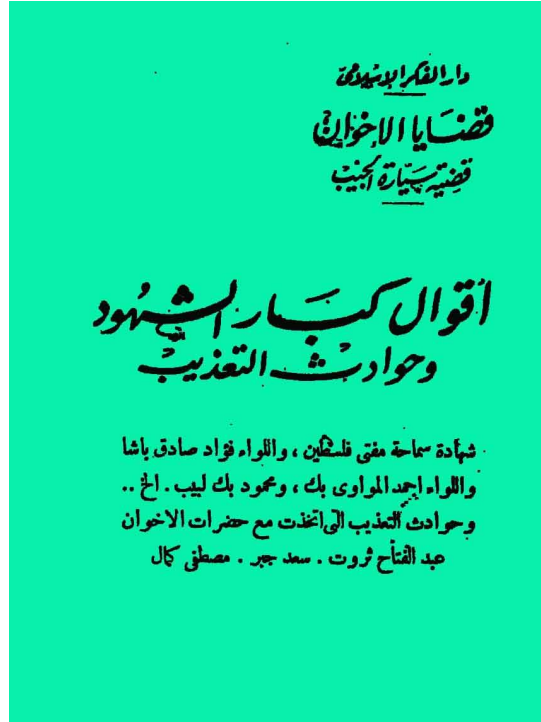
فاقتدوا بهم ، وسيروا على أثرهم ، وجددوا ميراثهم ، وأحيوا مجدهم ، واعلموا أن الله من ورائكم . وفي مصر شباب وحد بين قلبه و قلبكم الأمل والألم ، يشعر بشعوركم ويحس بإحساسكم ويضم جهوده إلى جهودكم بقلبه وجوارحه ويعاهدكم أن يكون معكم في جهادكم فأما الغاية وأما الموت النبيل في النهاية:

عهدو كتبنا عقدها في ضمائر على الصدق يطويها الوفاء وينشر

البَابُ الرَّابِعُ في ساحات القضاء

- (١) أقسام كبار الشهود .
- (٢) المرافعات (قضية سيارة الجيب) .
- (٣) مرافعة في قضية الإمام الشهيد .

(١)



تقديم :

جمعت بيني وبين الشيخ محمد فرغلي قطب الإخوان ورئيس شُعبة الإسماعيلية .. وأحد شهداء عبد الناصر ، علاقة أوثق من المعرفة ، وأقل من الصداقة ، وبفضل هذه العلاقة كوّننا "دار الفكر الإسلامي" ودفع هو رأسمالها وقدره خمسون جنيهاً ، على أن أقوم بالعمل ويقسم العائد مناصفة ، وكان ذلك في الفترة التي أعقبت نظر قضية "سيارة الجيب" المشهورة التي كانت تحمل وثائق النظام الخاص ، فبدأنا بهذه الرسالة "رسالة أقوال كبار الشهود .. وحوادث التعذيب" ، وأصدرناها بصورة أفضل قليلاً مما كانت تصدر به رسائل الإخوان ، ولكنها مع ذلك كانت طبعة شعبية ، وكانت تحت يدنا كل وثائق التحقيق وأوراقها ؛ لأن الأستاذ عبد الكريم منصور المحامي كان أحد المحامين فيها وكنت قد اتخذت من مكتبه مقراً مؤقتاً ، وحتى تكون الوثائق كلها تحت يدنا (والأستاذ عبد الكريم هو زوج شقيقتي فوزية رحمهما الله) ، وكتب الشيخ فرغلي مقدمة موجزة لها ، وهي تؤدي الهدف من إصدارها .

ثم أصدرنا بعدها كتيبين كان كل واحد منهما في ضعف حجم رسالة "أقوال كبار الشهود" ، لخصنا فيهما مرافعة المحامين وأسئلة المحكمة .. إلخ ، ولم نعرث للأسف الشديد على الجزء الأول ، فأصدرنا الجزء الثاني الذي وجدناه .

ومع وقوع الانقلاب العسكري الناصري ، وما أعقبه من احتدام العداوة مع الإخوان سنة ١٩٥٤م ، وحل الهيئة ، ومصادرة مكانها .. إلخ ، اختفت "دار الفكر الإسلامي" بعد أن فقدت كل شيء ، ولكن الله تعالى مكنتني من أن أعيد تكوينها مرة أخرى في ظروف مختلفة وبشكل أفضل .

جمال البنا

مُتَكَلِّمَةٌ

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

كانت القضايا السياسية الكبرى وما زالت هي النقط البارزة في تاريخ الهيئات والجماعات ولها أثرها البالغ في تكوين الرأي العام الحر الذي يعتبر أساساً صحيحاً للحياة الرفيعة ومظهرًا سليماً للشعوب الكريمة .

وهذا الجزء "شهادة الكبار" حلقة من حلقات قضية سيارة الجيب وهي كبرى قضايا الإخوان المسلمين ، وفي عزمنا أن نستكمل هذه الحلقات ليتكون لدى الرأي العام بمجموعة كاملة لهذه القضية الفذة الغريبة الأطوار التي تسجل تاريخ فترة من أدق فترات الزمن في حياة الأمة الإسلامية ، وتحتوي أعجب الوثائق والدراسات والتحقيقات وهي تأخذ دوراً هاماً في نظرها أمام المحكمة ويحتشد للدفاع فيها مجموعة جبارة من خيرة المحامين الأفاضل في مصر .

وقد تعجلنا إصدار هذا الجزء من القضية ، ونرجو أن نوفق إلى نشر أهم المرافعات وإلى بيان وافٍ عن ظروف القضية وأدوار تحقيقها وخلصتها محتوياتها وتعريف موجز عن أشخاص هذه القضية والمتهمين فيها .

لقد اتخذت حكومة النقراشي باشا من هذه القضية سنداً لإصدار الأمر العسكري بحل جماعة الإخوان المسلمين ، وكانت القضية في بداية تحقيقها لم يتبين من أمرها إلا الإيسير وقبل ذلك بشهر واحد كان قد أصدر أمراً عسكرياً بحل جماعة الإخوان المسلمين في مناطق القنال "الإسماعيلية وبورسعيد" على أثر وجود مجموعة كبيرة من الأسلحة والذخائر مطمورة في أرض عزبة زراعية على جانب المعسكرات البريطانية فيما بين الإسماعيلية والقنطرة .

ولم يمض إلا القليل حتى جاءت حادثة سيارة الجيب فأقدم النقراشي على عمل هو أخطر ما مر بالعالم الإسلامي في العصور الحديثة ألا وهو الأمر العسكري المشؤم الخاص بحل جماعة الإخوان المسلمين .

ولهذا الأمر قضية خاصة منظورة أمام مجلس الدولة سننشر لها جزءاً خاصاً إن شاء الله .

محمد فرغلي

شهادة سماحة الحاج أمين الحسيني

مفتي فلسطين

(قالت مجلة المصور : حينما دعت المحكمة للشهادة لم يناده الحاج بصوته الجمهوري بل ذهب إليه بعض رجال البوليس ، وجيء له بكرسي فجلس في حرم المحكمة وكان يتكلم بصوت خافت ، وبهدوء شديد) .

س : هل كان لجماعة الإخوان المسلمين حركة مشاركة في حرب فلسطين ؟

ج : نعم كان للإخوان المسلمين حركة مشاركة في حرب فلسطين منذ البدء وقاموا بدعاية لها ثم شاركوا بأنفسهم في سنة ١٩٣٦ أثناء الجهاد هناك وجمعوا أسلحة وذخيرة وذهب فريق منهم إلى الجهاد هناك واستمروا على ذلك يعنون بهذه القضية ويخدمونها بأنفسهم وبجهودهم وبكل ما يستطيعون حتى النهاية .

س : هل كان رجال الهيئة العربية كالمرحوم عبد القادر الحسيني أو غيره يستعينون ببعض الإخوان في جمع الأسلحة وشرائها ؟

ج : نعم كان عبد القادر الحسيني بك وغيره يستعينون بالإخوان المسلمين في شراء الأسلحة والذخيرة ويدفعون ثمن هذه الأسلحة .

س : هل تعرف أن من بينهم محمود الصباغ ؟

ج : نعم قد كان أحد الذين كلفوا من قبل عبد القادر بك الحسيني وغيره لشراء الأسلحة وأعرف أنه اشترى صفقات بلغت نحو ثلاثة آلاف جنيه وأنه اشترى بها فعلا أسلحة وسلمها إلى المنوط بهم استلامها من الهيئة .

س : هل كان الإخوان المسلمون في أول جهادهم على صلة بعبد القادر الحسيني بك قبل دخول الجيوش النظامية ؟

ج : نعم كان لهم به صلة وحارب فريق منهم معه وبعضهم استشهد في معركة القسطل .

س : وهل استمروا يجاهدون بعد دخول الجيوش العربية ؟

ج : نعم .

س : هل ظلت الهيئة العربية تجمع أسلحة بعد دخول الجيوش العربية ؟

ج : نعم ظلت تجمع أسلحة بعد دخول الجيوش كذلك الإخوان وأذكر حادثة قد يكون لها أهمية في هذا الموضوع وهي أن المرحوم الشيخ حسن البنا زارني بعد الهدنة الأولى ، وقال لي ما يدل على قلقه مما ظهر في بعض الجيوش العربية من التخاذل ومما لمس من الدسائس التي ترمي إلى هدم قضية فلسطين وتسليم فلسطين إلى اليهود بدون حرب "وهنا قال سماحته إنه لا فرق بين إيهود والصهيونيين" ، وقال لي أنه يشعر بقلق شديد مما لمس من هذا التخاذل والدسائس ولذلك فقد فكر في أنه سيرسل نحو عشرة آلاف من الإخوان المسلمين ليشتبكوا مع المجاهدين في فلسطين وقال لي أنه سيعرض الأمر على المختصين والحكومة المصرية لتموينهم وتسليحهم وإذا تعذر تسليحهم بسبب قلة السلاح فإنه سيطلب إلى جميع الشعب لتجهز كل شعبة متطوعياً بسلاح تشتريه بحيث يتسلح عشرة آلاف وكان مصمماً على هذه الفكرة وأعتقد أنه طلب إلى هذه الشعب أن تجمع الأسلحة وأخذ في تنفيذ هذه الخطة ، ولكن لا أدري كم استطاع أن يرسل منهم في ذلك الحين ، وهذا يدل على أنهم كانوا يشترون الأسلحة حتى بعد دخول الجيوش النظامية وذلك بسبب خيبة الآمال في بعض الجيوش العربية .

س : متى حصل هذا الحديث ؟

ج : بعد الهدنة الأولى بأيام قليلة وبعد أن ظهر التخاذل وهذه المؤامرات .

س : ومتى كانت الهدنة الأولى ؟

ج : الهدنة الأولى كانت في ١١ يونيو والجيوش العربية دخلت فلسطين في ١٥ مايو أي بعد ٢١ يوماً من دخولها .

س : إلى أي تاريخ ظلت الهيئة العربية ترسل أسلحة إلى فلسطين ؟

ج : استمرت حسب ما أذكر ترسل الأسلحة إلى آخر سنة ١٩٤٨ وأظن أن آخر دفعة أرسلتها كانت في اليوم العاشر أو الحادي عشر من شهر ديسمبر سنة ١٩٤٨ .

س : وهل تعرف من أين جمعت ؟

ج : أكثرها من الصحراء الغربية وبعضها من القطر المصري .

من الحكمة :

س : وهل كانت الهيئة العربية تأخذ تصاريح لنقل هذه الأسلحة ؟

ج : نعم كانت تأخذ تصاريح من الحكومة المصرية .

س : هل استولت الحكومة المصرية على أسلحة من مخازن الهيئة العربية ؟

ج : نعم .. حول ٤ أغسطس استولت الحكومة على أسلحة ونخائر من مخازن الهيئة العربية في حلمية الزيتون وفي المرج ، وكان للهيئة مخازن متعددة في الزيتون وفي المرج ولها مصانع وكذلك استولت الحكومة على بعض مخازن بمرسي مطروح .

س : ولماذا استولت الحكومة على هذه الأسلحة ؟

ج : لا أدري تمامًا ما هي الأسباب وإنما المرحوم النقراشي باشا عندما كلمته في هذا الشأن قال لي إن هذا أمر بسيط ونحن سننقل لكم الأسلحة إلى الحدود وأمر بنقلها إلى العريش وإلى الحدود ولكنها لم تسلك إلينا ولا أعلم إلى الآن مصيرها .

س : وكيف جمعت أسلحة بعد ذلك ؟

ج : بعد ذلك بأسبوعين أو ثلاثة سمح لنا بجمع الأسلحة مرة أخرى .

س : وهل كانت مقابلتك للنقراشي باشا قبل التصريح أو بعده ؟

ج : أنا قابلته في أواخر شهر أغسطس على ما أذكر في الإسكندرية أنا وعزام باشا وقال سترسل لكم الأسلحة وبعد هذه المقابلة بنحو أسبوعين سمحت الحكومة بالجمع وعندما صادرت الأسلحة واستولت عليها لم تبلغنا أن جمع الأسلحة ممنوع ولم يمنع من جمع الأسلحة بعد المصادرة .

س : ومعنى هذا أن هذه المصادرة لم تكن تفيد المنع ؟

ج : لا .

س : هل استولت الحكومة من مخازن الهيئة العربية على أشياء أخرى خلاف الأسلحة وأسلاك ومهمات؟

ج : كان للهيئة في العريش ورفح بعض ملابس وخيم ومهمات وأحذية وخلافه أيضا أخذته برسم أمانة ولم ترد هذه الأمانة .

س : هل كان بعض أهل القرى من فلسطين يفتدون إلى مصر لجمع أسلحة ؟

ج : نعم كانوا يحضرون ويراجعون الهيئة العربية من أجل أخذ رخصة فكنا نأتي لهم بالرخص من هيئة وادي النيل التي كان منوطا بها أن تعطي رخصاً وكانوا يلجأون إلى الهيئة العربية لجمع أسلحة أو يلجأون للإخوان المسلمين أو يشترون مباشرة .

س : هل تذكر تاريخ آخر تصريح للهيئة العربية بجمع سلاح ؟

ج : أظن حوالي ١٠ ديسمبر سنة ١٩٤٨ وهي آخر دفعة تسلمها الدكتور داود الحسيني .

س : هل كان ضمن الأسلحة أشياء أخرى ترسلونها إلى فلسطين ؟

ج : كل شيء من أسلحة وذخيرة ولاسلكي وقنابل وسيارات وخلافه .

س : باعتباركم كنتم على صلة بالإخوان فهل تستطيعون أن تذكروا شيئاً عن أهداف الجماعة ووسائلها ، وهل من بين هذه الوسائل اتخاذ العنف والإرهاب ؟

ج : أعتقد أن الإخوان المسلمين هيئة إسلامية تعتنق المبادئ الإسلامية وتحمل دعوتها وتعمل لخير المسلمين ونفعهم وتعمل على إنشاء جيل مصلح يعمل بمبادئ الإسلام وأخلاقه ، وهذا ما أعرفه عن الإخوان المسلمين وأعرف أن أهداف المرحوم الشيخ حسن البنا والإخوان كانت لمصلحة المسلمين خاصة ولخيرهم ولإنقاذهم مما هم فيه من ذل وبلاء ولا أعتقد أنها تعمل أي شيء يخالف الشرع من العنف والقتل والإرهاب .

س : هل تعتقد أن الاعتماد على الحكومات كاف وحده لإنقاذ فلسطين ؟

ج : الخطة التي كنت أعتقد أنها ولازمت ، وهي الخطة التي قررتها اللجنة العسكرية المختصة في أكتوبر ١٩٤٧ عند اجتماع اللجنة العربية في عالية بلبنان كانت التعويل على أهل فلسطين في الدفاع عن بلادهم على أن تجهيزهم البلاد العربية أو الدول العربية وتدريبهم وتحصن قراهم أي أن تضعهم في نفس الوضع الذي فيه الصهيوينيون من حيث التحصين ثم المتطوعون ثم تقف الجيوش على الحدود دون أن تدخل وكانت هذه هي الخطة المثلى ، ولكن حدث بعد ذلك وبعد أن شرع في تسليح أهل فلسطين تنفيذاً لهذه الخطة أن قدمت إحدى الدول الأجنبية^(١) مذكرة تحتج فيها على هذه الخطة وبذلك وقف التسليح والتدريب وبذلك عدل عن هذه الخطة المثلى لأن غرض أعداء قضية فلسطين كان أبعاد العناصر المؤمنة والمستميتة في القتال ولأن العقيدة اليهودية والعقيدة العربية عقيدتان متعارضتان فكان الإيمان والعقيدة أول سلاح في هذه المعركة ولهذا كان جهاد الأعداء أبعاد العناصر المقتدرة والمؤمنة والمستميتة عن ميدان القتال وأهل فلسطين كانوا أكثر إيماناً واستماتة في الدفاع عن بلادهم وكذلك العناصر المؤمنة بقضية فلسطين مثل الإخوان وغيرهم من المتطوعين وهؤلاء قصد إبعادهم عن الميدان ولا يبقى في البلاد إلا إلى يهود وبدأت السياسة تلعب دورها والمجال لا يتسع كثيراً لشرح أساليب السياسة التي اتبعت في فلسطين .

س : هل كنتم أفضيتم للشيخ حسن البنا بهذه الخطة المثلى التي كنتم اتفقتم عليها لإنقاذ فلسطين ؟

ج : لا أذكر إذا كنت قد قلت له هذا أو لم أقله ولكنني كلمت كل مسئول وقدمت مذكرات .

من حضرة ممثل النيابة :

س : لما استولت الحكومة على أسلحة الهيئة العربية .. وقابلت النقراشي باشا بشأنها .. هل فهمت منه الأسباب التي دعت إلى الاستيلاء عليها ؟

ج : لم أفهم منه حقيقة الأسباب و إنما أذكر أنه قال لي أن هذه التدابير اتخذت هنا ولم تتخذ ضدكم وستسلم لكم كل الأسلحة عند الحدود .

س : ألم تفهموا من حديث النقراشي باشا أن الأسباب هي الخوف من تسرب السلاح واستعماله في حوادث داخلية بمصر ؟

ج : لا لم يذكر لي شيئاً من هذا .

س : هل تذكر أن أسلحة صدرت من ميناء أخرى خلاف مرسى مطروح ؟

ج : من بور سعيد .

(وعند انصراف سماحته حياه الإخوان في قفص الاتهام بالهتافات : دماؤنا فداء

فلسطين .. فلسطين عربية وستعود عربية) .

(٢) ليتأمل ذلك الذين يعتقدون أن الدول الأجنبية لا تتدخل في الشؤون الداخلية ! فهذا تدخل يهدم الخطة العسكرية الأساسية لحرب فلسطين .

شهادة سعادة اللواء أحمد فؤاد صادق باشا قائد عام حملة فلسطين

س : نريد أن نعرف رأي سعادتك بصفتم قائد عام لحملة فلسطين عن موقف الإخوان المتطوعين في هذه الحرب وفي ميدانها ؟

ج : كانوا جنود أبطال أدوا واجبه على أحسن ما يكون .

س : هل يسمح الباشا أن يذكر لنا وقائع معينة تدل على البطولة ؟

ج : نعم سمعت بعد وصولي لرئاسة القوات من قلم المخابرات العسكرية أن اليهود يبحثوا دائماً عن مواقع الإخوان ليتجنبوها في هجومهم فبحثت عن حالتهم من الناحية الفنية وأمرت بتمرينهم أسوة بالجنود ودخلوا مدارس التدريب وأصبح يمكن الاعتماد عليهم في كثير من الأحوال التي تستدعي بطولة خاصة ، مثلاً أرسلتهم من دير البلح إلى ما يقرب من ١٠٠ كيلو إلى الجنوب لملاقاة الهجوم الإسرائيلي على العريش فاستبسلوا وأدوا واجبه تماماً ، واشتركوا أيضاً في حملة للدفاع عن موقع ٨٦ في دير البلح وأعطيتهم واجباً من الواجبات الخطرة فكانوا في كل مرة يقومون بأعمالهم ببطولة استحقوا من أجلها أن أكتب لرياسة مصر أطلب لهم مكافأة بنياشين وذكر بعضهم للشجاعة في الميدان وبعضهم ذكر اسمه في الأوامر العسكرية واتصلت بالحكومة في ذلك الوقت وطلبت منها مساعدة هؤلاء بأن يعطوهم أعمال عندما يعودوا ويعاونوا أسرهم والحكومة ردت ووافقت وأرسلت تأخذ معلومات عنهم وكان ده تكريم الحكومة لهم .

س : هل نفذت الحكومة هذا الوعد ؟

ج : ما أعرفش ولكن عندما طلب مني اعتقالهم رفضت ووضعتهم تحت حراستي الخاصة .

س : في أي تاريخ أرسل الباشا الإخوان ليحموا العريش ؟

ج : في المدة من ٢٦ ديسمبر إلى ٣٠ ديسمبر سنة ١٩٤٨ .

س : أمر حل الإخوان صدر في ٨ ديسمبر وتقرر سعادتم أنكم أرسلتم هؤلاء المتطوعين في ٢٦ ديسمبر إلى ٣٠ ديسمبر سنة ١٩٤٩ فماذا كانت الروح المعنوية بعد أمر الحل ؟

ج : أنا جاوبت على كده وقلت أنهم قاتلوا ببسالة ولم يؤثر قرار الحل على روحهم المعنوية .

س : ما هو الدور الخطر الذي قام به المتطوعون في دير البلح ؟

ج : قلت أنهم قاتلوا قتالاً مجيداً وعندما رأيت الخطر في المعركة فاعتمادي عليهم جعلني أقدم المتطوعين من الإخوان لأنهم أحسن ما لدي من الجنود .

س : حين صدر أمر الحل للجماعة هل أخطرت به من القاهرة ؟

ج : كل الناس عرفت ولم يكن هناك سبب لإخطار خاص وأنا عرفت من الرئاسة بالتليفون ومن الجرائد

س : ما هي الشروط الواجبة في رجل حرب العصابات ؟

ج : يكون فدائياً وعلى بطولة كاملة ، وإمام ببعض العمليات العسكرية كنسف الطرق ووضع ألغام في طرق العربات – مهاجمة – كمين .. الخ .

س : هل زرت معسكر الإخوان المسلمين بفلسطين ؟

ج : كثيراً .

س : هل تذكر الأسلحة التي كانت مع هؤلاء المتطوعين ؟

ج : أنا أعطيتهم أسلحة لمقاومة العدو وذلك تكلمة لسلاحهم .

س : كيف وقع اعتقالهم ؟

ج : لسبب من عملهم أنفسهم . وحتى لا يساء فهم ذلك . أقول إنهم طلبوا مني بعد أن بلغهم حادث المرشد إقامة حفلة تأبين للأستاذ البنا فأنا قلت إنني لم أعمل حفلة تأبين للنقراشي وأنا هنا جندي ولا أسمح لأحد أن يشتغل بالسياسة فثاروا لهذا فأنا وضعتهم في شبه معتقل وعملوا معاملة كريمة لأنني اعتبرتهم زملاء ميدان .

* * *

— ٣ —

شهادة سعادة اللواء أحمد على المواوي بك

قائد عام حملة فلسطين

س : عند دخول الجيوش النظامية أرض فلسطين بقيادتكم هل كان يقاتل فيها متطوعون من الإخوان المسلمين ؟

ج : نعم لأنهم سبقوا بدخولهم القوات النظامية .

س : من كان من المتطوعين في معسكر البريج ؟

ج : كان فيه المتطوعون من الإخوان المسلمين .

س : هل استعان الجيش النظامي ببعض الإخوان المسلمين لبعض العمليات الحربية أثناء الحرب كطلائع ودوريات .. وما إلى ذلك ؟

ج : نعم .. استعنا بالإخوان المسلمين واستخدمناهم كقوة حقيقية تعمل على جانبنا الأيمن في الناحية الشرقية وقد اشترك هؤلاء المتطوعون من الإخوان في كثير من المواقع أثناء الحرب في فلسطين وبالطبع أننا ننتفع بمثل هؤلاء في مثل هذه الظروف .

س : ما مدي الروح المعنوية بين الإخوان المسلمين ؟

ج : الواقع أن كل المتطوعين من إخوان وغيرهم كانت روحهم المعنوية قوية جدا وقوية للغاية .

س : هل قام المتطوعون بعمليات نسف في صحراء النقب بطرق المواصلات وأنابيب المياه لفصل المستعمرات الصهيونية ؟

ج : نعم وأذكر بالنسبة لروحهم المعنوية إنهم كانوا يطلبون دائما ألغام للنسف وكانت في هذا الوقت الألغام لدينا متعذرة وأذكر أن هؤلاء الإخوان كانوا يقومون بدوريات ليلية يصلون فيها إلى النطاق الخارجي للمستعمرات اليهودية وينزعون من تحت الأسلاك الشائكة الألغام التي يبثها اليهود وسط هذه الأسلاك ويستعملونها في تلغيم الطرق الموصلة إلى المستعمرات اليهودية ، وقد نتج من جراء هذه الأعمال خسائر لليهود وتقدم لي من جرائها مراقبوا الهدنة يشكون من هذه الأعمال التي كانت تعمل في وقت الهدنة وغير الهدنة .

س : وهل لم يكن عندكم ألغام ؟

ج : معروف أن الجيش لم يكن عنده معدات كافية .

س : هل كلفتم المتطوعين بعمل عسكري خاص عند مهاجمتكم العسلوج .

ج : نعم العسلوج هذه بلد تقع على الطريق الشرقي واستولي عليها إلى يهود أول يوم الهدنة ولهذا البلد أهمية كبيرة جدا بالنسبة لخطوط المواصلات . وكانت رئاسة الجيش تهتم كل الاهتمام باسترجاع هذه البلد حتي أن رئيس هيئة أركان الحرب أرسل لي إشارة هامة يقول فيها : لا بد من استرجاع العسلوج بأي ثمن ، فكانت الخطة التي رسمتها لاسترجاع هذا البلد الهجوم عليها من كلا الطرفين من الجانبين فكلفت المرحوم أحمد عبد العزيز بك بإرسال قوة من الشرق من المتطوعين وكانت صغيرة بقيادة ملازم وأرسلت قوة كبيرة من الغرب تعاونها جميع الأسلحة ولكن القوة الصغيرة هي التي تمكنت من دخول القرية والاستيلاء عليها .

س : وكيف تغلبت القوة الصغيرة ؟

ج : القوة الغربية كانت من الرديف وضعفت روحهم المعنوية وبالرغم من وجود مدير العمليات الحربية فيها إلا أن المسألة ليست مسألة ضباط ، المسألة مسألة روح إذا كانت الروح طيبة يمكن للضابط أن يعمل شيئا . لا بد من وجود روح معنوية .

س : ما هي الشروط الواجب توفرها في رجل حرب العصابات ؟

ج : الواقع أن حرب العصابات والتدريب الراقى والعالى الذى يجب أن يدرّب عليه كل جندي والذين يقومون بهذه الأعمال يجب أن يكونوا أذكىاء جدا ويشترط فيهم الجراءة وسرعة التصرف وعدم الاعتماد على أي قائد صغير أو كبير والعمليات التي يقوم بها الكوماندوز لا تعمل في وضح النهار وفي حالة تساوي الطرفين لا توجد وسيلة إلا الاشتغال بالليل وبطريقة التسلل وعلى كل فرد أن يعتمد على نفسه والكوماندوز فكرة حديثة استخدمت في الحرب .

س : ما هي الخواص الفنية في الدراسات الواجبة لرجل حرب العصابات ؟

ج : غير الشروط التي ذكرتها يجب أن يكون الشخص ماهراً جداً في استخدام السلاح ويجب أن يكون ماهراً في استخدام الأرض ودراسة طبيعة الأرض ويجب أن يشتغل مثل الحيوان المفترس ، وهي المهارة في الميدان ، ويجب أن يلم بقراءة الخرائط ومتعود على أعمال الكشافة إلى جانب هذا لازم يعرف السباحة وتسلق الأشجار .

س : هل وجد في الجيش كوماندوز ؟

ج : نعم يوجد والفكرة موجودة ، وقبل خروجي كنت جمعت النواة لهذه العملية والجيش فيه حاجة قريبة من كده وهي الدوريات التي تعمل للأستكشاف .

س : هل تعرف عدد المتطوعين من الإخوان ؟

ج : بلغ عدد المتطوعين من الإخوان وغيرهم ما يقرب من عشرة آلاف .

س : هل تعلم أن متطوعي مصر معظمهم من الإخوان ؟

ج : أنا أعرف أن الإخوان كانوا أكثر من الفئات الأخرى .

س : وإلى أي تاريخ استمر دخول المتطوعين إلى فلسطين ؟

ج : أنا لم أظلم في الجيش لغاية آخر الحرب وإنما رجعت في نوفمبر سنة ١٩٤٨ وأنا أرجعت الليبيين لأنهم لم يكن لهم فائدة بالمرّة .

س : هل كان للمتطوعين أسلحة خاصة أم كانوا يستوردون أسلحة من الجيش ؟

ج : كانوا يحضرونها بمعرفتهم وأثناء الحرب كنت أعطيهم بعض الأسلحة والذخيرة كانت تنتهي فكنت أمولهم بالذخيرة وأذكر أنه طلب مني قائد غزة أن أعطيهم بعض مدافع هاون فأمرت بإعطائهم .

س : بعد ١٥ مايو إلى نوفمبر ألم يدخل متطوعون جدد ؟

ج : أذكر لما ابتدأت أتقدم للشمال كان فيه الكتيبة السابعة وأنا سحبت هذه الكتيبة وحل محلها متطوعون في العريش وكان ذلك بعد ١٥ مايو .

من النيابة :

س : هل كان من الجائز أن ترد أسلحة إلى المتطوعين غير طريق سلاح الحدود أو العريش ؟

ج : لا غير ممكن .

س : ألا يذكر حضرة الشاهد أنواع الأسلحة التي يستعملها الفدائيون المتطوعون ؟

ج : البندقية والرشاشات الخفيفة تومي أو الهاونات و المورتر .

س : هل كان بين هذه الأنواع القتابل اليدوية ؟

ج : أيوه .

— ٤ —

شهادة الصاغ محمود بك لبيب

س : كيف بدأت حركة التطوع ومتى ؟

ج : مسألة التطوع ترجع إلى سنة ١٩٤٧ عندما عينتني الهيئة العربية العليا قائداً لمنظمة شباب فلسطين فسافرت إلى هناك وأمكنني بمساعدة الهيئة العربية العليا أن أكون جيشاً ضخماً من أهالي فلسطين ومهمته الدفاع عن أراضي فلسطين ولما أحسن الأنجليز بذلك ورأوا أن هذه الحركة ضد اليهود الذين يتبنوهم أمروني بالخروج فأبيت وامتنعت عن الخروج وأخرجوني بالقوة وقد تحدثت الجرائد عن ذلك ولما رجعت أتصلت بسماحة مفتي فلسطين ورجال الهيئة العربية العليا وأفهمتهم أن فلسطين لا ينقصها الرجال بل ينقصها السلاح ووجدت عندهم هذه الفكرة كذلك فسعوا عند الحكومة كي تسمح بجمع السلاح من أجل فلسطين وفي هذا الوقت صدر قرار هيئة الأمم بتقسيم فلسطين وثار شعوب العرب وصمموا أن تكون فلسطين عربية فتطوع في هذه الأثناء كثيرون من رجال الإخوان المسلمين واتصلوا بالحكومة والحكومة أعطتهم تصاريح بجمع السلاح وابتدأ التطوع واشترينا السلاح وأخذناه إلى العريش وهناك نصبنا معسكرا وقد بدأ التطوع في ديسمبر ١٩٤٧ .

س : وكيف كان يسلم هؤلاء المتطوعون وكيف كانوا يمولون ؟

ج : لما تجمعنا بالعريش حضر إلينا أحد ضباط الجيش العظام بالمعسكر وإذا به يسأل نفس هذا السؤال فاستدعيت أحد المتطوعين وقدمته له ، فسأله السؤال فكان الرد كالآتي : تسلحنا بفلوسنا – فسأله وما صنعتك فأجابه : أنا مزارع فسأله وهل المزارع يستطيع أن يحضر سلاح ومون – فأجابه أنا كان لي جاموسة بعنتها وحصلت على مبلغ ٥٢ جنيه أرسلتهم للدكتور خميس رئيس الإخوان في الدقهلية وهو الذي اشترى لي السلاح .

س : وحين دخل المتطوعون أرض فلسطين كم كان عددهم ؟

ج : في بادئ الأمر كان عددهم ٣٠٠ ثم تضاعف .

س : ما هي الأعمال التي قام بها المتطوعون قبل دخول الجيوش النظامية ؟

ج : كانوا يحاصرون المستعمرات اليهودية ثم يبحثون عن مواشير المياه لقطعها ويمنعوا الماء عن المستعمرات ويهاجموا القوافل اليهودية وأنهم كانوا على الدوام يهاجموا القوافل وأرادوا معرفة قوة المستعمرات و عملوا رسمًا كروكيًا لمستعمرة دير البلح المعروفة بالعبري كفارديروم وكانت على مسافة ٨٠٠ متر من جهة النصيرات وأرادوا أن يهاجموا هذه المستعمرة وفعلا هاجموا وقد نجحوا في دخولها واستشهد بعضهم وقد كان هذا الهجوم من نوع الاستكشاف وهذا يحصل دائماً في حروب العصابات وقد استشهد في هذه المعركة ١٢ مجاهداً وجرح كثيرون وبعد هذه المعركة اتصلت بصالح حرب باشا والمرحوم المرشد العام بصفتهم عضوين في هيئة وادي النيل ورئيسها علوبه باشا كي يتصلوا بالحكومة ووزير الحربية ليعطوا المتطوعين قشلاق للتدريب كما فعلت سوريا في شمال أطنه وتكلموا مع علوبه باشا في الموضوع وعلوبه باشا اتصل بحيدر باشا فوعده أنه سيوجد معسكر للتدريب وتوجهت أنا والمسيري بك إلى الهاكستيب وهناك أخذنا المعسكر الذي سيجري فيه التدريب وابتدأ بعد ذلك التطوع بأوسع مدي والحكومة عينت في المعسكر مدربين من الجيش ونادت هيئة وادي النيل بالتطوع وكان أكثر المتطوعين من الإخوان إذ بلغوا حوالي ٩٠ % من المتطوعين جميعاً وفعلاً توجهوا إلى المعسكر وتدريباً عملياً كاملاً وانضموا لإخوانهم في فلسطين .

س : علام كان يتدرب المتطوعون في هاكستيب في المكان الرسمي الذي أعدته الحكومة فعلاً ؟

ج : كان يتدرب المتطوعون على حرب العصابات وحرب حرب العصابات ترجع إلى زمن بعيد إذ يرجع أمرها إلى قداما المصريين ثم الفرس ثم العرب وإنما لم تكن بنظام وفن ولما تقدمت العلوم والفنون أصبح حرب العصابات فناً وكلما تقدم العلم وتقدم الفن تقدم معه كذلك فن حرب العصابات نضرب لذلك مثلاً – لما اخترع نوبل الرجل السويدي الديناميت تقدم فن حرب العصابات لوجود المتفجرات – وثانياً – لما تقدم فن الطيران سمعنا أن النازيين أنزلوا رجالاً فنيين ومعهم خرائط و بسككتات – ولما تقدم فن البحرية سمعنا أن في اليابان الطورييد الحي . والفدائي لابد له من معلومات وتدریس ناحية روحية وناحية عملية فنحن نجد النازية والفاشية تربي ناحية الفدائية وكذلك في الإسلام تربي هذه الناحية عن طريق الدين ولا بد للفدائي أن يتربي على الألعاب الرياضية من مصارعة وملاكمة وألعاب أكروباتية ولا بد له من ثقافة فيتعلم فن الطبوغرافية وفن الاستراتيجيات وفن الهندسة الميكانيكية لكي يمكنه أن يتسلل إلى مبنى الكهرباء الخاص بالإضاءة فيعطل ماكناتها أو إلى مبنى شركة المياه فيفك عددها ، فلا بد للفدائي من تعلم هذه الأشياء – والفدائي إما فدائي لنفسه وإما فدائي لأتمه – والأولي هي لإشباع هويته ورغبته الثانية هي الفدائية المثالية الكاملة الفاضلة ، والإخوان المسلمون كانوا من الطراز الثاني أي من الفدائية الكاملة الفاضلة لأنهم عندما سمعوا عن فلسطين وعما يحدث فيها تقدموا متطوعين ثم أخذوا قسطهم من التدريب والتعليم في الهاكستيب ، وفي الهاكستيب تلقوا في المعسكر كيف ينسف المنزل وكيف يتسلل إلى عمارة وكيف يحارب حرب الشوارع وكيف يصنع الديناميت والألغام .

كل هذا مما يتمرن عليه الفدائي أو ما يسمونه الكوماندوز .

س : وهل كانوا يتدربون على المخابرات أيضًا ؟

ج : نعم على كل شئ يفيد الجيش المهاجم فمثلا لازم يعرف ما هو عدد رجال العدو ومن يناصرونه في داخل البلاد .

س : وهل حضرت أنت الدراسات أو كنت تسمع بها ؟

ج : أنا رحت الهاكستيب و عملوا أمامي تجارب وكنت كل وقت أكون معهم .

س : وكم مرة ترددت على الهاكستيب مدة التطوع ؟

ج : ترددت ٦ مرات في مدة التطوع .

س : وأين كان مركزكم أنت في ذلك الوقت ؟

ج : نحن وزعنا قواتنا لمحاصرة المستعمرات اليهودية التي يمر عليها الجيش على أبعاد متفاوتة و عملنا على وضع الألغام في الطرق المجاورة للطريق الرئيسي الذي يمر منه الجيش . وفعلا مر الجيش ولم تطلق أي رصاصة واحدة من المستعمرات عليه ، ولما دخل الجيش غزة كان معهم متطوعون وتسلم القيادة المرحوم أحمد بك عبد العزيز واحتلوا العوجه والعسلوج و بير السبع والفالوجه وعراق المنشية وبيت جبريل والخليل وبيت لحم ودخلوا في حدود القدس الجديد ٣ كيلو وحصل هذا كله في مدي ١٢ يوما وأصبح جميع النقب تحت إشراف الإخوان المسلمين ، وقبل دخول الجيش بثلاثة أيام أو أربعة عملنا معركة وذلك في يوم ١١ مايو ، هذه المعركة تدل على مبلغ قوة ومتانة المتطوعين الروحية والمادية فقد علمنا بوجود بعض المصفحات اليهودية في مستعمرة اسمها المشبه تبعد عن غزة بحوالى ٢٠ كيلو للجنوب الشرقي فراقب الإخوان هذه الحركة طول الليل وفي الصباح بدأت قافلة المصفحات تتحرك فخرج المتطوعون "بالبويز" وهي عبارة عن مدافع ضد المصفحات ونصبوا كمين في طريق المصفحات وما أن تقدمت المصفحات حتي فتحت عليها النيران من كل الجهات وفي خلال فترة وجيزة كان الفدائيون مسيطرين على الصهيونيين وأخذ الصهيونيون في التسلل فمنهم من قتل ومنهم من نجا وحضر سواقو الإخوان وقادوا المصفحات ومعني الآن صور لهذه المصفحات "وأخرج الشاهد من جيبه خمسة صور وأطلعت عليها المحكمة وأعيدت إليه ثانيًا" .

س : وماذا كان عملك أنت بعد حضور أحمد عبد العزيز وتسلمه القيادة بذلك ؟

ج : كنت قائدا معه .

س : ومن كلفك بقيادة الإخوان ؟

ج : أنا تطوعت بنفسي والهيئة العربية كلفتني بقيادة الإخوان وخلافهم .

س : وهل كنت تأخذ أجرا على ذلك ؟

ج : لا .

س : هل كنت من الإخوان ؟

ج : نعم والحمد لله العظيم .

ولما دخل الجيش ووصل الإخوان بيت لحم ودخلوا ثلاثة كيلو داخل حدود القدس الجديدة كانت هناك مستعمرة يهودية كان لا بد من أخذها أسمها مستعمرة " رامات راحيل " فأمر أحمد بك عبد العزيز أن يستولى عليها الإخوان ، وهذه المستعمرة كبيرة وكانت تمون القدس باللبن والدواجن وقد تسلق الإخوان المستعمرة لأنها كانت في مستوي عال واحتلوها وإذا بهم يفاجأون ببعض جنود شرق الأردن وقد أخذوا في السلب والنهب ولذلك فكر الإخوان في أن الصهيونيين لا بد لهم من العودة فتركوا المستعمرة لجيش الملك عبد الله وارتد الصهيونيين واستولوا عليها وصمم أحمد بك عبد العزيز على أخذها مرة أخرى وفعلا استولى عليها الإخوان .

س : بعدما دخلت الجيوش العربية النظامية فلسطين وأصبح القتال لهذه الجيوش ثم حدث في نوفمبر سنة ١٩٤٨ أن حوصرت الفالوجا الحصار المعروف هل طلب إليك باعتبارك قائدًا للمتطوعين من الإخوان أن تجمع فرقتين من الإخوان وذلك في نوفمبر سنة ١٩٤٨ وكان القصد من جمع الفرقتين هو فك حصار الفالوجه وأن هذه كان بناء على خطة حربية مرسومة رؤى فيها أن الإخوان المسلمين خير من يعهد إليها في فك هذا الحصار ؟

ج : نعم حصل وذلك في أوائل نوفمبر سنة ١٩٤٨ أرسل لي عزام باشا أن أحضر للجامعة العربية فتوجهت إلى هناك وقابلني الأمير الای أحمد بك منصور ضابط الاتصال وسألته عن سبب دعوتي فأخبرني برغبتهم في جمع المتطوعين وأن الأومباشي حسين مصطفى مدرب الهاكستيب حاضر لهذا السبب وحضر الأومباشي حسين مصطفى وطلب كتيبتين مكونتين من ١٦٠٠ من المتطوعين وسألته هل يريدون من كل صنف فقال لي إنه يريدون من صنف واحد فقط هم الإخوان المسلمون بالذات قلت له ممكن فأفهمني أن المسألة مستعجلة لأننا سندربهم في حوالي ١٥ إلى ٢٠ يوما على الأسلحة لفك الحصار على الفالوجه فقلت له ممكن وميسور وأخذني معه لوزارة الحربية وهناك قابلني الأومباشي صلاح صبري وعرفني أنه مدير مكتب الوزير وقد عرفه بي وسألني هل أخبروك عن المأمورية قلت له مستعدين وأخذوا بعضهم وقاموا وغابوا مدة عشر دقائق ثم عادوا إلى وسألوني عن موعد حضور المتطوعين وكان ذلك في يوم أحد قلت لهم يوم الخميس يكونوا في الهاكستيب وقصدت مركز الإخوان وطلبت واحدا من كل شعبة بشرط أن يكون غير متزوج وغير مرتبط بأي مسئولية أو تبعه وفي مساء يوم الأربعاء أتصلت بي جميع المناطق تليفونيا وسألوني عن مكاتب التدريب وفي صباح الخميس علمت أن دولة النقراشي باشا رفض هذه الطلب .

س : وهل أعطي الإخوان المتطوعون بعض المتفجرات إلى الجيش المصري عند دخوله فلسطين ؟

ج : نعم أذكر أن الجيش طلب منا بعض المتفجرات وأخذوا المتفجرات وقنابل يدوية وإنما لا أذكر التاريخ بالضبط .

س : وهل كان الإخوان يرسلون منشورات ومطبوعات إلى قواتهم المتطوعة في ميدان القتال ؟

ج : نعم .

س : ما هو مضمون هذه المنشورات ؟

ج : كلها كانت تحت على الجهاد والقتال .

س : ظهرت فكرة عند الإخوان في سنة ١٩٤٨ لجمع ملابس ومؤون وغير ذلك من طبقات الشعب المختلفة لإعانة اللاجئين فهل تعرف شيئاً عن كيف نشأت هذه الفكرة وعن مصيرها ؟

ج : لما كنا في المعسكرات وكنا نري اللاجئين في حالة بؤس لا يمكن تصورها وكان المتطوعون يقسمون طعامهم بينهم وبين اللاجئين حتي أن بعض رجال الجيش انتقدوا لهذا التصرف وقالوا لهم إنهم مجاهدون يقاتلون فلا يجوز لهم أن يضعفوا أنفسهم بهذه الطريقة ولذلك نبتت فكرة قطار اللاجئين وذلك بأن يقوم قطار من أسوان لغاية مصب النيل ليجمع من أهل المروءة والشهامة ما يزيد على حاجتهم من أي شئ واتصل الإخوان برجال الحكومة وأخذوا تصريحاً من دسوقي أباطة باشا وزير المواصلات بذلك وأما في القاهرة فقد أطلق الإخوان عدة عربات تجوب القاهرة وإذا بهم يفاجأون بأن وزير الداخلية أمر بالامتناع عن هذا العمل المزدوج ، وكان لهذا الأمر أسوأ تأثير في النفوس لأن الأمر كان مقصوداً به الإخوان .

س : حضرتك ذكرت أن المتطوعين كانوا يمنحون تصاريح بجمع أسلحة ومؤون لفلسطين فهل كان الأمر كذلك بعد ١٥ مايو أي بعد دخول الجيوش النظامية فلسطين ؟

ج : نعم .. كان الإخوان يتسلحون بوسائلهم الخاصة .

س : ومن أي طريق كانت الذخيرة ترد للمتطوعين ؟

ج : كانت الذخائر ترد لهم بوسائلهم الخاصة ومن ماله الخاص .

س : بأي وسيلة كانت تنقل الذخائر إلى فلسطين بعد دخول الجيوش النظامية ؟

ج : كان مصرحاً لهم بذلك وكان معهم تصاريح وكانت الأسلحة ترد من الصحراء إلى مصر ومنها على القطرة مباشرة .

س : ومن الذي يوصل هذه الأسلحة ؟

ج : يحضر متطوعون جدد ومعهم الأسلحة .

س : هل سافر أحد من متطوعي الإخوان إلى فلسطين بعد ١٥ نوفمبر سنة ١٩٤٨ بعد ضبط السيارة ؟

ج : نعم .. سافر الإخوان من القاهرة بالطيارة بناء على طلب مستعجل ولا أعرف عددهم .

س : كم طيارة سافرت ؟

ج : راحوا على دفعتين ولا أعلم عدد الطيارات في الأولى سافروا على عمان ومن هناك نزلوا بيت لحم وفي تاني دفعة سافروا بالطيارة أيضا فمنعتهم حكومة شرق الأردن من النزول فعادوا ثانية إلى مصر .

س : من الذي استدعاهم ؟

ج : قيادة بيت لحم .

س : لأي غرض استدعوا ؟

ج : كانوا في شدة الحاجة إليهم والحالة كانت متحرجة .

شهادة الأستاذ محمد حامد أبو النصر عضو مجلس بلدي منفلوط

س : هل ساهمت في جمع الأسلحة لحرب فلسطين ؟

ج : نعم في أواخر سنة ١٩٤٧ وجهت إلى الدعوة من حضرة صاحب الفضيلة المرشد العام للإخوان المسلمين رحمه الله واجتمعنا في المركز العام لجماعة الإخوان المسلمين بالقاهرة وتقدم لنا الشيخ صبري عابدين عضو الهيئة العربية العليا وممثل سماحة مفتي فلسطين الخاص وذكر لنا الحوادث التي تقع في فلسطين وأبان لنا الفظائع التي ترتكب فيها وطلب منا أن نعاون المجاهدين وذلك بشراء الأسلحة وبالتبرع بها كل على قدر استطاعته وطبعاً أثار فينا الحمية وأبكانا مما يقع في فلسطين وانصرفنا كل إلى بلده وأخذت أتصل بالناس الذين أعرفهم من العرب بالصحراء الغربية واتصلت بواحد منهم أسمه الشيخ محمد حمد رمضان شيخ عرب بني شعران بمركز منفلوط ليجمع لنا أسلحة وبالفعل أحضر كمية من الأسلحة وقد علم بوليس مركز منفلوط بهذا ووضع يده على الأسلحة وقبض على الشيخ محمد حمد رمضان وقدمه للنيابة فتقدمت أنا لحضرة وكيل النيابة وقلت له إن هذا السلاح نجمعه من أجل فلسطين .

فسألني عن دليلي قلت له لا بأس اتصل بأعضاء الهيئة العربية وسماحة المفتي وأجل النظر في القضية فأعطانا فرصة وسافرت إلى القاهرة حيث قابلت فضيلة المرشد العام للإخوان وقصصت عليه المسألة فاتصل بسماحة المفتي وأبلغه الأمر فاتصل سماحته بسعادة عبد الرحمن عزام باشا وأظنه اتصل بسعادة النائب العام فأفرج عن الشيخ محمد حمد رمضان وقد كان يحضر التحقيق معنا حضرة الأستاذ طاهر الخشاب بك المحامي وحفظت القضية وسلم السلاح للهيئة العربية .

س : وما مقدار هذه الصفقة من الأسلحة وما هو ثمنها ؟

ج : علمت أن هذا السلاح حوالي ٤٠ من البنادق ومسدسات لا أعلم عددها ونظارة للجيش ومدفع .

س : في أي تاريخ حصلت هذه الواقعة التي ذكرتها ؟

ج : حصلت على ما أتذكر في شهر يناير سنة ١٩٤٨ .

س : وما مقدار ثمن هذا السلاح ؟

ج : أنا دفعت للشيخ محمد حمد رمضان حوالي مبلغ ٣٠٠ جنيه .

س : هل تعرف قيمة الثمن المتفق عليه ؟

ج : كان مقدراً في ذلك الوقت مبلغ ثلاثة أو أربعة آلاف جنيه وإنما أنا دفعت مبلغ ٣٠٠ جنيه ولا أعرف كيف دفع الباقي .

س : وفي أي وقت وجهت إليك الدعوة للاجتماع بالإخوان ؟

ج : على ما أذكر سنة ١٩٤٧ ولا أتذكر الشهر .

س : ومتى تم جمع الأسلحة ؟

ج : أحضرت السلاح قافلة وصلت قبيل حصول الضبط بحوالي أربعة أيام تقريبًا .

س : وفي أي وقت حصل اتصالك بالمرشد العام ؟

ج : في أوائل يناير .

س : وهل أنت من جماعة الإخوان المسلمين ؟

ج : نعم ولا أزال .

س : وهل هناك حوادث أخرى خاصة بجمع الأسلحة ؟

ج : لما النيابة أفرجت عن الأسلحة بالطبع هذا الشيء شجعني وقصدت بني مزار وتجوّلت في بعض القرى المجاورة واتصلت بجماعة من الأعراب وجمعت سلاحًا بالثمن وأثناء الجمع حضر الأستاذ فوزي عبد اللطيف وكان معاون بوليس بني مزار وسألني ماذا تصنع قلت له أجمع سلاح لفلسطين فأخذني ومعني الأسلحة في لوري وذهبنا إلى المركز وشرحت المسألة لحضرة المأمور وهذه الحادثة حدثت حوالي شهر مارس سنة ١٩٤٨ وقلت له إن السلاح لفلسطين وقال هو أنا سأصدره فاتصلت بالشيخ حسن البنا وأبلغته بالواقعة وقال لي سأرسل أحمد حسنين أفندي لاستلام الأسلحة ودفع النقود وفي الوقت نفسه كنت أنا كلفت بعض العرب في بني مزار بجمع أسلحة وفي هذه الأثناء حضر لي الذي كنت قد كلفته وقال لي أن الأسلحة ضبطت في نقطة الحدود عند صدفا الغار فذهبت لمقابلة ضابط النقطة فلم أجده وأخيرًا حضر في اليوم التالي أحمد حسنين وهو الشخص الذي وعد المرشد العام بإرساله وقابل حضرة المأمور وأخذ كشفًا بالمضبوطات وقال للمأمور صدرها لنا إلى القاهرة ونحن نستلمها من هناك وفعلا صدرت واستلمها في القاهرة وأعطيت ثمن هذه الأسلحة إلى الأعراب الذين أحضروها وهذه الحوادث الثلاث هي التي ضبط فيها السلاح فقط أما أنا فقد واصلت جمع الأسلحة ولم تضبط معي بعد لأن شخصيتي أصبحت معروفة .

س : ما هو تاريخ آخر أسلحة ضبطت ؟

ج : في شهر إبريل سنة ١٩٤٨ .

س : ومن كان يدفع ثمن هذه الأسلحة ؟

ج : الهيئة العربية لأن الأسلحة كانت تجمع لحسابها .

س : هل هناك سلاح جمع بعد دخول الجيوش النظامية أرض فلسطين ؟

ج : أذكر حادثة - لما حوصرت القدس دخلت مرة لأقابل فضيلة المرشد العام في مركز الإخوان فقال لي إن القدس قد حوصرت وسيضع الصهيوونيون أيديهم عليها فالموقف يحتم علينا جمع أكبر مقدار من

الأسلحة والرجال حتى لا نسقط وأنا سأصدر التعليمات للإخوان أن يجمعوا ما يمكنهم جمعه من الأسلحة وسأتولى أنا قيادة كتيبة المتطوعين للقدس وأخذنا نجمع الأسلحة .

س : هل هذا حصل بعد دخول الجيوش النظامية فلسطين أم قبله ؟

ج : بعد تاريخ دخولها أي في شهر يونيو أو يوليه وهذا مؤكد .

س : متى انتهى نشاط جمع الأسلحة ؟

ج : تقريباً في شهر يوليو سنة ١٩٤٨ ولم تجمع الأسلحة بعد ذلك .

س : والأسلحة التي ضبطها المأمور صدرت لمن في القاهرة ؟

ج : المأمور الذي صدرها لأن أحمد حسنين أفندي هو الذي قال له صدرها لنا لمصر ولكن لا أعرف بأسم من صدرت .

* * *

- ٦ -

شهادة الحاج حسن حسني المنياوي

س : أذكر لنا كيف بدأ نشاطك من أجل التطوع لفلسطين ؟

ج : تطوعت في ديسمبر سنة ١٩٤٧ في حرب فلسطين لغاية أبريل سنة ١٩٤٨ .

س : وهل كنت طول هذه المدة في فلسطين ؟

ج : نعم وإنما حضرت مرة واحدة لمصر وذلك في شهر فبراير سنة ١٩٤٨ ومكثت بها ستة أيام فقط ثم عدت لفلسطين وكان سبب حضوري لمصر هو حاجتنا لبعض طلبات الأسلحة والذخائر وأخذت في جمعها في تلك الأيام من الأرياف وجمعتها ثم سلمتها للهيئة العليا وسافرت لفلسطين وهي سلمتها لي هناك .

س : وهل استأذنت المسؤولين في الحكومة المصرية في جمع هذه الأسلحة ؟

ج : نعم استأذنتها : لما صدر قرار التقسيم في شهر ديسمبر سنة ١٩٤٧ انتظرت حتى يفتح باب التطوع فلم أجد أحداً تطوع من الهيئات إلا جماعة الإخوان فقصدت فضيلة المرشد العام وكاشفته بغرضي فقال لي ينقصنا الأسلحة قلت له ممكن جمعها من الأرياف فقال لي تعال هنا باكر وفي اليوم التالي قابلته فسلمني خطاب من عزام باشا إلى الأميرالاي محمد يوسف بك الخاص بالشئون العربية - ومضمون هذا الخطاب : حامل هذا الموضوع محادثتنا تليفونياً - فذهبت لمحمد يوسف بك فسألني حاتجمع السلاح منين قلت له من الأرياف فقال لي أجمع الأسلحة وإذا حصل أي شئ فأنا موجود والذي تجمعه سلمه للهيئة العربية العليا .

س : متى كان الحديث الذي دار بينك وبين الشيخ حسن البنا ؟

ج : في أواخر ديسمبر سنة ١٩٤٧ بعد قرار التقسيم .

س : متى نفذت جمع الأسلحة بعد هذا الحديث ؟

ج : ما بين ٢٥ ديسمبر سنة ١٩٤٧ وبقيت أجمع من كل البلاد بأي ثمن .

س : ومتي انتهى نشاطك ؟

ج : في شهر أبريل سنة ١٩٤٨ لأنني أصبت .

س : ولما توجهت لمحمد يوسف بك هل كنت بمفردك ؟

ج : كان معي شخص آخر وأظنه من الإخوان .

س : ومن كان يدفع الثمن ؟

ج : كنت أدفع من مالي الخاص وقد دفعت حوالي ١٥٠٠ جنيه شخصيا وكنت أترقب هذه الحالة

للاستشهاد واستدعيت لهذه العملية من سنة ١٩٣٦ .

[هنا أحمد محمد حسنين أفندي المتهم الخامس استأذن في سؤال الشاهد فأذنت له المحكمة فسأله

بالآتي] :

س : هل تسلمت خطاب عزام باشا من فضيلة المرشد العام أم من عزام باشا ؟

ج : إن الذي سلمني الخطاب هو المرشد والخطاب من عزام باشا إلى محمد بك يوسف .

من الأستاذ زكي عريبي :

س : ومبلغ الـ ١٥٠٠ جنيه ثمن الأسلحة التي اشتريتها وتبرعت بها هل دفع دفعة واحدة أم على مرات ؟

ج : لا على دفع .

س : ولمن تبرعت بهذا التبرع ؟

ج : أنا اشتريت بالمبلغ أسلحة وتبرعت بها للهيئة العربية .

* * *

— ٧ —

شهادة إبراهيم عبد الهادي باشا

(قالت مجلة المصور : .. كان المتهمون يرمونه بنظرات قاسية . وكان أقرباؤهم الجالسون في المقاعد يتهامون بالتعقيب على أجوبته . ثم ودع في النهاية بالهتاف بسقوط الظلم والطغيان والهتاف لذكري الشهيد الأعزل ، وكان أشد الحاضرين هتافا فتاة ترتدي الملابس البيضاء وتغطي وجهها بنقاب).

س : قيل بأن المتهم عبد الرحمن عثمان خرج من سجن الأجانب يوم ١٤ يوليه سنة ١٩٤٩ وقابل دولتكم بالقطار الذهاب إلى الاسكندرية في اليوم المذكور فما هو قولك في ذلك ؟

ج : أذكر أنه قبل سفري إلى الإسكندرية بيوم وكان هذا في شهر يوليه سنة ١٩٤٤ وأنا كنت أستفهم دائما عن مجريات التحقيق في القضية وفهمت أن واحدا من المتهمين له إقرار جديد فطلبني الحكماء طلعت بك وقال لي إن هذا المتهم يشهد ضمن شهادته على واحد يبقي ابن خالة المتهم نفسه وابن خالة المتهم ده يبقي ابن محمود باشا يوسف وكيل الخاصة وأذكر أنه في هذا الوقت كان طالبا في المدرسة الحربية أو البوليس فأنا قلت له أنا أحب أن يجيني في اليوم التالي أي الشخص المعترف لكي أسمع منه أقواله بنفسه فوعد بإحضاره ثاني يوم وفي اليوم التالي جد ما استوجب سفري إلى الإسكندرية - في الظهر ولا أتذكر اليوم بالضبط فنزلت من الديوان وذهبت إلى المحطة وجاني الحكماء وقال لي أنت طلبت المتهم المعترف وأنا أحضرته وهو معي في المحطة تحب تشوفه قلت مفيش مانع هاته معي في القطار ويرجع هنا وأحضره طلعت بك وسمعت منه الاعترافات وعاد في اليوم نفسه ولا أعرف إن كان استمر القطار ونزل في الإسكندرية أو نزل في محطة أخرى قبل ذلك لأن كل ما استغرقتة معه من الزمن لا يزيد عن ربع ساعة .

س : وهل تذكر أسم هذا المتهم ؟

ج : لا .

س : وما كان الغرض من سماعك لأقواله ؟

ج : الغرض هو أن أسمع بنفسي لأتأكد بنفسي فقد يكون لي رأي في توجيه البحث وذلك لأنه كان يشهد على واحد قريبه وكان في أقواله ما يستدعي سماعها - وأذكر مما قاله هذا المتهم ضد قريبه ، أن قريبه كان يمول الجماعة بالمال وأنه باع شيئا من الأرض في هذا السبيل من هذا القبيل .

س : وهل ترتب على سماعكم أقواله أي توجيه ؟

ج : كل ما حصل أنه كان مطلوب القبض على الشخص الذي اعترف عليه المتهم فأنا وافقت على ذلك بعد سماعي أقواله بصفتي الحاكم العسكري العام .

س : ومن كان يتولي عرض نتائج التحقيقات ؟

ج : مفيش حد كان يتولي العرض إلا إذا كنت أسأل أنا فكنت أطلب الحكماء وأسأله والبوليس دائما ينتبع المسائل الخاصة بهذه القضية كشأنه في كل قضية أخرى وبوصفي حاكم عسكري يا إما هو يخبرني يا إما أطلبه .

س : أفهم من هذا أن طلعت بك هو الذي كان يتولى عرض التحقيق ؟

ج : ما يتولي عرضه هو مرحلة من مراحل تحقيق البوليس .

س : وهل اختلى دولة الباشا بالمتهم عبد الرحمن عثمان في صالونه الخاص ؟

ج : لا وكان اللواء طلعت بك حاضراً كلام المتهم .

س : هل ذكر اللواء أحمد طلعت بك لدولة الباشا أن للمتهم عبد الرحمن عثمان طلباً خاصاً بدخوله كلية الحقوق ؟

ج : لا أنكر .

س : هل سأل الباشا المتهم عبد الرحمن عثمان أثناء الطريق عن معلوماته عن الأستاذ منير الدلة ؟

ج : مطلقاً ولم أذكر اسمه ولا مرّ على خاطري .

س : وهل سأل الباشا المتهم عبد الرحمن عثمان أثناء الطريق عن الأستاذ عبد الحكيم عابدين ؟

ج : لا وكل ما قام في ذهني هو أن أتأكد من أنه يقرر أقواله عن ابن خالة ابن محمود باشا يوسف وكنيت أريد أن أتأكد من ذلك بنفسني .

س : هل سألت المتهم عما إذا كان هناك مصادر لتمويل المتهمين في هذه القضية ؟

ج : لا أنكر كل هذا يحتمل أن يكون قاله المتهم في أثناء أقواله .

س : هل أشرت أثناء الحديث مع المتهم إلى حل جماعة الإخوان وطلبت من المتهم أن يدلي بما عنده بخلاف ما سبق أن أدلي به إذا كان لديه ما يمكن الإفضاء به ؟

ج : مطلقاً .

س : هل لم تسأل المتهم عن شعوره نحو قرار حل الإخوان ؟

ج : لا وما كان هناك ما يستدعي ذلك .

س : هل عرضت على المتهم شيئاً من المرطبات ؟

ج : لا .. وأنا أقول إنه حدث في مرة غير هذه المرة أن أحضر لي أحد الضباط كمتهم في حادث إخفاء مالك وابتدأ يدلي باعترافاته حتى بلغت الساعة الثالثة صباحاً والإنسان منا بشر يجوع فأحضرت طعاماً وأعطيت منه شيئاً للمتهم .

س : هل اتصل بعلمك أثناء توليك الحكم أن تعذيباً وقع على أحد من المتهمين في قضايا الإخوان ؟

ج : إشاعات والنيابة تتولى التحقيق .

س : وهل وصلتك بعد خروجك من الوزارة أن تعذيباً وقع على بعض المتهمين ؟

ج : لم أسمع إلا إشاعات كما جرت في كل القضايا .

س : يقرر عبد الرحمن عثمان أنه في يوم ١٠ يوليو سنة ١٩٤٩ أثناء رياستكم للوزارة استحضر إلى محافظة مصر وعذبه الضابطان محمود طلعت ومحمد الجزار بوضع ساقيه في فلكة وبضربه بالسوط ، وقد أثبت تقرير الطبيب الشرعي أن الإصابات الثابتة يمكن أن تنتج من مثل هذا التعذيب ، فما قولك ؟

ج : لم أسمع بهذا .

س : يقرر عبد الرحمن عثمان أنه في يوم ١١ يوليو سنة ١٩٤٩ أثناء توليك رئاسة الوزارة ومنصب الحاكم العسكري العام استدعي إلى محافظة مصر وقام اللواء أحمد طلعت بتعذيبه مع الضابط فاروق كامل - فهل وصل ذلك إلى علمكم ؟

ج : لا .

س : هل كان الباشا يعلم أن النيابة أذنت بخروج عبد الرحمن عثمان لمصاحبه بالقطار وهذا المتهم تحت التحقيق والنيابة هي الأمانة عليه ؟

[هنا اعترض حضرة ممثل النيابة على توجيه هذا السؤال]

ج : كل الذي أعرفه أنني قلت لطلعت بك ممكن أشوف المتهم أما إذا كان هو قد استأذن النيابة فهذا ما لا أعرفه وليس لي به علم .

س : هل كان الباشا يحضر لمحافظة مصر أثناء تحقيق هذه القضية وإن كان لا يحضر التحقيق ؟

ج : هذه القضية لم أدخل المحافظة بشأنها أصلا .

س : وفي أثناء تحقيق الاعتداء على الأستاذ حامد جودة هل كنت تحضر للمحافظة ؟

ج : أنا أجاب في هذه القضية فقط وأما في القضايا الأخرى فأنا مستعد للإجابة في وقته .

س : هل كان دولة الباشا يحضر إلى المحافظة عند التحقيق في قضايا أخرى وإن كان لا يحضر التحقيق ؟

ج : أنا حاضر في هذه القضية لأجواب عنها .

فقال الأستاذ طاهر الخشاب هناك شاهد أعلنه لجلسة اليوم وهو متهم في قضية الأوكار وأسمه مصطفى كامل عبد المجيد قرر أن تعذيباً وقع عليه في المحافظة بحضور دولة الباشا والنيابة لم تقدم هذا الشخص متهما في هذه القضية . حضرة ممثل النيابة قال بأن النيابة استندت على أقوال مصطفى كمال هذا في هذه القضية فقط لا في قضية أخرى ؟

ج : أنا لم أر مصطفى كمال عبد المجيد في المحافظة وإنما في حادثة الاعتداء في مصر القديمة وكنت

وصلت إلى بيتي وإذا بالتليفون يخبرني بأن اعتداء وقع على الأستاذ حامد جودة وهو في الطريق وأن المتهم قبض عليه في قسم مصر القديمة وأن الاعتداء كان بقنابل ومسدسات فرجعت من بيتي على قسم مصر القديمة فوجدت الشاب مصطفى كمال عبد المجيد مقبوضاً عليه - وبمجرد أن رأي استغاث بي وقال أنا في عرضك وسألته أنت حضرت المسألة دي فقال نعم وأنتم تعذروني وسأقرر الحقيقة وطلبت له ماء فأحضر وشرب ومكثنا هناك لغاية ما حضرت النيابة فقد حضر إسماعيل بك عوض وجاء النائب العام - وهل مصطفى كمال يقول إنه عذب بحضوري أنا أقسم بشرفي أن هذا م يحصل مطلقا .

س : هل حضر دولة الباشا للمحافظة أثناء تحقيق الاعتداء على الأستاذ حامد جودة ؟

ج : والله أنا كنت أروح المحافظة من وقت لآخر .

س : هل لم تمض الوقت في المحافظة لغاية نصف الليل ؟

ج : أنا مضيت الوقت في المحافظة للساعة الخامسة صباحا للقبض على مالك وهذه هي الليلة الوحيدة فقط التي مضيت هذا الوقت الطويل .

[هنا طلب الأستاذ محمد هاشم باشا أن تسمح المحكمة للمتهم عبد الرحمن عثمان أن يوجه بعض الأسئلة لحضرة الشاهد والمحكمة قالت إن النظام المتبع في سماع شهود النفي هو توجيه أسئلة إليهم فقط وأن لكل منهم محامياً يستطيع الاتصال بموكله ويحصل منه على كل ما يريده ويقوم هو بتوجيه الأسئلة . ثم سألت المتهم عبد الرحمن عثمان عما لديه من الأسئلة التي يريد توجيهها للشاهد] ، فقال :

س : ألم يدخل أحمد طلعت بك إلى دولتكم ومعه تحقيقات الجيب في القطار وقرأ طلعت بك هذه الأقوال على دولتكم ؟

هنا قالت المحكمة أن هذا السؤال سبق الإجابة عليه .

س : ألم يقل أحمد بك طلعت لدولتكم بعد أن أشار بيده إشارة مسرحية أن لدي المتهم أقوالا فهل تأذن بسماعها ، والمحكمة قالت أن هذا السؤال سبق الإجابة عليه كذلك .

س : هل هناك في تحقيقات البوليس أو النيابة ما يثبت أنني تكلمت مع أحمد ابن خالي .

ج : لا أعرف وإنما سمعت ذلك .

س : ألم أشك إلى دولتكم أنهم ضربوني وأن أحمد بك طلعت عذبي .

ج : لم يحصل .

س : ألم تقل أن حسن البنا "رحمه الله" قد استرحنا منه وكبار الإخوان في المعتقلات وأنت طالب تدرس في الحقوق ومن مصلحتك أن تنجو بنفسك وهذه القضية أي قضية الجيب هي قضية عسكرية لي الأمر الأول فيها والأخير - ألم يحدث هذا ؟

ج : لا لم يحدث وما كنتش في حاجة إلى هذا ولا موجب له .

الأستاذ زكي عربي المحامي :

س : وقت التحقيق في هذه القضية ، هل كان التحقيق في عنق النيابة ؟

ج : إن تحقيق هذه القضية بدأ قبل أن أتولي الوزارة .

س : ووقت ما توليت الوزارة أكانت النيابة قوامه على التحقيق ؟

ج : طبعي .

س : أيمن أن تؤكد لنا دولتكم أن النيابة في تحقيقها لم تكن تتلقى وحيا من الحكومة ؟

ج : أنا أؤكد لك أنني لم أشغل نفسي بشيء من هذا والقضية كانت تسير في طريقها الطبيعي ولم تكن بحاجة مني إلى توجيه إلى النيابة .

س : فهنا مما سمعنا من دولتكم أنه إنما أتى له بالمتهم عبد الرحمن عثمان المعترف لأن التحقيق اعترض طريقه في هذا الاعتراف إدلاء بأقوال ضد ابن محمود باشا يوسف فهل هذا الذي فهمته وفهمه معي من سمع هو الصحيح ؟

ج : على كل حال هل يسأل عنه من الشخص الذي قام في ذهنه الاهتمام بهذا الأمر - وعرضه على - وفيما يتعلق بي فإنه عندما قام أمامي من الدليل ما يريحي أمرت بالقبض على ابن محمود باشا يوسف .

س : أما كان هذا التصرف من النيابة غير طبيعي ؟

ج : أنا حاكم عسكري والبوليس يعني حالات اشتباه لأشخاص معينين وأنا أقول أقبض أو لا تقبض والنيابة تتصرف .

س : معني هذا وأنت تذكر سلطانك كحاكم عسكري أن توجه النيابة ؟

ج : أنا لم أكن أوجه النيابة العمومية .

س : ألم يكن لدولتك توجيه إذن ؟

ج : أرجو أن توضح المسائل على حقيقتها وأنا أقصد توجيهي للبوليس فقط فإذا أريد القبض على شخص معين فلا بد لي من أن أعرف ظروف ذلك والمسألة حفظ أمن وأنا تكلمت فيها أعتقده وأنا رجل مسئول عن الأمن في البلد والبوليس يعرض على أسماء أشخاص وأنا لا بد لي من التثبت وأما اتصالي بالنيابة فلا شأن لي به .

س : وأنا ما وجهت السؤال إلى الباشا هذا إلا لعلمي بأنه سيجب عنه في ضوء العقل القضائي ؟

ج : وأنا أدلي بكلامي بالعقل القضائي وبالذمة القضائية .

من الأستاذ مختار عبد العليم :

س : دولتكم ذكرت أنك لما ذهبت إلى قسم مصر القديمة وقابلت مصطفى عبد المجيد بادرك بالاستغاثة ، فممن كانت الاستغاثة ؟

ج : أظن التحقيق تناول هذا ، وقد كان يقول أنا عطشان أنا حيموتوني ، والمحقق سأله لأنه وجد فيه جراح فقال إن الناس الذين تتبعوه هم الذين أدوه .

س : ألا تذكر أنك قابلت متهمين آخرين في هذه القضية بالذات أثناء تحقيقها ؟

ج : مثل من : أذكره .

س : جمال الدين فوزي ؟

ج : لا ولا أعرفه .

س : هو قريب نظيف بك الذي كان وكيلا لوزارة الصحة ؟

ج : وماله لا أعرفه .

س : ألم يكن فضيلة المرشد العام يتصل بك وأنت رئيساً للديوان الملكي ؟

ج : شأنه شأن كل واحد يحب يقابل رئيس الديوان .

س : ألم يتناول في أحاديثه معك مسألة فلسطين والتطوع ؟

ج : لا وإنما جالي الشيخ حسن البنا وطلبه أن يسافر إلى اليمن في أيام ثورتها فنصحته أن لا يسافر وإنما فلسطين فلم يسال في شأنها .

* * *

— ٨ —

شهادة سعد أفندي حسن التميمي

س : هل استأجرت فيلا في الزيتون في سنة ١٩٤٨ بشارع الأصبع ؟

ج : أيوه .

س : ماذا أودعت فيها ؟

ج : ساكن فيها ولم يكن بها أي ترتيبات سلكية إنما كان بها أستوديو لتسجيل الصوت وجميع المعدات لم يكن بها أي شئ يمت إلى اللاسلكي ولم يكن بها إيريال .

س : أمال إيه اللي كان في الحيطه ؟

ج : أنا قلت للمحقق وريني الإحراز ووكيل النيابة رفض .

س : ومن وضع استوديو تسجيل الصوت ؟

ج : أنا وكنت أسجل أصوات على أسطوانات - والمحطات الخارجية كصوت الهند والشرق الأدنى تطلب اسطوانات فاحنا نعملها ونبيعها لهذه المحطات وأنا عملته في الزيتون لأنه بيتي .

س : هل توجد استوديوهات مجاورة لك ؟

ج : لا .

س : بعد ما قبض عليك عندما كنت تخرج من السجن هل كان يذهب بك إلى النيابة أو إلى مكان آخر ؟

ج : مرة رححت المحافظة وضربوني وطلعت الساعة ١١ بالليل ورجعت الساعة ١,٣٠ صباحا وده ثاني يوم قبض على حوالى ٨ أو ٩ أو ١٠ مايو سنة ١٩٤٨ .

س : هل تستطيع أن تذكر لنا من اشتركوا في تعذيبك ؟

ج : نعم .. اشترك توفيق السعيد وعبد المجيد العشري وواحد جاويش اسمه مصطفى التركي وعملت بذلك محضر رسمي في سجن مصر أول ما رجعت والنيابة لم تسأل عني والطبيب الشرعي بعد ٢١ يوم وصف الإصابات جميعها .

س : وما الغرض من ضربك ؟

ج : كانوا طالبين بعض بيانات بالذات تتلخص في أنني أقول أعرف فلان أو فلان وأشخاص معينين وأول يوم رحلت لطلعت بك عزم على بسجائر وجاب لي فطار ولم اقبل السجائر ولا الفطار وبعدين ضربوني واللي ضربوني سبعة وتوفيق السعيد قعدني على كرسي مخروق وكان على جنبي الشمال والعشري على جنبي إلىمين والتركي يضربني بالجزمة في وشي ولم أقل الكلام اللي هم عاوزينه وأصررت على الحقيقة التي أعرفها والضرب لم يزعزعني .

[من المتهم أحمد زكي]

س : هل سبق أنك تعرفني قبل السجن ؟

ج : كنت طالب معي في المدرسة أعرفك زي ما أعرف ٥٠ واحد معرفة سطحية .

س : هل سبق أن تعاملت معي معاملة مادية أو فنية قبل القبض عليّ ؟

ج : ليس هناك أي صلة لي بك ولم يحصل وأنت كنت في سنة أولى وأنا في الدبلوم .

* * *

— ٩ —

شهادة مصطفى أفندي كمال عبد المجيد

س : هل كنت تعرف إبراهيم محمود على والمتهمين أحمد عادل كمال وطاهر عماد الدين قبل القبض عليهم ؟

ج : لا أعرفهم ولا أعرف أحد منهم أصلا .

س : ذكرت في تحقيق النيابة أنك تعرف الثلاثة وأنت كنت تقود السيارة الجيب ؟

ج : الكلام ده أحمد بك طلعت كتب به ورقة بعد ضربي وتعذيبي وأخذني قسم مصر القديمة وربطني بقيد شديد في أيادي وربط حبل في القيدين من الخلف وعلقوني في شباك القسم وجابوا نيران السجائر وحرقوني وواحد ضابط طويل كان ماشي مع دولة إبراهيم عبد الهادي باشا وكان يحرقني بالسجائر وبعد كده جاب ورقة وقال لي أمضي عليها وكتب هو فيها كل حاجة وفي نفس الليلة دية لا أذكر الساعة كام بعد ساعتين ثلاثة جه حضرة المحقق (وأشار على محمد بك عبد السلام) وحكيته له هذه القصة الخاصة بالتعذيب فأعرض عني ونزل ولم يقبل أن يكتب ولا كلمة وتركني مع البوليس السياسي ومنعوني من النوم ٤٨ ساعة وقعدو لي واحد ضابط كده وواحد ضابط كده وكانوا يغيروا على وأجي أنام يضربوني وأضربت عن الطعام إحتجاجا وهددونني بالاعتداء على

عرضي ومضوني على أوراق لا أعرف عنها حاجة وقعدت عشرة أيام مضرب عن الأكل إضراباً تاماً وقالوا لي إن لم تأكل سنعتدي على شرفك فتحت هذا التهديد بقيت أكل خوفاً من هذا وأنا وقعت على أوراق لا أعرف ماذا فيها ووقعت عليها تحت إرهابي .. ومرة اثنين ضباط حضروا لي وقالوا إحنا وكلاء نيابة مستعدين ندون لك بس كل ، فقلت لهم أنا عار فكم وليس عندي شيء .

س : متي حصل هذا التعذيب .

ج : جزء منه في قسم مصر القديمة .

س : متي ؟

ج : في ٥ مايو سنة ١٩٤٩

س : وكيف أحضروك ؟

ج : البوليس حاصر الحي وأخذوني وقالوا فيه ناس ضربوا قنابل وقبض على ناس كثيرين جدا وخطونا في حوش كبير وأنا ساكن في العباسية وكنت مطارده من البوليس وكان علوز يقبض على وكنت أزور واحد في مصر القديمة وبعدين البوليس لما سألني قلت على أسمى بالضبط فقالوا مفيش غيرك وفضلوا يضربوني وقالوا لي أنت اللي ألقيت قنابل على رئيس الوزارة .

س : في هذه الجهة هل حضر أحد من النيابة ؟

ج : جه منصور باشا النائب العام وإبراهيم عبد الهادي باشا وضباط كثيرين جدا فأنا قلت لإبراهيم باشا أنا في عرضك يا سعادة الباشا ألحقني فقال لي أنت ضربت قنابل على فقلت له لأ فقال أنتم عاوزين تقتلونني ليه أنا مش ألغيت البغاء مش عملت الدين في المدارس فقلت له ما أعرفش حاجة وسابني ومشي وقال إذا ماكنش يتكلم شرحوه وبعدين جم الضباط بتوع القلم السياسي في مصر القديمة مضوني على ورق وأنا كنت ميت معلق في الهواء وكل ده بالليل وجه محمد عبد السلام بك وعمل محضر وقال لي تعرف إيه عن الجيب فقلت له ما اعرفش وقال لي أنت كنت راكب ومعك فلان ده ولم يكتب حاجة وبعدين قعدت في المحافظة يومين ورحت له في مصر القديمة قعدوني في الزنزانة وملوها مياه لم أنم ليلتها .

س : هل عرض عليك حضرة المحقق محمد عبد السلام بك المتهمين الثلاثة أحمد عادل وطاهر عماد الدين وإبراهيم محمود علي ؟

ج : بعد يومين ثلاثة ضربوني وشالوني أرسلوني لمحمد عبد السلام بك في النيابة وقعدوني على كرسي ودخل على شوية أفندية وقعدوا زعقوا مع بعض وبعدين مشيوا وأنا كنت تعبان جدا وكانوا يتناقشوا مع المحقق وأنا عبارة عن جثة .

س : لما دخل الناس زعقوا هل كنت واقفا أم جالسا ؟

ج : كنت قاعد على الكرسي .

س : عند وجودك بقسم مصر القديمة هل استمر تعذيبك بعد وصول سعادة النائب العام ؟
ج : نعم واشتد .

س : هل كان أحمد طلعت بك موجودا يوم الزعيق ده ؟
ج : لا .

س : الورق اللي مضيت عليه في هذه المرة هل سلمه لك أحد من البوليس ؟

ج : أنا لم أمض على ورق في هذا الوقت ساعة ما جاءوا الأفندية وفي هذا اليوم لم يحصل مني إمضاء مطلقا .

س : هل يذكر الشاهد شكل الورق الذي كان يمض عليه ؟

ج : ورق كثير زي المحضر .

س : هل إذا عرضت هذه الأوراق عليك يمكنك التعرف عليها ؟

ج : إمضائي إذا عرضت على أعرفها

من النيابة :

س : المرة اللي جيت فيها في النيابة هل شكيت لي أنك عذبت ؟

ج : أنا شكيت لك كده في مصر القديمة .

س : هل سألت في مصر القديمة عن سيارة الجيب ؟

ج : سألت والمحقق رفض يقبل أي كلمة والمحقق كان محمد عبد السلام بك .

- ١٠ -

شهادة عبد الفتاح أفندي ثروت

س : هل تعرف عبد الرحمن السندي .

ج : لا .

س : هل انضممت إلى هيئة سرية وأقسمت اليمين على طاعة قيادتها .

ج : لا .

س : ذكرت في التحقيقات إنك أقسمت اليمين على طاعة قيادة هيئة سرية في منزل بشارع فؤاد الأول ؟

ج : ما أعرفش حاجة عن الموضوع ده واللحظة اللي حصل فيها تحقيق معي كنت تعبان ولم أشعر بحاجة حولي لأنني بقالي شهرين منمتش وماكلتش ومعذب باستمرار .

س : من كان يعذبك ؟ ولماذا التعذيب ؟

ج : أول ما قبض على في ميدان الملكة فريدة الساعة ٩ يوم ٩ مايو سنة ١٩٤٩ واللي قبض على واحد اسمه العشري ومعاه النكلوي وهو ساكن جنبي ووجدت الضرب فوق دماغي بالطبنجات ولم أدر إلا وأنا في المحافظة ودخل أحمد طلعت بك وقال لي حتقول أو مش حتقول فقلت له أقول إيه فقال باين عليك مقاوح وأنا عاوز أشرك فقلت لا مفيش ما يدعو فقال خده يا عشري وأخذوني عند محمود طلعت أفندي وهو ضابط فقال لي أقعد وقال لي شوف يا ابني هنا أحكام عسكرية وقال لي تقول اللي حاقول عليه وإلا حتتعب قوي فقلت له اللي أعرفه أقوله فقال لي أنت من الإخوان المسلمين قلت أنا أنشرفت وقال لي أنت من الإخوان قلت له أيوه ، فقال لي بتعمل إيه فقلت له فيه إخواني اعتقلوا واحنا بنلم لهم فلوس فقال لي إحنا هنخليهم يتشرمطوا وأخذوني ودخل العشري وواحد اسمه فاروق ومصطفى . ومصطفى قال لي أفلع وبعدين فضلوا يضربوني من الساعة ٩ إلى الساعة ٤ صباحا وكانوا مقسمين أنفسهم كل مجموعة ١٢ عسكري وضابط وكانوا يحطوا في رجلي فلقة وكانت الفلقة تنكسر فجابوا عصي من بنوع المظاهرات وبعدين جابوا كراييج هجانة وكتفوني من الخلف وفضلوا يضربوا فيّ وأثناء الضرب أغمي على وفوقوني بالنشادر ولقيت أحمد طلعت وقال دي أول جولة والجولات أتية وبعدين أخذوني قسم مصر الجديدة وبعدين رئاسة الوزارة وكان فيه واحد ضابط هناك عرفت أنه أخ إبراهيم باشا وإبراهيم باشا قال لي حتقول أو مش حتقول فقلت له أنا بنضرب كل ليلة ولم أنم وكل جسمي بيوجعني وبعدين قال أنا عندي أمر أموتك وقال لي أنا حاخليهم يشرحوك وكان الضباط يتباهو أنهم يقسموا التعذيب ، وبعدين جه واحد اسمه محمد علي صالح وقال لي أنت شميت ريحة الجلد لما ينحرق وبعدين قال نجرب وكل واحد من الضباط يجيب سيجارة ويحرقني وبعدين جاب سيخ حديد وحطوه على النار وبعدين دخل محمود طلعت وقال سيبوه ده معايا وقال لي أنت عمك زميلي ورئيسي وأعمامك اعتقلوا وأخوالك وأختك اعتقلت وبعدين حطوني في سجن الأجانب على الأسفلت وحطولي لمبة كبيرة جدًا وساعة ما أجي أنام يخبطوا على الباب وبعدين لقيت بتجيني نوبات شديدة وبعدين جابوا لي واحد عسكري أسود لا يمكن أنساه وقالوا لي إذا لم تتكلم حيرتكب معك الفحشاء وأنا قلت له إذا عملت هذه العملية أنا مش هقدر أقاومك لأنني متكتف وبعدين قلت له فيه رب وبعدين في هذه الأثناء أخذوني التحقيق وكان إسماعيل بك عوض يسألني وأنا أقول مش عارف بييجي أحمد طلعت ويقول له أنا عاوز الولد ده ولا أدري إلا وأربعة رامييني في سجن الأجانب وييجي إبراهيم عبد الهادي باشا يقول أخوالك معتقلين وعمامك وأختك وأنا الحاكم العسكري وفي أثناء التحقيق جه محمود باشا متصور وقلت له أنا عذبت فقال الحكومة عارفة واحنا عارفين وأن لم تتكلم حتتعذب وفي هذه الأثناء كانوا يأخذوني

في التحقيق وكانوا يكتبوا اللي يكتبوه والنهاردة وأنا جاي لقيت الضباط بتوع القلم السياسي اللي هم من إجرامهم يجيبوا أخويا ويضربوه أمامي وأنا لا أعرف حاجة عن هذا الكلام .

س : قبل ما يضربوك طلبوا منك أن تقول أقوال معينة ؟

ج : أيوه .. طلبوا مني إني أقو أنني أعرف مالك وعاطف وطلبوا مني أن أقول إني مشترك في عملية حامد جوده وأعرف المتهمين وكانوا يجيبوا منهم ولا يعرفوني فيقولوا لهم مش ده عبد الفتاح ثروت ، وبعد ذلك أغمى علىَّ الشاهد المذكور وتشنج وتقلصت أعصابه وأخذ يصدر صوتا عاليًا واستمرت هذه الحالة مدة طويلة ثم نقل بمعرفة ضباط الحرس إلى غرفة إسعاف المحكمة لإسعافه ، وقد لاحظت المحكمة في أول الأمر أن الشاهد كان في حالة عصبية أثناء إدلائه الشهادة .

(٢)



نقدية :

هذه الوثيقة الثانية مما أصدرته "دار الفكر الإسلامي" عن قضية "سيارة الجيب" ، وكانت الأولى عن "أقوال كبار اليهود" التي أوردناها قبل هذه ، ومن المحتمل إن لم يكن لها عندما صدرت أهمية خاصة ، ولكنها الآن وبعد نصف قرن ، تعد وثيقة ثمينة لأنها حفظت في كتاب موجز مرافعات أعلام المحاماه في إحدى القضايا السياسية الخطيرة ، وهي قضية "سيارة الجيب" التي أريد بها تهئية المناخ لحل الإخوان المسلمين ، ولكنها جاءت بعكس ما أرادوا ، فقد برأت المحكمة معظم المتهمين وحكمت بعقوبات هينة ، وأهم من هذا أنها عرضت فكرة الإخوان ودافعت عنها ، مما يُعد اعترافاً قضائياً ليس فحسب بمشروعية كفاحها ، بل أيضاً إنه الكفاح المطلوب .

جمال البنا

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

المرافعات التي بهذه الرسالة مرتبة بترتيب الإلقاء في جلسات المحكمة

المقدمة

يسرنا أن نقدم إلى القراء الرسالة الثانية من سلسلة رسائل قضايا الإخوان متضمنة المرافعات الستة الأولى في قضية "سيارة الجيب" .

ولعلها المرة الأولى في تاريخ النشر العربي التي تصدر فيها رسالة تستوعب مثل هذا العدد من المرافعات القيمة .. وتوزع بثمن بخس يطيقه كل واحد ، ذلك لأننا نعتقد أن واجب هذه الدار هو أن تتيح للقراء أهم المواد بأقل النفقات وأن تلاحظ في توزيعها المعنى الشعبي ، ولأنها ترى - من ناحية أخرى - أن هذه المرافعات تخص كل مواطن مصري أو أخ مسلم وتعتبر إحدى اللزوميات له .

لقد فضح المترافعون مؤامرات البوليس السياسي . وفندوا إتهامات النيابة ، الواحدة تلو الأخرى ، بما لا يدع ظلاً لشك . وكشفوا الستار عن التدخل الأجنبي . وشرحوا من الناحية القانونية دعوة الإخوان المسلمين وقدموا للرأي العام صورة حقيقية مشرفة لأمثل الدعوات . فلا جرم إن كانت هذه المرافعات شهادة قيمة من أذكي العقليات القانونية تضم إلى سجل هذه الدعوة الحافل وإن كانت تزكية الله عز وجل للمؤمنين واصطفاءه هذه الدعوة بالامتحان والابتلاء تجعلها في غنى عن شهادات الناس . فلتكن تذكرة لكي لا ننسى وتقدمة لمن لا يعرف .

وكان صدور الحكم في ١٧ مارس سنة ١٩٥١م إطاراً أحاط بهذه الشهادة وتاجاً كل تلك المرافعات قدر ما كان ضربة قاضية على ثلوث المؤامرة : عهد السعديين الغابر الذين تحملوا كبرها ، والبوليس السياسي الذي حاك خيوطها .. والنيابة التي تسترت وصمت أذنيها .

وقد تأخرت هذه الرسالة لعوامل قهرية ، ونأمل إن شاء الله أن تصدر الرسالة الثالثة قريباً متضمنة بقية المرافعات .

ونحن نقدم شكرنا لحضرات الإخوان الكرام الذين استقبلوا الرسالة الأولى بما عهد فيهم من الكرم والتشجيع والصفح عن الأخطاء .. ونأمل - بمثل هذه الرعاية - أن نتقدم وأن نحقق ظنهم الجميل . وكذلك نقدم شكرنا الخالص للفنان الأستاذ محمد خليل الذي تطوع برسم الغلاف . والله ولي التوفيق .

دار الفكر الإسلامي

وثائق قدمها الدفاع

تثبت الدخول البريطاني في حل الإخوان المسلمين

[١]

الموضوع : اجتماع سفراء صاحب الجلالة البريطانية وأمريكا وفرنسا في فايد في ١٠ نوفمبر سنة ١٩٤٨ م .

رقم القيد : ١٨٤٣ / أي // ٤٨ التاريخ ١٩٤٨ / ١١ / ١٣ م

إلى رئيس إدارة المخابرات رقم (١٣)

فيما يختص بالاجتماع الذي عقد في فايد في ١٠ الجاري بحضور سفراء صاحب الجلالة البريطانية وأمريكا وفرنسا .. أخطركم أنه ستتخذ الإجراءات اللازمة بواسطة السفارة البريطانية في القاهرة لحل جمعية الإخوان المسلمين التي فهم أن حوادث الانفجارات الأخيرة في القاهرة قام بها أعضاؤها .

إمضاء

ج. و. أوبرايان ماجور

الموضوع : الإخوان المسلمون .

رقم : ١٦٧٠ / ان ت / ٤٨ إلى إدارة ج . س . ٣

التاريخ : ٢٠ نوفمبر سنة ١٩٤٨ القيادة العليا للقوات البريطانية في مصر .

(١) إلحاقاً بمذكرتكم رقم ٧٣٤ / ان ت / ب // ٤٨ المؤرخ ١٧ نوفمبر سنة ١٩٤٨ م .

رسمياً من سفارة صاحب الجلالة :

(٢) لقد أخطرت هذه القيادة البريطانية في القاهرة أن خطوات دبلوماسية ستتخذ لإقناع السلطات

المصرية بحل جمعية الإخوان المسلمين في أقرب وقت مستطاع

(٣) فيما يختص بالتقارير التي كانت قد رفعت من الرعايا الأجانب المقيمين في مصر ، فقد

أرسلت إلى وزارة الخارجية للعلم .

رئيس إدارة حرف (أ)

قيادة القوات البريطانية في الشرق الأوسط

إمضاء

كولونيل ا . م . ماك درموت

مرافعة الأستاذ الكبير عبد المجيد نافع

ابتدأت المرافعات في هذه القضية الخطيرة يوم ١٥ يناير سنة ١٩٥١ . وكان الأستاذ الكبير عبد المجيد نافع المحامي عن الأخ الكريم أحمد افندي عادل كمال (المتهم الحادي عشر) هو أول حضرات المترافعين باتفاق سابق بين هيئة الدفاع .

وقد استغرقت مرافعة الأستاذ عبد المجيد نافع أربع جلسات متوالية (من ١٥ حتى ١٨ يناير) توخي فيها تنفيذ اتهامات النيابة فيما يتعلق بهيئة الإخوان المسلمين فضلا عن الدفاع عن موكله بما عرف عنه من طلاقة .. وفصاحة .

اتهامات النيابة

بدأ الأستاذ عبد المجيد نافع مرافعته بقوله :

حضرات المستشارين :

يطيب لي اليوم وأنا في موقف الدفاع عن هذه المجموعة الصالحة من شباب الأمة أن أجعل براعة الاستهلال في مرافعتي إذ جاء شكري لحضراتكم مضاعفا على ما أبديتم من رحابة الصدر وسعة الأفق وتحري الحقائق وتحقيق الدفاع وكل ذلك في سبيل إنقاذ العدالة - ذلك لأنكم شيوخ العدل - ولكم من ضمائركم الحية وتجاربكم الطويلة ما يكفل أن لا يختل ميزان العدالة في أيديكم - وهؤلاء الأبناء وآلاف غيرهم ممن نكل بهم العهد الماضي يرتقبون في اطمئنان وثقة البراءة تصدر عنكم عالية مدوية فتأسو جراح نفوسهم وتردهم إلى أهلهم ومواطنيهم لينهضوا بأعباء الأولين ويستأنفوا جهادهم في قضية الآخرين .

حضرات المستشارين :

لقد أجهدت النيابة العامة قريحتها لترسم للمتهمين صورة سوداء قاتمة وأنا من جانبي أرى حقا على أن أقدم لحضراتكم صورة صالحة عن هذه الجماعة الصالحة مؤيدة بالوثائق معززة بالشواهد - اسمحوا لي أن أقول بأن سلطة الاتهام قد تجنت على الحقائق والوقائع فصورت جماعة الإخوان المسلمين بأنها جماعة إرهابية تبغى قلب نظام الحكم وتتوسل إلى هذه الغاية غير المشروعة بالجريمة في مختلف صورها ، وتمعن صاحبة الدعوى العمومية في التجني على الحقائق فتذهب إلى أن تلك الجماعة قد نشأت نشأة دينية بحتة ثم ما لبثت أن انقلبت إلى جمعية سياسية تستغل السياسة كأداة للاستيلاء على الحكم بالقوة بل إنني أستبيح لنفسي أن أقول إن حضرة ممثل الاتهام قد أسرف أيما إسراف في التأويل والتخريج وراح يدلل على أن تلك الجماعة المضحية بنفسها استغلت حرب فلسطين على أسوأ صور الاستغلال كي تعبئ الأسلحة والذخائر والقوى وبعد أن يتم لها ذلك تعمل على قلب نظام الحكم في اليوم الموعد وذلك حين تهدم نظام الحكم من أساسه وتقيم على أنقاضه حكمها الإسلامي المرتقب .

على إني وقد تأدبت بأدب القرآن أذكر في هذا الموطن قوله تعالى "وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ" ، والإنصاف يقتضي أن أشهد لحضرة ممثل الاتهام بالقدرة الفذة والكفاية النادرة .. ولكن في إرهاب العبارات وتحميلها ما لا تحتمل من المعاني وفي التأويل والتخريج وفي قلب الأوضاع وعكس الآيات وإقحام التهم على طائفة من الأبرياء .

كان حضرة ممثل الاتهام بارعًا إلى أقصى حدود البراعة في استعداد القضاء ليأخذ بثأره بأن قدم في رأس القائمة السوداء التي زفها لهؤلاء المتهمين جريمة مصرع الخازندار بك ثم عقب عليها بمصرع النقراشي باشا وقفي على آثار ذلك بمحاولة نسف دار العدالة ثم حسب أنه قد استخلص النتيجة المنطقية وهي أن جماعة الإخوان قد باتت أداة طيعة في أيدي الدجالين والمدمرين . ولم ينس حضرة ممثل الاتهام ظنا منه أن هذا يحجر قلوبكم على هؤلاء المتهمين أن يذكر مصرع الخازندار بك المرة بعد المرة وعددتها فوجدتها تنيف على أربع مرات أو خمسة وراح يعدد سلسلة عن جرائم موهومة اقحمت على هؤلاء الأبرياء وما كان لها أن تقتحم ، فقال أنه بتاريخ ١٩٤٨/١٢/٤م قامت مظاهرة صاخبة في جامعة فؤاد الأول القيت فيها قنبلة أودت بحياة سليم زكي باشا . ثم ذكرت النيابة أنه في أعقاب هذا الحادث وبعد يومين لا أكثر أو أقل قامت مظاهرة في المدرسة الخديوية ألقى فيها القنابل فأصيب ضابط وسبعة جنود . وفي لهجة خطابية ذكر ممثل الاتهام محاولة نسف محكمة الاستئناف من شفيق إبراهيم أنس بتاريخ ١٩٤٩/١/١٣م وفي ١٩٤٩/٥/٥م نصب كمين لاغتيال إبراهيم عبد الهادي باشا ولم يمر في تلك اللحظة وكانت محاولة اغتيال الأستاذ حامد جودة رئيس مجلس النواب السابق ، ثم راح حضرة ممثل الاتهام يعدد الحوادث التي يلصقها - على سبيل التنكيل - بهؤلاء المتهمين فقال بتاريخ ١٩٤٦/٦/٦م وقع اصطدام بين الإخوان وبين خصوم لهم في الرأي في بور سعيد أفضت إلى قتل واحد وفي ١٩٤٧/٥/٢٥م حصل شروع في قتل واحد في دمنهور ، وفي ١٩٤٨/٢/٣م ألقى قنبلة في مدرسة الزقازيق الثانوية ثم في عبارة خافتة ذكر حضرة ممثل الاتهام توالي إلقاء القنابل على الجنود البريطانيين سنة ١٩٤٩م وفي نوفمبر وديسمبر سنة ١٩٤٩م وقعت حوادث نسف في القاهرة وقال أنهم وضعوا النار في أرض أحد الملاك في كفر بدواي وحرصوا عمال تفتيش محلة موسى التابعة لوزارة الزراعة على التوقف عن العمل . وبعد هذا التكبير والتهويل ذكر حادث شركة الاعلانات الشرقية وإلقاء القنابل في حارة اليهود وعلى بعض الأشخاص في مصر الجديدة .

نسبت هذه الاتهامات إلى هؤلاء المتهمين أو بعبارة أشمل لجماعة الإخوان المسلمين وسأبين أن صرح الاتهام العالى الذي حسبت النيابة العامة أنها شيدته لم يكن على حد التعبير إلا قصورا من الورق أو بناء على رمال .

تفنيد تهمة اغتيال الخازندار بك

وأخذ الأستاذ عبد المجيد نافع في تفنيد تهمة اغتيال الخازندار بك فقال :

الشابان اللذان ارتكبا الحادث هما حسن عبد الحافظ ومحمود زينهم وأوليات العدالة ، بديهيات القانون الجنائي تقول تحقيقا للمبدأ الذي وضعه قرأنا الكريم : "وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى" ، "وَكُلُّ إِنْسَانٍ لِرَمَلِهِ لَظْمَةٌ" .

يا حضرات المستشارين :

هل قام دليل ، أو حتى ثارت شبهة ، على أن زعيم هذه الجماعة وهو المغفور له الشيخ حسن البنا أو أحدًا غير عبد الحافظ وزينهم اللذين انغمست يدهم في الجريمة .. أو هل قام دليل على أن هذه الجماعة حرضت . أستغفر الله .. أو رضيت .. أستغفر الله مرة أخرى . أو أن هذه الجماعة لم تستنكر هذه الجريمة الشنعاء ؟

يا حضرات المستشارين :

سأبين لحضراتكم إلى أي حد يجمع المنطق بالنيابة وإلى أي نتائج يفضي إليها منطق النيابة . أرجع بذاكرتكم قليلا إلى التاريخ الحديث . في عام سنة ١٩١٠م أطلق إبراهيم الورداني رصاص مسدسه على بطرس غالي باشا وتبين وقت ذلك الحادث ، أن الورداني متشبع بمبادئ الحزب الوطني وله ميول سياسية كالحزب الوطني سواء بسواء أو بعبارة أصرح أن الورداني كان ينتمي إلى الحزب الوطني ولم يجترئ أحد على الدعوى بأن الحزب الوطني حزب دموي متشبع بروح الإجرام وتقدم للدفاع عن الورداني ثلاثة من فطاحل المحامين من أمراء البيان هم إبراهيم الهلباوي بك وأحمد لطفي بك ومحمود أبو النصر بك . وما لنا نذهب بعيداً والتاريخ يذكرنا بحقائق تقضي بأن منطق النيابة يتجافى مع مبادئ العدالة ويتنافى مع أصولها .

وفي أعقاب ثورة سنة ١٩١٩م قيل أن مؤامرات دبرت لاغتيال الإنجليز وقدم المتهمون إذ ذاك إلى المحاكمة وكان على رأسهم عبد الرحمن بك فهمي وإبراهيم باشا عبد الهادي - وهنا لا أملك نفسي عن التنبيه إلى ظاهرة غريبة .. ظاهرة مؤلمة . وتلك هي أن الرجل الوطني أو السياسي في هذه الأمة يبدأ حياته كفدائي ثم لا يلبث أن ينقلب جلادا للحريات وكفى - لم يقبل إذ ذاك أحد ان الوفد المصري هيئة إجرامية أو جماعة ثورية . ثم حصل بعد ذلك سلسلة اعتداءات على كثير من المصريين والأنجليز وكان الوفد المصري هو الهيئة التي تفقد مصير البلاد وتترعم البلاد ويدين الكل بمبادئه - ومع هذا لم يقل أحد أن الوفد المصري هيئة مجرمة تدعو إلى الجريمة . في ذلك الحين كان سيف الأحكام العرفية مصلتا على الرقاب وكانت السلطة الإنجليزية وهي سلطة استعمارية .. سلطة غاشمة - ومع هذا فلم يفكروا إطلاقا ولم يدر في خلدكم أن يحلوا هيئة الوفد المصري .

وبعد هذا وفي ١٩ نوفمبر سنة ١٩٢٤م وقع حادث اغتيال السردار السير لي ستاك باشا واتهم في هذا الاغتيال الأستاذ شفيق منصور المحامي العضو في مجلس النواب والعضو في الهيئة الوفدية . و صدر الحكم في ٧ يونيو سنة ١٩٢٥م بإعدامه .

شفيق منصور - الذي قضي بإعدامه - وفدى لحمًا ودمًا ومع هذا لم يجترئ أحد على الدعوى بأن الوفد المصري مسئول عن هذه الجريمة . بل حينما تقدمت قضية الاغتيالات السياسية اتهم فيها طائفة من أبرز شخصيات الوفد .. أحمد ماهر - النقراشي عبد الحليم البيلي لم يدع أحد أن الوفد هيئة إجرامية .

ولنرجع بالذاكرة التاريخية قليلا ... في مساء ١٦ نوفمبر ١٩٢٢م وفي أعقاب تأليف حزب الأحرار الدستوريين وفي ليلة كان يجتمع فيها مجلس الأحرار وعلى باب الأحرار الدستوريين سقط صريعا برصاص المسدسات من شبان مجهولين كل من : حسن عبد الرازق باشا وإسماعيل زهدي بك - في ذلك الوقت كان التطاحن الحزبي على أشده بين الوفديين والأحرار الدستوريين بل كان سعد زغلول باشا

يرمي الأحرار الدستوريين إذ ذاك بكل جارحة والمروق والخيانة وكان يصفهم بأنهم دعاة التردد والهزيمة وبأنهم صنائع الغاصب . ثم تقع هذه الجريمة وشباب الأمة كله ينطوي تحت سعد ويهتف لسعد ومع ذلك لم يستطع أحد أن يصم الوفد أو سعد بوصفة الجريمة .

القانون الطبيعي إذا كان هناك شاب مفتون قد ارتكب جريمة فهو وحده الذي يتحمل المسؤولية في هذه الجريمة . فإذا كان عبد الحليم وزينهم ارتكبا هذه الجريمة فما كان ذلك إلا لأن عقليتهم مريضة وتقديرهم سئ ونظرهم إلى الأمور خاطئ .

وأذنوا لي أن أذكر التعليل النفساني لهذه الجريمة : في هذا الحين كانت تدور مفاوضات بين مصر وإنجلترا في سبيل تحقيق أهداف وطنية . الجلاء الناجز ووحدة وادي النيل تحت التاج المصري . في هذا الحين أقيمت قنابل على أندية انجليز في الإسكندرية - الشبان الذين ألقوا هذه القنابل - ما التصور الذي تصوروه ؟ كانوا يتصورون أنهم بذلك يستطيعون خدمة المفاوضين - مخطئين أو غير مخطئين - ونظرت هذه القضايا أمام الخازندار بك فقضي بعقوبة رأي الرأي العام أنها عقوبة قاسية في جريمة سياسية الباعث عليها شريف . وفي هذه الفترة - لسوء الطالع - قدمت إليه قضية حسن قناوي الذي كانت جميع الصحف تخلص عليه صفة سفاح الإسكندرية فحكم عليه بسبع سنوات لاعتبارات قامت في ذهنه أثبتت برائته من تهمة القتل ولم يثبت عليه إلا الشروع في القتل وهكذا قضى على الوطنيين بعشر سنوات وعلى سفاح الإسكندرية بسبع سنوات ، فهل تكون جماعة الإخوان مسؤولة عن هذه الجريمة ؟ .. لا يمكن أن تضاف هذه الجريمة إطلاقاً إلى جماعة الإخوان المسلمين .

اتهامات أخرى

واستعرض الأستاذ عبد المجيد نافع الاتهامات الأخرى التي نسبتها النيابة إلى الهيئة وتولى تنفيذها .. واحدة بعد أخرى ، فقال ذكرت النيابة أنه في يوم ١٩٤٣/١/١٩م وجد السيد فايز عبد المطلب في جبل المقطم يدرّب الأنصار والأتباع على استعمال السلاح . هذا الحادث الذي تأبّ النيابة العمومية إلا أن تنسبه إلى الإخوان المسلمين صدر فيه قرار حفظ من سعادة النائب السابق وقيل في قرار الحفظ "لنيل الغاية وشرف المقصد" ولم تقل لجريمة المقصد . وقالت النيابة إن جماعة الإخوان لهم صفحات دامية في الحوادث التي حصلت في جامعة فؤاد والمدرسة الخديوية .. ولكن أحداً لم يتهم في هذه الحوادث ..

النيابة العامة تأبّي إلا أن تقحم على الإخوان المسلمين حادث شبين الكوم إقحاماً . وما هو حادث شبين الكوم ؟ كان المجني عليه أبا مسلماً وكان الجاني وفدياً وقضي على الجاني الوفدي بخمسة عشر عاماً كاملاً وتعويض ألف جنيه .

توجد حوادث نسبتها النيابة للإخوان أيضاً - محل شيكوريل نسف - لماذا ينسب للإخوان ؟ طلبنا ضم قرار الحفظ في هذا الحادث وتقرير الخبراء وثبت من تقرير الخبراء أن الحادث كان أثراً من آثار لغم هوائي وأضيف لحساب الصهيونيين وعلى كل حال حفظ التحقيق ولم يتهم إخوان ولا غير إخوان - حادث نسف شركة الإعلانات الشرقية .. قيد ضد مجهول .

ومضى الأستاذ في مرافعته فقال : أنكر أن حضرة ممثل الاتهام قال إذا كان الدفاع معنا .. فأنا سأمشي معه لنرى النتائج الخطيرة .. وقعت ثلاث محاولات للقضاء على حياة النحاس باشا . أطلق عليه الرصاص في سيارته وهو في طريقه إلى النادي السعودي ونجا بأعجوبة . ثم وقعت محاولة إجرامية أخرى لنسف بيت النحاس باشا بمادة الجلجنايت وأصابت شظية السرير الذي كان النحاس باشا ينام فيه ولولا أن هذا الستار الرقيق قد هدأ من سير الشظية لأصبح النحاس باشا في ذمة التاريخ . وبعد هذا بفترة وجيزة والنحاس باشا على باب بيته وصل بالسيارة ومعه فؤاد سراج الدين باشا وأطلق عليه ٣٠٠ عيار ناري من مدافع تومي ولكن النحاس باشا ينجو ويموت خفيران . في هذه الحقة من التاريخ يقولون على الإخوان جمعية إرهابية .. لأ . ده العهد ده اللي كان يسمى الحكم الإرهابي .

في تلك المرحلة الإرهابية من التاريخ المصري اتهم النحاس باشا صراحة وعلانية الأستاذ فتحي عمر وقد كان إذ ذاك مديراً لمكتب إبراهيم عبد الهادي باشا رئيس الديوان الملكي واتهم كامل الدماطي وكان مديراً لمكتب النقراشي باشا والخصومة في ذلك العهد بين النحاس باشا وبين العهد القائم على أشدها وكان القائمون في الحكم يودون أن يقضوا على النحاس باشا بعد ذلك أقبل النحاس باشا إلى الحكم يتهدى وقيل إن الرجل سيبعث التحقيق ولكن لازال التحقيق يغط في نومه العميق . وأنا أسائل نفسي في هذه الساحة المطهرة وفي هذه الساعة التاريخية هل يد العدالة تقصر عن أن تتال أيدي المجرمين ؟ وأية يد قوية تلك التي تغل أو تشل التحقيق ... نريد أن نفهم هذه الحوادث عاقلة بمن ؟ تلطخ من ؟ تخضب يد من ؟ - المسألة مسألة كيان دولة وأمن أمة . مسألة هذه الأمة المسكينة التي لا تصح أن تكون فريسة في أيدي المجرمين .

يا حضرات المستشارين :

إذا جاز للنيابة أن تنسب هذه الاتهامات الكثيرة إلى الإخوان فإن جريمة اغتيال الشهيد حسن البنا يجب أن تضاف إلى حساب العهد المظلم لقد قلت ذلك في جلسة ١٢/٧/١٩٤٩م أمام المحكمة العسكرية العليا برئاسة زميل لكم هو الأستاذ مرسي فرحات بك وطلبت إليه ضم التحقيقات الخاصة بمصرع الشهيد حسن البنا إلى جناية مصر القديمة (الخاصة بمحاولة اغتيال الأستاذ حامد جودة) ولم أكن أرمي من وراء ذلك إلى أن يستقيم دفاعي فحسب بل كنت أرمي صراحة إلى أن يبعث التحقيق فماذا رأيت .. ؟ .. رأيت والأسى يملأ فؤادي وقلبي يكاد يقطر دمًا .. رأيت لا تحقيقاً ولكن مظاهره تحقيق .. مظاهره جوفاء . وأؤكد - ولست متبرعاً بهذا التأكيد اليوم - إن هذا التحقيق يغط في نوم عميق وجاءت حكومة الشعب إلى الحكم وتهلل الناس جميعاً وقال الناس أنها ستبعث هذا التحقيق .. لكن لا تحقيق وأسأل نفسي مرة أخرى ؟ .. أية يد قوية خفية تلك التي تشل التحقيق عن السير ؟ ما الذي يدعو كل حكومة إلى أن تهمل تحقيق هذه الحوادث المروعة ...؟؟

دراسة لقانون الإخوان

وفي جلسة يوم ١٦ يناير تولى الأستاذ عبد المجيد نافع دراسة قانون النظام الأساسي للإخوان من وجهة النظر القانونية وأثبت سلامته وعدم تعدي الإخوان له فقال :

حضرات المستشارين :

تأخذ النيابة العامة على جماعة الإخوان المسلمين أنهم نشأوا نشأة دينية ثم انصرفوا عن هذه النشأة ونكبوا الجادة وخلعوا على جماعتهم ثوب هيئة سياسية ترمي إلى قلب نظام الحكم وإقامة حكم إسلامي على أنقاضه . وأنا اليوم أخذ نفسي بأن أتابع نشأة الجماعة وتطورها و أبين لحضراتكم أغراضها وأهدافها .

وبيدي الآن قانون النظام الأساسي لهيئة الإخوان المسلمين المؤرخ ٢ شوال سنة ١٣٦٤ هـ الموافق ٨ سبتمبر سنة ١٩٤٥م وتقول ديباجة هذا القانون "وأمام تطورات الدعوة واتساع ميادين نشاطها وعلى ضوء التجارب التي مرت .. الخ .." .

من هذا الذي جاء في ديباجة هذا القانون يستطيع الإنسان أن يتبين أن هذه الجماعة أرادت أن تواجه تطورات الدعوة وتأخذ لها الأهمية . وعلى اعتبار أن ميادين النشاط قد اتسعت دائرتها وعلى اعتبار أنها قد صقلت التجارب وتود مخلصاً أن تفيد من هذه التجارب ، شأن كل هيئة يقظة تتمشى مع روح العصر الذي هي فيه ومع الحوادث التي مرت بها - أرادت أن تضع القانون الذي يحدد أغراضها وأهدافها ووسائلها وقد جاء في المادة الأولى من هذا القانون "في شهر ذي القعدة سنة ١٣٤٧ هـ - سنة ١٩٢٨م تألفت هيئة الإخوان المسلمين ومقرها الرئيسي مدينة القاهرة . والمادة الثانية" الإخوان المسلمون هيئة إسلامية جامعة تعمل لتحقيق الأغراض التي جاء من أجلها الإسلام" والبرنامج السياسي واضح جداً وهو:

"تحرير وادي النيل والبلاد العربية جميعاً ومساعدة الأقليات الإسلامية في كل مكان والسير إلى الجامعة الإسلامية" .

فتحرير وادي النيل في رأس هذا البرنامج وكذلك البلاد العربية وكلها رازح تحت نير الاستعمار الأجنبي ومن التجوز البالغ أن نأخذ على جماعة الإخوان المسلمين أن يجعلوا من وسائلها إعداد كل ما يستطيعون من عدة . فكافة الاستعمار لا تكون بالخطب والمقالات أو بالمؤلفات وإذا كانت الأمم الإسلامية تقف عند هذا الحد فأولى لها أن تعلن إفلاسها السياسي وإفلاسها في الجهاد ، بل أولى لها أن يكون بطن الأرض مثوى لها .

وقد جاء في هذه المادة من القانون "قيام الدولة الصالحة التي تنفذ أحكام الإسلام وتعاليمه عملياً وتحرسها في الداخل وتبلغها في الخارج" ، وفي ثانياً هذا البرنامج تتبينون حضراتكم نقداً جارحاً ولاذعاً للحكومات الإسلامية القائمة . ففي كل يوم على ألسنة الخطباء وعلى صفحات الصحف نقرأ ونسمع انتقادات مرة للحكومات القائمة . فهنا في مصر إلى عهد قريب أو لم تكن الحكومة المصرية تبيح البيغاء الرسمي وهو مرض اجتماعي لا شك فيه ولم يبلغ إلا أخيراً . أو ليست هذه الحكومة إلى اليوم تبيح شرب الخمر على حين أن أمريكا التي تدعي لنفسها أنها تسبق الحضارة الغربية بمائة عام قد أصدرت في وقت

ما تشريعاً تمنع فيه شرب الخمر لأنه داء اجتماعي وببيل يهدم الأسر والنظام الاجتماعي ويهدم الأخلاق...
أمة مسيحية تلجأ إلى هذا ونحن أمة إسلامية وفي صدر الدستور عبارة جلية ومبدأ صريح :

"الإسلام دين الدولة الرسمي" فكيف نترك دولا مسيحية تسبقنا في هذا المضمار . والآن : الميسر
أو ليس يمارس جهاراً نهاراً وفي كل مكان ويزاول ليلاً في السهرات الحمراء والفساد العام الضارب
أطنابه في كل مكان فإذا ما انتقد الإخوان هذه المفاصد فهل يعد انتقادهم هذا مفخرة لهم أو أنه يؤخذ عيباً
عليهم؟؟

حضرات المستشارين :

يدعو الإخوان للسلام كما ورد ذلك في القانون – وذلك "بمناصرة التعاون العالمي مناصرة صادقة
في ظل المثل العليا الفاضلة التي تصون الحريات وتحفظ الحقوق والمشاركة في بناء السلام والحضارة
على أساس جديد من تآزر الإيمان والمادة كما كفلت ذلك نظم الإسلام الشاملة" .

وجاء في المادة الثالثة من القانون - يعتمد الإخوان في تحقيق هذه الأغراض على الوسائل الآتية
وعلى كل وسيلة أخرى مشروعة "والإخوان يأخذون بالمبادئ الإسلامية الصحيحة فهم يريدون مقاومة
الاستعمار الأجنبي ، فلا يمكن أن يقاوموه بنفوس ضعيفة ، وإنما بقلوب قوية وأجسام قوية تحتمل الآلام
والعذاب والجهاد - الضعف فيها جريمة - ضعف النفس وضعف الخلق وضعف الجسم" .

فإذا وضع الإخوان في رأس برنامجهم التربية الجسدية والتربية الروحية ، فذلك لأن أمامهم كفاح
طويل مرير .

ثم بعد ذلك نص القسم . وهم يقولون لحضراتكم - ولست أدري إن كان هذا من وحي الخيال - إن
البيعة تنادي بأغراض إجرامية إذ يجتمع من يراد عرض اليمين عليه في حجرة مظلمة ويقسم على
مصحف ومسدس ويربض في الظلام شبح لا تراه العين ، ثم يقسم العضو اليمين - فهم يريدون أن
يصوروا العضو بأنه أداة صماء في يد الجماعة . وهذا هو اليمين الذي يبين بجلاء ووضوح أغراض
الجماعة ، فهل يصح في شريعة القانون والعدل والإنصاف أن يكون كما صوروا ؟

"أعاهد الله العلي العظيم على التمسك بدعوة الإخوان المسلمين والجهاد في سبيلها والقيام بشرائط
عضويتها والثقة التامة بقيادتها والسمع والطاعة في المنشط والمكروه . وأقسم بالله العظيم على ذلك وأباعد
عليه والله على ما أقول وكيل" ، يمكن للإنسان أن يبحث بمصباح "ديوجين" عن عناصر جريمة في هذا
القسم فلا يجد .

الإخوان المسلمون يريدون مكافحة الاستعمار في كل مكان من مصر والبلاد العربية وهذا أمر
شاق ألا يقتضيه أن يقابله فلا يجد ثغرة في صفوف متراصة متكاتف ، ولذلك جعلوا العضوية عندهم
على مراحل ، فأول مرحلة هي مرحلة الاختبار - الامتحان - التدريب - التهيئة - . وماذا في هذا ؟
ونادي القمار لا يقبل عضواً فيه إلا إذا زكاه عضوان آخران . فما هو موضع العجب في أن يقوم العضو
بأداء اختبار في جماعة الإخوان المسلمين .. ؟

تطورات الفكرة الإسلامية

وانتقل حضرة المترافع إلى التعليق على رسالة تطورات الفكرة الإسلامية – وتأويل النيابة لكثير من سطورها فقال :

إن حضرة ممثل الاتهام قد لوح بهذه الرسالة طويلا وانتزع من العبارات الأخيرة فيها ما حسبه يقيم الاتهام المتداعي . وأنا أرى من واجبي أن أبين لحضراتكم الأغراض الشريفة والمبادئ السامية والأهداف العالية التي رسمت في هذه الرسالة ... هذا هو الأستاذ الشهيد حسن البنا ، يتكلم في عبارات بليغة تنفذ إلى أغوار النفوس وأعمق الأرواح :

"... فهذه رسالتي إلى الإخوان المجاهدين من الإخوان المسلمين الذين آمنوا بسمو دعوتهم وقدسيتها فكرتهم ، وعزموا صادقين على أن يعيشوا بها أو يموتوا في سبيلها .. إلى أن قال فألى العمل أيها الإخوة الصادقون" . الله الله ! يعيشوا بها أو يموتوا في سبيلها ولم يقل يعيشوا أو يموتوا في سبيلها فهو يطلب إليهم أن يكونوا مجنبًا عليهم لا جناة .

فهذه دعوة بريئة من عرض الدنيا الزائل . والتعلق بأهداب هذا العظيم أو التشبث بأذيال هذا الكبير لأجل مغانم زائلة وحزبية واطئة وذنينة تعف عنها جماعة الإخوان فقد قال لهم زعيمهم هذه التعليمات الخالدة "أن تكون رحيم القلب كريماً سمحاً تعفو وتصفح وتلين وتحلم وترفق بالانسان والحيوان . جميل المعاملة حسن السلوك مع الناس جميعاً محافظاً على الآداب الإسلامية الاجتماعية فترحم الصغير وتوقر الكبير وتفسح في المجلس ولا تتجسس ولا تغتاب ولا تصخب وتستأذن في الدخول والانصراف" .

وتكلمت الرسالة عن الحرب الأولي وعن الصراع الذي حدث في مصر والمقدمات الرائعة التي تثمر بأبرك الثمرات فقال تحت عنوان "دعوتنا دعوة البعث والانقاذ" .. "أنريد جمع المال وهو ظل زائل أم نريد سعة الجاه وهو عرض حائل . أم نريد الجبروت في الأرض والأرض لله يورثها من يشاء من عباده ؟ كلا أيها الإخوان نريد أن يتحرر الوطن الإسلامي من كل سلطان أجنبي وذلك حق طبيعي لكل إنسان لا ينكره إلا ظالم جائر أو مستبد قاهر وأن تقوم في هذا الوطن الحر دولة إسلامية حرة تعمل بأحكام الإسلام . ومن العقوق للإنسانية في هذه الظروف الجائرة أن تقوم فيها دولة تهتف بالمبادئ الظالمة وتنادي بالدعوات العاشمة ولا تجد في الناس من يعمل لتقوم دولة الحق بالعدالة والسلام" .

وقد تساءل حسن البنا - كيف تنالون حاكم ؟ وممن ؟ من الانجليز ، وذكر أم جهل الشعب بحقيقته سيقف عثرة في وجوهكم (أي وجوه الإخوان) ، فقال تحت عنوان (العقبات في طريقنا) "أحب أن أصارحكم أن دعوتكم لا زالت مجهولة عند كثير من الناس ويوم يعرفونها ويدركون مراميها وأهدافها ستلقي منهم خصومة شديدة وعداوة قاسية وسيحقد عليكم الرؤساء والزعماء وذوو الجاه والسلطان وستقف في وجوهكم كل الحكومات على السواء . وستحاول كل حكومة أن تحد من نشاطكم وأن تضع العراقيل في طريقكم وسيتذرع الغاصبون بكل طريقة لمناهضتكم وسيثير الجميع حول دعوتكم غبار الشبهات وظلم الاتهامات وسيحاولون أن يلصقوا بكم كل نقيصه ، وأن يظهرها للناس في أبشع صورة معتمدين على قوتهم وسلطانهم وأموالهم ونفوذهم وستدخلون بذلك في دور التجربة والامتحان ، فتسجنون وتعتقلون وتشردون وتصادر مصالحكم وتعطل أعمالكم وتفتش بيوتكم وقد يطول بكم أمر هذا

الامتحان" .. كل هذا الذي قاله حسن البنا حصل وتحققت نبوءاته فكأنه كان يتكلم بوحى الغيب وبلغة النبوة، و أذكر مرة أن فؤاد سراج الدين باشا ومحمود سليمان غنام بك حضرا اجتماعاً من اجتماعات الإخوان المسلمين ، وما كاد ينفذ الاجتماع حتى بادر فؤاد باشا إلى مبايعة الشيخ حسن البنا على أن يكون جندياً من جنود دعوته . وبينما كان الإخوان المسلمون يبذلون دماءهم ويجاهدون في فلسطين كان الظالم يلصق بهم التهم ويتخذ هذا الجهاد نفسه ذريعة للقضاء على هذه الجماعة .. كما تنبأ الشهيد . وحسن البنا كأن روحه ترفرف فوق رأسي الآن وتلهمني ما أقول :

وقد تكلمت الرسالة عن "عوامل النجاح" ، فيقول الشيخ "إننا ندعو بدعوة الله وهي أسمى الدعوات وننادي بفكرة الإسلام وهي أقوم الفكر ونقدم للناس شريعة القرآن وهي أعدل الشرائع واننا بحمد الله برءاء من المطامع الشخصية بعيدون عن المنافع الذاتية لا نقصد إلا وجه الله وخير الناس ولا نعمل إلا ابتغاء مرضاته .. إلى أن قال : فقوة دعوتنا وحاجة العالم إليها ونباله مقصدنا وتأييد الله إيانا هي عوامل النجاح التي لا تثبت أمامها عقبة ولا يقف في طريقها عائق . ثم يقول بعد هذا أنتم لستم جمعية خيرية ولا حزباً سياسياً ولا هيئة وضعية لأغراض محدودة المقاصد ولكنكم روح جديد يسري في قلب هذه الأمة فيحييه بالقرآن ، ونور جديد يشرق فيبدد ظلام المادة بمعرفة الله ، وصوت داو يعلو مرددا دعوة الرسول ﷺ . ومن الحق الذي لا غلو فيه أن تشعروا أنكم تحملون هذا العبء بعد أن تخلي عنه الناس . إذا قيل لكم إلام تدعون ؟ فقولوا ندعوا إلى الإسلام الذي جاء به محمد ﷺ والحكومة جزء منه والحرية فريضة من فرائضه فإن قيل لكم هذه سياسة فقولوا هذا هو الإسلام ونحن لا نعرف هذه الأقسام وإن قيل لكم أنكم دعاة ثورة فقولوا نحن دعاة حق وسلام نعتقده ونعتر به فإن ثرتم ووقفتم في طريق دعوتنا فقد أذن الله أن ندفع عن أنفسنا وكنتم أنتم الثائرين الظالمين" .

فهذه الرسالة لا تدع شكاً في صدق أهداف الجماعة .

الدين والسياسة

بعد هذه الدراسة التمهيدية لقانون الإخوان ورسالة تطورات الفكرة الإسلامية تولى الأستاذ عبد المجيد نافع تنفيذ ما ادعته النيابة إنحرافاً عن الدين إلى السياسة فقال :

قيل بأن هذه الجماعة نشأت نشأة دينية ثم تطورت إلى جمعية سياسية . وهي تهمة لا شائبة فيها والواجب البحث هل عندما تطورت هذا التطور السياسي لتنفيذ أغراضها كانت وسائلها مشروعة أم غير مشروعة ! أنا أسلم بأنهم كانوا يعملون للوصول إلى الحكم فماذا في هذا ؟

ليس طلب الحكم عيباً بل من الواجب على كل هيئة أن تجعل همها الوصول إلى الحكم وذلك ليتيسر لها تنفيذ برامجها تنفيذاً عملياً وليس الغرض أن تبقى هذه البرامج مكتوبة على الأوراق لأن الحكم هو المحك الصادق لمهارة السياسي كما يقولون وتنفيذ البرامج يتطلب الحكم وليس بدعا في العالم أن تتطور الجمعية الدينية وتصبغ بصبغة سياسية ففي فرنسا وألمانيا قبل الحرب وبعده قامت فيها أحزاب دينية مصطبغة بالصبغة السياسية فقد كان فيها حزب الوسط الكاثوليكي والحزب الحاكم في إيطاليا اليوم هو كذلك وفي ألمانيا الحزب الديموقراطي المسيحي .

قالوا إن جماعة الإخوان المسلمين بدأت دينية فما هو الدليل أنا أقول إنهم بدأوا جماعة دينية سياسية وها كم الدليل فهذان عددان من مجلة النذير وهي مجلة الإخوان المسلمين وأولهما صادر في يوم الاثنين ٢ رجب سنة ١٣٥٧ أي سنة ١٩٣٧ وهو العدد ١٤ السنة الأولى وفيه مقال عنوانه "مبادئ الإخوان المسلمين تنتصر في السياسة والاجتماع ولو كره المغرضون" وبعد هذا المقال مقال آخر بإمضاء "محمد جمال الدين الفندي" من جامعة لندن والآن أستاذ بكلية العلوم في الاسكندرية بعنوان "الإسلام ونظام الحكم" يقول فيه أن ديننا يحتم علينا الموت في سبيل سيادته وأن الإسلام يربأ بمعتقديه إن يكونوا عبيدا وهو دين ودولة ودين وسياسة . وبعد ذلك مقال كله سياسة عنوانه "الصحافة الحزبية وأثرها في الأخلاق" بإمضاء عبد العزيز الزهيري ثم أعقبه مقال حول "الحرب الفلسطينية" وجاء فيه إن إنجلترا لا يقنعها الكلام وإنما يقنعها الحديد والنار .

كفاح ظاهر مشروع

وفي الجلسة الثالثة للمرافعة (١٧ يناير سنة ١٩٥١) تحدث الأستاذ عبد المجيد نافع عن جهاد الإخوان السياسي وكيف أنه مشروع في غايته ووسيلته فقال :

حضرات المستشارين :

لئن صح أن الإخوان المسلمين كانوا يستهدفون الوصول إلى الحكم فليس في ذلك مأخذ عليهم على الإطلاق فسأقدم لحضراتكم الأدلة على أنهم كانوا في هذا يستلهمون روح الدستور ويستوحون المبادئ البرلمانية الصحيحة ولم يبد في خلدكم إطلاقاً أن يلجأوا إلى وسائل إجرامية لأن تحقيق برامج الهيئات إنما يجئ عن طريق التشريعات ولا أقول هذا تبرعاً من عندي وإنما موافقهم توحى بهذه الفكرة . ففي عام ١٩٤٢م تقدم الأستاذ حسن البنا المرشد العام للجماعة إلى انتخابات نيابية عن دائرة الاسماعيلية وكان الاعتقاد السائد إذ ذاك أنه سوف يكتسح دائرته الانتخابية فالرجل كانت له مكانة عظيمة وخاصة في دائرة الاسماعيلية وهي المدينة التي شهدت أول ما شهدت مولد الإخوان المسلمين ، وكان له فيها نفوذ أي نفوذ واعتبار .. أي اعتبار ثم ما لبثنا أن قرأنا في الصحف أن النحاس باشا – وكان وقت ذلك على رأس الوزارة – استدعى الأستاذ البنا ونشر نبأ المقابلة في الصحف ثم قرأنا بعد ذلك أن الأستاذ حسن البنا بعد أن قدم أوراق الترشيح ودفع التأمين وأخذ أهبطه لخوض المعركة تنازل عن ترشيح نفسه وترامت الأخبار إذ ذاك أن الانجليز لم يكونوا مرتاحين إلى ترشيحه لأن السياسة الاستعمارية تناصب العداء كل جماعة تعمل على مناوأة الاستعمار . ودليلي على ذلك أنه في عام ١٩٤١م وقت أن كانت وزارة حسين سري باشا في الحكم اعتقل الأستاذ حسن البنا وظل رهين الاعتقال في معتقل الزيتون شهراً كاملاً . في ذلك الوقت وفي ما تلاه من الأوقات لم يكن الاعتقال تبرعاً من عند السلطة المصرية التي في الحكم وإنما كان الاعتقال يهبط به الوحي من عند الإنجليز وإني لأذكر إني قدمت استجواباً بهذا في مجلس النواب بالنسبة للاعتقال في الزيتون وبالنسبة لاعتقال علي ماهر باشا وقدمت وثيقتين خطيرتين أولاهما من قلم الاستعلامات البريطاني والأخري من رئاسة أركان حرب الجيش البريطاني في مصر والوثيقتان صريحتان في الدلالة على أن الاعتقالات كانت تصدر بها أوامر من السلطة البريطانية . وقد دار بخاطرهم أن هذه الجماعة لها ميول ضد الانجليز فبادروا إلى اعتقاله في الحال . وفي سنة ١٩٤٢ حين

يتقدم الأستاذ البنا إلى الترشيح يتبرم بهذا الترشيح جماعة الاستعماريين وخاصة وأنه في ذلك الوقت كانت قوات المحور تدق أبواب البلاد . أما أن الانجليز يتدخلون في شئوننا الداخلية فهذا ليس بمستغرب ، ففي سنة ١٩٤٥ تقدم على بك البرير الوطني السوداني لترشيح نفسه عن دائرة عابدين فطلب إليه ماهر باشا وكان على رأس الوزارة التنازل عن هذا الترشيح وفعلا انسحب .

وفي انتخابات ١٩٤٩ - ١٩٥٠ لم يقبل الوفد أن يترك الدائرة لعلى البرير بك بل رشح واحداً معه تغلب عليه .

وفي سنة ١٩٤٢ وقوات المحور على أبواب مصر طلب من النحاس باشا حل جماعة الإخوان المسلمين . إنما للحقيقة والتاريخ والإنصاف أذكر أن النحاس باشا لم يذهب المذهب الذي ذهب إليه النقراشي باشا بل اكتفى بأنه أغلق أغلب الشعب ولم يبق إلا على المركز العام .

التعذيب ... التعذيب ...

وأبدأ بعد ذلك بصحيفة التعذيب لأنها تنصب على موكلي بالذات . صدقوني يا حضرات المستشارين اني لست أدري أسمى هذه الوقائع مآسي أم مخازي ؟ فلتكن مآسي ومخازي .

التواتر يعتبر حجة والذي تواتر على الألسن أن حوادث تعذيب كانت تقع على كثير من المتهمين بل كان الناس يتناولون في مجالسهم الخاصة والعامة أن هذا التعذيب كان يقع بأوامر من إبراهيم باشا عبد الهادي . أو على الأقل كان يعلم به أو على أقل الأقل كانت تصادف هذه الوسائل هوى في نفسه .

يا حضرات المستشارين :

جاء أمام حضراتكم إبراهيم باشا عبد الهادي واعتصم بالإنكار الثابت فيما يتعلق بوقائع التعذيب . هذا كان طبيعياً وكنت أتوقعه لأنه رئيس حكومة وحاكم عسكري ووزير داخلية فهل تريدون أن يعترف على نفسه على ملاء من هذه الأمة وبمسمع من التاريخ أنه كان يأمر بالتعذيب ... والله يا حضرات المستشارين - يمينا غير حانث فيها - لقد قص على ضابط كبير في المحافظة - ولا أذكر اسمه - أن إبراهيم باشا عبد الهادي كان يحضر عمليات التعذيب ولكن أن يعترف ... لا ... نطمع في غير مطمع .

حضرات المستشارين :

البوليس السياسي في ذلك الوقت لا يتوصي على التعذيب في حكم إرهاب . إنه من عهد فيليبس وعهد بدر الدين ، وكما قلت مرارا ولا أمل من تكرار ذلك ، إنه منظمة انجليزية . في قضية قنابل ٦ مايو ، وقد كان لي شرف المرافعة فيها وكان يترافع فيها عبد الفتاح الطويل باشا وزير العدل وعبد اللطيف محمود بك وزير الزراعة ومحمود سليمان غنام بك وزير التجارة والصناعة والأستاذ عبد الفتاح حسن والاستاذ كامل يوسف صالح . وقد كان وكيلا لمجلس النواب ، ومعنا الآن الأستاذ عبد المجيد عبد الحق بك وكيل مجلس النواب الحالي والأستاذ عمر عمر والأستاذ عبد الفتاح الشلقاني النقيب ، وهؤلاء جميعهم كانوا يرفعون عقيرتهم بالشكوى من تصرف البوليس السياسي ، ولكن يظهر أن الكلام شيء والعمل شيء ، ولما أتوا للحكم لم يعملوا شيئاً ...

يا حضرات المستشارين :

الاعترافات المشوبة بشوائب التعذيب أو الإكراه لا يمكن الأخذ بها إطلاقاً . لا يوجد ضمير قضائي يأخذ بمثل هذه الاعترافات .. أذكر قضية كنت موكلاً فيها في الجيزة قضية قتل . أحضروا الكلب البوليسي للتعرف على المتهمين . هذا الكلب كان شرساً وثب على المتهم وتحت سلطان الخوف من الكلب ، قال المتهم : "عملتها .. عملتها . واللي يكون يكون" فاتخذوا هذا دليلاً على أنه اعتراف . وقد كان معه متهم آخر ومركزهم الاثنين واحد فبرأ الثاني وحكم على الأول بـ ١٥ سنة وقدمت الأدلة على أن هذه الكلاب شرسة ، ثم قدمت نقضاً بناءً على هذا وقبل النقض .

لقد كان المعترفون في هذه القضية ليسوا أمام كلاب بوليسية بل كانوا في قبضة كلاب آدمية .

يا حضرات المستشارين :

ان مسألة التعذيب ليست مسألة أساطير أو أشياء منتزعة من الخيال ، فقد أتيت لي أن أطلع مؤخرًا على مجلة (الجمهورية المصري) التي ظهرت حديثاً وصدر منها عددان ، ففي العدد الأول الصادر بتاريخ ٨ يناير سنة ١٩٥١ نجد محمد مالك يوسف ينشر مذكراته بعنوان "مذكرات السجين مالك" ويتكلم عن الجاويش الذي يصوب المدفع الرشاش إليه ، وتكلم عن ضحايا الأفراد والجماعات وعن العذاب الأكبر و عما كان يصيبه في الفلقة وذكر عبارة "وضبه كويس" . وللبوليس اصطلاحات عندما يريد تعذيب أحد فيقول "وضبه أو شرحه" . وفي العدد الثاني من المجلة نشر مالك مذكراته تحت عنوان "صفحات حمراء عن جرائم عهد الإرهاب" وذكر فيها ما حدث عندما اختلى به العسكري الأسود وهو الجندي المكلف بأداء مهمة هناك العرض لكل من لا يعترف من المتهمين حتى يحملهم الخوف منها على الاعتراف وذكر فيها أن إبراهيم عبد الهادي باشا كان يملي الأسئلة على كاتب التحقيق بنفسه ، كما ذكر كيف كان العساكر يدرجونه على الأرض ويتناولونه بأحذيتهم كالكرة .

والتعذيب كما هو واضح من كلام مالك عشرة طبقات : أولها الجلد وآخر مراتبها التهديد بهتك العرض .

وفي العريضة الأولى في قضية محاولة الاعتداء على الأستاذ حامد جوده أقوال رسمية عن الأخصائي في هتك أعراض الرجال وعن السلخانات الأدمية وعن سر الرؤس المحلوقة وعن الأظافر المنزوعة . وقد أذنت المحكمة للأستاذ عبد الفتاح حسن الوكيل البرلماني لوزارة الداخلية بضم تقرير شرعي ثابت منه أن أحد المتهمين انتزعت أظافره كما ثبتت آثار ضرب السياط .

جناز تاريخي رهيب

وواصل الأستاذ عبد المجيد نافع حديثه عن التنكيل والتعذيب والبغي والتعسف فقال :

في قضايا الاغتيالات السياسية هناك إجماع مقدس رهيب من جميع من وجهت إليهم اتهامات على وقوع هذا التعذيب . لقد كانت نفوس السعديين تفيض حقداً على جماعة الإخوان الصالحة حتى توجوا هذا الحقد بالاجهاد على رأس الجماعة وكانت مظاهر الحقد تتجلى إبان دفنه وبعد دفنه وبيدي الآن عدد جريدة الكتلة الصادر بتاريخ ١١ نوفمبر سنة ١٩٤٩ تحت عنوان "كيف شيعت جنازة الشيخ حسن البنا"

استمعوا حضراتكم هذه الصورة المؤلمة المبكية هذا الكلام الصادر من أعماق النفس جريحة هي نفس والد الشيخ حسن البنا فالذي يتحدث في الصحيفة هو هذا الشيخ الكبير الذي أبوا عليه أن يزود ابنه بالنظرة الأخيرة .. هذا الشيخ الكبير تبلغ بهم غلظة القلوب المتحجرة أن يمنعوهم من تشييع جنازة ولده :

"أبلغت نبأ موته في الساعة الواحدة بعد منتصف الليل وقيل لي أنهم لن يسلموا إلى الجثة إلا إذا وعدتهم أن تدفن في الساعة التاسعة بلا احتفال وإلا فإنهم ينقلون الجثة من المستشفى إلى القبر وإزاء ذلك قبلت . وقبل الفجر حملوا الجثة إلى البيت متسللين ولم يعلم بوصولها سوى وظل حصار البوليس مضروباً لا حول البيت فقط بل حول الجثة أيضاً وقد قمت بنفسى بإعداد جثة ولدي للدفن ولم يسمح لأحد بالدخول ثم أنزلت الجثة حتى وضعت في النعش وبقيت مشكلة حل النعش إذ لم أجد أحداً ، فقلت لهم احضروا رجالاً فقالوا لتحمله النساء وخرج نعش الفقيد محمولاً على أكتاف النساء .

ولما ذهبنا إلى جامع قيسون للصلاة عليه لم أجد أحداً حتى فراش المسجد فقد طردهم البوليس قبل وصولنا وصليت على ولدي بمفردي ومضي النهار وجاء الليل دون أن يحضر أحد من المعزيين لأن البوليس منع الناس ومن يحضر يقبض عليه في الحال ماعداً مكرم عبيد باشا" .

حضرات المستشارين :

لقد كانوا يطاردون حسن البنا بأحقادهم حتى بعد موته أو بعبارة أبلغ كانوا يخشون هذه الشخصية الرهيبة الهائلة . هائلة رهيبية لأنها تدافع عن الحرية والعدالة والكرامة الإنسانية .. كانوا يطاردونه حتى بعد الموت ونسوا جلال الموت في الموت تصوروا أنه تطايرت بعض إشاعات أن بعض أنصار الفقيد ينتون نقل جثمانه إلى مقبرة أخرى فانتشر رجال البوليس في المقبرة انتشار الجراد ولما أقبل نعش ميت محمولاً على الاعناق اعتقد رجال البوليس أنه يضم رفات حسن البنا فلم يتورعوا أن يفتشوا النعش ويرفعوا الأكفان عن الميت ليتحققوا من شخصية الجثمان .

وفي يوم وفاة المغفور له حسن البنا بالذات كان رجل يظهر الأسى والحزن يعتقل ففي عدد الكتلة الصادر بتاريخ ١٩ نوفمبر سنة ١٩٤٩ نشر أنه قبض على رجل لأنه كان يضع في رقبته رباط أسود فاعتبره رجال بوليسنا الأماجد حزينا وأنه يعلن عن حزنه بهذه الشارة السوداء فساقوه إلى الاعتقال .

وبينما كانت الجنازة سائرة والنعش في طريقه أطل أحد الناس من نافذة منزله وقرأ الفاتحة على روح المرحوم حسن البنا فقفز إليه جندي البوليس وصرخ فيه "أنت تترحم على حسن البنا وتقرأ له الفاتحة فأنت لازم تدين بمذهب حسن البنا" وجروه وأوسعوه ضرباً من الباب إلى الباب أي من باب البيت إلى باب الاعتقال على حد تعبير مصلحة السكة الحديد ولا يشفع للرجل إطلاقاً أن يقول إن من شعائر الدين أننا نقرأ الشهادتين عندما يمر ميت وأن نقرأ الفاتحة على روحه وتكون النتيجة لكلمات وصفعات ولطمات وجردت حملات تأديبية على المساجد في ذلك اليوم لمظنة أن المصلين يترحمون على حسن البنا ونقلوا في الحال إلى المنافي والمعقلات .

ثم قضايا الطلاق والنفقة بين الأزواج والزوجات فقد لوحظ في ذلك الوقت أن في أغلب هذه القضايا كان الأزواج يتغيبون ثم يتبين أن الزوجات لكي يخلصن من أزواجهن ويأخذن أحكاماً بالنفقة أو

الطلاق . كن يعمدن إلى تقديم بلاغ بسيط ... أي قصاصة من الورق تقول الواحدة فيها أن زوجها من الإخوان المسلمين ويكفي هذا لأن تمتد إليه يد الظلم والطغيان وتحمله إلى المعتقلات ليخلو الجو في وجه الزوجة الخبيثة ... حتى كلمة في تليفون من خصم ضد خصمه كانت كافية لزرجه في السجن .

تلفيق الاتهامات

وانتقل الأستاذ عبد المجيد نافع إلى الدفاع عن موكله حضرة الأخ أحمد افندي عادل كمال فقال إن النيابة وصفته بأنه غارق في الاتهام إلى أذنيه . وأنه كان في حالة تلبس . وهو يري أن القرائن كلها تشير إلى أنه كان في حالة تلبس لا تلبس .. وناقش أقوال الجزار الضابط بالقلم السياسي وما بها من تخبط وتناقض وكذلك أقوال الشهود المتضاربة .. ثم قال :

وأقدم لحضراتكم طرازاً من الشهود يفصح أساليب البوليس السياسي ذلكم هو سيد عبد العزيز إبراهيم وهو شاهد خاضع للنشوء والارتقاء ، وخاضع لسنة التطور فقد نشأ معاً مع مدرسة بنات ثم انقلب إلى برليس ملكي بوزارة الداخلية . وقد سئل الضابطان الجزار وتوفيق السعيد هل كان للشاهد صلة بالبوليس فنفياً ذلك . والذي يدعو إلى التفكير حقا أن يكون موجوداً سيد عبد العزيز - المرشح للبوليس السياسي .. ولطفي الشاهد " أبو روحين " تلميذ ومزارع .. وصبحي سالم . ومن هو صبحي سالم ... صبحي سالم هذا مخبر بوليس والمألوف مع الأسى والأسف في هذا البلد مخبر البوليس لا يمكن إلا أن يكون اسطوانة تملأ ثم تفرغ . هو يردد ما يقوله له رئيسه في البوليس .. أنه الأسطوانة التي يسمونها باسطوانة "صوت سيده His master's voice" . فإذا قارنا أقواله بأقوال توفيق السعيد نجدهما واحدة .

ونصل الآن إلى سواة السوات محمد إبراهيم لطفي فؤاد وقد ضيق عليه سعادة الرئيس الخناق حتى برزت أقواله متضاربة تضارباً بينا . واسمحو لي أن أقف عنده قليلاً عنده لا لأنه شخصية لها خطرها ، فهو شخص تافه غث وإنما أقف عنده هنية لأبين ما كان يجري وراء الستار لتلفيق الأدلة ضد هذا الفريق من المتهمين .

قيل إن صورة سوداء اعترف بها على الرغم منه اعترف في التحقيق أنه صدر ضده حكم جنائي .. أنه رجل يشتغل بلطجي هذا الحكم ثابت منه أنه يرهق الناس من أمرهم عسراً لكي يحصل منهم على مال والذي لا يستطيع أن يبتز منه مالا يستعمل معه العنف ، فقد اعتدى على واحد واعترف بأنه قضى عليه بالحبس مع الشغل بشهر وبتعويض وتعديل هذا الحكم في استئناف بغرامة .

ولما سأله في الجلسة . هل أخذت مكافأة على ذلك ؟ أجاب للأسف ومعنى الأسف أنه كان يطمع في المكافأة .

وانتقل إلى الكلام عن الأوراق المضبوطة وأرجو أن تأذنوا لي بكلمة عن قسم التزوير والتزييف بمصلحة الطب الشرعي فأنا لا أتهم على إلا بقدر الذي تقتضيني أمانة الدفاع ، قالت النيابة أن التقريرات التي يضعها الدكتور محمد إبراهيم شكري لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها ، لأن الدكتور وزملاءه أخصائيون ، وقدمت الدليل على ذلك في صورة خطاب من تلك المصلحة يفيد أن حضرته دكتور وأرسل في بعثة إلى الخارج فهو خبير أخصائي ، ولكني أسارع فأقول إن حضرته

دكتور وأخصائي في الكيمياء وأن البعثة التي توجه فيها لم تكن بعثة دراسة خطية وإنما كانت بعثة دراسة التزييف وفرق بعيد وبون شاسع بين التزييف والخطوط ، والخطوط لا بد أن يكون لها خبير أخصائي أو على الأقل من العمل مرانا طويلا يؤهله للحكم على قواعد الخطوط لأن الخطوط تتشابه كثيرا خصوصا إذا كان اثنان تعلما في مدرسة واحدة دروسا على مدرس خط واحد يؤثر فيهما بفنه فتخرج خطوطهما متشابهة ولذلك في أكثر من قضية لم تأخذ محاكم الجنايات ببعض هذه التقارير التي فضحت جهل أصحابها المطبق في فن الخطوط .

وأشار الأستاذ عبد المجيد نافع إلى اتهام النيابة الخاص بتقرير سرقة البنك الأهلي وبين ما فيه من تهافت وبلاهة من ناحية الفكرة ومن ناحية ما جاء بالأوراق المزعومة من بيانات فاضحة لا يمكن أن تصدر عن مثل عادل كمال في ثقافته وتفكيره ثم قال :

قالوا إنه قبض عليه بتاريخ ١٣ يناير سنة ١٩٤٨ حينما كان يخاطب بعض المسجونين وهو حسين عبد السميع . وقد تبين أن حسين كان متهما بإلقاء قنابل ، فهل معنى هذا أنه ارتكب جريمة ، أو أنه شريك له . أليس من حقه أن يعتقد أن صديقه هذا برئ من الاتهام خصوصا وأن صديقه لم يصدر حكم ضده ولماذا لا تكون الشهامة وحدها هي التي جعلته يزور صديقه المقبوض عليه . أفرضوا أن رجلا اتهم في الشيوعية فإذا ذهب الرجل ليزور ابنه في السجن هل يصبح متهما مثله .

وختم الأستاذ عبد المجيد نافع مرافعته بقوله : أن هذه القضية ليست قضية الإخوان المسلمين فحسب ، فهي قضية الإسلام وهي قضية الأمة بأسرها وهي تترقب الصفحات التي تسطرونها بأيديكم لأنها تعلم أن لم يكن سبيل إلى المحكامة أولئك الذين ارتكبوا جرائم التعذيب وكان عهدهم أحلك العهود وسبة التاريخ ، فلا سبيل إلا أن تدمغهم حكمكم بميسم الخزي وطابع العار .

هؤلاء الأمهات والإخوان والصغار ينتظرون الكلمة العادلة من شفاكم الطاهرة . ولا شك أنها ستكون قوية مدويه ، وإني بكل ثقة واطمئنان أترك موكلي وديعة بل هو وكل زملائه ودائع مقدسة بين أيديكم ولا شك أنكم ستردونهم إلى أهلهم وذويهم وستردون إليهم حريتهم وكرامتهم ، وفي هذا عزاء أي عزاء عما قاسوه من شدة وعذاب وبلاء .

[٣]

مرافعة الأستاذ هنري فارس

بدأ الأستاذ هنري فارس المحامي عن الأخ عادل افندي كمال أيضا مرافعته خلال جلستين من جلسات المحكمة يومي ٢٠ و ٢١ يناير (١٩٥١) وعني في مرافعته ، كما سيرى القراء ، بالناحية القانونية في تصرفات البوليس والنيابة وانتهى من ذلك إلى بطلان هذه التصرفات .

بطلان الاجراءات

استهل الاستاذ هنري فارس مرافعته بقوله :

حضرات المستشارين :

حضر إلى مكتبي والد المتهم أحمد عادل كمال وطلب مني أن أقوم بالدفاع عن أبنه بجانب الأستاذ عبد المجيد نافع ولقد ترددت بعض الشيء في قبول هذه الأمانة لأن القضية ضخمة ولأنني ذكرت أفعال البوليس ولكنني تذكرت الواجب وكنت قد خبرت البوليس في مثل هذه القضايا . وعكفت على دراسة هذه القضية فلم أجد إلا جعجة . إن هذا الصرح الذي بناه البوليس صرح من زجاج يشف عن تلاعب البوليس السياسي لم يكن حظهم سعيدًا ...

كما أن النيابة حرفت في بعض الوقائع . وأقامت اتهامها على روايات بوليسية . بل وغيرت في ميعاد ضبط السيارة فنقلته من الساعة ٢ أو الساعة ٢,١٠ إلى الساعة ٣ إلا ربع ويحق لي أن أعجب وأسأل كيف تتغاضى النيابة عن أقوال الشهود وتغيير ميعاد الضبط . النيابة كان لها قصد وهو أن تسد ثغرة واسعة وهي المدة بين ضبط السيارة وضبط المتهمين وإني لأشهد لأهل النيابة بالذكاء والفتنة - وهي تمثل أعظم تمثيل في حضرة ممثل النيابة - النيابة غضت الطرف عن نقص آخر . وهو نقص يترتب عليه بطلان جميع الاجراءات وأني أدفع ببطلان الاجراءات الخاصة بالتحقيق والضبط الخاص بالسيارة الحيب وما فيها أو ما عليها .

البكباشي محمد محفوظ وصل الساعة ٣,٤٠ ووجد العربة في شارع الشماع ونقلت السيارة بعد ذلك لقسم البوليس وقال البيلي بك إن السيارة لم يلمسها أحد ولم يثبت ذلك حضرة وكيل النيابة وكان للبوليس غرض من ذلك هو درس السيارة وملاها بالأوراق . جاء البكباشي محمد محفوظ قبل النيابة بنصف ساعة وانتقل إلى محل السيارة بشارع الشماع حيث وجد السيارة في حراسة الأمباشي على خضر إبراهيم والبوليس الملكي صبحي على سالم ولما حضر وكيل النيابة لم يجد أحدا من هؤلاء . أين ذهب هؤلاء العساكر ؟

العلم عند الله وعند النيابة ...

من تقرير البكباشي محمد محفوظ أن المحضر تحرر قبل وصول النيابة وأن حضرة مأمور القسم تسلم السيارة من ضابط المفرقات وكان المفروض أن يذكر ذلك عند حضور وكيل النيابة ولكن وكيل النيابة وجد أن الأوراق مبعثرة في السيارة فطلب جمعها لحين فحصها فهل هذا إجراء قانوني ؟ هذا إجراء باطل وما يتبعه من إجراء فهو باطل أيضا والأوراق التي ضبطت لم تجرد بمعرفة النيابة ولم يحرز عليها ولم توضع في مكان حرز . ضبط السيارة بما فيها باطل لأن ما فيها من أوراق ومفرقات لم تتبع النيابة فيها ما يجب بنص المادة ٢٠ تحقيق جنایات . البكباشي محمد محفوظ نقل السيارة إلى الصحراء . ووكيل النيابة موجود في القسم فلماذا هذا التعجل كان عليه أن ينتظر حتى يحرر وكيل النيابة محضره على أن النيابة لم تعمل شيئا في الأوراق حتى الساعة ١٠ مساء مع أن وكيل النيابة رأى أن تجمع هذه الأوراق في مكان واحد وكان البوليس يعث بها كيفما شاء فهو الذي نقلها إلى القسم وهو الذي وضعها في جوال ومن الساعة ٤ وهو يصنع بالأوراق ما يشاء .

وكيف تتسع السيارة على حد قول الشهود لأربعة أشخاص وتسع الصندوق الخشبي وصندوق آخر وصندوق المفرقات والمدفع الهاون والتومي جن .. الخ .. رأى البوليس أنه لم يكن بالسيارة سوى منشورات شيوعية ثم يأتي حضرة رئيس النيابة ويجد جوال به أوراق أخري من أين أتى هذا ؟ البوليس أحضر هذه الأوراق جميعها ، أحضرها لأنه كان يفتش بيوت الإخوان ويجمع منها الأوراق فوجد أن الفرصة سانحة فوضع هذه الأوراق في السيارة . البوليس أهمل تحريز الأوراق وكذلك أهمل حضرة وكيل النيابة الذي حضر الساعة ٤ مساء .

قال على محمد سيد أحمد "الشاهد" ومحمد لطفي إبراهيم "الشاهد" انه لم يكن بالعربة شيء فأين كانت إذن تلك الأوراق . الواقع أن البوليس انتهز فرصة بين الساعة ٢ والساعة ١٠ فابتدأ يشحن العربة بهذه الأوراق والفرصة كانت سانحة عنده لذلك .

تعجب النيابة كل العجب لتلك المصادفة الغريبة التي جعلت طاهر عماد الدين وأحمد عادل كمال يسيران في آن واحد في حي واحد . فما رأي النيابة في أن يوجد في هذا الحي في نفس الساعة ونفس الدقيقة ستة أشخاص من رجال البوليس في شارع ضيق هادئ لا يخشى عليه من تعدي من إخوان مسلمين ولا من غيرهم . هذه خريطة للشارع ويتضح منها أن صبحي سالم واقف في أول الشارع العربية أمام منزل ٣٨ عادل سيد أحمد مار في الشارع . سيد عبد العزيز ولطفي موجودان في الشارع من الناحية الأولى . شيخ الحارة موجود في الشارع المجاور . محمود محمد سيد أحمد كذلك وضابط المباحث في شارع عشرة . البيلي بك في القسم في الساعة ٢ والجزار وتوفيق السعيد قريبان - سيد خميس راجع من شغله . إذا كان الاستغراب من النيابة لاثنتين تقابلا فما هذه المصادفة التي تجمع كل هؤلاء في ذلك الوقت ؟؟ النيابة تعتمد على ما وجد في السيارة وأنا أقول إنه مدسوس علينا . ولا يفوتكم أن البوليس في هذه الآونة ضبط في منازل الإخوان في مصر والاسماعيلية أوراها هي التي وجدت في السيارة الجيب وكان من السهل على البوليس وقد جمع هذه الأوراق أن يضعها في السيارة . ضبط خطاب مرسل من صبحي على سالم لأخيه بأنه وضب مقلب لإبراهيم ليأخذ الشقة وأنه وضبه مع شيخ الحارة والمقلب أهوه.. وشيخ الحارة هو المقيم الآن في الشقة .

الأحراز ينصب على الشيء المحروز ولا يثبت إلا بوجوده مع المتهم نفسه . وإذا قالت النيابة أنا لا أعتمد على الشهود فهذا قول له معناه ، ذلك لأنها لمست تناقضها مما يقطع بأن التهمة غير قائمة على شهادات صحيحة وقد أجمع الجمهور بأن عادل أو خلافه لم يكن بالسيارة وأنهم فقط رأوا مصطفى كمال عبد المجيد .

قال الشاهد سيد عبد العزيز في النيابة عند ضبط السيارة إنه لم يكن بها أحد خلاف مصطفى كمال عبد المجيد . كذلك جاءت أقوال علي محمد سيد أحمد - وهو مخبر . ثم شاهد آخر هو محمد لطفي إبراهيم وهو من البوليس الملكي . هؤلاء ثلاثة يقطعون بأن العربة التي كلفوا بضبطها لم يكن فيها حينما ضبطت سوى مصطفى كمال عبد المجيد وعلى ذلك يكونون قد نفوا نفيًا باتًا وجود أحد من المتهمين بالعربة ثم أقوال صبحي سالم وهو البطل الأول وروايته على نقيض رواية شيخ الحارة . الذي أمسك عادل هو سيد خميس وضابط المطافئ - قال سيد خميس إنه أمسك بواحد وسلمه لضابط المطافئ . أما باقي الشهود فليسوا شهود عيان ولم ينظر أحد منهم المتهمين في العربة وكلهم يقولوا أننا اشتركنا في المطاردة وظبطنا "أبو جرس" ولم يقطع أحد برؤية المتهمين في السيارة كما أنه قد مرت فترة من الزمن بين ميعاد ضبط السيارة وميعاد ضبط المتهمين وهي ثلاث ساعة وقد ثبت أنه لا يمكن أن يطارده شخص في هذا الشارع أكثر من خمس دقائق .. ومن سوء طالع أحمد عادل كمال وطاهر عماد الدين أن يمرأ في هذا الحي في هذا الوقت والأهالي تبحث عن أبو جرس وكذلك مشهور سوء طالع أنه كان يمر في هذا الشارع . وسيد عبد العزيز قال انه اشتبه فيه لأنه لابس جرس رمادي كذلك ضبط عادل كمال لأنه كان لابس جرس رمادي وهذا هو الوضع الحقيقي .

وتحدث بعد ذلك الأستاذ هنري عن نفسية الجماهير وما تقع فيه من ارتباك وأخطاء وشبه مستشهادا بفقرات من كتاب "نفسية الجموع" لجوستاف لوبون و"نفسية الشاهد" لموسيو دي كرونيل .

وتناول ما اعتبرته النيابة أدلة لاتهام الأخ عادل افندي كمال تذكر أن اسمه لم يرد ضمن كشف أعضاء الجمعية السرية الذي يضم ٩٩ اسمًا وأما خطاب الشفرة فهو مدسوس والبوليس أخذ يؤوله على هواه . وأما تقرير البنك فلم يقطع تقرير الطبيب الشرعي بأن الخط خط عادل بل أثبت أن بعضه فحسب هو الذي كتب بخطه وأن هناك اختلافات في الخط .

وختم مرافعته قائلا :

لقد استحلفتكم النيابة بشتي الأسماء .. أما أنا فأقول أنني مطمئن إلى عدالتكم ، مستريح إلى انصافكم، وما العدالة والانصاف إلا بداية القانون ونهايته في أن واحد لأنهما أسس القانون ومرماه معا .

واني مطمئن إلى رأيكم الصائب ، وإلى علمكم الراسخ ، وإلى ذهنكم الحاضر ، ثم إلى قلبكم الأمين على خلق الله وإلى منطقتكم الأمين على قانون البشر . "وإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ" . تلك هي الكلمة العليا التي جعلتموها شعاركم فإليها أركن ، ومنها أستمد الثقة .

[٤]

مرافعة الأستاذ شمس الدين الشناوي

ترافع الأستاذ شمس الدين الشناوي في الجلسة نفسها التي انتهت فيها مرافعة الأستاذ هنري فارس (٢١ يناير) . وكان الأستاذ الشناوي محامياً عن حضرة الأخوين أحمد افندي عادل كمال ومحمد افندي أحمد على (المتهم السابع عشر) واستغرقت مرافعته ثلاث جلسات (٢١ ، ٢٣ ، ٢٤ يناير) . وتناولت المرافعة نواح جديدة من الدفاع ، كما تعرضت لمسائل في منتهي الأهمية كإثبات التدخل الأجنبي لحل الإخوان المسلمين .

موقف النيابة وواجبها

تناول الأستاذ الشناوي دعوة الإخوان وجهادهم بكلمات طويلة بليغة مستدلاً على أمانتهم وقديسية دعوتهم بالآيات والأحاديث وكتابات فضيلة المرشد العام رضي الله عنه .

ثم استطرده فتحدث عن النيابة فقال :

حضرات المستشارين :

لقد شكت النيابة هؤلاء المتهمين إليكم باسم الإنسان وباسم الحيوان وباسم الجماد ، ولا يسعني بعد أن تقدمت النيابة بهذه الشكوي إلا أن أشكوها لحضراتكم . أشكو النيابة العامة والحكومات الظالمة . أشكو النيابة العامة التي شكونا إليها الجلادين والمجرمين ، فما أنصفتنا منهم . أشكو النيابة العامة الظالمة لأنها أعانت على الظلم فهي ترى الجرم واقعاً فلا تمنعه ، والظلم حائقاً فلا تدفعه . أعانت على الظلم فحاق بها فما أنصفت غيرها ولا انتصفت لنفسها . أشكوها إليكم باسم العدالة التي تخلى عنها أعوانها فأسلموها إلى جلاذيتها .. وأشكو إليكم الحكومات الطاغية التي تدخلت في التحقيق وعدت على سلطانه تأمر النيابة وتنهاتها ولم يمنعها حيائها ولا رهبة محرابكم عن الإقرار بإثمها ممثلة في شخص رئيسها إبراهيم عبد الهادي .. فباسم الإنسانية المظلومة التي عذبت عذاباً وقتلت .. وباسم الكرامات والأعراض التي انتهكت .. وباسم المثل العليا التي حربت عدواناً ووندت .. وباسم الوطن البائس التعس الذي كتبت عليه شقاوته على أيدي أوليائه وحقت .. وباسم الشريعة الخالدة التي حوربت في دعائها وشوهدت .. وباسم الكتاب الذي انزل نظاماً محكماً ثم أهملت أحكامه ونسيت .. وباسم الرسول الكريم الذي حوربت طريقته المثلي ونسخت .. وباسم هذه الجماعة المجاهدة المحتسبة التي حوربت في عقيدتها وحلت .. وباسم القانون الوضعي الذي عطلت نصوصه وشلت .. وباسم الحريات الشهيدة التي قيدت وخنقت .. وباسم المعتقلات العديدة التي غصت بضحايا ثم ألقن ما فيها وتخلت .. وباسم الدماء الزكية الظاهرة التي أزهدت غدراً وسفكت .

حضرات المستشارين :

نريد من النيابة أن تكون حصن الحريات وملجأ المظلومين والمكالمين . نريدها أن تقف قوية في وجه الطغيان الأعمى والبطش الظالم . نريدها أن تقف أنياب الظلم ان كشر الظالم عنها . وأن تقلم أظفاره ان أراد أن ينشئها . فتكون عوناً للحق وغصة على الظلم .

ويؤسفنا أن نقول عن النيابة ما نقول فالنيابة – سامحها الله بقدر ما تسامحت في حقوقها – ألجأتنا إلى هذا القول ونحن لا ننسى الفضل لأهله فقد جلس في كرسي النيابة رجل فاضل كريم وقف موقفاً عظيماً في قضية أمين باشا عثمان وقال قولاً كريماً هو نفسه ما قاله ويقوله الإخوان وإذا بسعادة النائب العام يأتي في اليوم التالي ويقول قولاً آخر وذلك بعد أن تدخلت السفارة الإنجليزية في الموضوع^(١) . والعصا السحرية التي لعبت هناك

هي نفسها التي لعبت هنا ودعوة الإخوان كما فهموها دعوة شاملة تحارب الاستعمار حيثما وجد فهي تحاربه في فلسطين وفي مصر وفي اليمن وفي الهند بل في كل مكان إسلامي مستعبد . فهذا المعنى فطن إليه المستعمر ولم يفهمه القائمون بالأمر في هذا البلد .

مؤامرة استعمارية ...

واستطرد الأستاذ الشناوي فقال ...

هذه القضية التي أمامكم ليست قضية هذا النفر إنما هي مؤامرة استعمارية حملت عليها الحكومة ظلماً وعدواناً والنيابة لا تدري إلا أنها تنفذ . وأنا لا أتهم على أحد . أعود فأقول ان الانجليز لما ينسوا من استمالة الدعاة والقائمين على أمر هذه الدعوة . عرضوا عليهم الأموال فلفظوها . وعرضوا عليهم غير الأموال فاستهانوا بها . ووجدوا منهم إعراضاً وصبراً . ووجدوا فيهم طرازاً جديداً في هذه الأمة لم يلقوه وهو أنهم أعداء الاستعمار حيثما كان – علموا هذا وتيقنوا به فلم تكن أمامهم إلا وسيلة واحدة ليتخلصوا من هذه الأمة الفئة المؤمنة المجاهدة وليتجلى الجو بينهم وبين هؤلاء الساسة المحترفين الذين لا يرون الحكم إلا مغنماً وأسلاباً توزع .

ينس الانجليز من التغلب على الدعوة الناشئة فحاولوا جاهدين أن يضغطوا على حكومة رفعة النحاس باشا في سنة ١٩٤٢ عندما نطحت دباباتهم سور سراي عابدين ليشعروا الناس أن قوتهم رابضة

(١) يشير الأستاذ الشناوي إلى مرافعة الأستاذ حسن أنور حبيب وكيل النيابة في قضية اغتيال أمين عثمان باشا ١٠/٤/١٩٤٨ وقد جاء فيها : "إن يوم ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ سيظل وصمة في جبين الامبراطورية البريطانية . وسيظل دليلاً صارخاً على البربرية التي هوى إليها الانجليز في ذلك اليوم الأخير الكالح . فقد قابلوا الوفاء بالكران والإحسان بالإساءة ... سنظل نلعن الانجليز أبد الدهر ماداموا محتلين بلادنا ولوكانوا في أجذب بقعة منها . ويخيل إلى أن كل باب يغلق كأنما ينصفق في جباههم . وأن كل كلب ينبح إنما يصرخ في وجوههم ، أخرجوا ... أخرجوا من هذا البلد ... الجلاء ووحدة وادي النيل شعورنا وشعارنا بل هو ترديد لوجيب قلوبنا ونبضات دمننا شبيهاً وشباناً رجالاً ونساءً" . وقد حضر محمود منصور بك النائب العام وقتئذ الجلسة التالية فطلب شطب هذه العبارات بحجة أنها نتيجة ارتجال فنار المتهمون والمحامون معاً لهذا الطلب حتى قالت المحكمة "المسألة انتهت ونرجوكم أن تهدأوا".

ومتحفزة فعرضوا عليه أن يحل جماعتهم وأن يرغم حسن البنا على النكول عن الترشيح للانتخاب فرفض رفعة النحاس باشا وإنما خاطب الامام الشهيد في ذلك أكثر من مرة وفعلا تم تنازل الامام عن الترشيح ثم طلبوا من النحاس باشا إغلاق دارهم فرفض وان كان عمد إلى بعض الشعب فأغلقها وبذلك نفذ الطلب تنفيذا جزئيا . وهكذا فشل الإنجليز فيما إليه يبغون فليتربصوا .. نعم لتتربص القوى الاستعمارية العاشمة الباغية : حكومة ضعيفة تأمرها فتستجيب . وحكومات الأقلية لا يسندها إلا الإنجليز . طلبوا إلى أحمد ماهر باشا بعد ذلك أن يمثل الدور الذي مثله رفعة رئيس حكومة الوفد فقابل فضيلة المرشد العام وحاول أن يدخل اليأس على قلبه ويثنيه عن الترشيح للانتخاب ولكن ما كان في وسع الإمام هذه المرة أن يتنازل فإن الذين طلبوه هم أهل الدائرة وهم الذين دفعوا له التأمين فهي أمانة لزمت عنقه وما كان ليتملص عن عبء ألقى على عانقه . وهكذا أصر الإمام فتدخل الإنجليز في الانتخابات وأشرف على المعركة محافظ سينا الإنجليزي وكان جنودهم يحرسون مكاتب لجان الانتخاب وينقلون في عرباتهم ناخبي الخصم .

وذهبت حكومة ماهر أحمد باشا وأنت حكومة النقراشي لتحكم هذا البلد في فترة عصيبة .. وهذا من نكد الدنيا .

وجاءت العصابات الصهيونية لاغتصاب أرض فلسطين – فواتت المستعمر الفرصة التي كان ينشدها – وكيف واتت الفرصة ؟ كانت مصر في كل اجتماع من اجتماعات الجامعة العربية تمنع في الدخول في حرب فلسطين وفجأة – دون مقدمات وهذا ثابت بمحضر الجامعة العربية . غيرت مصر موقفها وطلبت الدخول في الحرب . وكيف تدخل الحرب دون عدة وسلاح ؟ هنا انكشف السر وبانت لعبة الإنجليز . عندما اجتمع البرلمان في جلسة سرية وسئل النقراشي باشا عن السبب في دخول الحرب وعن السلاح قال إنه أخذ وعد شرف من الإنجليز أن يمدوا الجيش بالسلاح . تصوروا .. وعدًا من الإنجليز !!! لقد كان النقراشي باشا غرًا . وان كان مخلصًا . فلما راجعه في ذلك صدقي باشا وحذره من وعود الشرف الإنجليزية . وذكره بما كان منه في هيئة الأمم المتحدة وكيف وجه إليهم قارص الكلام والسب وان الإنجليز لن ينسوا ذلك تمادى وأصر ودخلت الجيوش النظامية فلسطين لتكون مصر في حالة حرب وفي هذه الحالة تعلن الأحكام العرفية .

وكان ذلك الغرض الذي يستهدفه الإنجليز . وهناك سبب آخر هو أن يلقنوا الجيش المصري الأعزل درسًا لا ينساه طول حياته . فأنتم تقولون إن اليهود مجرد عصابات يمكن سحقها وإبادتها وهذا هو جيشكم لا قبل له بتلك العصابات التي هزمته فكيف تتادون بالجلاء ؟ وماذا تفعلون عندما تهاجمكم جيوش الروس ؟ هذا هو السبب الثاني – وثم سبب ثالث هو أن تشعر الدولة الوليدة الناشئة أن وجودها وحياتها بيد الإنجليز إن شاءوا منحوها الحياة وإن شاءوا حرموها .

ولكن الله العلي القدير أخلف ظن هؤلاء المستعمرين . فالجيش المصري استطاع أن يلقن الصهيونيين درسًا لا ينسونه واستطاع الإخوان أن يحتلوا من مستعمراتهم ما احتلوه وإن يؤدوا للجيش أجل وأسمى الخدمات .

إذن فلتنك الهدنة والجيش منتصر وبغير ما سبب .. لماذا تعلن الهدنة في هذا الظرف ؟ طلب الإنجليز الهدنة وهددوا بأنهم قاعدون في السويس وسيمنعون إرسال السلاح . فلتنك الهدنة ويعقد الإنجليز

والأمريكان والفرنسيون – هؤلاء المستعمرون يعقدون مؤتمراً ويوقعون اتفاقاً على أن أحداً من الثلاثة لا يرسل ولا يورد سلاحاً ولا ذخيرة لدول الشرق . زاعمين أن ما فعلوه إنما هو لأجل إيجاد التوازن ولهم من وراء ذلك مآرباً .

هنا قال الأستاذ سعيد رمضان المحامي إنه ثابت بمحضر جلسة الجامعة العربية أن خشبة باشا هو الذي طلب الهدنة .

واستمر حضرة المترافع وقال : هؤلاء الإخوان إذا تركوا وشأنهم يكونون خطراً على الجيش المصري . هذا ما قاله الإنجليز واجتمع سفراء إنجلترا وأمريكا وفرنسا في فايد واتخذوا قراراً ضد الإخوان وعهدوا إلى ممثل إنجلترا أن يتقدم بطلبهم إلى الحكومة المصرية ويطلب حل الإخوان لأن لدى إنجلترا من الأسباب ما يجعلها لا تطمئن إلى نشاطهم . ويؤيد هذا ما قاله سماحة مفتي فلسطين أمام حضراتكم بالجلسة من أن هناك يدا مستعمرة عملت على إبعاد عناصر قوية مؤمنة من القتال . وأمرت الحكومة في ذلك الوقت أن تحل هيئة الإخوان المسلمين لأنها هيئة خطيرة . أنهى النقراشي باشا هذه الرغبة إلى عبد الرحمن عمار بك ، وما كان أسرع هذا الرجل إلى تنفيذ رغبة سيده فعمد إلى كل وسيلة تدمير الإخوان المسلمين .. وما دام الغرض هو تنفيذ الرغبة فلتكن الوسيلة ما تكون – لأن الغاية تبرر الوسيلة كما يقولون .

وأقرر إنني صحبت عبد الرحمن عمار بك عندما فرغ من الشهادة أمام المحكمة العسكرية إلى غرفة الشهود وسألته عن السبب فيما أقدموا عليه من حل الإخوان فأجابني أن النقراشي أنهى إليه رغبته في حل الإخوان فكان عليه أن ينفذ ذلك بأي سبيل وأقول أنا ولو بتلفيق التهم إلى الأبرياء ، فالمذكورة الخاصة بالحل تحوي أشياء غير صحيحة . وقد قتل الحكمدار سليم زكي وجاء في نشرة عاجلة أنه ثبت أن القاتل من الإخوان المسلمين . ثبت هذا بدون فحص ولا تحقيق ولا تحري . . ومعنى هذا أنها كانت مدة للتحضير والإعداد لحل الإخوان المسلمين وهذا تفسير ما قاله لي عبد الرحمن عمار بك .

وقد كانت مصلحة الإنجليز وحكومات الأقلية في حل الإخوان وذلك أن الإخوان كانوا أعداء المفاوضات وكانت حكومات الأقلية تتهاك عليها وكان موعد الانتخابات قد أرف وكانت حكومات الأقلية لا تخشى الوفد إذ أن في ميسورها إقصاءه ..

أما الإخوان فكانوا القوة التي تخشاها فلا بد إذن من إقصائها من الميدان ليخلو لهم جو الانتخابات . واتفقت الرغبتان ، واتحدت المصلحتان ، على التنكيل بالإخوان وفي شهر نوفمبر ضبطت العربية ويبيدي الدليل الذي يلقيهم حجراً – بيدي الوثيقة التي تأيد ما أقول "ثم قدم حضرته صورة للوثيقة التي نشرناها صفحة ٦" وقال .. وإن شئتم يمكننا أن نقدم لحضراتكم وثائق أخرى وأدلة أخرى .

وهنا قال الأستاذ سعيد رمضان : نحن مستعدون لتقديم المكاتبات التي دارت بين السلطات قبل هذا الخطاب إذا رأت المحكمة ذلك .

وهنا قال حضرة ممثل النيابة إن الورقة التي قدمت من الدفاع لم يثبت للآن أنها صحيحة .

فقالت المحكمة أنها تعتبرها صحيحة إلى أن تثبت النيابة عكس ذلك .

واستمر حضرة المترافع فقال : إنه بناء على هذا وفي غمرة من هذا الاعتداء الإجرامي بأيدٍ مصرية دنيئة قذرة ، يصدر أمر الحل وهو مودع في القضية التي اغتيل فيها مصدر أمر الحل .

وأؤكد لحضراتكم أن هذا الأمر كتب في السفارة فكونه حكماً مؤبداً على الإخوان مع صدوره خلال الأحكام العرفية وهي موقوته ، دليل ما بعده دليل على أن ما يقصد به هو خدمة الاحتلال وبقاء هذا الاحتلال مؤبداً في مصر وليس أقطع من هذه الوثيقة دليل على صحة ما نقول .

فالإنجليز هم الذين طلبوا الحل وهم الذين يستفيدون من هذا الحل ليخلو لهم الجو ولا يبقى في مصر سوي الساسة المحترفون والصنائع المستدلون ويبقى الاحتلال مضرراً على البلاد أبد الأبد .

حتى على القضاء . . .

وواصل الأستاذ الشناوي مرافعته فقال ... تبينت لنا الظروف التي لا بست حل جماعة الإخوان المسلمين وأن الحكومة لم تكن إلا منفذة لإرادة الغاصب – واندفعت في هذا التيار حتى أتموه على الناس . ولم تجد الحكومة في هذا الذي أقدمت عليه شيئاً غريباً عنها فقد كانت طبيعتها من نشأتها طبيعة إجرامية تعتبر الجريمة وسيلة من وسائلها ، وهذه وثيقة خطيرة عن حادث نسف دار النحاس باشا من تقرير المخبر الذي كان يحرس الدار ثابت بها أن الذين قاموا بهذا الحادث هم حياتي والدماطي (وقدم جريدة المصري الذي نشرت هذا) وهناك أيضاً حادث كوبري عباس الذي اثبت القضاء اعتداء الحكومة (وقدم جريدة البلاغ التي بها الحكم) .

اعتدت هذه الحكومة على القضاء حينما كانت قضية الإخوان مرفوعة إلى مجلس الدولة ، وكانت تبطش بطشا شديداً بمن تتوسم فيهم العدالة فبعد أن فتحت الجلسة التي ستنتظر فيها الدعوي يأتي خطاب مع ساعي ويلقى لرئيس المجلس بالخطاب ويقول له مدتلك انتهت ولا تنظر الجلسة فأثبت ذلك في المحضر ثم يأتي بعد ذلك وزير سعدي كان مشتركاً معهم في هذه الوزارة فيجلس وينظرها .

وأكد الأستاذ الشناوي ، بعد ذلك ، أن هذه القضية من ألفها إلى يائها ، إنما هي مؤامرة دبرت لتتوسل بها الحكومة لحل الإخوان واستدل على ذلك بتضارب أقوال الشهود وصفتهم البوليسية واقحام إبراهيم محمود على في القضية . وكل ذنبه أنه يستأجر شقة بإيجار قديم في منزل صبحي سالم – الشاهد الأول وبما قاله البكباشي البيلي عند تفتيشه للسيارة من أن بها منشورات شيوعية مطبوعة على الرنيو – وهذه الأوراق لم يعثر لها على أثر ثم قال :

الضابط الجزار هو الذي صنع القضية صنعا فهذا الضابط له تاريخ معروف في القضايا السياسية . هذا الضابط هو الذي ارتكب جريمة قتل الطالب أحمد خليل شرف الدين قتله بيده الآثمة حينما فتح له باب الشقة وذلك ثابت في قضية الأوكار .

وعندما حضر وكيل النيابة للتحقيق في قضية قتل الطالب قال إنه لا يجد أثراً لإطلاق رصاص من الطالب فقال الجزار أنت تريد عمل تحقيق لأننا قتلنا واحد من الإخوان واتصل الجزار برئيس الحكومة الذي اتصل بدوره بوزير العدل فحضر وكيل نيابة آخر خلاف الأول للتحقيق .

أكثر من هذا كان هذا المجرم يتردد على بيوت المعتقلين ويراد أهل المنازل التي فيها عن أنفسهم فكانوا يبصقون في وجهه .

هنا اعترضت النيابة . وقالت إن هذه التهم تلقي جزافا على أشخاص غير موجودين في هذه القاعة . فقال الدفاع نحن مستعدين أن نثبت ذلك بالدليل القاطع إذا رأت النيابة ذلك .

وتناول الأستاذ الشناوي أقوال الشهود : ففند أقوال الشاهد لطفي إبراهيم فؤاد وأثبت أنه كان وقت الحادث في السينما وأن حضرة ضابط المباحث كتب اسمه كمتهم ثم سئل بعد ذلك بشهرين فقال أنه شاهد وليس متهم . وبرهن على أن أقوال مصطفى كمال عبد المجيد كانت تحت تأثير التعذيب وعدل عنها بعد ذلك .

ثم أشار إلى موقف النيابة فقال :

لم يكن موقف النيابة من التحقيقات كما قدر لها أن تكون أي كخصم شريف فقدمت أدلة واهية لا تنهض وكانت في استنهادها تستشهد استنشادا ناقصا تترك الجزء الذي ينفي القصد الجنائي عن المتهمين لتثبت الجزء الذي ينهض دليلا . للقضية المنضمة (قضية مقتل النقراشي باشا) جزء عن مقتل الضابط أحمد فؤاد . من هذا الأحق الذي قتل هذا الضابط ؟ النيابة حققت هذا الجزء تحقيا دقيقا وأوقف حكمدار القليوبية ومساعد الحكمدار وغيرهما – تساءلت أثناء نظر القضية ما موقف النيابة من هذا الجرم فوقف حضرة ممثل النيابة موقفا ما كنا نحبه قال نحن ننتظر وزارة الداخلية حتى تنتهي من نتيجة التحقيق الإداري . قضية كاملة وأدلة كاملة ولا ينقصها إلا القلب الذي يقدر المسؤولية أبعد هذا أكون متجنيا على النيابة إذا أفهمناها أنها تتستر على القتلة والمجرمين ؟ ؟ تقول النيابة إن الرأي العام الذي لا يخطئ كان يحس في قرارة نفسه أن هذه الحوادث من فعل الإخوان المسلمين . هذا الرأي العام الذي لا يخطئ أبدا يحس أن الذين قتلوا الشهيد حسن البنا هي الحكومة وأن النيابة لم تكن جادة في تحقيقها وأنها كانت أداة طيعة في يد السلطة التنفيذية .

أدلة واهية

وأخذ الأستاذ الشناوي في الدفاع عن موكله الأخ احمد افندي عادل كمال (المتهم الحادي عشر) فقال : الأدلة ضد احمد عادل كمال هي أقوال الشهود وقد تكلمنا عنها واعترافات عبد المجيد أحمد حسن وهذا كان مقضيا عليه بالإعدام وكان يعلم هذا والتصرفات المدنية لا تعتبر كتصرفات الشخص المريض بمرض الموت فضلا عن أن الأدلة الرسمية أثبتت تلفيق أقواله وأما القول بأنه ضبط بجوار سجن الأجانب أو أنه ضبط تقرير يدل على أنه كان بالجولة هذا أو ذاك لا قيمة له ولا يدل على أن له نشاط إجرامي وإذا أنكر المتهم ولجأ إلى الكذب فالمتهم في دفاعه يباح له أن يكذب وكل الأوراق التي نسبت إلى احمد عادل كمال كانت كلها مكتوبة لغرض الإعداد وليس لغرض إجرامي أما بالنسبة لرسم حارة اليهود فالخبير لا يقطع بصحة نسبة رسم معين إلى شخص معين وأما البيانات الأخرى فهي من الضالة بحيث لا يمكن تكوين فكرة صحيحة عن الخطوط وإذا سلمنا جدلا بقيمة نسبتها فهي من قبيل ما كتب لغرض دراسة جغرافية المنطقة والأحياء القريبة ودراسة جزء من الصحراء حتى إذا ما طلبتم الحكومة كانوا مستعدين . أما عن تقرير البنك الأهلي فلا يمكن نسبته إلى احمد عادل كمال مطلقا نظرا لخطأ البيانات التي تدل على جهل كاتبها .

يبقى بعد ذلك الكراسة المضبوطة وأنا أفترض حالة انكارها وافترض بعد ذلك صحة نسبتها إلى المتهم والكراسة فيها فقه وقانون وأول من وجه الأنظار إلى نسبتها إلى أحمد عادل هو عبد المجيد أحمد حسن واعترافاته عرفنا بقيمتها وإذا قال الخبير الحكومي إنها بخط المتهم يأتي الخبير الاستشاري ويقول إنها ليست كذلك وإذا سلمنا جدلاً بصحة نسبة الكراسة إلى المتهم فليس بها غير مواضيع في الفقه والجغرافيا وحرب العصابات وليس فيها القصد الجنائي متوفر لأنها مجرد دراسات .

يبقى المتهم السابع عشر محمد أحمد على وليس عليه سوى ثلاثة تقارير وأقوال عبد المجيد أحمد حسن ذكرنا أقواله واعترافاته ، وأما عبد الرحمن عثمان فقد عدل عن اعترافاته وسيتناول زميلي الأستاذ محمود كامل مدي هذه الاعترافات ونأتي إلى التقارير التي أنكرها المتهم وقد قال الخبير إنه لا يمكن أن يقطع بأن الخط هو خطه وقد جاء الاستكتاب مطابقاً للأوراق الموجودة في ملف خدمته ومخالفاً لخط التقارير الثلاثة والتقارير الاستشاري قرر أنه ليس بخطه ونفس الخبير الحكومي سلم بوجود الخلاف في الخطوط ومع هذا فإذا سلمنا بصحة نسبة التقارير إليه فما هي أهميتها ؟

كانت بقصد الدراسة وليس بقصد التنفيذ . وقد قيل بأن المتهم كان على المقهى لمراقبة سيارة النقراشي باشا في يوم ١٩٤٨/١٢/١٩ وقد جاء دليل رسمي من المصلحة التي يعمل فيها هذا المتهم أنه كان بعمله يوم ١٩٤٨/١٢/١٩ ولم يتخلف عن عمله وعلى النيابة إذا لم تصدق هذا الدليل الرسمي أن تثبت لنا أنه لم يذهب .

أما عن التمرينات التي تقول عنها النيابة أنها حصلت في عزبة الاسماعيلية فلم يعثر إلا على ظرف قنبلة وعلى ظرف رصاصة فارغ فهل هذا يدل على وجود تمرينات ؟ وأخيراً فإن النيابة تقدم هذا المتهم مرة ثانية أمام هذه المحكمة ليحاكم مرة أخرى على تهمة وأفعال واحدة وقد برأته المحكمة السابقة . وقد قدم هذا المتهم في قضية النقراشي ونظرت تهمته وهي نفس التهم والأفعال التي يحاكم من أجلها اليوم كما حوكم عليها من قبل وحكم ببراءته منها ولهذا أذعن بعدم جواز محاكمة هذا المتهم لسابقة الحكم عليه بالبراءة .

مرافعة الأستاذ محمد فهمي القلعاوي

ترافع الأستاذ محمد فهمي القلعاوي المحامي عن الأخ الكريم طاهر أفندي عماد الدين (المتهم الثاني عشر) في جلستين (٢٤ و ٢٨ يناير) وكانت مرافعته مثالا طيبا للرصانة والانزان والتعمق في البحث وتتبع الأدلة ثم تنفيذها مع لمس النواحي الحساسة المؤثرة في القضية – كوطنية المتهمين وإيمانهم ومثاليتهم – لمسات موفقة .

قضية الشباب المؤمن

بدأ الأستاذ القلعاوي مرافعته بقوله :

حضرات المستشارين :

لطالما ساءلت نفسي وأنا أطلع أوراق هذه القضية أيمكن أن يأتي في حياة أمة من الأمم حين من الدهر تتفكك فيه عراها ، وتضل فيه السبيل القويم ، فتهمضم حقوقها وتهدر حرياتها ويتربع المستعمر على أرضها ، ممزقا أوصالها منتهكا حرياتها وتنفشي فيها المثالب وترخص القيم الخلقية ، ثم يهيبئ الله لها من بنيتها من يحاول انهاضها ويسعي لردّها إلى ما فيه خيرها وتوحيد كلمتها بالحق ، والعمل على إعلاء شأنها وتبصيرها بالطريق السوي المستقيم ، فيأبى عليه نفر من الأمة هذا الإصلاح وهذه الخطة المثلي ... ! لقد ظلت مصر بعد زوال عهد الفتح الإسلامي تتخبط في دياجير الاستعمار ومازالت حتى اليوم تنن من وطأته ولم تسر لا قدما ولا خطوة في سبيل تحقيق غرضها المنشود بل أنها رجعت القهقري خطوات ففترقت شيئا وأحزابا ينهش بعضها لحم بعض ويعادي بعضها البعض بدل أن تكثّل قوة عداوتها للمستعمر المغتصب .

ليست هذه القضية قضية هؤلاء المتهمين فحسب بل أن الأمر أخطر وأجل شأننا من هذا بكثير فهذه قضية الشباب في مصر والاتهام اتهام موجه لخير شباب هذا البلد .

ونحن نشعر أننا نقف في ساحاتكم مدافعين لا عن موكلينا فحسب والا لبسط الأمر وإنما نحس إحساسا صادقا أننا مكلفون بالدفاع عن أسمى الانفعالات التي يهتز لها ضمير الشباب وعن خير الاتجاهات الدينية التي بدأت تفعل أثرها المحمود في نفوسه .

تريد النيابة أن تجعل من هذه الدعوي الخطيرة التي ترمي فيها أسم جماعة في الأمة بأخطر التهم مجرد نزاع عادي يقصر فيه واجب الدفاع والنيابة على مناقشة توافه الأمور دون تناول الأسس والمبادئ. وتصف هذا بأنه محاولات ومهاترات بشأن أصول الحكم والسياسة .

ومن واجب المحامي أن يبيث قضائه شعوره ونحن لا نشعر في هذه الدعوي بالذات أننا نؤدي واجبا قضائيا فحسب – على ما في هذا الواجب من سمو وقديسية – وإنما نشعر أننا نؤدي قبل كل شيء فرضا دينيا نحو الله جل جلاله أحكم الحاكمين وثقوا حضراتكم أنه لن يستقيم الحكم ولن تطمئن ضمائرهم وتستريح له إلا إذا سبرتم غور المتهمين . وأثيرت لكم جوانب أنفسهم فرأيتم رأى العين ما اختلج بين

ضلوعهم ، ولمستم لمس اليد ما انطوت عليه أفئدتهم ، وتعرفتم في نفس الوقت على الظروف والملابسات التي نشأ فيها الجيل الحالي من شباب مصر ، والدوافع التي حركته والحوادث التي دفعته والأفكار والمبادئ التي سيطرت عليه والقوى التي تنازعت ، حينئذ سيظهر لكم الحق الذي ابتغاه الإخوان المسلمون والإصلاح الذي أرادوه لهذا البلد فأباه عليهم وعليه نفر من بنيه . أجل ... دعونا نقول الحق وكلمته مدوية في ساحتكم التي كانت - وستظل - أبد الدهر مؤثلاً للحق .

إن هؤلاء الأبرار المائلون أمامكم لهم في نظر البعض خطيئة واحدة هي التي أتت بهم إلى ساحتكم ان ذنبهم الوحيد أنهم من الوطنيين المنتسبين إلى جماعة الإخوان المسلمين هم ووطنيون في بلد أصبحت الوطنية المثلي فيه إلقاء الخطب من آن لآخر والاجتماع حول موائد الشاي والغداء لإجراء المفاوضات في عقد الصداقات والأخاء بين أصحاب البلد وبين معتصبيه ، أما الوطنية التي تجرؤ على الضمير والعمل جدياً لأخذ حقوق البلاد لا استجدائها من الغاصب والتي تقف من الغاصب موقف عزة وكرامة ، هذه الوطنية أصبحت سبباً لإلصاق التهم وللمحاكمات وهم إخوان مسلمون في بلد يهاب بعض أهله أن يلزم الاشتراكية الإسلامية التي تسوى بين الناس ولا تجعل لعربي فضلاً على عجمي إلا بالتقوى . هم من الإخوان المسلمين الذين يريدون لا قلب نظام الحكم ، بل قلب نظام الحياة الفاسدة التي أصبحت تملأ النفوس حسرة وجزعاً على مستقبل البلاد والتي هي سبب كل ما نلمسه من انحلال حياتنا الاجتماعية والسياسية .

هذه هي خطيئة هؤلاء المتهمين التي جعلت أعداءهم في الداخل والخارج يتربصون بهم الفرص ، ويحاولون منذ أمد بعيد أن يفرقوا كلمتهم ، ولكن كلمة الله هي العليا وله وحده عاقبة الأمور. ولو كان هؤلاء الأبرار المائلون أمامكم من الفئة المستهتره بدينها ووطنها والتي تمضي أوقاتها في دور الخلاعة والمجون ، أو لو رضي هؤلاء الأطهار الوطنيون أن ينطوا على أنفسهم وأن يقصروا اهتمامهم على مصالحهم الشخصية وأن يسعوا وراء النفاق والتذبذب لما كانوا اليوم واقفين بين أيديكم ، طاهرة ساحتهم، بريئة كل البراءة مما تسعى إليه النيابة للصقه بهم من تهم بعيدة كل البعد عن خاطرهم .

يا حضرات المستشارين :

طلب الاتهام أن نحتكم لكتاب الله ، ولا يسعنا إلا أن تجيبه إلى طلبه . . ففعل الله هادينا وإياه إلى سواء السبيل .

أفي كتاب الله هذه المنكرات الفاشية في البلد من دور مشيدة للهو واللعب والخمر والرقص ، ولإيجاد الفتنة تسعي حيه جهارا ونهارا في ديار الإسلام وبين المسلمين .

أفي كتاب الله هذه الفرائض المهذورة وهذه المثالب السافرة الفاجرة ... ؟

أم في كتاب الله هذا الفقر والجهل والمرض الذي استقر في البلاد ... ؟

أم في كتاب الله ألا تقضي حاجة لفرد وألا يجد الشباب عملاً إلا إذا كان محسوباً على زيد أو عمرو من كبار الحكام ...

أم في كتاب الله . . ألا تطبق تعاليم الله ... ؟

ما الذي بقى للمسلمين في مصر من أسس الحياة الإسلامية . بعد هذا كله ؟ سوى عبارة أخشي أن يقولوا عنها إنها جاءت عرضا في صدر الدستور وهي أن دين البلد الإسلام . . ومع ذلك فالنيابة تحتكم إلى كتاب الله متحديا به حزب الله .

نظريات شاذة للنيابة

وبعد هذه المقدمة الرائعة ، أخذ الأستاذ القلعاوي في الدفاع عن موكله . . فذكر في إشارة سريعة جو الإرهاب الذي نشرته الحكومة واعتقال البرءاء "حتى لقد أكد لي البعض أن هناك جيرانا كانوا يعتقلون بالشفعة . . " ثم قال :

أود أن أوجه نظر حضراتكم إلى نظرية عجيبة ابتدعتها النيابة العمومية في سبيل خلق الاتهام خلقا بالنسبة لكافة المتهمين فقد جاء في مرافعة النيابة أنها توجه نظر حضراتكم إلى ثلاث حقائق أو نظريات وهي :

النظرية الأولى : أنه مادام ثبت أن الشخص قد انضم إلى الجمعية السرية ، فيكون مؤدي ذلك أنه درس نظمها ونواحيها المختلفة وأدرك كافة غاياتها وأهدافها وألم بكل ما يرمي إليه من جرائم مدعاة .

والنظرية الثانية : أنه رغم اعتراف النيابة نفسها أن كل عضو لا يعرف زملاءه في الجمعية وأنه لا يعرف إلا من كان في مجموعته فإنه مع ذلك يكون كتلة واحدة من كافة أعضاء الجمعية السرية .

والنظرية الثالثة : هي أن حيازة أي عضو حيازة مادية لأية أسلحة أو مفرقات يعتبر حيازة معنوية لباقي الأعضاء .

والنيابة بهذه النظريات الثلاث خلقت نظرية رابعة جديدة في فقه القانون بالنسبة للإتفاق الجنائي وإحراز الأسلحة والمفرقات وهي تجهد نفسها والمنطق معها إجهادا عنيفا لا يحتملانه ولا تسمح به الوقائع المعروضة على حضراتكم وكان على الاتهام قبل أن يدلي بنظرياته أن يقدم لنا الدليل القاطع على الأمور الآتية :

أولا : أن كل متهم على حدة كان يعلم حين انضمامه إلى شعبة من شعب الإخوان أنه ينضم في الحقيقة إلى الجمعية العمومية السرية التي تدعي النيابة العمومية وجودها .

ثانيا : أن كل متهم على حده كان يعلم بأهداف هذه الجمعية ويلم بأغراضها التي تدعي النيابة العمومية أنها أغراض إجرامية . أما أن يقال أن الورقة التي تكتب وتفهم منها النيابة أن صاحبها يقترح مهاجمة زيد من الناس ، وتقرر النيابة أن المتهم الذي لا صلة له بهذا الاقتراح ولا يعرف حتى صاحب الاقتراح وإنما لمجرد انضمامه إلى شعبة من الشعب التي كانت قائمة قانونا للإخوان المسلمين ، بمجرد هذا يصبح هذا المتهم مسئولا عن الاتفاق الجنائي عن هذه التهم – أظن أن هذا القول هو الذي ينطبق على قول الشاعر :

هذا كلام له خبيء معناه ليست لنا عقول .

الاتهام نفسه يقرر أن كل مجموعة لم تكن تعلم ، بل ولا صلة لها إطلاقا بالمجموعات الأخرى – أين إذن الدليل الذي يثبت الاتفاقات الجنائية التي تدعي النيابة إنها تمت في داخل مجموعة ما كانت تعلم بها المجموعات الأخرى ، بل أن توافق وتتصب ارادتها عليها ؟

حقيقة الاتفاق الجنائي

ثم تكلم الأستاذ القلعاوي عن حقيقة الاتفاق الجنائي والحيازة فقال :

يا حضرات المستشارين :

ما هو الاتفاق الجنائي في نظر القانون ؟ تنص المادة ٤٨ عقوبات على أنه "يوجد اتفاق جنائي كلما اتحد شخصان فأكثر على ارتكاب جنائية أو جنحة ... الخ" ، والعبارة المقابلة للفظ (اتحد) في النص الفرنسي لهذه المادة نص عبارة *se sont moie d'accord* والاتحاد إذن يتطلب أن تنصب فيه إرادة المتفقين على الجريمة ، فمجرد العلم لا يكفي بل يجب أن يقع الاتفاق فعليًا وواقعيًا – بل ويشترط في هذا الاتفاق أن يكون نهائيًا وقطعيًا فلا تعتبر الرغبة أو التهديد أو الشروع اتفاقًا (جارو جزء ٣ ص ٥٦٤ و جارسون جزء ١ مادة ٨٩ ، ٩٢) فكيف يسوغ للنيابة قانونًا أن تقرر أنه مادام أحد الأشخاص قد انضم إلى ما سمته الجمعية السرية فهو مسئول عن كافة الجرائم التي تنسبها لبعض أعضاء هذه الجمعية حتى ولو لم يكن يعلم – بإقرار النيابة نفسها – لا أشخاص من اتفقوا خاصة على هذه الجرائم ولا ، بالتالي بالجرائم المدعاة لذاتها .

انني أفهم أن تتهمني النيابة بالاتفاق الجنائي على هذا الوضع : إذا أثبتت انني كنت أحد الذين يثبت عليهم أنهم اتحدت إرادتهم فعلا على ارتكاب كل جريمة من هذه الجرائم على وجه التحديد فنقول النيابة لي . انك في يوم كذا اتفقت مع فلان على ارتكاب الجريمة المذكورة ، والدليل على اتفاقكم هذا هو الآتي ... أما أن تقول لي انك دخلت شعبة في إحدى الجمعيات التي اتفق أفراد آخرون فيها – انت حقيقة لا تعرفهم – اتفقوا على ارتكاب جريمة وأنك بذلك تعتبر شريكا لهم في هذا الاتفاق الجنائي ، فهذا قول يتنافي مع أبسط مبادئ القانون والفقه ، ولم تقبله محكمة ما حتى يومنا هذا كتفسير للاتفاق الجنائي .

أما مسألة الحيازة المعنوية للأسلحة والمفرقات فهي أيضًا اجتهاد جديد غير موفق في فقه القانون تريد النيابة أن تسأل أحد أفراد شعبة في القاهرة عن أسلحة ومفرقات تحوزها شعبة في الإسكندرية مثلا . هو لا يعلم عنهم شيئا ولا عن أسلحتهم ومفرقاتهم ولا عن أي أمر من أمورهم بإقرار النيابة نفسها . ان المادة ٨٨ فقرة ٢ التي تطلب النيابة تطبيقها بالنسبة لإحراز المفرقات ما هي إلا تشديد المادة ٣٦٣ عقوبات التي هي الأصل في الإحراز العادي الذي لا تكون النية فيه منصرفه إلى ارتكاب إحدى الجرائم التي نصت عليها المادة ٨٨ فقرة ٢ والمادتان على السواء : الإحراز العادي والإحراز لغرض معين : يستلزمان حيازة مادية فعلية . أما أن يحوز المفرقات شخص آخر لا يعلم المتهم عنه وعن مفرقاته شيئا فهذه ليست حيازة ولا مادية ولا معنوية . هي ليست حيازة إطلاقا ، ومن المفروغ منه قانونا ان كل هذه الجرائم تتطلب قصدًا جنائيًا خاصًا زيادة على القصد الجنائي العام ، فمن غير المعقول إذن – والمشرع يستلزم في سبيل هذه الجرائم قصدتين جنائيتين (العام والخاص) – أن نهضم نظرية النيابة التي تجمع بين من لا يعرف بعضهم البعض لتدينهم في مثل هذه الجرائم ، فالشروع في قلب نظام الحكم بالقوة (م ٨٧ ع والمادة ٨٨ ع فقرة أولي ونفس المادة الفقرة الثانية الخاصة بإحراز المفرقات) كل هذه الجرائم تتطلب قصدًا جنائيًا خاصًا (القللي بك في المسؤولية الجنائية ص ١٠٩ و ١١٠) وتتطلب من النيابة لا إثبات القصد الجنائي العام فحسب بل وإثبات القصد الجنائي الخاص أيضًا .

ويتنافى مع إثبات ذلك أن تقرر النيابة العمومية نظريتها الخطيرة في مجرد الاتهام والجمع بين المتهمين مع إقرار النيابة بأنهم لا يعرفون بعضهم البعض . والواقع يا حضرات المستشارين ان النيابة وجدت من الأسهل عليها بدلا من تحديد موقف كل متهم على ضوء الوقائع المعروضة على عدالتكم تحديداً سليماً وبيان مدي تداخله في نظرها في التهم المنسوبة إلى الجميع رأت تبسيطا للأمر عليها – وتعقيداً لها على حضراتكم وعلينا – أن تجمع كل التهم في جانب وترمي بها على كل المتهمين في الجانب الآخر . وهكذا أصبح علينا أن نحاول تبسيط الأمور من جديد وأن نعمل على تحديد موقف المتهمين كلا على حدة من الاتهام حتى يظهر لعدالة المحكمة بوضوح وجلاء مدى انطباق التهمة المعينة على المتهم المعين .

اتهامات .. ولا متهمين

وذكر الأستاذ القلعاوي أنه بناء على هذا المنطق الفريد في بابه أصبح طاهر عماد الدين متهما من النيابة العامة في بضع وعشرة تهمة منها قلب نظام الحكم . وإتلاف سيارات الجيش وتخريب المنشآت وتعطيل وسائل النقل . وسرقة البنك الأهلي . وإقامة محطات لاسلكية وقتل خيول البوليس الخ .. ثم ذكر الأدلة التي بنت النيابة عليها هذه الاتهامات . وهي أقوال مصطفى كمال عبد المجيد ووجود اسم طاهر بين أسماء جولة الإخوان . واعترافات عبد المجيد حسن . وقال :

هذه هي كافة ما تستند إليه النيابة وتدعيها دليلا قبل على صحة التهم المنسوبة إليه .

وأود أن ألفت نظر حضراتكم إلى أنه ليس بين هذه الأدلة كلها دليل واحد ينصب على الجرائم التي تدعي النيابة العمومية أنها كانت الغرض من الاتفاق الجنائي .

فلم تقل لنا النيابة العمومية متى وكيف اتحدت إرادة طاهر مع الآخرين على قلب نظام الحكم بالقوة وما الدليل على أن طاهر اتفق جنائياً على ارتكاب القتل السياسي أو تخريب المنشآت الحكومية أو تعطيل وسائل النقل أو سرقة البنك الأهلي أو .. الخ . فالأدلة كلها ترمي إلى غرض واحد هو أن طاهر كان من الإخوان المسلمين وأنه كان على صلة – لم تحدد لنا النيابة مداها بالأدلة – ببعض الإخوان المسلمين ولكن ليس بين أدلة النيابة ما يثبت لنا حصول الاتفاق الجنائي على الجرائم السالفة الذكر .. اللهم إلا إذا كانت النيابة تكتفي في هذا الصدد بنظرياتها المشهورة التي سبق أن رددت عليها .

وأريد أن أزيد الأمر إيضاحاً وأن أسأل النيابة بل أن أسأل العدالة إذا فرضت فرضاً لمجرد الجدل إنني انضمت إلى جمعية من الجمعيات ، ولتكن جمعية سرية ، فإن السرية ليست مما يحرم على الجمعيات ، والماسونية – والقياس مع الفارق – جمعية سرية وجميع طقوسها سرية . ومع ذلك فليس في الماسونية ما يؤاخذها على القانون لمجرد سريتها . أقول إذا انضمت إلى مثل هذه الجمعية وبدأت أتفهم تعاليمها وطقوسها ثم ظهر بعد ذلك أنه كان من أغراض هذه الجمعية السرية قلب نظام الحكم بالقوة – وأوليس من الواجب على النيابة أن تثبت بالدليل القاطع إنني كنت أعلم بهذه الأغراض بل وأن إرادتي انصبت ووافقت على تنفيذها موافقة نهائية قاطعة ..؟؟

أظن يا حضرات المستشارين : إن هذا هو لب الموضوع كله والنيابة رغم ما أجهدت نفسها لم توفق إلى دليل بل شبه دليل على أن طاهر كان يعلم أو أن إرادته أنصبت على ارتكاب أي جريمة من الجرائم التي جعلتها النيابة موضعا للاتفاق الجنائي :

ومع كل فمن واجبي أن أتكلم عن أدلة النيابة التي لا تنتج في الحقيقة وواقع الأمر شيئا في الدعوي – وأبدأ أولا بمسألة القبض على طاهر بمنطقة السيارة الجيب يوم ١٥ نوفمبر سنة ١٩٤٨ نحن نقول أننا لم نكن بالسيارة الجيب بل كنا في طريقنا إلى منزل قريب لنا ثبت أنه موجود فعلا في الجهة التي قبض علينا فيها وأنا دخلنا هذا المنزل ومكثنا فيه المدة الكافية للغرض الذي حضرنا من أجله وهو الاستفهام من قريبتنا عن مسألة ما وعند انصرافنا من المنزل قبض علينا .

والإتهام يقول إن هذا غير صحيح وأنا كنا بالسيارة وهربنا إلى منزل قريبتنا المذكور ثم خرجنا فقبض علينا .

فلنبحث في هدوء وروية أقوال الشهود لنخلص منها الحقيقة والشهود على هذه الواقعة قسمان . .
شهود النيابة وهم شهود ضبط سيارة الجيب وهم لمجرد المصادفة السعيدة :

- (١) صبحي على سالم بوليس ملكي بالقسم السياسي محافظة مصر
- (٢) عبد المجيد سرور سليمان شيخ حارة تبع بوليس الوائلي
- (٣) السيد محمد خميس عسكري بوليس بقسم الوائلي
- (٤) علي خضر إبراهيم أمباشي بقسم الوائلي
- (٥) علي محمد سيد أحمد بوليس ملكي بمكتب شئون الاجانب بمحافظة مصر .
- (٦) اليوزباشي عبد الحميد فرغلي ضابط بقوة مطافئ القاهرة وهي تابعة لبوليس مصر .
- (٧) محمد لطفي إبراهيم فؤاد وصفته النيابة بأنه مزارع وتبين أنه من أعوان البوليس السياسي ومرشدينه .
- (٨) سيد عبد العزيز إبراهيم تبين أنه من البوليس السياسي ومرشدينه ثم التحق فعلا بالبوليس السياسي .

وأود أن أسأل النيابة العمومية – وهي على ما نعلمه من حصافة وقوة بديهة – ألم يخالجها الشك أثناء التحقيق في كيف أن حادثه يقال إنها وليدة الصدفة العابرة تجمع ثمانية من الشهود كلهم ينتمون للبوليس بأقرب الصلات وأقوى الوشائج ؟ ألم تر في هذا باعثا للتساؤل والتحري ؟ ألم يكن من المستطاع – ولو ذرأ للرماد في العيون – أن تكمل قائمة الشهود ببعض أسماء من الأهالي وخاصة وأن النيابة تدعي أن الحي كله كان يتابع المتهمين بالصياح والجري ورائهم . ؟ أو أن البوليس كان لا يثق في الشهود إلا إذا كانوا من رجاله يوجههم بما يلائم اتجاهاته .

ثم ذكر الأستاذ القلعاوي بعد ذلك أن صبحي سالم تفرد بالقول أن طاهر هو الذي كان يسوق السيارة . وأنه ضربه ثم فر . فجرى وقبض عليه بمساعدة شيخ الحارة والأهالي عند فابريقة كوثر .

وقد ثبت من التحقيقات أن طاهر لا يعرف قيادة السيارات وأن شخصا آخر كان يقودها وأن القبض عليه كان في شارع عبده باشا .

بل أن الشاهد كذب نفسه عندما سئل في المرة الثانية (في ١١/٢٥) وغير أقواله لكي يجاري بها أقوال بقية الشهود التي تناقضت شهادتهم مع أقواله الأولى في ١١/١٥ .

وطلب استبعاد هذا الشاهد - وهو الوحيد - شاهد الرؤية أما بقية الشهود فأقوالهم تدور حول قبض الجمهور عليه من الشارع ظنا منهم أنه صهيوني .

وتناول الأستاذ القلعاوي قيمة هذه الشهادة التي تؤدي تحت تأثير الإيحاء الجماعي وفي ظروف تغلب الشبه والالتباسات وأورد أمثلة عديدة على ذلك .

أما أقوال مصطفى كمال عبد المجيد فلم يقصد بها احقاق الحق وإنما الخلاص من التعذيب .

وأما اتهام النيابة بأنه من الجواله وأن اسمه وجد مع عادل كمال عند القبض عليه سنة ١٩٤٧ بجوار سجن الأجانب فواقعتان لا تحويان اتهاماً .

أما العثور على الكراسة رقم ٢٩ فقد تحدثت عنها النيابة كثيراً حتى لقد أصبحت كالمخزن السري الذي كان النازيون يهددون به الحلفاء . ويجب القول ابتداءً أن طاهر ينكر كتابة هذه الكراسة . وقد أحالتها النيابة إلى قسم الطب الشرعي فرع تزييف المسكوكات للتأكد من الخط . ولكن رجال هذا القسم غير اخصائيين في الخطوط وتقرير الدكتور شكري نفسه خير دليل على ذلك . فليس فيه الدقة التي تكون في تقارير خبراء الخطوط .

ومع ذلك فليس في الكراسة سوي معلومات عامة عن المحافظات والمديريات وعلاج الحروق وفرائض الوضوء . ثم سؤاليين عن حرب العصابات الأولى "ما هي نقط الضعف في الدبابات" والثاني عن إعداد ما يسمونه حربياً "بالكماشة" لايقاع العدو .

والنيابة تتخذ من هذين السؤالين دليلاً على روح العداة وقصد اغتيال الزعماء . وهو تعسف ظاهر لأن الاغتيال لا يحتاج إلى دبابات ولا إلى كماشات . وحقيقة الأمر أنها معلومات دراسية الغرض منها الاستعداد لحرب اليهود في فلسطين . وجهاد الإخوان معروف غير منكور . وقد كان الإخوان يضحون بأرواحهم في سبيل رفع اسم مصر بين الأمم الإسلامية في الوقت الذي كان فيه غيرهم يتاجر بأرواح الشباب ودماء الجنود ويلوث اسم البلاد . ومن مصلحة مصر التي أظلمها الاستعمار وغشاها أن تجد من بنيتها من يتحدثون باللغة الوحيدة التي يفهمها المستعمر أم كتب علينا أن نظل أبد الدهر قابعين في جحورنا نستجدي الاستقلال . ؟ وأما معرفة عبد المجيد حسن لمنزل طاهر فذلك يعود إلى أن عبد المجيد وطاهر كانوا سنة ١٩٤٤ ضمن ١٤ عضواً أو أكثر يكونون شعبة الإخوان المسلمين بالحدائق . ومن هنا عرف عبد المجيد بيت طاهر . وقد قدمت النيابة طاهر أكثر من مرة بصفة أنه "زميل عبد المجيد حسن قاتل النقراشي" وهو إيهاء غير مستساغ من النيابة لأن طاهر يوم دخل شعبة الحدائق . وتعرف بباقي أعضاء الشعبة لم يكن يعلم الغيب أو يقدر أن يرتكب عبد المجيد هذه الفعلة .

وأشار الأستاذ القلعاوي إلى مسألة التدريب في عين غصين فقال أن كل من استشهد بهم عبد المجيد أنكروا هذه الواقعة كما أنكروا طاهر " وأن تقول النيابة إن عبد المجيد تعرف على عين غصين . لا يكفي ويمكنني أنا أن أدعي أنني ذهبت مع محمد عبد السلام بك إلى عين غصين فهل إذا وصفت أو استدلت على عين غصين معناه أن عبد السلام بك شريكي فيما أدعيه" ؟ ثم قال :

حضرات المستشارين :

كان بودي لو أن المحكمة التي حاكمت عبد المجيد حسن مع احترامي لهيئتها عنيت بطلب تقرير من طبيب أو عالم من علماء النفس يفسر لها فيه اعترافات عبد المجيد حسن وأني إذ أشرح لكم نفسية عبد المجيد حسن بعد القبض عليه لا أنسب لنفسي فضلا بل الفضل كله لأستاذي وزميلكم السابق محمد فتحي بك المستشار بمحكمة استئناف مصر سابقا وأستاذ علم النفس الجنائي بمعهد الدراسات الجنائية بكلية الحقوق بجامعة فؤاد الأول وهو الذي يقرر حقائق علمية لم تعد محل جدل أو موضوع مناقشة وفي كتابه علم النفس الجنائي علما وعملا وتحت عنوان (الإقرار الكاذب) "لقد أصبح الآن لا خلاف بين علماء النفس من حيث تحليل ظاهرة الخوف وتأثيرها في العقل السليم وهم مجمعون على أنها نتيجة لازمة لحصر الانتباه وتركيزه تركيزا شديداً في واقعة واحدة أو شيء معين مع ما يتبع ذلك من شل الإرادة وإخضاعها".

ثم قال بعد ذلك في ص ٨٢ : "والإقرار الكاذب ليس بدعة جديدة ولا هو من مخترعات الخيال بل حقيقة معروفة قديماً وحديثاً لكل من خبر القضاء ومارسه".

ومن العوامل التي تدفع المتهمين إلى الإقرار الكاذب التغيرير والتضليل والوعود التي لا يقصد منها سوى الخدعة وكذا التهديد والوعيد وغيرها مما يكون شديد الأثر في نفس المتهم نظراً لما تكون عليه حالته النفسية من الضعف الشديد في أثناء الاتهام وما أصبح عليه عقله من الحيرة والارتباك وضعف الإرادة وكذلك اليأس والقنوط من الخلاص قد يدفعان بعض الناس إلى الإقرار بسبب تخرج المركز كما لو اتهم شخص بجريمة خطيرة وأساء عن نفسه الدفاع فأصبح موقفه دقيقاً فيحمله اليأس من النجاة إلى الإقرار أملاً في الرحمة . وقد حدث مرة أن أتهم إخوان بقتل صهر لهما على أثر اختفائه من القرية بغتة وكانت - لسوء الحظ - الدلائل عليهما قوية واجتمعت حولهما مجموعة من القرائن المريبة ، فلم يجدا مناصاً من الإقرار بالقتل وأقرا أنهما قتلاه عقب شجار قام بينهما وبينه وذرا رفاته بعد إحراقها فلم يبقيا لها أثر ولكن لم تمض ستة شهور من تاريخ الحكم عليهما حتى عاد صهرهما إلى القرية حياً . أما الإقرار الذي يعتقده صاحبه صحيحاً فهو أخطر حالات الإقرار الكاذب وأدقها موقفاً لأنه قد يتعذر على غير الخبير المحنك كشفه وأهم أسبابه ضعف الإرادة لسبب حصر انتباه الشخص في نقطة واحدة كما يقع للشخص الخائف المنزعج أو النائمونما مغنطيسياً فالخوف أو الرعب يحدث في النفس حالة تشبه حالة التنويم في كثير من الوجوه كما أن من شأنه أن يحدث في الأعصاب المضطربة صدمة قد تبلغ من شدتها أن تحدث تفككا في قوي العقل وانحلالاً في الروابط الفكرية فنتشعب الذكريات ويختل نظامها وتشل الإرادة ويفقد المرء ملكة التمييز فيعتقد العقل الخيالات والأوهام ويخالها حقائق سواء أكان ذلك بطريق الإيحاء الذاتي أو مما يوحي إليه من جانب غيره فإذا ثبتت في العقل فكرة خاصة أثبتت إليه بتأثير خارجي اعتنقها الإنسان وكون حولها ومن بنات أفكاره مجموعة تناسبها يختارها من بين ذكرياته المجزأة فتكون له شخصية جديدة فوق اطلال شخصيته القديمة المتهدمة وهو ما يسمى على حسب الاصطلاح العلمي بالانفصال العقلي أو تفكك الشخصية (Disociation of mind) وظاهرة الانفصال العقلي تارة تكون مرضية كما في أمراض الملانخوليا والنوراستانيا والهستيريا وغيرها وتارة تكون عرضية على أثر حلول نكبة أو كارثة عظيمة أو وقوع شخص في حالة رعب شديد أو في حزن مفرط أو في ورطة كبرى أو انفعال شديد "وإذا طبقنا هذه المبادئ العلمية الثابتة على أقوال عبد المجيد حسن

وعلى نفسيته أثناء التحقيق معه لوجدنا أنفسنا أمام حالة نموذجية تنطبق عليها هذه المبادئ العلمية انطباقاً تاماً .

وإني ألح على حضراتكم باسم العدالة ألا تتخذوا قراراً في أقوال عبد المجيد حسن إلا إذا استوفيتم بأنفسكم هذا البحث العلمي الخالص وأعطيتموه حقه من العناية والرعاية ولا جناح إذا احتاج الأمر إلى استشارة خبير في علم النفس من علماء القانون لتعرض عليه اعترافات عبد المجيد حسن ليوفيها حقه من البحث العلمي اطمئناناً لضمائركم وتحقيقاً للعدالة ، فما أريد إلا أن ألفت النظر إلى مسألة هامة ، رغم أن أهميتها بالنسبة لموكلي ، أهمية نسبية فقد قرر عبد المجيد حسن نفسه أن صلته انقطعت بطاهر عماد الدين في أوائل صيف سنة ١٩٤٨ كما قرر أنه حين التحق بالشعبة التي ادعى إن أحمد حجازي كان مشرفاً عليها موقناً أن هذا النظام كان لأجل الجهاد لفلسطين و ضد الصهيونية وأنه لم يعلم – على حد ادعائه – بأن هذا النظام موجه إلى ارتكاب جرائم ما إلا حين كلف بقتل النقراشي مما يجعل اعترافاته بالنسبة لطاهر عماد الدين قاصرة على أن طاهر التحق بنظام كان المفهوم منه الجهاد لأجل فلسطين . وعلى كل حال فمن المستقر عليه فقها وقضاً أن الشاهد الذي تكون شهادته محل اعتبار ونظر أمام المحكمة هو الشاهد الذي يناقش أمام المحكمة ذاتها ويناقشه الاتهام والدفاع حتى يمكن للمحكمة أن تزن شهادته بميزان صحيح وهذا هو حكم القانون لا جدال فيه وأحكام محكمة النقض والإبرام مستقرة على ذلك .

يا حضرات المستشارين :

انني على ثقة تامة بعد أن قرأت هذه القضية ورقة ورقة أن طاهر برئ كل البراءة مما نسب إليه ، وانكم لا تدينون الناس لمجرد الشبهات التي لا ترقى إلى درجة القرائن بل تنحدر إلى درك الفروض غير المحتملة ولهذا فاني أترك لكم طاهر أياماً معدودات تستوفون فيها إجراءات المحاكمة لتتطقوا بعد ذلك بإذن الله ببراءته فتردوه إلى آله وأقاربه ووالديه الشيخين ، تردوه إلى أنا محامي الذي عشت معه ولأجله . هذه الشهور كان سجين السلطات وكنت سجيناً لأجله في غرفتي ، أشعر بشعوره وأتعذب لعذابه وأتألم لآلامه – ردوه إلى .. فإنني ما شعرت في يوم من الأيام ان متهما نالت من نفسي براءته واشتقت لمقابلته خارج القفص مثلما نال مني هذا الشاب الطاهر السمح ...

[٦]

مرافعة الأستاذ مختار عبد العليم

اضطلع الأستاذ مختار عبد العليم بعبء الدفاع عن ثلاثة من المتهمين هم حضرات الإخوان إبراهيم أفندي محمود على (المتهم الثالث عشر) وأحمد أفندي محمد حسنين (المتهم الخامس) ومحمد إبراهيم سويلم (المتهم الحادي والثلاثين) .

وقد استغرقت مرافعته ثلاث جلسات (٢٨ و ٢٩ و ٣٠ يناير سنة ١٩٥٠) .

ما أشبه الليلة بالبارحة ...

بدأ الأستاذ مختار مرافعته بقوله :

حضرات المستشارين :

بين يدي الآن كتاب ألفه الأستاذ أحمد بك أمين عميد كلية الآداب عنوانه (زعماء الإصلاح في العصر الحديث) تناول فيه سيرة عشرة من المصلحين في الأقطار الإسلامية المختلفة وعلى رأسهم جمال الدين الأفغاني . وما أشبه الليلة بالبارحة ...

فالسيد جمال الدين كان يخلط بين الدين والسياسة وكان يري أن السياسة لن يصلحوا ولن يحققوا نفعاً للشعوب إلا في ظل التدين الصحيح وأن الاستعمار لن ينتهي إلا بتربية الشعب تربية دينية تلوه عزة وكرامة .

وقد أخذ عليه الدساسون من الاستعماريين وأنصارهم هذه المبادئ واتهموه بأنه يرأس جمعية سرية همها قلب نظام الحكم وإفساد الدين والدنيا معا .

وها هو الأستاذ أحمد بك أمين يذهب إلى الأستانة ليزور قبره ويتنسم ريحه ويقول . هنا رقد محي النفوس ومحرر العقول ومحرك القلوب وباعث الشعوب ومزلزل العروش ومن كانت السلاطين تغار من عظمته ، وتخشى من لسانه وسطوته ، والدول ذات الجنود والبنود تخاف من حركته والممالك الواسعة الحرية تضيق نفسا بحريته ...

هنا خمد من كان يشعل النار حيث كان : في الأفغان ، في مصر ، في فارس ، في باريس ، في لندن ، في الأستانة ...

هنا باذر بذور الثورة العرابية ، ومؤجج النفوس للثورة الفارسية ، ومحرك العالم الإسلامي كله لمناهضة الحكومات الاجنبية والمطالبة بالإصلاحات الاجتماعية .

هنا من حارب الحكم الاستبدادي في مصر . وناصر الدين في فارس وانجلترا وباريس ، وحارب الجهل والامية والذلة في الشرق ، والجاسوسية والنفاق في الأستانة .

لقد أجلناه ، وأعظمناه ، والتهبت نفوسنا لذكراه ، فكيف كان محضره ومرآه رحمه الله ... " .

يا حضرات المستشارين :

ما أشبه الليلة بالبارحة ..

فبالأمس وقف بين أيديكم حضرة رئيس النيابة المترافع يندد بهيئة الإخوان المسلمين ويرميها بالمروق عن الدين وبأنها جمعت بين الطغاة من أصحاب الأطماع وبين الأغرار والمخدوعين بل أخذ يسرد حياة الجماعة سردًا يغير الحقائق ويشوه المفخر ويقلب الملائكة إلى شياطين . مدفوعا في ذلك بتفسير الدساسين وإيعاز رجال البوليس السياسي أنصار الرجعية وأعداء الحرية . ولن أطلب لحضرة وكيل النائب العام ومن نحا نحوه إلا ما طلبه رسول الله في ساعة العسرة للمسرفين في خصومته والمناوئين لرسالته (اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون ..) وأؤكد لحضرات المستشارين الأجلاء أنه سيأتي في القريب جدًا وقت ينصفنا فيه التاريخ ويقف فيه الناس على حقيقة الإخوان المسلمين وفنائهم في سبيل وطنهم الشقي وأمتهم المغلوبة أما فضيلة المرشد العام الأستاذ حسن البنا رحمه الله الذي أراد ممثل الاتهام أن يغمزه في مرافعته الطويلة . والذي منعت السلطة الغاشمة أصحابه ومريديه من زيارة قبره ، ففي القريب جدا - يوم تعرف الحقائق وبزاح الستار - يدرك الجميع أنه رسم السبيل الوحيدة للإنقاذ خالصًا مخلصًا لا لدنيا ولا استعلاء .

وعندئذ سيذهب العلماء والعظماء - ولعل من بينهم حضرة محمد بك عبد السلام نفسه - يزورون قبره ويترحمون عليه ويقولون فيه ما قاله العالم المؤلف على قبر جمال الدين الأفغاني .

دفاع عن الحق

يا حضرات المستشارين :

تناولت النيابة تاريخ جماعة الإخوان المسلمين كما يتناول المؤرخ الظالم سير الأبطال المغاوير وكما يتناول المستشرقون المغرضون سيرة محمد بن عبد الله ، وأخذت تتهم بهذه الجماعة المؤمنة في أكثر من موضع وتقول "تكونت في مصر جماعة أطلقت على نفسها جماعة الإخوان المسلمين ..." ولن يضير هذا التهمك وذلك الإنكار جماعة لها هذا التاريخ الحافل بحلائل الأعمال .

وقالت النيابة ان الجماعة نشأت إسلامية من أول يوم والإسلام لا يفرق بين الدين والسياسة ، وإنما يتناول شئون الدنيا جميعًا . والله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن .

وليس أدل على هذه النشأة من رسالة سأقدمها لحضراتكم هي رسالة (نحو النور) التي رفعها الأستاذ حسن البنا رحمه الله منذ ١٥ عامًا إلى مقام حضرة صاحب الجلالة الملك وإلى رفعة النحاس باشا ، وإلى حضرات ملوك وأمراء وحكام بلدان العالم الإسلامي المختلفة كما بعث بها إلى كبار البارزين في هذه البلدان ثم نشرها على الكافة .

وقد جاء في هذه الرسالة "أما رعوس مناحي الإصلاح المرتكزة على الروح الإسلامي الصحيح"

فهي :

أولاً : في الناحية السياسية والقضائية والإدارية :

القضاء على الحزبية وتوجيه قوى الأمة السياسية في وجهة واحدة وصف واحد .

إصلاح القانون حتى يتفق مع التشريع الإسلامي في كل فروع القانون .

تقوية الجيش والاكثار من فرق الشباب والهاب حماستها على أسس من الجهاد الإسلامي .

بل اني أقدم لحضرات المستشارين خطابا صافيا مطبوعا ألقاه الأستاذ البنا رحمه الله بين أوف الناس في سنة ١٩٣٦ موضوعه (السياسة والإسلام) وقد جاء بهذا الخطاب

"فحدثوني بربكم أيها الإخوان . . إذا كان الإسلام شيئاً غير السياسة وغير الإجتماع وغير الاقتصاد وغير القانون وغير الثقافة فما هو إذن ... ؟

أهو هذه الركعات الخالية من القلب الحاضر ؟ أم هذه الألفاظ التي هي كما تقول رابعة العدوية "استغفار يحتاج إلى استغفار" ألهذا أيها الإخوان نزل القرآن نظاماً شاملاً محكماً مفصلاً "تَبَيَّنَا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ" ؟

هذا المعنى المتضائل لفكرة الإسلام ، وهذه الحدود الضيقة التي حدد بها معنى الإسلام هي التي حاول خصوم الإسلام أن يحصروا فيها المسلمين وأن يضحكوا عليهم بأن يقولوا لهم لقد تركنا لكم حرية الدين وأن الدستور ينص على أن دين الدولة الرسمي "الإسلام" .

وفي مكان آخر منه :

"أستطيع أن أجهر في صراحة بأن المسلم لن يتم إسلامه إلا إذا كان سياسيا بعيد النظر في شئون أمته مهتما بها ، غيورا عليها ، وأستطيع كذلك أن أقول أن هذا التجريد أمر لا يقره الإسلام وأن على كل جمعية إسلامية أن تضع في رأس برنامجها الاهتمام بشئون أمتها السياسية وإلا كانت تحتاج هي نفسها إلى أن تفهم معنى الإسلام" .

وقالت النيابة (وأخيرا أسفر القائمون على أمر الجماعة من أغراضهم الحقيقية وهي أغراض سياسية ترمي إلى الوصول إلى الحكم وقلب النظم المقررة في البلاد باستعمال العنف والجريمة) وغير معقول يا حضرات المستشارين أن يكون هدف الجماعة الاستيلاء على الحكم بالقوة وقد عاشت الجماعة عشرين عاماً لم توجه إليها هذه التهمة ولم يضبط عند المنتسبين إليها عتاد حربي أو ذخيرة إلا عندما استعرت الحرب في فلسطين وأخذ الإخوان يؤدون واجبهم في مساعدة الهيئة العربية العليا في الحصول على الأسلحة وفي مساعدة الجامعة العربية في هذا السبيل كما أخذوا في تجهيز معسكراتهم وإرسال المتطوعين منهم . فهذه الأسلحة هي للإخوان المتطوعين أو الفلسطينيين أو الهيئة العربية والحكومة نفسها تعرف ذلك .

وغير معقول أن يكون هدف الجماعة الاستيلاء على الحكم بالقوة ثم ترسل بآلاف المتطوعين وتلج على النقراشي باشا أن تسمح لها حكومته بإرسال عشرة آلاف من المتطوعين كما سمعتم من الحاج أمين الحسيني .

فلو كان هذا القصد موجوداً لأبقينا رجالنا وشبابنا في أرض مصر لهذا اليوم الذي تزعمه النيابة في مرافعتها ولما أرسلناهم يستشهدون بعيداً عن بلدنا .

شيئاً من النصفة يا ممثلي الاتهام ... ولا أقول شيئاً من العقل فانكم والحمد لله تتمتعون بعقل رشيد ومقدرة عجيبة على قلب الحقائق وتحريف الكلم عن موضعه .

شيئاً من النصفة ... لهذه الجماعة التي خدمت البلاد المصرية خاصة والإسلامية عامة بما أنشأت من مدارس ومشافي وبما بذلت من دماء ذكية عزيزة وبما نشرت فيها من وعي أفض مضاجع المستعمرين وأيقظ الأمة من سباتها العميق .

ومن المؤسف أن تغالط ضميرها فتجزم بأن النقراشي باشا عاد إلى تاريخ هذه الجماعة القريب والبعيد فتحقق لديه صدق هذه التهم وأصدر أمراً عسكرياً بحلها .

لقد علم القاضي والذاتي يا حضرات المستشارين إن حل الإخوان المسلمين لم يكن وليد عقيدة صادقة لدى النقراشي باشا وإنما وليد الضغط الأجنبي على رئيس حكومة غير دستورية لا سند له من الشعب وهو طامع في اجراء المفاوضات مع الإنجليز من جديد . وحريص على ستر فشله في قضية فلسطين والسودان وعلى ازاحة هذه القوة الشعبية من طريق الحزب الذي يرأسه قبل موعد الانتخاب .

ولا ننسى في هذا المضمار عمل الأصابع الخفية والدسائس من ذوي الغايات الذين خاصموا هذه الدعوة من أول يوم . فاليهودية العالمية والدول الاستعمارية وأنصار الإلحاد والإباحية لم يألوا جهداً في مناوأة هذه الجماعة ولم يخفوا سرورهم يوم حلها فأولموا الولائم وتبادلوا التهاني وجعلوه يوماً من أيام المواسم والأعياد من ذلك كله يا حضرات المستشارين تتبينون الإخوان المسلمين وحقيقة دعوتهم وأركزها في كلمات معدودة .

انهم دعوة الإسلام إلى الإنسانية كافة فرسالة زعيمها الأول ﷺ هداية للعالمين . ومن العقوق للإنسانية في هذه الظروف الحائرة أن تقوم فيها دول تهتف بالمبادئ الظالمة والدعوات العصبية والحروب المستعرة الأوار ولا يكون في الناس من يعمل لتقوم دولة الحق والعدالة والسلام .

ثم هم الأعضاء الحية في جسم الأمة الإسلامية التي غالبها المستعمرون وطمع فيها الطامعون واستغلوا استغلال الأنعام معتمدين كل الاعتماد على جهل الشعوب وانهايار كيائها وبعدهم عن تعاليم الإسلام وميل زعائنهم إلى الترف والتمتع وحب الدنيا وكرهية الجهاد في سبيل الله والأوطان .

ثم هم الروح الجديد الذي لم يكتف باسداء النصح إلى الحكومات ولكنهم أخذوا على عاتقهم أن يضربوا أروع الأمثال في تنفيذ ما يقترحون . فحين دعوا الحكومة إلى تقوية الجيش كونوا هم منظمات الشباب . وحين دعوها إلى نشر العلم أنشئوا هم مدارس للصغار والكبار على السواء فنشروا الوعي الذي سيظل مفخرتهم أمام المنصفين . وحين دعوا الحكومة إلى العناية بصحة الشعب شد الرجال أربعون ألفاً من الجواله لإنقاذ الأمة يوم دهاها وباء الكوليرا وجعلوا من شعبهم المنتشرة في شتى الأنحاء دوراً للوقاية والحقن والعلاج كما جعلوا من شبابهم خدماً وممرضين للمنكوبين . ولم ينوا عن إنشاء المستشفيات والمستوصفات وتجنيد كل خير من أبناء هذه الأمة لخدمتها .

ثم هم دعاة الدستور الحقيقيون ينفذون تعاليمه المهمة ويعملون بنصوصه المعطلة فدين الدولة الرسمي الإسلام والإسلام ينهي عن البغاء والقمار والخمر والإباحية وأكل أموال الناس بالباطل وإشاعة المظالم بينهم فحاربوا كل هذه المعاني بالنصح والرسائل والنشر وشتى أساليب الدعوة والوعظ القانونية . ولم يخرجوا عن الدستور وإنما احترموه وتقدموا إلى الأمة في ظله إلى الانتخابات فاستجاب الشعب بغريزته الدينية المتأصلة فيه واندفع في الطريق الذي رسمه الإسلام فخشى الحاكم الذي لا يعتمد على شعب يؤيده ، أو يؤمن بعقيدة أو دين ، فقاوم الجماعة بقوة الحديد والنار (يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ) .

ثم هم بعد ذلك أصحاب شريعة قديمة لا يأتيتها الباطل من بين يديها ولا من خلفها شرعها الله ورسوله (والله أعلم حيث يجعل رسالته) ، ورسول الله لا ينطق عن الهوى . شريعة عظيمة اعترفت بها المحافل الدولية واهتدت بمبادئها وتعاليمها الأمم التي ضربت بعد ذلك بسهم وافر في الحضارة وكان التشريع الفرنسي القديم – وهو مصدر أكثر التشريعات الوضعية الحديثة – كان صدى للشريعة الإسلامية التي لقتت لطلبة العلم الأوروبيين في جامعات غرناطة وأشبيلية .

وأخيرا هم السخيون بأرواحهم ودمائهم في سبيل فلسطين الشهيدة وفي سبيل مصرنا العزيزة وهم الذين كرسوا حياتهم على الغرم لا الغنيمة وعلى التضحية لا الاستفادة . ولا يسلينا بعد هذه الكوارث التي نزلت بهم غير أمرين اثنين :

الأول : أنهم لا يزالون أحياء يرزقون لا تزيدهم الأيام والاضطهادات إلا استمساكا بالإسلام وحرصاً عليه واستعداداً لكل تضحية في سبيله .

والثاني : أن في البلد قضاء ان اختلفت معايير الناس ومقاييسهم للرجال المخلصين فلا يضيع عنده حق ، ولا يظلم في تقديره مجاهد . قضاء يستطيع بما وهبه الله من رجحان وحصانة أن يميز بين الحق والباطل وبين دافعنا ودفاع الاتهام .

الدفاع عن إبراهيم محمود على

قال الأستاذ مختار عبد العليم إن الدفاع عن إبراهيم محمود على لا يحتاج إلى كبير عناء لأن براءته نطق بها الشهود وقررتها تحقيقات القضية والشاهدان اللذان شهدا بوجوده في عربة الجيب هما صبحي سالم ومصطفى كمال عبد المجيد . وقد ثبت أن صبحي كان على علاقة سابقة بالمتهم سببها أن أخا المتهم يستأجر شقة في منزل عم الشاهد بمبلغ ١٦٥ قرشا . ومع هذا أنكر الشاهد أنه يعرف المتهم في التحقيقات الأولى ثم عاد ، بعد أن شدد عليه النكير ووجه بالأدلة ، فاعترف بمعرفته له من سنة ١٩٤٣ .

ثم قال الأستاذ مختار :

"وإذا كان الشاهد قد لجأ إلى هذا الأسلوب الملتوي في التحقيق مغرراً بالمحقق حتى يضطره إلى إجراء عملية عرض فإنما ليخفي الدافع الحقيقي له على الاتهام .

وما الدافع له على ذلك إلا الإيقاع بخصمه وغريمه ليخلو له ولأهله الجو وليتمكنوا بعد ذلك من تأجير هذه الشقة التي فشلت حيلتهم في الاستيلاء عليها فتأمروا بليل على ساكنها ، وقد تم لهم ما أرادوا

ففي غداة القبض على المتهم إبراهيم محمود علي ، أقاموا دعوي بالاخلاء وحصلوا على حكم غيابي ضد شقيقه عبد الرحمن ونفذوا الحكم غير عابئين بحرمة المسكن أو الملكية عابئين بأمته المتهم .

وما أن أخلت الشقة حتى بادروا إلى تأجيرها بإيجار شهري قدره ٦ جنيهات شهرية ، ولمن ؟
شيخ الحارة عبد الحميد سرور سليمان شاهد الاثبات الرابع في هذه القضية والطرف الثاني في المؤامرة على المتهم .

وبهذا تمت الرواية فصولاً . وأسدل الستار على المأساة بعد أن تقاضى الثمن ، ثمن التلفيق والالقاء بالأبرياء إلى غيابات السجون متكالبين على العرض الزائل ، متجاهلين حساب الله وعقابه

ومع ذلك فلو استعرضنا أقوال هذا الشاهد مقارنة بأقوال الشهود وأقوال المتهم نفسه لانهارت هذه الأقوال كدليل قبل المتهم . ونحن نحصي على هذا الشاهد منذ بدء التحقيق روايات لم يثبت في واحدة منها على ما قرره في بقيتها . وهدم في روايته الأخيرة كل ما جهد في تحضيره من أقوال يدين بها المتهم . وإلى حضراتكم بيينة ذلك .

قرر الشاهد في جميع مراحل التحقيق أنه لم ير إبراهيم يجري . واليوم يقرر أنه شاهده يجري في أنحاء شارع لبيب .

قرر الشاهد في التحقيقات ان إبراهيم كان يجلس في المقعد الخلفي حتى وصول السيارة أمام المنزل، وان الذي كان يجلس بجواره نزل في أول الشارع وأن هذا الأخير قبض عليه واليوم يقرر ان إبراهيم هو الذي نزل في أول الشارع ولم يقبض عليه لأنه جرى في شارع لبيب . . هذا هو الشاهد صبحي على سالم ، وهذه أقواله التي تناقض مع نفسه تناقضاً عصف بها وهدمها من أساسها"

وقد تعرض الأستاذ مختار لأقوال مصطفى كمال عبد المجيد عن المتهم وهي تتلخص في أنه كان في عربة الجيب مع طاهر وعادل وأنهم شاهدوا المتهم قادمًا إليهم راكبًا دراجة . فساروا حتى وصلوا إلى منزله حيث شاهدتهم صبحي المخبر . وقد ثبت كذب هذه الأقوال من ناحيتين : الأولى ناحية الوقائع المادية فالمتهم لم يركب دراجة في حياته ولا يعرف ركوبها . وقد أجمع بقية الشهود على انهم لم يروا أي شخص يركب دراجة ساعة الحادث .

ومن ناحية أخرى فمن الثابت أن تعذيباً شنيعاً ارتكب لإرغام مصطفى كمال عبد المجيد على الإدلاء بأقوال معينة : الأمر الذي لم يغب عن فطنة المتهم وعادل وطاهر عندما واجهتهم النيابة بمصطفى كمال ورأوه في حالة مروعة : فكتب كل واحد منهم – والمتهم أحدهم بالطبع – خطابات إلى النائب العام جاء فيها :

استدعيت أمس للتحقيق معي أمام حضرة الأستاذ محمد بك عبد السلام . وعندما دخلت حجرة التحقيق وكان معي اثنان آخران من المتهمين روعت برؤية شخص يجلس على كرسي عليه آثار الضرب الشديد المبرح ، ومن آثار الضرب جروح شديدة في وجهه ورأسه وفي كل ما يظهر من جسمه وكان يبدو على هذا الشخص أنه فاقد النطق والحركة ، وليس بينه وبين الأحياء إلا عينان تبرقان ، وقد أخبرني الأستاذ المحقق ببعض ادعاءات باطلة على لسان هذا الحي الميت لم يظهر من هذا الشخص أي علامات توحي بأنه موافق على ما قيل أو أنه صادر بوحى منه ...

وبناء على ذلك لم يكتب محضر ولم توقع على شيء ولم تثبت شيء ، وإذا ظهر أي محضر فهو باطل وهذا الخطاب يعتبر إثباتا لحقي الذي ضيعته النيابة أمس مع الأسف الشديد" .

وقد ثبت من أقوال المتهم أنه ذهب يوم حادث ضبط السيارة لزيارة بن أخيه في شبيرا وظل في منزله حتى الساعة السابعة ثم عاد إلى العباسية فقبض عليه . وطابقت شهادة بن أخيه وزوجته هذه الأقوال . ولم تطعن النيابة في أقوالهم في الوقت الذي اتضح فيه لكل ذي عينين أن الشهادة المناقضة لذلك صادرة عن صاحب هوى مغرض هو صبحي سالم ومعذب مغلوب على أمره هو مصطفى كمال .

أما وقوف عربة الجيب أمام منزل المتهم فقد كان وقوفا اضطرارياً لخلل بها . وذلك ثابت من شهادة صبحي نفسه الذي اعترف بأن الضباط أحضروا لوري لجرها . وفوق ذلك فهناك أمام المنزل (جراج) فلو فرضنا أن السيارة وقفت في هذا المكان عمداً لكان لنا أن نفترض أن وقوفها إنما كان لإصلاحها وفند الأستاذ مختار شبهتي وجود فتيل ورسم نموذج لخيمة (وجد مثله في عربة الجيب) بمنزل المتهم بأن للشاهد صلة بمنزل المتهم وان المتهم كان يترك مفتاح شقته مع صاحب البيت (عم الشاهد) حتى يمكن لموظف شركة النور مراجعة العداد . وان الفتيل اللازم لتوصيل الشعلة عن ٦٠ سم . وتقرير الطبيب الشرعي لا يجزم بأن هذه القطعة من فتيل الأمان . بل يقول باحتمال ذلك . ويحيل في هذا الاحتمال على تقرير حضرة مدير الحريق مع أنه صاحب الاختصاص في هذا الشأن . ومع ذلك فلا يمكن اتخاذ وجوده قرينة للإتهام لأن كثيراً من هذه المواد انتشرت أعقاب الحرب وتداولت الأسواق كثيراً من مخلفات الجيوش . أما نموذج الخيمة فقد عثر عليه بتفتيش تم بعد القبض على المتهم بثلاثة شهور . وبأمر من الحاكم العسكري .

وقد علل المتهم وجود هذه الورقة (النموذج) باحتمال ورودها ضمن مشتريات له اشتراها من وكالة البلح .. والواقع أن هذا الاعتراف إنما كان وسيلة لإنقاذ شريكه – الذي كان المحل في حيازته عند التفتيش – من الاعتقال ، وقد اعترف بشيء قد لا يكون موجوداً حتى لا يدع لهم سبيلاً لاضطهاد شخص آخر ثبت أنه يمدّه بمعونة مالية من نصيبه في المحل الذي كان يديره ..

أما وجود أسم شفيق أنس بدفتر المقاسات ، فقد علل ذلك شريك المتهم بقوله .. "محلنا عمومي .. وكل واحد حر يفصل بدلته فيه" . وهو كاف جداً .

وختم الأستاذ مختار إبراهيم محمود علي ، لا نغالي إذا قلنا ان متهما من بين ال ٣٢ متهمًا لم يعان ما عاناه من تعمد النيابة العثور على شبهة أو قرينة تدمغه بالاتهام بعد أن نسج الشاهد الزور صبحي على سالم خطوطه الأولى .

يبقى بعد ذلك نقي الذيل . طاهر الضمير لا يتقل كاهله اتهام ولا ينال من براءته كيد كائد . ولا تدبير حاقد .

الدفاع عن أحمد محمد حسنين

وانتقل الأستاذ مختار عبد العليم إلى الدفاع عن الأخ أحمد افندي محمد حسنين (المتهم الخامس)

فقال :

الكلام عن أحمد محمد حسنين هو الكلام عن الجهاد لفلسطين الشهيدة وكما سقطت فلسطين جريحة تحت سنايك الطغاة شذاذ الآفاق فقد سقط أحمد محمد حسنين في الميدان أسيراً لاتهام هو أبرأ الناس منه وأقصادهم عن دائرته . وبدأ اتهامه من حيث انتهى العمل لفلسطين فكأنه عاد من فلسطين ليلقى أبواب السجن مفتوحة تستقبله ليلقى جزاء جهاده .

يا حضرات المستشارين :

تتصفحون أوراق القضية على ضخامتها وجسامتها فلا تطالعكم إلا بكل مفخرة يعتز بها المتهم ولا ينال من جهوده أو يحقر من كفاحه صحائف الاتهام المطولة ولا شبهات المحققين المجسمة فلا يزال – بعد حكمكم العادل – تقي السريرة ، طاهر الذيل ، أبيض اليد رفيع الضمير يتلقى وإخوانه ما ينزل بساحتهم وما وجه إليهم برحابه صدر ورباطة جأش واحتمال المكاره يسجله لهم الله جل شأنه في صحف مطهرة ، بأيدي سفرة ، كرام بررة (الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ * فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمَسْسَهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ) .

حضرات المستشارين :

لما اشتد الضغط على الجامعة العربية طلبت هي والهيئة العربية العليا إلى الإخوان ندب بعض المتطوعين للقيام بشراء الأسلحة ومساعدة المجاهدين العرب . وقد وقع اختيار المغفور له الأستاذ البنا على أحمد حسنين لمزاولته الأعمال الحرة التي لا تتقيد بمواعيد يعاونه سعد كمال الذي كان يعمل رئيساً لقسم النقل بجريدة الإخوان لمعرفته التامة بمسالك الصحراء إذ كان يعمل أثناء الحرب الماضية بسلاح الطيران البريطاني بمرسي مطروح منتدباً من سلاح الطيران الملكي المصري للقيام بهذه المهمة ابتداء من نوفمبر سنة ١٩٤٧ تقريباً وذلك بأن اصطحب الأستاذ البنا أحمد حسنين إلى سعادة عزام باشا فكتب سعادته خطاباً إلى مفتش الشؤون العربية بالمحافظة بعد أن اتصل به تليفونياً لهذا الغرض فتوجه أحمد حسنين ومعه الحاج حسني المنياوي إليه في المحافظة وقدم خطاب عزام باشا فصرح لهما حضرته بجمع السلاح وطمأنها إلى أن ما سيصادر منه سيكون مصيره بالمحافظة ليعاد تسليمه إليهما .

وكان من اللازم لتسهيل هذه الأمورية تخصيص سيارتين كبيرتين لهذا الغرض من سيارات جريدة الإخوان المسلمين واستخرجت لهما أرقام ملاكي ليتمكننا من المرور بناء على توصية من معالي دسوقي أباطة باشا وزير المواصلات في ذلك الوقت بعد أن رفض قلم المرور ذلك .

وتم لأحمد حسنين وسعد كمال استخراج تصريح رسمي لهما وبالسيارة رقم ١٣٨٣٦ ملاكي مصر من رئيس هيئة أركان حرب سلاح الحدود لاجتياز الصحراء .

وجاءت أقوال أحمد مجد الدين رمضان ناظر محطة الغربانيات بالصحراء الغربية بعد ذلك مسجلة لنشاط هذين الشابين في جمع الأسلحة من الصحراء كما قرر أحمد حسنين في أقواله أن الأسلحة كانت تسلم إلى حضرة إليوزباشي أنور سلام مأمور مركز الحمام بالصحراء بإيصالات وكان ينقلها إلى سلاح الحدود بمصر تحت حراسته ليسلم للهيئة العربية فأصحابه وكان حضرته يسلم بعض الأسلحة إلى الحاج

عبد الرحمن على مندوب الهيئة العربية العليا كما كان بعضها ينقل رأساً إلى فلسطين بطريق البحر من مرسى مطروح .

ولقد قام أحمد حسنين وزميله من ديسمبر ١٩٤٧ بهذا النشاط الواسع اعتماداً على تصريح مفتش الشؤون العربية وسلاح الحدود ، ولكن ذلك لم يمنع الحكومة من مصادرة بعض الأسلحة المجموعة بواسطتها بين الحين والحين ، بل والقبض عليهما في قسم الحمام مرة . وكان من بين الأسلحة المصادرة كمية كان يحملها الحاج عطية الشويقي من تجار الصحراء ، وقد بلغ ثمن هذه الدفعة وحدها ألفي جنيه عدا ٣٠ بندقية لم يحتسب ثمنها لأنها كانت تبرعا من بعض رجال الصحراء الغربية للهيئة العربية .

وقد ترتب على ذلك إغراق الإخوان في الديون . وأوقع أحمد حسنين في ورطة كبيرة لاضطرار عرب فلسطين إلى العودة إلى بلادهم بعد فشلهم في الحصول على السلاح نتيجة للمصادرات المتكررة . وأمام إلحاحهم بضرورة السفر إلى بلادهم وإعادة أموالهم إليهم دفع المركز العام للإخوان كل ما يستطيع دفعه من أمواله وبقي لهم حوالي ٦٠٠ جنيه وقد جاء في أقوال أحمد حسنين إنه اضطر للإستدانة لأن الحكومة صادرت أسلحة بأكثر من أربعة آلاف جنيه في سلاح الحدود عن طريق الهيئة العربية وبأوراق رسمية "ومن ضمن هذه المبالغ فلوس كنت باخذها من المحل" .

لم يكن إذن هناك بد من الاقتراض من مصادر متعددة إنقاذاً للموقف وكان ان اضطر أحمد حسنين إلى الاقتراض من المحل الخاص به وبشريكة فرغلي (شركة المعادن) .

ولكن الاقتراض وحده لم يسعفه على مواجهة هذه الظروف فاضطر إلى تحريك ديونه من دائن إلى آخر حتى يدركه المركز العام . ثم ذكر الأستاذ مختار أن النيابة اعتبرت أحمد حسنين أحد زعماء الجمعية السرية . وكبار مموليه . وأنها ترى في المبالغ التي صرفها وجوها للشك والريبة تجعلها تقطع باشتراكه في اتفاق جنائي الغرض منه قلب نظام الحكم بالقوة . ولولا الحقائق الثلاث العجيبة التي فسرت بها النيابة الاتفاق الجنائي ، لما كان هناك وجه لاشراك أحمد حسنين في هذه الدعوى العريضة .

وكل ما تأخذه النيابة على أحمد حسنين أنه استدان عدة مبالغ بعضها من الشركة الخاصة به وزميله فرغلي . وبعضها من عبد العزيز أفندي أحمد أحد أصدقائه وبعضها من عبد الرحمن أفندي السندي . وهذه المبالغ الأخيرة هي التي استندت عليها في الاتهام وقد وضح أحمد حسنين هذه المبالغ وبين أسباب صرفها مبلغا مبلغا ودعم هذه الأسباب بالمستندات الرسمية الصحيحة فضلا عن أن هذه المبالغ كلها كانت مسجلة ومقيدة بإيصالات وفي دفاتر .

ومن غير المعقول أن يتفق المتهمون اتفاقا جنائياً خطيراً ويعدون العدة لأعظم انقلاب . ثم يسجلون مؤامرتهم تسجيلاً دقيقاً . يتيح الفرص للنيابة لكي تضع يدها عليهم فرداً فرداً .

حقاً أن هناك عدة ملابسات أثارت الشك في نفس النيابة . ولكن لو أن النيابة كانت منصفة وقدرت أقوال الشهود والأسباب المعقولة التي أبدتها لما كان فيها ما يدين أقل اتهام إليه .

من هذه الشبهات صداقته لعبد الرحمن السندي ومصطفى مشهور وقد ذكر أسباب هذه الصداقة . وهي تقوم على أسس تجارية بالنسبة للأول ومصالحية بالنسبة للثاني وتأييدت هذه الأقوال بشهادة الشهود .

ومنها كذلك قول عبد المجيد حسن عندما ذكر رحلته إلى الإسماعيلية مع أعضاء خليته للتدريب "فاتني أن أذكر أنني رأيت أحمد حسنين في العزبة" وهذا القول لا يقوي على إثبات تهمة ضده وقد اتضح بطلان معظم مزاعم عبد المجيد مثل وجود أحمد محمد على ومحمود كامل في منازلهم في الوقت الذي زعم فيه عبد المجيد سفرهم فيه إلى الإسماعيلية فضلا عن جو الريبة والشك والتأثير الذي لا يخفي والذي أحاط باعترافات عبد المجيد في المرحلة الأخيرة .

الدفاع عن محمد إبراهيم سويلم

وأخذ الأستاذ مختار في الدفاع عن موكله الثالث محمد إبراهيم سويلم (المتهم الحادي والثلاثين) فقال :

هذا المتهم ضبط بعزبة غرب الإسماعيلية قيل انه ضبطت بها أسلحة وذخائر ومفرقات وأوراق وقد حققت هذه القضية بالإسماعيلية . وكان مفهوما أن تظل قائمة بذاتها ولكن منطق الاتهام أبى إلا أن يحشد جموعاً من الشبان كمتهمين في قضية أعدت لتكون حجة على اتجاهات غير مشروعة للجماعة تمهيدا لحلها فضمت إلى السيارة الجيب .

وعلينا الآن بيان حكم القانون في عملية التفتيش وهل من أجروها من رجال الضبطية القضائية أم هل كانت هناك حالة تلبس يمكن معها القول بحقهم في التفتيش .. الخ .

ونحن نضع المبادئ التالية بين يدي عدالة المحكمة لنؤسس عليها دفعنا ببطلان التفتيش :

أولاً : أن مأموري الضبط القضائي ليس لهم أن يباشروا خارج الجهة التي هم معينون لها اجراء من إجراءات التحقيق المخولة لهم في أحوال التلبس بالجريمة إلا إذا كان ما أجراه الضابط من ذلك في دائرة اختصاصه قد كان في صدد الدعوى ذاتها التي من اختصاصه تحقيقها على أساس وقوع واقعتها في دائرة اختصاصه ، هذا التحقيق يجب أن يشمل بالبداية جميع من اشتركوا في مقارفة الواقعة فاعلين كانوا أو شركاء وإن اختلفت الجهات التي يقيمون فيها فكل ما في ذلك أنه كان على هذا المأمور وقد دعت الحال إلى إجراء بعض أعمال التحقيق المذكورة في جهة أخرى أن يحصل على ندبه لذلك من المأمور المختص بالعمل في تلك الجهة لا أن يباشر هو من تلقاء نفسه إجراء ذلك متدخلا في اختصاص غيره (نقض ١٥ أبريل سنة ١٩٤٦ محاماه ملحق رقم ٢ جنائي لسنة ١٩٢٧) .

وهذا هو حكم القانون في المادة ٤ التي عدت طوائف رجال الضبطية القضائية إذا جاء فيها "يكون من مأموري الضبطية القضائية في دوائر اختصاصها" وعددت طوائفهم ثم قالت وجميع الموظفين المخول لهم هذا الاختصاص بمقتضى أمر عال هذا بالنسبة لمأمور الضبطية القضائية فكيف بالنسبة لأعوانه ؟

ثانياً : حكمت محكمة النقض في ١٩/٥/١٩٤٨ (١٤٢ ك ٢ مجموعة محمود عاصم) "بأن التفتيش الذي يجري بمعرفة أعوان مأمور الضبط القضائي المأذون به وتحت إشرافه صحيح إذا كان تحت إشرافه وبحضوره" وهذا هو حكم القانون أيضاً (المادة ٣ تحقيق جنايات) "قالت وأعوانهم الذين تحت إشرافهم" .

ثالثاً : فوق هذا فقد حكمت محكمة النقض بأنه لا اعتبار حالة التلبس قائمة وتبيح لمأمور الضبطية القضائية استعمال السلطات الواسعة المخولة له فيها يجب أن يكون المأمور المذكور قد شاهد بنفسه الجاني وهو في إحدى حالات التلبس التي عدتها المادة ٨ فإذا لم يكن قد شاهد الجاني أثناء ارتكاب الجريمة فعلا يجب على الأقل أن يكون حضر إلى محل الواقعة عقب ارتكاب الجريمة ببرهة يسيرة وشاهد آثار الجريمة وهي لا تزال قائمة ومعالمها بادية تنبئ عن وقوعها ، فإذا لم يكن هذا ولا ذلك فلا أقل من أن يكون قد شاهد المجني عليه عقب وقوع الجريمة بزمن قريب وهو يعدو خلف الجاني عقب وقوع الجناية بزمن قريب وهو حامل للآلات أو أسلحة أو أمتعة أو أوراق أو أشياء أخرى يستدل منها على أنه مرتكب الجريمة أو مشارك في ارتكابها .

ولا يكفي لاعتبار حالة التلبس قائمة أن يكون المأمور قد تلقى نبأ التلبس من طريق الرواية ممن شاهده على حين ألا يكون هو نفسه قد شاهد صورة من صورته المتقدمة ، فإذا كان الثابت أن الذي شاهد المتهم في حالة تلبس بجريمة بيع المواد المخدرة هو المرشد الذي أرسله ضابط البوليس لشراء المادة المخدرة ، فلما حضر الضابط إلى المنزل لم يكن به من الآثار الظاهرة لتلك الجريمة ما يستطيع ضابط البوليس مشاهدته والاستدلال به على قيام حالة التلبس فلا يمكن عند حضور الضابط اعتبار هذا المتهم في حالة تلبس ولا يمكن اعتبار الورقة المخدرة التي حملها المرشد إلى الضابط عقب البيع أثراً من آثار الجريمة يكفي لجعل حالة التلبس قائمة فعلا ووقت انتقال الضابط لأن الآثار التي يمكن اتخاذها أمارة على قيام حالة التلبس إنما هي الآثار التي تنبئ بنفسها عن أنها من مخلفات الجريمة والتي لا تحتاج في الأنباء عن ذلك إلى شهادة شاهد (نقض ٢٧ مايو سنة ١٩٣٥ جنح النقض ج ٢ ص ٤٣٨) .

وقد عادت محكمة النقض في حكم مشهور لها كذلك إلى تأكيد هذا المبدأ مرة أخرى في قضية تتلخص في أن ضابط البوليس علم من رجال المباحث أن المتهم يتجر بالمخدرات فذهب مع من أخبره بذلك إلى دكان المتهم الذي اعتاد الجلوس عنده وعندما رآه المتهم قام وجرى يربد الهرب والاختفاء فتبعوه وأمسكوه وفتشوا الضابط وضبط معه المخدر ، وقد رأت المحكمة أن معلومات المحقق التي وصلته وعدو المتهم حين رآه يقطع بأن المتهم حين ضبطه كان في حالة تبعث الضابط على الاعتقاد بأنه متلبس بجريمة ويكون القبض عليه وتفتيشه صحيحاً ولما طعن المتهم في الحكم قررت محكمة النقض أنه لأجل اعتبار المتهم في حالة تلبس تبيح القبض عليه وتفتيشه يجب أن يكون مأمور الضبطية القضائية قد شاهد بنفسه وهو في أخرى حالات التلبس المنصوص عليها قانوناً وأن المقدمات التي أوردتها الحكم المطعون فيه لا تدل على قيام حالة تلبس إلا إذا كان انتقال ضابط البوليس إلى محل الطاعن قد حصل بناء على أن أحداً شاهد الطاعن يبيع المخدرات .

أما إذا كان الانتقال حصل بناء على مجرد شبهات وظنون لدي رجال المباحث فإن رؤية الضابط لطاعن يجري ويعدو لا تتوافر معها حالة التلبس قانوناً (٢٣ مايو سنة ١٩٣٨ مجموعة النقض ج ٤ ص ٢٣٧) .

رابعاً : وأخيراً فإن من المبادئ التي استقر عليها قضاء محكمة النقض والإبرام في هذا الصدد هي أن تفتيش منزل برضاء صاحبه يجب أن يكون صريحاً حراً حاصلاً قبل الدخول وبعد المامه بظروف

التفتيش (١٠/٢٨/١٩٤٥) نقض ١٥٩ محاماه ملحق رقم ٢ جنائي ١١/١١/١٩٤٩ نقض ١٧٨٤ سنة ١٦ قضائية ص ٢٤ ك ١ مجموعة عاصم) .

هذه هي المبادئ القانونية الأربعة التي يتعين أن نبحث في حدودها واقعة ضبط المضبوطات" .
واستعرض بعد ذلك ، الأستاذ مختار عبد العليم أقوال الأدلاء الذين فتشوا العزبة والضابط الذي جاء بعدهم ووضح أن الذخيرة التي ضبطت كانت تالفة . وأن هذه المنطقة من المناطق التي كانت تعسكر فيها القوات البريطانية . وتقيم بها مخازنها وان العزبة كانت قبل أن يملكها الشيخ فرغلي في حوزة أحد الأعراب وهو الذي أقام مبانيها التي وجدت الذخائر مدفونة تحتها . ولم تحاول النيابة سؤال مالكيها الأصلي .

أما عن الأوراق فأغلب الظن أنها لم تكن مع المضبوطات وأنها نقلت إليها نقلا . وإلا لتلفت أو تأثرت بالرطوبة التي أفسدت الذخائر وقد قيل إن هناك بيانا بخط المتهم وأن الخبير الحكومي أيد ذلك . ولكن الخبير الاستشاري ناقضه . وعلم الخطوط علم ليس له ضوابط ثابتة . وإنما مرده إلى قوة الملاحظة التي تختلف ما بين شخص وآخر . وهي مسائل نسبية تقريبية والقاضي لا يبنى حكمه على النسبة أو الدليل التقريبي .

أما أقوال عبد المجيد فقد عرفنا قيمتها .

وختم دفاعه عن المتهم بقوله :

حضرات المستشارين

ان القوة الشريرة التي حملت الحكومة المصرية حملا على حل جماعة الإخوان المسلمين في ١٢/٨/١٩٤٨ - قد أرادت أن تمهد لذلك الحل وأن تتدرج إليه حتى لا تصدم الرأي العام صدمة يخشي رد فعلها وما كان هذا التمهيد إلا في أهم شعبة للجماعة كما قالت النيابة - وهي شعبة الاسماعيلية والقتال وما كان ليتمكن ذلك الا بحيلة يتعللون بها فكانت قضية الاسماعيلية .

وقد استهدف المتهم محمد إبراهيم سويلم لهذا الشر المستطير لا لذنب سوى خدمته في تلك العزبة وبرأته لا نتحايل عليها تحايلا وإنما تنطق بها الأوراق وتفيض بها صحف التحقيق .

الآن وقد فرغت من أداء واجب الدفاع عن هؤلاء المتهمين الثلاثة لا أبرح هذا الموقف حتى أذكر العدالة - التي يناط بأشخاصكم الكريمة تحقيقها باسم الله الذي أنتم ظله في الأرض - بأن هذه القضية ليست كسائر القضايا التي تعرض عليكم كل يوم في هذه الساحة بل هي قضية فريدة في بابها ، وحيدة من نوعها لا لجسامة الاتهام ، فقد تبينتم تفاهته ، ولا لقوة الأدلة ، فقد رأيتم تداعيتها وتهافتها . وإنما لما تنطوي عليه من المعاني الرفيعة ، والمثل العليا التي تتحلى بها هذه الباقية المختارة من شباب البلاد التي رزئت في أبنائها ونكبت في شبابها وطال شوقها إلى نبت جديد يجدد أمجادها ويرفع شأنها .

وهي فوق ذلك قضية الصراع الفكري العنيف بين العقلية القديمة البالية ، العقلية الرجعية الجامدة ، العقلية النفعية الوصلية وبين العقلية الفتية الشابة ، المتوثبة إلى الإصلاح ، المتحفزة للنهوض . لقد أحفظ توثب الفتوة إلى المجد والإصلاح أصحاب الجاه وذوي النفوذ والسلطان لما تبينوا استجابة الشعب إلى

الخير وخافوا ان ينصرف عنهم الشعب ولا يجدون فيما يدعو إليه الإخوان مجالاً لملاذاتهم ومطامعهم فتربصوا بهم الدوائر وحاكوا لهم الدسائس ونسوا ان وراء المؤمنين ربا يحميهم ويدافع عنهم "إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا" .

وفاتهم ان الحق الأعزل أقوى من الباطل محمياً بالجيش اللجب "إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ" .

يا حضرات المستشارين :

ها نحن أولاء ننتهي بذلك كله بالدعوة الخالصة لوجه الله وبالذعة الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضي نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً .

ننتهي بكل ذلك إلى ساحتكم الرحيمة ومحرابكم المقدس لتردوا عن الحق سهام البغي والطغيان وتدفعوا عن ذويه الأثم والعدوان وتمسحوا بأيديكم الرحيمة عن القلوب الواجفة من عشرات الأباء والأمهات الآلام والحرمان (لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ) .

إننا نستعدي عدالتكم على الفجرة الطغاة الذين طغوا في البلاد فأكثرها فيها الفساد وعلى القتل البغاة الذين تسلحوا بالحكم فاعملوا سيفه البتار في رقاب المؤمنين فاستحقوا من الله اللعنة ولهم سوء الدار . وكذلك نستعديكم على الأبواق التي تنطق بما يمليه عليها الاستعمار وتصدر عن الضلالة والفتنة بين الناس .

أما أنتم أيها المتهمون : فقد بذلتم لأوطانكم ودعوتكم من ذوات أنفسكم وعصارة قلوبكم وخالصة شبابكم ما لا يبذله إلا المؤمنون الصادقون ، والمجاهدون الصابرون ، وقد وعدكم الله النصر والفتح القريب ، والله لا يخلف وعده ولا يخذل حزبه فلا ينالن من عزمكم ، أو ينقصن من إيمانكم بربكم وتعلقكم بدعوتكم أذى نزل بساحتكم ، أو افتئات على حقوقكم ، أو إهدار لمصالحكم . فإن لكم في زعيمكم الأول صلوات الله وسلامه عليه أكرم الأسوة يوم أو ذي في سبيل عقيدته ودعوته فجلس دامي القدمين يدعو ربه ويقول "اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي يا رب المستضعفين ، أنت رب الناس ، وأنت ربي ، إلى من تكلني إلى صديق يتجهمني أم إلى عدو ملكته أمري .. ان لم يكن بك على غضب فلا أبالي" .

أيها المتهمون ...

صبر جميل .. والثقة كل الثقة والأمل أعظم الأمل في هذا القضاء العادل الرحيم "وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ" .

مرافعة الأستاذ أحمد رشدي

ترافع الأستاذ الكبير أحمد رشدي المحامي عن الأخ الكريم مصطفى افندي مشهور (المتهم الثامن) في الجلسة التي ختم فيها الأستاذ مختار عبد العليم مرافعته (٣٠ يناير سنة ١٩٥١) .

الاتفاق الجنائي والحياسة

بدأ الأستاذ أحمد رشدي مرافعته بقوله :

أتوجه بالشكر إلى حضرات زملائي الذين سبقوني ، فقد أجادوا فعلا ووفروا على الكثير من الوقت . كما أتوجه بالشكر إلى هيئة المحكمة على رحابة الصدر التي سمعت بها الدعوي وفي كلمات موجزة حقا أتناول الدفاع عن مصطفى مشهور وهو ينصرف إلى مسألتين :

الأولي : ما يمكن ان يتصل بالدعوى من الاتفاق الجنائي على قلب نظام الحكم وتكييف النيابة العمومية لها . والثانية : قيمة أدلة النيابة على اعتبار انها دليل ضد المتهم .

فأولا : فيما يتعلق بالاتفاق الجنائي فقد ورد في نص المادة ٤٨ عقوبات العبارة الآتية :

"يوجد اتفاق جنائي كلما اتحد شخصان فأكثر على ارتكاب جنائية أو جنحة" يعنيني من هذه العبارة معناها - كلما اتحد شخصان فأكثر - أي أنه لا بد أن يعرف أحدهما الآخر وأن تتلاقى إرادتهما في شأن من الشؤون التي يعاقب عليها القانون . وأن يعقدا العزم الصحيح على ارتكابه جادين فيما اتفقا عليه ، وعلى أنه سيقع منهما فعلا .

وفيما تحدثت عنه النيابة لا نجد دليلا ينص على سبيل القطع على أن واحدا من المتهمين اتفق مع آخر على ارتكاب فعل مما نهى عنه القانون فمعنى التعارف ومعنى الإرادة ومعنى الاتفاق مستفاد ذلك كله من التعبير بكلمة اتحاد ومستفاد أيضاً من الفقرات التي تلت الفقرة الأولى من المادة ٤٨ عقوبات "كل من اشترك في اتفاق جنائي سواء كان الغرض منه ارتكاب الجنايات او اتخاذها وسيلة للوصول .. الخ .. و "كل من حرض على اتفاق جنائي من هذا القبيل الخ .." ، ومعنى ذلك أن يعرف المشترك من يشترك معه وأن يعرف المحرض الأشخاص الذين يقع عليهم التحريض وأن يتوافر عقد العزم واتحاد الإرادة ، وعلى أنه واجب أي يجب أن يقوم الدليل عليه استقلالا عن كل عنصر ولا يمكن أن يقال بوجود اتفاق جنائي مع مجهول إلا إذا تعين هذا المجهول إذ لا بد أن يدل هذا الدليل على وجود هذا المجهول وجوداً حقيقياً .

ولا يكفي توافر الخواطر ، وإنما يجب حصول اتفاق جنائي وأن يتوافر عقد العزم بين شخصين فأكثر . ومحكمة النقض والإبرام في حكم حديث قالت في القضية رقم ٢٩٢ سنة ١٨ قضائية " يوجد اتفاق جنائي كلما اتحد شخصان فأكثر على ارتكاب جنائية أو جنحة ما أو على الأعمال المجهزة أو المسهلة لارتكابها ... "فهذه الجريمة على ما هو واضح من مفهوم هذا النص لا يمكن أن تتكون إلا باتحاد

الإرادات على ما نهى النص عليه بحيث إذا كان أحد أصحابها جادا في الاتفاق والآخر غير جاد ، فلا يصح أنه يقال بأن اتفاقا جنائيا قد تم بينها لعدم اتحاد إرادتهما على شيء في الحقيقة وواقع الأمر " ، ومعنى هذا صريح وهو أنه لا يكفي مجرد توافق الخواطر لتطبيق المادة ٢٠ عقوبات وإنما يجب حصول اتفاق وهو لا يوجد إلا إذا عقد العزم بين شخصين فأكثر واتحدت إرادتهما على العمل .

وذلك نقلا عن (جارون ١٧٥١ وجارسون ماده ١٦٥ ف ١٧ وورد في الموسوعة بالفقرتين (١٠) - ١١ ص ٩) ، وجاء في كتاب ظهر حديثا للأستاذ محمود مصطفى أستاذ القانون الجنائي بجامعة فاروق عن القصد والركن المعنوي - الاتفاق الجنائي جريمة عمدية لا بد من توافر القصد فيها لكل من ساهم فيه بإرادته وأن تكون المساهمة في الاتفاق عن علم . ومن يكره مادياً على هذا الاتفاق لانعدام إرادته يخرج من عداد المتفقين ومثل ذلك من يتفق على جمع قنابل اعتقاداً منه أنها ستستخدم في عمل حق فيجب التذليل على أنني جمعيتها وأنا أعرف الغرض المقصود من جمعها والعنصر الثاني - إرادة المساهمة جدياً في الاتفاق فنص المادة يستلزم اتفاقاً حقيقياً بين اثنين أو أكثر على ارتكاب جنحة أو جناية وأن تكون الإرادة في المساهمة عن علم بالغرض وأن تكون الإرادة جدية .

كما أن محكمة النقض والإبرام قد استقر قضاؤها على التفرقة بين الإحراز والحيازة فقالت في القضية رقم ٣٦١ سنة ٤ قضائية ما يأتي :

"أن الحيازة في الشطر الثاني من الفقرة السادسة من المادة ٣٥ من قانون المواد المخدرة معناها وضع إيد على الجوهر المخدر على سبيل الملك والاختصاص ولا يشترط فيها الاستيلاء المادي بل يعتبر الشخص حائزاً أو لو كان المحرز للجوهر شخصاً آخر نائباً عنه .

وأما الإحراز فمعناه مجرد الاستيلاء مادياً على الجوهر المخدر لأي باعث كان كحفظه على ذمة صاحبه أو نقله للجهة التي يريدها أو تسليمه لمن اراد أو اخفائه عن أعين الرقباء أو السعي في اتلافه حتى لا يضبط إلى غير ذلك من البواعث" .

وعلى هذا فالإحراز المعنوي أو الاشتراك في الإحراز لا يمكن تصوره قانوناً .

فهل قام الدليل في الدعوى على ذلك في التوزيع الذي ادعته النيابة وقالت ان كل مجموعة خماسية لا يعرف أعضاؤها أعضاء باقي المجموعات .

وانتقل الأستاذ أحمد رشدي بعد ذلك إلى الدفاع عن مصطفى مشهور ، فتساءل عن المجموعة التي كان عضواً بها .

ومع من من أعضاء هذه المجموعة اتفق على ارتكاب عمل جنائي ؟ ليس هناك إجابة على ذلك ودليل النيابة الوحيد هو العثور على حافظة رأت أن ما فيها يمكن أن يقوم دليلاً على اشتراكه في الجمعية السرية . بل وادعت أنه أمينها لأنه يحتفظ بأوراقها .. !

وقد فند الأستاذ رشدي بك هذه المزاعم مدللاً على فسادها بما ذكره المتهم من أن هذه الأوراق ليست له . وأنها إنما دست عليه بمعرفة شخص مجهول . وقال الأستاذ رشدي إنه يعتقد أن المتهم يعرفه ولكنه لم يشأ أن يذكره مراعاة لاعتبارات الرجولة والتذمم ..

ومن بين هذه الأوراق وورقتان من أوراق مطار ألماتة الذي يعمل به المتهم جاءت بهما كتابات عن النفس والألغام والجسور الخ . . وقد علقت عليهما النيابة أهمية كبرى وقد قال مصطفى أنه سجل فيهما ما سمعه من المرحوم عبد القادر بك الحسيني من معلومات رأى أنها قد تقيده لأنه كان راغباً في التطوع لفلسطين . ولم تأخذ النيابة بهذا القول ورأته تحايلاً وكذباً على رجل ميت ولكن الأستاذ رشدي أيد صحته بما ورد في هاتين الورقتين من معلومات لا بد أن تتعلق بفلسطين بالذات مثل نفس الأطراف الجبلية . وأسماء مخازن المأكولات التي يملكها يهود فلسطين .

وليس هناك غبار على صداقاته للمتهمين الآخرين فقد جمعته بهم الدراسة أو العمل أو غير ذلك .

وختم الأستاذ رشدي مرافعته بقوله :

سمعتم حضراتكم دفاع المتهم ولا أشك أن أقواله ان لم تسقط هذه الأدلة قبله اسقاطا تاما فهي تضي عليها مسحة من الشك إلى حد جعلها غير صالحة لقيام جريمة الاتفاق الجنائي وأنا مؤمن بأنني إذا كنت قد عجزت أو قصرت في الدفاع فلمصطفى كما لبقية المتهمين أكبر ضمان في عدالتكم وفي أن القسم الذي أقسمتموه يقيكم شر كل عجز وكل تعقيد ..

بقيت لي كلمة : هي أن هؤلاء المتهمين بما فيهم مصطفى مشهور هم فريق من الإخوان المسلمين أولئك الذين دفعوا بأرواحهم وبمالهم وبحريتهم ضريبة إيمانهم برسالتهم ، فإن أبيتم عليهم أو أنكرتم هذا الإيمان ، أو وجدتم بعض الانحراف عن الطريق السوي فارشدوهم في رفق إلى سواء السبيل .

ملاحظات عامة

على هذا القسم من المرافعات

بقلم الأستاذ جمال البنا المحرر بدار الفكر الإسلامي

يلحظ القارئ لهذا القسم من المرافعات مسائل إجماعية اتفق عليها المترافعون جميعاً . وأخرى فردية أشار إليها بعضهم دون البعض الآخر .

وقد أجمع المترافعون على لوم النيابة والتنديد بموقفها واتفقت آراؤهم على أنها لم تكن الخصم الشريف الواجب أن يكون أو تقف الموقف النزيه الذي أراده لها القانون . واعترف لها الأستاذان عبد المجيد نافع ومختار عبد العليم بالبراعة والمهارة ولكن في قلب الحقائق وخلق الشبهات وتحميل العبارات ما لا تحتمله وقال الأستاذ الشناوي "إنها ما أنصفت غيرها ولا انتصفت لنفسها" فقد اتهمت الأبرياء بظنون وشبهات مفتعلة فظلمتهم ، وسمحت للسلطة التنفيذية بانتهاك حرمتها فظلمت نفسها وقارن الأستاذان القلعاوي والشناوي بين موقفها المزري في هذه القضية وبين موقفها المشرف في قضية اغتيال أمين عثمان واتفق المترافعون على طغيان الوزارة وإسراف زعيمها إبراهيم عبد الهادي باشا ولقبه البعض بالجلاد ووسمه البعض الآخر بميسم الخزي والعار ، والاعتراف أمام المحكمة بالتأثير على الشهود ، وجاءت خلال المرافعات تعبيرات عجيبة – هي وحي الحقيقة الرهيبة وصدائها – تصف جو الاعتقالات مثل "الاعتقال من الباب للباب" كما جاء في مرافعة الأستاذ عبد المجيد نافع و"اعتقال الجيران بالشفعة" كما جاء في مرافعة الأستاذ القلعاوي وتساءل الأستاذ عبد المجيد نافع أين عبد الفتاح بك حسن – الذي أثبت في قضية حامد جودة – انتزاع الأظافر . ولماذا لا يفعل شيئاً وهو الآن وكيل الداخلية والبوليس السياسي تحت سلطته ؟

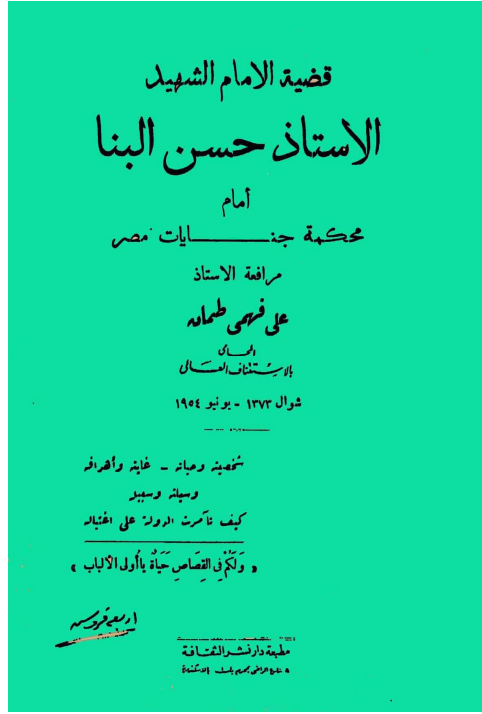
وكانت شهادة شهود البوليس محل تنادر وسخرية المترافعين . فالمصادفة السعيدة وحدها – كما قال الأستاذ القلعاوي – هي التي جمعت ستة من رجال البوليس – هم الشهود – في شارع هادئ ساكن . وفي ساعة من ساعات القيلولة لضبط حادث عرضي – كما قيل – وقد تساءل : كيف دق ذلك على فطنة النيابة . ولم يثر لديها الشك ، وهي التي جعلت من أوهي الشكوك دلائل اتهام للإخوان ؟ أو لم يكن من اللازم – ولو من باب ذو الرماد في العيون – إيجاد بضعة شهود "ملكيين" آخرين ؟ وشبه الأستاذ عبد المجيد نافع المخبر وأقواله باسطوانة من اسطوانات "صوت سيده" وكشف كل واحد من المترافعين من ناحيته – زيف الشهادة ضد موكله .

ومن المسائل التي أجمع عليها المترافعون . الاشادة بجهود الإخوان . وجهادهم الرائع . وصفحات البطولة والتضحية التي أبدوها في فلسطين . والأثر الاصلاحى الطيب الذي خلفوه في أربعة أركان البلاد . وتحدث الأستاذ القلعاوي عن "قضية الشباب المؤمن" وعن "الوطنيين من الإخوان المسلمين" وصرح الأستاذ مختار خاتمه المؤثرة بالآيات والأحاديث . ولا عجب فهو ابن بجدة هذه الدعوة . وكان

من الواضح جدا أن كل واحد من حضرات المترافعين ، حتى المسيحي منهم ، يصدر في إشادته بالإخوان – لا عن دوافع المهنة وحقوق الوكالة – وإنما عن دوافع الإنصاف والاعتراف بالجميل لذويه وحسن التقدير للبواعث النبيلة والدوافع الخالصة المخلصة ، المترفعة عن الأغراض التي دفعت بهؤلاء الشباب الممتازين إلى قفص الاتهام . فالمتهمون في هذه القضية كانوا محل فخر المحامين . والمحامون بدورهم كانوا في أغلب مرافعاتهم دعاة لفكرة الإخوان . وشراحاً لمبادئها السليمة . وهذا وضع جديد – فيما نعلم – انفردت به هذه القضية وفيما عدا هذه المسائل التي أجمع عليها حضرات المحامين ، فقد اتسم كل واحد من حضراتهم بالامتياز والسبق في ناحية ففند الأستاذ عبد المجيد نافع التهم التي ألصقتها النيابة بالإخوان ولاسيما تهمة اغتيال الخازندار بك ، وأثبت الأستاذ هنري فارس بطلان اجراءات ضبط العربة وما تلاه . وفسر الأستاذ الشناوي تطورات السياسة المصرية كما حركتها يد الإنجليز الخفية . وكانت الوثيقة التي قدمها مفاجأة موفقة . وقد تحدثت الجرائد والمجلات عنها طويلا . وحاولت السفارة التدخل لإدعاء زيفها . وتناول الأستاذ القلعاوي – هو والأستاذ أحمد رشدي – الاتفاق الجنائي والحيازة وقدموا شرحا قيما لهما أثبتا به تعسف النيابة وبطلان نظرياتها الثلاث العجيبة التي أشركت بها هذا العدد العديد من المتهمين في اتفاق جنائي لا وجود له .. كما ذكر الأستاذ مختار عبد العليم بحثا طيباً عن التفتيش وقواعده أثبت به بطلان تفتيش عزبة الاسماعيلية .

* * *

تشكر دار الفكر الإسلامي
الأستاذ عبد الكريم منصور المحامي
لتفضله بوضع نسخته
من محاضر المرافعات الرسمية في خدمة الدار



تقديم :

كان اغتيال الإمام حسن البنا في عيد ميلاد الملك فاروق (١٩٤٩/٢/١٢) إيذاناً بنهاية العهد ، فمع أنه كان ناقداً للعهد ، إلا أنه في الحقيقة كان حامياً له ، وكان يرى أن حسناته أكبر من عيوبه ، وأن من الممكن علاجه بالإصلاح، كما كان على نقيض ما يتصور البعض ، كارهاً وعازفاً عن الثورة ، يروعه سفك الدماء ، ويقول إن الدم "زفر" ، فلما قتل تحت جنح الظلام وبأيدي حماة الأمن أنفسهم ، أصبح المجتمع مهيباً لأي انقلاب أو ثورة ، وحدث بالفعل الانقلاب العسكري الذي تولاه عبد الناصر ، وكان من أول ما عمل البحث عن القتل والزج بهم في السجن ، وإعادة التحقيق في القضية التي كان العهد الملكي قد حفظها وحقق فيها ، وصادر حكماً بإعدام إبراهيم عبد الهادي رئيس الوزراء الذي سمح بوضع مؤامرة الاغتيال ، وكذلك الأميرالاي محمود عبد المجيد ، وبالأشغال الشاقة على بقية المتهمين .

وكان للقضية دوي كبير شغلت فيها الصحافة وكتب عنها كتب ، وقد اخترنا مرافعة المحامي الإخواني الإسكندراني الأستاذ علي فهمي طمان لأنه عرضها أفضل عرض في حيز معقول يمكن غيراده حتى يلم الجيل الحاضر بملابساتها بعد أن مضى عليها أكثر من نصف قرن مضى .

جمال البنا

بسم الله الرحمن الرحيم

١ - شخصية المجني عليه :

يا حضرات المستشارين :

حينما أقف بين يديكم ممثلاً للمدعين بالحق المدني أتمثل في موقفى هذا الإمام الشهيد "حسن البنا" صريعاً ، مسفوك الدماء ، ممزق الأشلاء . يقوم علي غسله وكفنه والصلاة عليه ويمشي خلفه مشيعاً ومودعاً رجل واحد هو أبوه بلغ الثمانين من عمره وبلغ حزنه عليه كل مبلغ .. وحملت شقيقاته وزوجته وكريمته نعشه إلى مقره الأخير ! أتمثل أهله ما بين ميم وممرمل ، وما بين أب مثكل وأم مثكلة ، وكأنهم آل الحسين - رضي الله عنه - في مدينة كربلاء يلتفون حول شهيدهم المسجي وقد غدر به جيش عبيد الله بن زياد بن أبيه ! أتمثل روحه الغالية ودمه الذكي ورأسه المحمول هدية للملك المخلوع إمام الفاسقين وكبير المترفين . والجنرال الفخري في جيش الغاصبين غداة عيد ميلاده في سنة ١٩٤٩ أذكر هذا .. واذكر الرجل : كيف كان يعلمنا ويواكلنا ويجالسنا ويصاحبنا . وكيف مد إلينا يده الرفيقة البارة فانتشلنا من حمات المعاصي وهدانا بمعرفة الله سواء السبيل . فأتصور مدى الظلم الذي وقع عليه ومدى الفجيرة فيه !

٢ - رسالته :

لقد كان المجني عليه يحمل قلباً رحيمًا يتسع وينفسح حتى يملأه هما بالإنسانية المعذبة الضالة في كل أرض ، وشعورًا بأنه مسئول عن هدايتها وسعادتها .

فلقد أدرك رحمه الله أن الإسلام دين السلام والعدالة والهداية والنور للناس كافة ويجب أن يبلغ للدنيا بأسرها حتى تقوم حجة الله على الناس وحتى تنهيا لهم حياة كريمة في ظل الأخوة الإسلامية أو التعاون الانساني .

ولقد كان مهمومًا حين ما سمع من العلماء أن غير المسلم محرمة عليه الجنة وأنه وقود النار إذ عليه مادام الإسلام قد ظهر أن يسعى إليه لاعتناقه .

كان رحمه الله يفكر في (الأمريكي) الذي ينشئ مستشفى للمرضى أو ملجأ للعجزة أو جمعية خيرية لخدمة الإنسانية ، كيف يكون من أهل النار ! وهو لم يبلغ الإسلام ولم يرثه عن أبويه بل إن أمريكا نفسها لم يكتشفها (خرستوف كولومبس) إلا بعد موت رسول الإسلام بثمانمائة عام ؟ وكيف يكون من أهل النار شخص (روسي) أو (سويدي) أو (ياباني) إذا كانوا محسنين ومخلصين في خدمة الإنسانية ، لأنهم لم يعتنقوا الإسلام دون أن يدعوهم إليه أحد ؟ ودون أن يوجد في نفوسهم الدافع الحافز للبحث والتقصي وهم ملتزمون حدود ديانتهم .

وظل رحمه الله يبحث حتى اهتدى إلى الحقيقة ، وظل ينشرها

والحقيقة تتلخص في أمور :

الأول : أن الدعوة الإسلامية يجب أن تبلغ للعالم أجمع ليسعدوا بما حوت من نظم .

الثاني : أن الله تعالى لا يعذب الناس ما لم يأتهم رسول يتلو عليهم آياته ويبلغهم دينه (وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى تَبْعَثَ رَسُولًا..) ويجب أن يكون هذا الرسول قادراً على تبليغهم الدين كاملاً ، ولن يأتي له ذلك إلا إذا تحدث بلسانهم لتتم الإبانة والتبليغ (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ) .

الثالث : أن النبي محمداً هو المسئول الأول عن التبليغ مدة حياته (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ) .

الرابع : أن خلفاء النبي وحكام المسلمين هم المسئولون بعد ذلك خليفة بعد خليفة وحاكما فعليهم أن يمهّدوا لنشر الإسلام وأن يعملوا لحماية عقيدة المسلمين في كل أرض .

الخامس : إن كثيرين من خلفائه - ﷺ - فهموا الدين وأدركوا السر فنشروا الإسلام في الآفاق وامتدت به فتوحاتهم بقدر ما اتسع جهدهم وطالت أعمارهم .

وأن كثيرين من حكام الإسلام غفلوا عن هذه الحقيقة ولم يأخذوا بأسباب القوة وتردوا في حماة الشهوة والمعصية ومتاع الحياة الدنيا فتوقف ركب الإسلام وتعطل موكب الهداية .

السادس : أنه في غيبة الإمام المسلم الرشيد والحكومة الإسلامية المستنيرة ينتقل عبء الأمانة الثقيل إلى جماهير المسلمين ، ومسئوليتهم عنها فادحة ، وحسابهم عليها عسير ، ولا تبرأ ذمتهم إلا بعمل مزدوج يعملون له حتى يموتوا .

شطره الأول : السعي الحثيث لإقامة الحكومة الإسلامية القادرة على أن تقوم بتبليغ الإسلام وإخضاع ميزانيتها وإمكانيتها المالية والعقلية والصحفية للتبشير بهذا الدين الحنيف حتى تصل مبادئه إلى الآفاق :

وشطره الثاني : العمل المتواصل لخلق شعب قوي قادر على أن يصنع الحكام ويبعث الأمجاد ، ولن يكون الشعب المصري كذلك إلا إذا تمتع بقسط وافر من العلم والمعرفة والصحة والعافية والقوة الروحية والمادية .

فالأجانب في أمريكا وآسيا وأوروبا لن يقبلوا نظماً للمجد من شعب آخر الصفوف ولن يقبلوا دعوة إلى العزة من أمة محتلة الأرض ، مسلوبة الإرادة ، ولن يقبلوا دواء للسعال من طبيب يشكو السل الخبيث .

وعلى أساس هذه الحقائق حمل الإمام الشهيد هموم الإنسانية الضالة البعيدة عن الإسلام الغارقة فيما يثور بينها من نزاع دائم أو من حروب يرجو أن يسود السلام ربوعها بسيادة الإسلام كما حمل هموم الشعب المصري والشعوب العربية والإسلامية عموماً وهو يراها من أفقر الناس وأعجزهم وأجهلهم :

(أ) في تونس والجزائر ومراكش وفزان وبرقة وطرابلس .

(ب) في فلسطين وشرق الأردن ولبنان وسوريا .

(ح) في المملكة العربية السعودية وفي بلاد اليمن ومحمياتها السبع

(د) في السودان والحبشة وأريتريا والصومال .

(هـ) في الهند واندونيسيا وإيران والعراق .

(و) في الأفغان والتركستان والصين والبلقان .

(ز) وفي بلاد أفريقيا الوسطى والجنوبية .

(ح) وفي بقية العالم السائر نحو الدماء الغارق في لجج الشقاء والحقد والأنانية .

٣ - جمعية الإخوان المسلمين :

وما أن فهم الحقيقة وهو في الثانية والعشرين من عمره حتى عمل على تكوين جمعية الإخوان المسلمين ، لتعاونه على هذه الرسالة العظيمة الضخمة وانتشرت شعبها في أنحاء مصر حتى خلا المجتمع المصري من هيئات قوية إلا من هيئة الإخوان المسلمين ، وكان يمكن لو لم تمتد إلى دمه الطاهر مسدسات المتهمين منذ أعوام مضت أن تكون شعب الإخوان في البلاد العربية والإسلامية من سواحل المحيط الهادي إلى مشارف الأطلنطي أقوى وأمنع مما هي عليه الآن ولكان في قدرتها أن تربط الشعوب العربية والإسلامية بعضها ببعض في عجلة محورها القاهرة .

إذ كان رحمه الله يبغى من هذه الشعب أن تكون بمثابة هيئة دبلوماسية شعبية ، وقد أنشأ لها بالمركز العام للإخوان المسلمين قسماً للاتصال بمثابة جامعة للشعوب العربية والإسلامية لها ميثاق تهواه القلوب وترتبط به الأرواح . يقوم على أساس توثيق العلاقات الثقافية والاقتصادية والسياسية والروحية بين هذه الشعوب . تنسيق حركتها التحريرية في نطاق كتلة شعبية ضخمة ضد الاستعمار .

٤ - يا حضرات المستشارين :

ان حركة الإخوان التي بعثها الإمام الشهيد سبقت تفكير الحكومات العربية في إنشاء (جامعة الدول العربية) ومهدت لها . ثم أخذت تدعم الجامعة العربية بعد تكوينها بقوتها الشعبية الهائلة .

بل إن حركته العظيمة المباركة هيأت الأفكار (للتكتل العربي الآسيوي) الذي اتجه إليه تفكير أقطاب العرب أخيراً ... واستطاعت أن تجعل منه حقيقة واقعة قبل أن تفكر فيه الحكومات ذات الشأن نفسها .

ولو لم تمتد مسدسات المتهمين فتغثاله وتزهق روحه بغياً وهدراً لاستطاع الشهيد رحمه الله بما كان له من نفوذ روعي بين الشعوب العربية والإسلامية أن يحقق الأهداف التي يسعى إليها جاهدين رجال الثورة وأقطاب العرب عن طريق التكتل العربي الآسيوي بدون عناء .

ولقد كان الإمام الشهيد يغذي الحركات التحريرية في البلاد العربية والإسلامية من أندونيسيا إلى مراكش ، ومن سوريا إلى اليمن ، ويضفي على مصر زعامة عربية إسلامية شعبية عززت مركزها الدولي وقوت نفوذها العالمي ولقد رسم الإمام السياسة التي اتبعتها الإخوان إزاء الغرب في نقط معينة محددة لو اتبعتها الحكومات العربية والإسلامية لكسبت لبلادها مقاما مرموقا ولحملت دول الغرب على احترام سيادتها وحريرتها واستقلالها (يراجع العدد الأول من مجلة الدعوة) .

دعوته إلى الإخاء العالي

١ - حرصه على وحدة المسلمين :

لقد كان يحزنه أن يرى المسلمين يتناكرون باسم الدين إلى حد التراشق بتهم الكفر والاحاد ، وأن يرى العالم الإسلامي يمزق وحدته الخلاف الديني حتى يكون أبناء بعضه لبعض أعداء ، وأن يكون تاريخ المسلمين يسعى فيه ضجيج من الجدل المفرق والخلاف الممزق منذ خلافة عثمان رضي الله عنه فأخذ يربي تلاميذه ومريديه على الحرص على رابطة القلوب واجتماع الكلمة وعلى ذم الجدل والمكابرة ، وعلى التعاون في المتفق عليه ، وتبادل العذر في المختلف فيه ، واستحضار خطر الاستعمار كعدو مشترك ، يجب التعاون على رفع خطره وطرح كل خلاف وراء الظهر دونه .

وبهذه التربية كان الإخوان المسلمون بمنأى عن إثارة المسائل الخلافية في محاضراتهم وأحاديثهم... ولا أثر للتعصب للمذهب في نواديهم ، فقد كان يعانق الصوفي ويعانق مخالفه في الرأي فنفع ذلك وكان يصلي وراء الشاب المطربش فيحذو حذوه العلماء والفقهاء من رجال الجماعة - وكان يصلي خلف عاري الرأس متى سبقه إلى الصلاة فيقتدي به الإخوان حتى حامل اللحية والعذبة منهم .

٢ - حرصه على وحدة الأمة :

كان أحرص الناس على هذه الوحدة وأعرفهم بما بذلت الانسانية من جهود ودماء وأزمان وأوقات وأموال وتضحيات حتى وصلت إلى هذا المعنى وكان ينشر تعاليمه ومبادئه في هذا الصدد بين أنصاره وأعوانه بثتى الطرق بوساطه الخطابة والدروس والصحف والمؤلفات والرسائل وتنتهي كلها إلى أن الإسلام يفرض على المؤمنين به :

أن يؤمنوا بكل نبي سبق .

وأن يدينوا بكل كتاب نزل .

وأن يكرموا كل أمة مضت .

فموسى عليه السلام : رسول الله وكليمه ، برأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها وكتابه التوراه فيه هدى ونور "وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ" .

وعيسى عليه السلام : رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، "وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنْ الْمُقَرَّبِينَ" وكتابه الإنجيل فيه هدى ونور "وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ" .

وقوم عيسى أقرب الناس إلينا "ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ" ، "وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً" .

وقد ختم الأستاذ البنا رحمه الله إحدى رسائله في هذا الصدد فقال بالحرف الواحد ولم يقتصر القرآن على هذا البيان اللفظي والإرشاد الوعظي ولكنه وضع مفاتيح هذه الدعوة وشعائرها ومظاهرها العملية .

فطعام أهل الكتاب حل لنا وطعامنا حل لهم ، وللمسلم أن يتزوج كتابية تكون أنس نفسه ، وربة بيته وأم أولاده ، وشريكة حياته ، وموطن سكنه ومستودع سره ، ويعبر عن ذلك بأرق التعبيرات وأبلغها في النصفة والمساواة والعدالة (وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حَلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ) فالذين يقولون إن الأستاذ البنا كان بدعوته خطراً على الطوائف غير المسلمة إنما يريدون أن يطفئوا نوره ببهتان ومثلهم كمن يكسب خطيئة أو إثماً ثم يرمي به بريئاً .

٣ - تعاليمه بالنسبة للأجانب :

كانت تعاليمه رحمه الله تسمو بالمعنى الإنساني حتى يحجب كل ما سواه ، وكان يكره أن يصف الأجانب الذين يعيشون في مصر بكلمة (أجانب) وكان يسميهم في رسائله : ضيوفنا الغربيين (أو النزلاء الغربيين) إثارة للمعنى الإنساني . الجامع الذي يجعل الإنسان أبا لأخيه مهما نأت الديار أو شطر المزار ، ويبغض العدوان عليهم وانتهاب أموالهم واغتتيال أرواحهم وتعطيل مصالحهم .

فبهذا أمر الله (وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ) .

وهذا في حال الشنآن فكيف في حال التعاون والود والبر والإحسان .

وفي خطاب جامع قال رحمه الله في هذا الصدد بالحرف الواحد إننا لا ننكر فائدة اتصالنا بالغرب في تاريخنا الحديث ، ولا نكره الثقافة الأوروبية والعلم العصري الأوروبي ، بل نقدر كل التقدير هذه الثروة العلمية الهائلة التي ورثها الغرب لبني الإنسان .

ولسنا نمن على الغرب بما علمناه من قبل ، كما أننا كذلك نعمل اننا لا نستغني في نهضتنا الحالية عن رعوس الأموال الأجنبية وعن الخبرة الفنية الأجنبية وعن التعاون مع غيرنا من الناس .

وسائل الشيخ لبلوغ أهدافه

كانت وسائل الشيخ رحمه الله تلك الأسلحة الماضية التي لا تصدأ ولا تفل ولا تنتهي ولا تزيد الأيام إلا مضاء وقوة :

العقيدة والإيمان .

التربية والنظام .

الحجة والإقناع .

وكان يهدف من ذلك كله إلى تكوين رأي عام يعتنق مبادئه ويعلم أن الحكومة الشرعية أمانة في عنقه لا تبرأ ذمته إلا إذا أوجدها . وبهذا الرأي العام يستطيع أن يضغط على الحكام ليستمدوا من الإسلام تشريعاتهم وليصبغوا المجتمع المصري بصبغته ، صبغة الله "وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً" ، فإن لم يستجب الحكام اختار الرأي العام - عن طريق الانتخاب - حكماً يحكمون بالإسلام ولا يشترط أن يكونوا من الإخوان المسلمين .

وكان للفقيه رحمه الله - شعار أخذ نفسه عليه وربى عليه مريديه ، يردده في خطبه وفي تعاليمه "نحن رديف غيرنا نمد الصف إذا استقام ونقومه إذا اعوج ونحتله إذا خلا" .

ولقد استغل أعداؤه - والناس أعداء ما جهلوا - وحاسدوه - وقديماً كان في الناس الحسد - فرصة مساهمته في حرب فلسطين وجمعه السلاح والذخيرة لتموين الإخوان المتطوعين وعدة تصرفات فردية لحفنة من شباب الجماعة فقالوا : إرهابي يسعى لقلب نظام الحكم والإغارة على العرش ، ويهم بالقضاء على سلطانهم .. فحلوا جماعته في ١٩٤٨/١٢/٨ ودبروا مقتله في ١٩٤٩/٢/١٢ ورصدوا له هذه الأدوات التي تشهدونها في قفص الاتهام فأزهقت روحه البريئة والذي حل جماعة الإخوان وبادأ الشيخ بالعدوان وملاً المعتقلات بأصحابه وأنصاره هو "محمود فهمي النقراشي" تأثراً بموقف الإخوان المسلمين من حكومته في سنة ١٩٤٨ .

وكان رحمه الله يرى أنه للوصول إلى هذه الأهداف الكبرى لخير الإنسانية وصالحها لا بد من تكوين دولة إسلامية قوية في مصر .. لتحمي هذه المبادئ وتعمل على نشرها .

وللوصول إلى هذه الدولة ، يجب تحريرها من الإنجليز ورفع مستوى المعيشة فيها ومحاربة الفقر والجهل والمرض قدر الطاقة . فماذا عمل في هذا السبيل :

(١) جولة الإخوان :

رأى (اللورد بادن باول) يضع نظام الكشافة العام .

ورأى القانون الدولي يعترف بهذا النظام ويقره ويرعاه .

ورأى الإسلام يدعو إلى إعداد القوة قدر الإمكان .

فكون جولة الإخوان المسلمين ويبلغ عددها عشرات الألوف من الشبان الصالحين وجلهم مشترك في جمعية الكشافة الأهلية ، وكان من هؤلاء الأبطال الفدائيون الذين تطوعوا للقتال في فلسطين والقتال لأول مرة في تاريخ الإسلام الحديث .

(٢) المدارس :

عني بنشر المدارس للصغار مزودة بخبرة المدرسين والسيارات والأثاث في القاهرة والإسكندرية والإسماعيلية وغيرها ، كما عني بإنشاء الأقسام الليلية لمكافحة الأمية بين الكبار ، وجعل من شُعب الإخوان المسلمين واجتماعاتهم ومؤتمراتهم مدارس تحبب إلى الشباب مآثر الإسلام ونظمه الصالحة للمجتمع لراقي وتعرض تعاليم الإسلام كاملة ، فإذا هو دين ودولة ، ومصحف وسيف ، صلاة وجهاد وروحانيه ومادة ، وعقيدة وشريعة وتصوف وعمل .

(٣) المستوصفات :

وهذه لا حصر لها فتكاد تكون كل شُعبة رئيسية ملحقا بها مستوصف ، أما المركز العام فملحق به مستشفى ومستوصف كامل المعدات أديا أجل الخدمات لأهل القاهرة في الحلمية الجديدة وفي العباسية ويشرف على هذه الناحية أطباء متطوعون من شباب الإخوان الذين رباهم - رحمه الله - على البذل والإيثار .

الصحافة :

وكانت صحافة الإخوان التي أنشأها الإمام الشهيد وأهمها :

جريدة الإخوان المسلمين اليومية – مجلة الإخوان المسلمين الأسبوعية – الشهاب الشهرية – مدارس متنقلة تنقل تعاليم الإسلام وآدابه وتدافع عن نظمه ومنهجه .

الرسائل :

وكتب رحمه الله دعوته وشرح منهاجه بطريق سهل ممتنع ، بسيط معجز وبين فيها . كيف يكون الفرد الصالح والأسرة الصالحة والأمة الصالحة . وهي لا تزال – رغم الإيجاز والتركيز – مرجعاً صادقاً بعيد الأثر يجد فيه المهتمون بالإسلام خير معين لمعرفة حقائقه ويقتنيها رجال الإسلام في كل أنحاء المعمورة على وجه العموم ودعاة الإخوان المسلمين في جميع الأقطار على وجه الخصوص .

زهده رضي الله عنه :

كان رحمه الله زاهداً لا يبغى مالا ولا عرضاً من أعراض هذه الحياة لذا رأيناه يحيا بيننا حياة الطيف الخفيف يلم بالدنيا على هواده لا يجمع منها ولا يمنع ولا يهتم بشيء فيها إلا بمقدار ولا يصيب منها إلا ما تدعو إليه الضرورة ، يأكل ما حضر من الطعام ، ويلبس ما تيسر له من اللباس ، ويتخذ ماقل من السكن ويعيش عيش الكفاف في شقة بالية مهدمة كان يدفع ثمن سكنه فيها جنبيين في كل شهر تقوم في شارع سنجر الخازن بحي نور الظلام ويحدثنا عن الشارع (عبد المنعم علي إبراهيم) المخبر الذي كان مكلفا بمراقبة منزله فيقول : إنه تتبع الأستاذ البنا في يوم اغتياله حتى ركب سيارة أجرة في حوالي الساعة الخامسة مساء ثم عاد المخبر إلى منزله حتى الساعة الثامنة مساء ولم يتم مراقبته حتى الساعة الحادية عشرة كالمعتاد لأنه انتابه خوف بسبب ظلام الشارع !!!

أرأيتم ... وهو بوليس سري مسلح كيف كان يخشي ظلام الشارع الذي يوجد به مسكن الفقيد تلك الشقة لا يزال فيها أولاده فزوروا لتروا عظمة الرجل ، تلك العظمة الحقيقية التي لم تقم على القصور الشامخة ولا التفاتيش الواسعة وإنما قامت على النفس الزاهدة المجاهدة المتجردة .

(أ) عرض عليه منصب في فجر الدعوة سنة ١٩٣٢ فنظر إلى العارض في رثاء وإشفاق وتبكيته فذابت شخصيته هوأنا وخجلا ، وحرم الشيخ نفسه وذويه وبنيه بعد ذلك أبهة المنصب .

(ب) وعرض عليه الإنجليز ذهبهم الوهاج فأذل بكبريائه من جاء يساومه في مثله وكرامته ، وإن صاغ هذا العرض في صورة مساعدة لجمعيته على أعمال البر والخير .

(ح) وهذه شركات الإخوان المسلمين كان يعمل في مجالس إدارتها جميعا وعرضت عليه المرتبات السخية والمكافآت المجزية فرفض وهو يردد "فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ" .

(د) وفتشوه بمستشفى القصر العيني فإذا تركته – وهي كل مافي جيبه – ستة جنبيات وعشرة مليمات وساعة جيب يعرف بها الوقت ، وقلم مداد هو عدته وعتاده .

(هـ) وثبت من التحقيقات أن شقيقته حرم أخي الأستاذ عبد الكريم منصور كانت تزور زوجها بمستشفى قصر العيني وهو مضروب بالرصاص فيشكو إليها سوء الغذاء ورداءة الدواء ويسألها النجدة فلا

تجد معها سوى خمسين قرشا ويلح عليها فتزيدها إلى خمسة وسبعين والدموع تتحدر في المآقي ،
والحالة تفتت الأكياد وتدمي القلوب ، وتسيل العبرات ، وتورث الحسرات .

هذا هو الشيخ أيها المتهمون ، وهذه بعض آثاره ، ومآثره فلماذا قتلتموه اتقتلون رجلا أن يقول ربي
الله وهو من كبار المصلحين أكان يجوز أن يعامله الأميرالاي عبد المجيد بنفس المعاملة التي عامل بها
حامد الأعمى وفكري ابسخرون وعبد الغني حسنين وغيرهم من أشقياء جرجا أتزعمون أنه مجرم
يستحق هذا ؟

قد تركتم بقيينا يؤيده الواقع في سبيل ظن تبديه الشكوك ، وتظهره المخاوف وأن الظن لا يغني من
الحق شيئا .

فهلا تزالون مصرين على ما فعلتم لائذين بالإنكار بعد ما أراكم الله من آياته ! ألا ترون الدنيا قد
تغيرت ؟

ألا ترون كيف أبيت دولة الظلم ودولة الباطل ، وأن الباطل مهما طال أمده لا يدوم والحق مهما
تراخى ظهوره فلا بد أن ينبلج فجره ، ويطمس بإشعاعه البراق غياهب الظلام ويزعزع بصوته المدوي
دعائم الظلم والطغيان . فدولة الباطل ساعة ، ودولة الحق إلى قيام الساعة .

(١) أين فاروق حفيد الطغاة والجبابرة ، ألم يقذف به في عرض البحر فما كان له من فئة ينصرونه من
دون الله ؟

(٢) أين الأحزاب والباشوات ؟ ألم تنكس رءوسهم ويكبوا على وجوههم ويلقى بهم في السجون والمنافي
ويصبحوا في خبر كان ؟

(٣) أين المترفون من الأمراء وأصحاب الثروات والاقطاعيات والأبعديات والأواسي الذين استعبدوا
الناس وضربوا على حرياتهم نطاقا من الذلة والتحكم والجبروت ؟

(٤) أين الحكام المستبدون الذين أساءوا استخدام سلطتهم واتخذوا منها ذريعة إلى إذلال الناس والتعالي
عليهم ؟

(٥) أين الذين حجبوا العدالة في الأرض وقتلوا الذين يأمرون بالقسط فاروق وإبراهيم عبد الهادي
ومحمد وصفي وعبد الرحمن عمار أليسوا عبرة لكم ولغيركم يا أولي الأبصار ؟

لكل شيء إذا ماتم نقصان فلا يغر بطيب العيش إنسان
أين الملوك ذوو التيجان من يمن وأين عاد وشداد وقحطان
نى على الكل أمر لا مرد له حتى قضوا فكأن القوم ماكانوا

لئن نجوتم اليوم من القصاص فمن ينجيكم غدا من النار ؟

وما أدق الحساب يوم الجزاء والمحكمة برئاسة الملك الديان الذي لا تخفى عليه خافية "وَنَضَعُ
المَوَازِينَ القِسْطَ لِيَوْمِ القِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا
حَاسِبِينَ".

أبيها المتهمون العانون الرازحون تحت أعباء الخطايا والذنوب لا تياسوا ولا تقنطوا "من رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَبْنِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ" .

وما أقرب ربكم إليكم – وأنتم لا تدركون قربه .

وما أعظم عفوهِ عن التائبين (وَإِنِّي لَعَفَّارٌ لِمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى) .

أبيها الأخوة العانون تحت أعباء الخطايا والذنوب . . .

إياكم أعني ؛ وإليكم أوجه القول فالاعتراف ندم والندم توبة وباب ربكم واسع فسيح غير محجوب ، وبكاء العاصين أحب إليه من دعاء الطائعين ... وكل بني آدم خطاءون وخير الخطاءين التوابون (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ) .

إعترفوا لتتطهروا بهذا الاعتراف .

وتحملوا في شجاعة تبعة ما ارتكبتم من إثم وإجحاف ولا تشقوا على قضائكم بالإنكار والإصرار فإنها مشقة على أنفسكم وضحوا بإعترافكم هذه المؤامرة وأنيروا هذا الركن من تاريخ البلاد وأرشدوا عن باقي شركائكم الذين اضلوكم سواء السبيل .

لترحمكم روح الإمام الشهيد الذي قتل غيلة وغدرا .. ولا تزال روحه نائرة ترفرف فوق ساحة العدالة وتتاجبها من عليائها "لا تضيعوا دمي فقد ضيعت من أجل بلادكم عمري" .

لا ترخصوا الوفاء لي فقد عشت وفيا لمصر والمصريين وللإسلام والمسلمين وللعروبة والعرب أجمعين .

أبيها المتهمون التعساء ..

لا تزال أمامكم فرصة ... فرصة واسعة فسيحة لتقولوا في هذه الساحة المقدسة كلمات تستمطر عليكم الرحمة وتستحث أولياء الدم أن يطلبوا الرأفة لكم فقولوها .

ولا يمنعكم عن المقال حرصكم على هذه الدنيا ، فعمرها قصير ، وخطرها حقيير وحسابها عسير ، سخرت بمن قبلكم وغدرت بهم وهذه طبيعتها زائلة فانية غدارة غرارة وطوبي للعارفين "وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ * أُولَئِكَ جَزَاءُ هُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ" .

يا حضرات المستشارين :

ما فقدت الأمل لحظة في أن هؤلاء المتهمين أو بعضهم سيحركهم وخز الضمير ليخدموا التاريخ وليضمدوا الجراح باعترافهم وأسفهم ولو في آخر الوقت وذلك حظهم في الآخرة وتخفيف لهم في الدنيا .

فقد اعتبر الإسلام من أقر بجريمته تائبًا منها إذا أقر مختارًا قاصداً أن يتطهر من جريمته بتوقيع العقوبة المقررة عليه .

فقد حمد رسول الله توبة "ماعز" ، وتوبة "الغامدية" ، وتوبة "الجهينية" وكلهم جاء مقرا بالزنا وذكر عليه السلام :

- (١) أن توبة ماعز لو قسمت بين أمة لوسعتهم .
 (٢) وأن الغامدية لو تاب توبتها صاحب مكس لغفر له .
 (٣) وأن الجهينة لو قسمت توبتها بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم وأنها لم تجد أفضل من أن جادت بنفسها لله .

هكذا كانوا يا حضرات المستشارين : قلوب رحيمة ، لينة ، مشرقة وشعور دقيق بمعاني الخير والشر ، وإدراك واضح لوقائع البر والإثم وتقدير بالغ لرقابة الله عز وجل ، وحرص شديد على التطهر في دار الباطل قبل أن يستقر بهم الأمر في دار الخلود حيث النعيم الدائم أو الشقاء المقيم .

يا حضرات المستشارين :

وخوفا من أن يكون المتهمون قد قست قلوبهم وأظلمت وتحجرت وصارت أصعب على التوبة وأمنع على التأثر بهذا المعنى وأدخل في نطاق من عناهم الشاعر .
 إذا قسا القلب لم تنفعه موعظة .. كالأرض إن سبخت لم ينفع المطر
 لذلك سأتناول مركز أربعة من المتهمين وقع عليهم نصيبي في التوزيع وسأتناول في المقدمة الأدلة الحاسمة الثلاثة الآتية :-

- أولا : اعترافات محمد محفوظ .
 ثانيا : السيارة التي فر بها الجناة .
 ثالثا : استقدام الجناة بمعرفة الأمير الای محمود عبد المجيد .
 وسنخرج مقتنعين بأن الجريمة تمسك بتلابيب المتهمين أجمعين .

(١) اعترافات محمد محفوظ :

من العبث والاستهتار بالعقول أن نحاول إقناعها بأن اعترافات "محمد محفوظ" ليست صحيحة وليست وليدة تعذيب أو إكراه من رجال السلطة العسكرية الذين أدلى بأقواله أمامهم يوم ١٩٥٢/٨/٦ ويوم ١٩٥٢/٨/١٠ أي مرتين منفصلتين .

وذلك للأسباب الآتية :

- (١) أنه أدلى بها مرة ثالثة أمام رئيس النيابة .
 (٢) أنه أدلى بها ست مرات أمام المستشار المحقق "الأستاذ حسن داود" في دار القضاء العالي وليس في السجن الحربي ونفي صراحة أمام المستشار أن هناك إكراها أو تهديدا وقع عليه لابتداء هذه الأقوال .
 (٣) أنه ذهب بصحبة المستشار المحقق وغيره من الشهود إلى مكان الجريمة عدة مرات وأخذ يشرح لسيادته الواقعة شرحاً مستفيضاً في جو من الطمأنينة والهدوء .
 (٤) أثبت الطبيب الشرعي عدم تعرضه لأي تعذيب أو ضرب .

(٥) ثبوت كذبه فيما ادعاه من أن الضابط "طه زغلول" والصول "محمد البهي" وقع تحت بصرهما تعذيبه – ثم فيما ادعاه من أن الأخيرين اشتركا في تعذيبه أو قاما بتعذيبه .
إذ قرر البكباشي (طه زغلول) :

(في مناسبات متعددة أنه يعرف المتهم (محمد محفوظ) ويعطف عليه ولم يحدث منه له أي إكراه .
وأنه عقب قيام ثورة ٢٣ يوليو أخطر وقد كان الشاهد قائماً بأعمال القسم المخصوص بالوزارة – بأن السائق محمد محفوظ أحضر بحراسة أحد الضباط من مديرية جرجا لتسليمه للقيادة لاتهامه في حادث قتل المرحوم (الشيخ حسن البنا) ونظراً لخطورة هذا الاتهام قام بتوصيله لإدارة المخابرات وعندما وصل انتحي به المتهم (محفوظ) وقال له إنه مظلوم فنصحته أن يقول الحق .. وتأثر بذلك البكباشي (طه زغلول) وظنه بريئاً فقابل وكيل إدارة المخابرات وطلب منه مقابلة (محمد محفوظ) بحضوره لأنه لم يكن يعلم بالحادث إلا بعد وقوعه وقام معهما اثنان من نواب الأحكام وتوجها إلى السجن الحربي وقابلوا قائد البوليس الحربي الذي أمر بإحضار محفوظ .

وبحضورهم جميعاً ابتدأ يتكلم معتداً بأنه يعرف القانون ولا عقاب عليه إذ لم يكن إلا سائقاً للمدير وأطاعه وقد منعه عن قول الحق خوفاً من المدير أن يقتله فهو رجل قاتل وقتل الكثيرين بجرجا وقتل حسن البنا فكرر عليه ألا يقول إلا الحق وانصرف وتركه مع نواب الأحكام ، ولم يدل باعتراضه أمامه ولم يحصل تعد عليه .

وقال الشاهد نفسه إنه بعد حركة الجيش حضر له السواق "محمدي حرك" وقال له أنا عندي معلومات في قتل الشيخ حسن البنا ومحمد محفوظ أخبره بأن القتلة هم (أحمد حسين) واثنين مخبرين والضابط (عبد آرمانبوس) ركب معهم في السيارة .

(٦) وصدقه الشاهد محمدي طه حرك

إذ قرر أن المتهم (محمد محفوظ) قد قص عليه رواية اغتيال الشيخ ، وأنه كان يقود سيارة الجناه وهم محمود عبد المجيد – حسين كامل – عبد آرمانبوس – والمخبرون الثلاثة) وأن المتهم أخبر الشاهد أنه سيرقى لدرجة صول وقرر الشاهد أنه لم يذكر ذلك لأحد سوي البكباشي (طه زغلول) وأن المتهم قبل أن يدلي له بهذا الاعتراف استخطفه بالله وبالطلاق أن يكتم السر .

ويلاحظ أنه بجلسة ١٩٥٤/٥/٢٦ أدلى البكباشي (طه زغلول) بواقعة خطيرة لم يكن قد ذكرها في أقواله السابقة سهواً أو لأنه كان يجيب على قدر السؤال على حد تعليقه :

تلك الواقعة : أنه حضر إليه بعد يوم أو يومين من حضور (محمد محفوظ) السواق (محمدي حرك) وقال له إن لديه معلومات وأحضر له أي للشاهد جاكته (محمد محفوظ) التي فصلها لأن كان يعتقد بأنه سيرقى إلى رتبة صول فأخذ الشاهد إلى الصاغ (عبد المنعم النجار) بإدارة المخابرات .

ولما استدعى (محمدي حرك) أمام الهيئة الموقرة على إثر هذه الأقوال قص الرواية التي سمعها من محمد محفوظ بعد الحادث بأربعة أيام بحديقة مجلس الوزراء والتي جاء فيها على سبيل التلمويه أن محمود عبد المجيد ضرب الطلقة الأولى بزعم أنه سفرجي وجاء فيها بعض الحقيقة من أن أحمد حسين جاد أطلق الطلقات الأخرى وأن محفوظ أخذ مكافأة عن قتل حسن البنا ، وأن أحمد حسين جاد مكث في

الوزارة شهراً ونصفاً وكان يلبس ملابس بلدية وشال أبيض على دماغه وقرر الشاهد أن محفوظ أخبره بأنه نقل الجناة إلى مكان الحادث وهم أحمد حسين وحسين محمدين ومحمد سعيد وعبد ارمانبوس وحسين كامل وأخبره أيضاً أنه سيرقي إلى رتبة صول وفصل البدلة فعلاً وشاهدها محمدي حرك بينما كان يعمل البروفا لدى الخياط وهو ترزي شركة سيارات هيكل وشاهدها بعد أن تسلمها من الخياط وبعد أن نقل محمود عبد المجيد أخذ يستعملها كسائق وقرر أنه تسلم منه الجاكتة ليستعملها في تنظيف العربة ثم سلمها إلى القيادة .. وقال محفوظ عند المواجهة أنه سلم إليه جاكتة بيضاء كلفته خادمة اللواء مراد عبد الحي أن يعطيها له – وأنه لم يفصل بدلة على الإطلاق للأُن وأنكر الشاهد .

(٧) وقرر الشاهد (عبد الله خليل فواز) :

(أ) أنه كان بلوكانده (إيدن) هو ومحمود عبد المجيد ليلة الحادث حيث حضر محمد محفوظ في الساعة ٩ مساءً وأدى التحية العسكرية وقال له (أنا حضرت) فخرج على طول (محمود عبد المجيد) وبعد انصرافه بربع ساعة سمعنا إشاعة أن (حسن البنا) قتل .

(ب) وأنه بعد الحادث بأسبوعين أو ثلاثة اتصل به السائق (محمد محفوظ) ورجاه أن يتوسط لدى محمود عبد المجيد في ترقية إلى جاويش وقال له (إحنا بنودي نفسنا في داهية علشان خاطره – وإيه يعني الـ ٣٠٠ ؟ جنيه دول راحوا في ساعتها).

فسأله الشاهد عن حكاية الـ ٣٠٠ جنيه فأجاب بأنه كلفه بأن يركب عبده ارمانبوس وأحمد حسين وحسين محمدين وشخص آخر وكان الضابط يلبس ملكي والباقيين لا بسين بلدي ومتلفعين بتلافيع وشيلان على وجههم ورأسهم ونزلهم عند جمعية الشبان وانتظرهم في مكان قريب وبعد الضرب جم يجرؤا عليه فأخذهم على وزارة الداخلية غيروا ملابسهم ورجع وحده على اللوكانده . ويلاحظ أن هذه الأقوال هي ما سمعها الشاهد من (محمد محفوظ) وقد حاول محمود عبد المجيد أن يجرحها بأن الشاهد يضر له العداء بسبب منازعات بينهما حول السينما والعمودية .

والرد على ذلك : أنه كان معه قبل الحادث بساعات يأكل عيشاً وملحاً ويشرب قهوة ويتسامر معه وبعد الحادث استمرت الصداقة لدرجة أنه كان يستعمل سيارة صاحبه وسائقها محمد محفوظ وأنه لم ينسب شيئاً في أقواله إلى محمود عبد المجيد وكان في إمكانه لو أراد التلفيق أن ينسب إليه شخصياً أي اعتراف وإنما نسب إلى محمد محفوظ ومحمد محفوظ أقر بما نسب إليه أمام المحققين جميعاً .

(٨) وقرر الشاهد "محمد أحمد ندا" الشهير بمحمود :

أنه في ليلة الحادث كان في محله الكائن بالعمارة التي يسكنها (أحمد سليم جابر) وجاءت سيارة (محمود عبد المجيد) ونزل منها وحده وطلع فوق وكان معه السواق (محمد محفوظ) واثنين لابسين جلابيب بلدي وقد سحبوا كراسي وقعدوا في المحل والسواق دخل غسل يديه فقال له الشاهد (مالك كده مبهدين وداخل تغسل) فقال احنا جايين من حادثة جامدة فاستمر الشاهد يستدرجه فقال :

(احنا قتلنا حسن البنا دلوقت ... وقال احنا خلناه ركب التاكسي وطلعنا له واحد من هنا وواحد من هنا وكسرنا القزاز بتاع السواق وضربنا فيه) وهذا شخص ثالث بعد محمدي حرك وعبد الله فواز ينسب إلى المتهم (محمد محفوظ) اعترافاً بالقتل ، فما الذي بين هؤلاء الشهود وبينه ليقرروا غير الحق .

والواقع أن محمد محفوظ رجل مغرور وثرثار ويعتقد أنه فعل فعلا يعد مفخرة فهو يباهي بين الناس ، وقد استقرت في قلبه عقيدة بأن الدنيا لن تتغير وأن الرقاب قد دانت لهؤلاء الحاكمين .

(٩) وقرر الشاهد زكي عبد التواب :

أنه عقب اطلاق الرصاص أطل من نافذة مكتبه بجمعية الشبان المسلمين فنظر شخصا طويل القامة يلبس جلباباً أبيض وحول رأسه تلبية يقف إلى جوار السيارة الأجرة التي كان يركبها الشهيد وقد تعرف الشاهد في عملية العرض على ذلك الشخص وهو الأومباشي احمد حسين جاد كما شهد بأنه شاهد غلاما أسمر نوبي الجنس يخبرهم بأنه شاهد العربة التي استقلها الجناة وعرف رقمها وهو ٩٩٧٩ وأن هذا الولد ركب العربة مع الشهيد وذهب إلى جمعية الأسعاف .

(١٠) وقرر الأستاذ عبد الرحمن عمار :

أنه علم بحادث الاغتيال من المرحوم (صابر طنطاوي) مدير الأمن العام إذ أبلغه به بالتليفون حوالي الساعة التاسعة أو الساعة التاسعة والنصف مساء ليلة وقوعه إذ كان موجوداً بمنزله ثم حضر له بعد ذلك مدير الأمن العام صابر طنطاوي أخبره عن البيانات الخاصة بالحادث .

وهذا يطابق اعترافات محمد محفوظ من حيث ذكره أن عبد الرحمن عمار كان موجوداً بمنزله بين الساعة التاسعة أو الساعة التاسعة والنصف حيث زاره محمود عبد المجيد .

(١١) وبمقارنة اعتراف محمد محفوظ للمستشار المحقق بأقوال السيد عبد الله فواز تظهر صحة الاعترافات :

فعبد الله فواز يقرر أنه عقب وصول محمد محفوظ إلى لوكاندة إيدن ومشاهدة محمود عبد المجيد له انصرف محمود عبد المجيد فوراً من اللوكاندة ..

ومحفوظ يقرر للمستشار المحقق أنه لم تمض لحظات من دخوله الفندق حتى بارحه (محمود عبد المجيد) .

فإذا جاء محفوظ ينكر بعد ذلك ما قاله يرد عليه قصده بأن ما قاله هو الواقع الثابت الصحيح .

(١٢) قرر محمد محفوظ أمام المستشار المحقق أنه بعد يومين أو ثلاثة أمره محمود عبد المجيد أن يوصله إلى محطة السكة الحديد وهناك شاهد الضابطين (حسين كامل) و (عبد ارمانبوس) يخرجان من الباب الذي وقفت عنده السيارة متجهين إليها يصحبهما أحمد حسين جاد وزميله الذي كان يصاحبه ليلة الحادث حيث أمر (عبد ارمانبوس) زميل (أحمد حسين) (وهو مصطفى أبو الليل) أن يسافر في قطار الساعة الرابعة وقد أيد هذه الأقوال بعد ذلك التحقيق إذ ثبت أن مصطفى أبو الليل واحمد حسين جاد ومحمد سعيد وحسين محمد كانوا بالقاهرة في هذا الوقت إذ ورد في إجابة مديرية جرجا إلى النيابة أن المخبرين الثلاثة محمد سعيد وحسين محمد وأحمد حسين ندبوا بالقاهرة من يناير سنة ١٩٤٩ - وعاد الأولان في ١٧/٢/١٩٤٩ وعاد أحمد حسين في ١٩٤٩/٧/١ .

قيمة اعترافات محمد محفوظ :

إذا ثبت أن اعترافات محمد محفوظ صحيحة فلا يجدي معها بعد ذلك إنكاره حدوثها منه مؤخرًا جدًّا وبالتحديد يوم ٢٨ يناير سنة ١٩٥٣ أمام غرفة الاتهام وبعد أن تأثر باختلاطه مع زملائه المتهمين وبعد أن وجهت إليه تهمة الاشتراك في القتل وإلا لم يعد الاعتراف سيد الأدلة بل يكن أو هي دليل مادام الرجوع فيه من الهوان بحيث يقبل بمجرد رغبة المقر في الإفلات من العقوبة .

وقد جرى القضاء على الأخذ بالاقرار في محضر البوليس بالنسبة لقضايا المخدرات وغيرها رغم إنكار المتهم أمام النيابة إذا اطمأن لحصوله فما بالناس والمتهم قد أدلى باعترافاته مفصلة أمام رئيس النيابة والمستشار المحقق .. وما بالناس والقصاص المطلوب هو رأس المتهم محمد محفوظ ولا شيء أقل من هذا . وماله يقبل أن يكره على اعتراف جزاؤه الإعدام وما لنا لا نرى متهمًا آخر يحصل منه على اعتراف بهذه الطريقة من بين المتهمين الثمانية الآخرين .

وإذا كانت هذه الاعترافات بهذا الثبوت وبهذا الوضوح وبهذه السلامة من العيوب فإنها دليل إدانة على كل من :

(١) محمد محفوظ – وهو قائلها

(٢) محمود عبد المجيد – سيده ورئيسه وحائز السيارة ٩٩٧٩

(٣) عبده أرمانوس

(٤) أحمد حسنين

(٥) حسين محمدين

(٦) مصطفى أبو الليل

(٧) حسين كامل

وفي مثل هذه الجريمة لا يقال إن أقوال متهم على متهم آخر أو متهمين آخرين لا تصلح دليل إدانة مالم تتأيد بأدلة أو قرائن أخرى فقد استقر قضاء النقض على أن القاضي الجنائي يملك أن يُكوّن اعتقاده من أقوال متهم على آخر .

ومع ذلك فالقرائن والأدلة الأخرى تتواتر على تأييد محمد محفوظ في اعترافاته ضد المتهمين المذكورين جميعًا ومن هذه القرائن اعترافات المتهم محمد الجزار نفسه .

اعتقل الضابط محمد الجزار يوم ٢٥ يوليو سنة ١٩٥٢ وكتب يلتمس مقابلة اللواء محمد نجيب القائد العام للقوات المسلحة للدلاء بما عنده وسئل أمام السلطة العسكرية يوم ١٩٥٢/٧/٢٩ فتأرجح ضميره بين الاعتراف والإنكار وفي لحظة استيقظ ضميره فيها بعض الشيء أدلى باعترافات تؤيد اعترافات محمد محفوظ السابقة إذ قال "ولو علم الإخوان المسلمون ما كان في نيتي وما كان يؤرقني وبضايقتي لتمهلوا قليلا في اتهامي .. ولم أكن لاستطيع أن أفصح لهم عن شيء مما كنت أعلمه لأنه ما كان يتيسر لي ذلك في عهد العسف والاستبداد الذي كنا نحن نقاسي منه أكثر مما يقاسي أفراد الشعب والآن

وبعد أن زال العسف والاستبداد اللذان منعاني من ذكر ما أعلم في حينه أقرر معلوماتي صادقاً لا متعنتاً ولا باغياً على أحد ملتزماً بالصدق .. إن عبد الرحمن عمار توجه في صباح اليوم التالي لهذا الحادث إلى سراى عابدين وعلمت ان رجال السراى قابلوه بالعناق والتبريك وأن الحادث دبر بالاشتراك بين السراى وعبد الرحمن عمار وان الأميرالاي محمود عبد المجيد أحضر من جرجا حيث كان يعمل حكمداراً هناك اثنين من المخبرين أقاما في القاهرة فترة طويلة حتى ارتكب الحادث وكان معهما بعد ارتكاب الحادث بعض ضباط بوليس يقفون بالقرب من مكانه ومأموريتهم استلام المتهمين في حالة ضبطهم بمعرفة العساكر وتهريبهم .

وكنت أعلم أن هذين المخبرين يترددان مع الأميرالاي محمود عبد المجيد علي عبد الرحمن عمار في مكتبه بوزارة المواصلات بعد الحادث .

ولا يجدي بعد ذلك عدو له عن هذه الاعترافات المؤيدة لأقوال محمد محفوظ بزعم أنه كان في حالة سيئة إذ وهو رجل بالغ ، رشيد ، وضابط بوليس يمارس التحقيقات بصفة مستمرة ولم يتعرض لأي إكراه أو تعذيب تعتبر أقواله قرينة ذات قيمة تعزز اعترافات محمد محفوظ .

٢ - السيارة التي فر بها الجناة

هي السيارة رقم ٩٩٧٩ المخصصة للأميرالاي محمود عبد المجيد .

والأدلة على ذلك كثيرة :

منها أقوال السائق (محمد محفوظ) وقد تقدم ذكرها .

ويسندها ويدعمها أقوال السيد (محمد الليثي) التي أصر عليها وجاهد لتحقيقها إلى آخر لحظة وتتلخص في أنه (طلب الشيخ تاكس فذهب الساعي لإحضاره ونزلنا في آخر السلم حضر الخفير إبراهيم وقال له التليفون عاوزك فخرجت وياهم وأول ما ركبوا وبدأت العربية تتحرك دخلت على التليفون فسمعت ضرب نار فرجعت وجدت واحد لابس جلابية بيضاء بلدي وتلفيعة فوق دماغه لم أتبينها وهو شخص رفيع ولونه قمحي أسمر شوية وكان بيني وبينه ست أمتار ولما قلت أمسك : أمسك صوب على المسدس فجريت ناحية الإسعاف فأطلق أطلق آخر وأنا فديته ودخلت الجمعية . وفي الوقت ده لقيت واحد ثاني لا بس بالطو ويجري في نفس الاتجاه والإثنين تقابلوا قرب الأجنس وركبوا العربية ، وأثناء رجوعي شفت الشيخ نزل من العربية على التليفون وخرج ثاني ولقيت السواق نايم في محل القيادة وانتقلنا إلى الإسعاف وواحد أسمر لابس جلابية بلدي قال لي أنا أخذت نمرة العربية فكتبتها في ورقة وأذكر ان النمرة ٩٩٧٩ أو ٩٩٩٧ ملاكي مصر .

وقال الشاهد بعد ذلك إنه لما ذهب إلى القصر العيني قال النمرة هناك (وفي هذه اللحظة تدخل الأميرالاي محمد وصفي وقد كان جالسا بغرفة التحقيق وقال إن الليثي ذكر له رقم آخر هو ٩٩٧٧ فقال الشاهد إذا كنت قلت له ذلك فتبقي النمرة ٩٩٧٩) وهو بهذا يصر على هذا الرقم ويحسم الجدل الذي أراد محمد وصفي أن يثيره حول رقم السيارة تضليلاً للعدالة .

ثم عاد السيد (محمد الليثي) في ١٥/٢/١٩٤٩ فتأكد أن رقم السيارة هو ٩٩٧٩ :

وأن محمد الجزار طلب منه في محل نيوستار يوم ١٣/٢/١٩٤٩ أن يكتب الرقم ٧٩٩٩ في ورقة وأن يذكره للنيابة فرد عليه بأنه سبق أن ذكر للنيابة أن الورقة ضاعت منه فقال له الجزار إن هناك شاهداً تقدم للنيابة وقال إن الرقم هو ٧٩٩٩ - فقال الليثي إنه قال للنيابة عند المعاينة الرقم الحقيقي وهو ٩٩٧٩ فهب فيه الجزار وقال له أزاى تعمل كده ؟ ؟ (اللي قتل الشيخ حسن يقدر يبطش بكل شخص يقف في سبيله) فطلب منه الليثي أن يتركه للغد ليفكر . وذهب الليثي لمنزل اللواء صالح حرب وقص الرواية للست حرمة فاتصلت بالأستاذ مصطفى الشوربجي فحضر فقص عليه الحكاية فنصحته أن يأخذ معه محامياً كالأستاذ (فتحي رضوان) وذهب إلى جمعية الشبان فقص ما حدث للأستاذ عبد القادر مختار والدكتور يحيى الدرديري فاتصل الأخير بالسيد زكي على وقابله وقال له الرواية فنصحته بأن يقول كل شيء للنيابة .

وقرر الشاهد أيضاً أن الورقة التي كتب عليها رقم السيارة كانت معه عندما عاد للجمعية ورآها معه السيد (محمد حسنين زهير) والأستاذ محمد يوسف المحامي وقرأ النمرة عليهم منها وبعد ذلك طلبه التليفون مرة أخرى .

وكان المتكلم (محمد الجزار) وسأله عن الحكاية فقص عليه ما حصل ثم جلس في الحجرة مع زهير فحضر ضابط أخذه بحجة تفريقهما ونزل معه للدور الأرضي وقال له (شوف مين عوزك) فإذا به الضابط الجزار الذي لعب دوراً خطيراً في تضليل العدالة كما جاء في أقوال الأستاذ (محمد الليثي) .

تجريح شهادة الأستاذ الليثي لا يستند إلى دليل :

فأقوال هذا الشاهد أبانت من أول يوم أن فيه رجولة مقطوعة النظير ، وأنه أبرأ ذمته وأرضي ضميره واستعذب في سبيل العدالة كل تضحية .

ولم يعتبر هذه الأقوال إلا اضطراب يسير تحت ضغط الظروف القاسية التي عاش فيها الشاهد ، هذا الاضطراب هو ذكره رقماً آخر بجانب رقم السيارة التي ركبها الجناة فحسب المتهمون أن الجريمة تشيع بين سيارتهم رقم ٩٩٧٩ وبين سيارة أخرى رقمها ٩٩٩٧ .

ولكن ضمير الشاهد لم يرتح لحظة فحمل لواء الحقيقة وأخذ ينادي بالرقم الحقيقي ويصر عليه اصراً عجبياً :

رغم أن السيارة التي تحمل هذا الرقم هي سيارة الأميرالاي محمود عبد المجيد منفذ إرادة الملك الجبار .

ورغم أنه يعلم أن هذا القزم "محمود عبد المجيد" قد تلقى أمر الملك من محمد وصفي رئيس الحرس الحديدي .

ورغم أنه يعلم أن الملك السابق (صاحب المصلحة الأولى في تسخير هذه الأداة) - يستطيع أن يأمر الأرض أن تبتلع الليثي فلا يشعر به أحد كما ابتلعت الفتى الأسمر النوبي الذي أدلى إليه برقم السيارة .

ورغم أنه يعلم أن السجون والمعتقلات التي فتحها الظالمون تنادي في كل يوم "هل من مزيد" .

وأن الإنسانية هانت على الجلادين فاذاقوها كؤوس العذاب أشكالاً وألواناً دون تخرج من هتك الأعراض ، وتمزيق العفاف ، والكي بالنار ، والضرب بالسياط ، وتفصيل ذلك كله عند المتهم التاسع بطل التعذيب في عهد الملك المخلوع المتهم التاسع محمد الجزار الذي حاول أن يغري الشاهد – على عادة البوليس السياسي – بالمال ، وبالخمر ، وبالنساء ، ثم حاول أن يكرهه بالتهديد والوعيد .

رغم ذلك كله لم يسترح ضمير الشاهد حتى يصلح خطأ وقع فيه وحتى يمسك بيده الفتية مصباحاً ينير الطريق للعدالة ويقشع ظلمات التعمية والتجهيل ليستطيع حماة العدالة أن يضعوا أيديهم على الجريمة وأن يمسكوا بتلابيب المجرمين .

حاولوا تجريح شهادة الليثي :

(أ) بأنه كان يعمل مرشداً بالبوليس السياسي لدى الضابط (محمد الجزار) ولما منع عنه راتبه وقدره عشرة جنيهاً قبل الحادث بشهرين ساوم الجزار ثم أراد به كيداً وانتقاماً .

ورد على ذلك الليثي متحدياً الجزار أن يقدم تقريراً واحداً كتبه الشاهد لصالح البوليس السياسي وأنكر اللواء أحمد طلعت علمه بأن الليثي مرشد عنه الجزار ولو كان مرشداً عنده لأخبر رئيسه من قبيل الفخر – ولو سلمنا جدلاً بأن الليثي كان مرشداً لدى الجزار فإن ذلك دليل ضد الجزار إذ هو في هذه الحالة الجدلية شاهد من أهله ومن غير المتصور أن يفصل المرشد في الوقت الذي يعلو فيه قدره وتشتد الحاجة إلى معلوماته إذ في هذين الشهرين كان البوليس السياسي وسادته يعتقدون أن أقوى خصومهم هو الشهيد حسن البنا وهو قد انتقل بعد حل الجماعة إلى دار الشبان المسلمين ووكّل أمر مراقبته وخدمته إلى السيد "محمد الليثي" فالمعقول أنهم يضاعفون أجره ويجزلون مثوبته ليأتي لهم بأخباره وأسراره وبضيوفه وبأخوانه وبحركاته وسكناته ..

إلا إذا أردنا أن نطلق عقولنا ، فنقول : إن البوليس السياسي لم يكن في حاجة إلى المرشدين في فترة حل جماعة الإخوان المسلمين :

تلك الجماعة التي نسب إليها البوليس السياسي حيازة السلاح وأعمال الإرهاب والاعداد لانقلاب يذهب بالعهد جميعه .

ولن يغير من الحق شيئاً تغيير الرقم بتأثير الجزار وتهديده وبتأثير ضعف أعصاب الشاهد إذ الشاهد لم يغير وصف السيارة التي استقلها الجناة بل قال من أول لحظة إلى آخر لحظة أنها سيارة سوداء ليموزين وقد وجد بالبحث في سجلات المرور أن هذا الوصف ينطبق على السيارة رقم ٩٩٧٩ ولا ينطبق على السيارة رقم ٩٩٩٧ .

(ب) وحاولوا تجريحه بالقول بأنه كان متهماً من الإخوان المسلمين بأنه شريك في قتل مرشدهم إذ هو الذي أحضره من المنزل ليلة الحادث وهذا الاتهام ولد عنده خوفاً جعله يلفق هذه الرواية .

وهذا هراء وجدل عقيم .

إذ الإخوان المسلمون لم يتهموا الليثي بذلك وليس بين مرشدهم وبين الليثي خصومة ولو أراد الليثي الاشتراك في الجريمة لما حضر بنفسه إلى منزل الشهيد لجره إلى مكانها .. بل كان المعقول أن ينتظره حتى يتواجد بدار الشبان المسلمين وينقل أخباره إلى أصحاب المصلحة في التردد له والقضاء عليه "كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا" .

شهود آخرون

ولم يكن الليثي وحده هو الذي شهد برقم السيارة التي استقلها الجناة وفروا بها عقب الحادث بل شهود آخرون عدول .

(١) الأستاذ أنور الشباصي

شهد بأنه سمع السيد "محمد الليثي" يدلي برقم السيارة ٩٩٧٩ إلى الضابط محمد وصفي بمستشفى القصر العيني أي عقب الحادث بقليل وقبل بدء التحقيق ، وأن الضابط لم يهتم بما سمع كما شهد بأنه سمع أن شخصاً التقط الرقم وذكره للناس أمام الجمعية .

(٢) الأستاذ محمد يوسف محمد :

شهد بأنه سمع من الليثي ليلة الحادث أنه استطاع معرفة رقم السيارة وأن الليثي أبرز لهم ورقة مكتوباً عليها الرقم ٩٩٧٩ فكتبه الشاهد في ورقة واحتفظ بها إلى أن ضاعت منه وذكر أنه لم يتقدم بشهادته من تلقاء نفسه لأن الظروف كانت سيئة وأنه قبض عليه لمجرد توجهه للعزاء في الفقيه .

(٣) الأستاذ محمد عثمان :

شهد بأنه شاهد ولدا أسمر في حدود عشرين عاماً قادمًا من الرصيف المقابل للجمعية ويذكر أن رقم السيارة التي ركبها الجناة ٩٩٧٩ ويغلب على ظنه أن أحد الموجودين كتب الرقم .

(٤) الأستاذ محمد حسنين زهير :

شهد بأن الليثي بعد عودته من القصر العيني جلس معه ومع الأستاذ محمد يوسف وأخبرهما الليثي أنه وهو ذاهب إلى الإسعاف قابله ولد أسمر يلبس جلباباً وأعطاه رقم السيارة التي ركبها الجناة وهو ٩٩٧٩ حيث كتبها الليثي في ورقة وعرضها عليهما حيث قرأ الرقم بعينه وشاهدها أيضاً الأستاذ (محمد يوسف المحامي) .

(٥) السيد زكي عبد التواب :

شهد بأنه شاهد ولدا أسمر يرتدي جلباباً وجاكتة نوبي الجنس يخبر بأنه شاهد السيارة التي هرب فيها القتلة وهي رقم ٩٩٧٩ فطلب الشاهدين من أحد الواقفين أن يكتب الرقم فكتبه في ورقة أعطيت له .

(٦) السيد محمود محمد جبر :

شهد بأنه سمع من شخص لا يعرفه رقم سيارة الجناة وهو ٩٩٧٩ .

(٧) الأستاذ عبد الكريم منصور :

شهد أن الإمام الشهيد تعقب الجاني الذي أطلق عليه الرصاص ولما عاد ساله الشاهد عما إذا كان قد أمسك الجاني فأجاب بالنفي وقال إنهم ركبوا سيارة رقم ٩٩٧٩ وجاء بعد قليل شاب يجري مكرراً ذلك فأوماً الشيخ البنا مؤيداً ما يقوله المذكور .

(٨) اللواء مصطفى حلمي :

شهد بجلسة ١٩٥٤/٥/٢٦ بأنه كان مفتشاً وبلغه الحادث فانتقل إلى مكانه وهناك قابل الأميرالاي ماهر رشدي مساعد حكمدار والمفتش النبطشي وعلم أن الجناة ركبوا سيارة سوداء وهربوا ... وأيد الليثي في أنه استدعي الليثي ليجيب التليفون ، وأنه استدعاه مرة أخرى لمقابلة أحد ضباط المحافظة ولا يعرف أنه الجزار .

(٩) وقد أيد الليثي في روايته كاملة الوزيران السابقان محمد زكي علي ومصطفى الشوربجي والوزير الحالي فتحي رضوان واللواء صالح حرب .

ولا يعقل أن يكذب أحدهم ويصدق الجزار فكيف بهم مجتمعين وكيف بالجزار وهو متهم يريد الفرار من القصاص بل لقد كان في سبيل الفرار يحاول الانتحار وما حاول الانتحار إلا لأنه شعر بالحقيقة والحقيقة أنه شريك في القتل وليس فقط مخفياً للجريمة كما قدمته النيابة ص ١٦٠١ .

مصادرة جريدة المصري

قدم الأستاذ محمد الليثي إلى المستشار المحقق عديدين من جريدة المصري كل منهما صادرة غداة الحادث بتاريخ ١٩٤٩/٢/١٣ ومعنون على الصفحة الأولى من كل منهما بالخط الكبير (مصرع الشيخ حسن البنا) وذكر في كل من هذين العديدين تفصيلات الحادث إلا أن أحدهما ويحمل صورة المرحوم الشيخ حسن البنا مذكور به أن رقم السيارة ٩٩٧٩ .

وقد صودر العدد المذكور وحل محله العدد الآخر الخالي من رقم السيارة ومن صورة المرشد وبعض تفصيلات الحادث وهذه المصادرة بذاتها دليل ناطق ضد المتهمين .

وشهد الأستاذ مرسي الشافعي مدير تحرير المصري :

بأنه انتدب اثنين من المحررين للتوجه إلى مكان الحادث فعاد أحدهما الساعة العاشرة والنصف مساءً وأبلغه برقم السيارة وامتنع الرقيب بمساعدة الأستاذ أحمد أبو الفتح بعدم إخبار إدارة المطبوعات عن رقم السيارة قبل النشر غير أنه لما بدأ الطبع حوالي الساعة الواحدة صباحاً توجهت قوات من رجال البوليس السياسي وأوقفت الطبع وحاول ضباط البوليس السياسي معرفة المصدر الذي أبلغ الجريدة رقم السيارة فلما فشلوا في ذلك أخطروا صاحب المصري بعدم ظهور العدد وبه رقم السيارة مهما كانت الظروف ولكنهم تمكنوا من إخراج نحو ثلاثة آلاف نسخة وقد أيده في ذلك المحرران محيي الدين فكري - ومحمود عبد العزيز حسين .

دلالة السيارة ٩٩٧٩ :

إذ ثبت أن السيارة ٩٩٧٩ هي التي فر بها الجناة – وقد ظهر ذلك بكل جلاء فالنتيجة الطبيعية لهذا الثبوت تعزيز اعترافات المتهم "محمد محفوظ" وإدانة المتهمين الذين ورد ذكرهم على لسانه وإدانتته هو أيضاً .

وإدانة المتهم التاسع (محمد الجزار) الذي حاول تضليل العدالة لسبب بسيط هو اشتراكه في الجريمة بالاتفاق فضلا عن أنه أحد الأدوات التي كانت مسخرة لحماية العهد البائد والقضاء على خصومه .

٣ - استقدام الجناة

بمعرفة الأميرالاي محمود عبد المجيد

(١) واقعة نذب المخبرين الثلاثة :

هذه واقعة مسلمة بالدفاتر كما قدمنا .

(٢) سبب النذب الحقيقي :

ليس هناك من سبب لنذبهم الا تنفيذ جريمة أرادتها الدولة في شخص ملكها المخلوع ورئيس وزرائها إبراهيم عبد الهادي – وهو رئيس الحزب السعودي المنحل وتولي وضع المؤامرة الأميرالاي محمد وصفي رئيس الحرس الحديدي والاستاذ عبد الرحمن عمار .. ذلك الشخص الوصولي الانتهازي والذي كان الرئيس المباشر للجهاز البوليسي والاداري بوصفه وكيلًا لوزارة الداخلية والذي كان سكرتير نادي سعد زغلول أيام الرئيس السابق أحمد ماهر .

وقد وكل الرجلان وصفي وعمار تنفيذ الجريمة إلى الشقي محمود عبد المجيد فمثل الدور الذي أتاه شقي سابق عقر ناقاة صالح عليه السلام .

(٣) الأسباب المفتراة :

(أ) اختلق الأميرالاي محمود عبد المجيد سببًا لنذبهم هو أنهم أكفاء ومنتجون وقد كلفوا بالبحث عن الأشقياء الهاربين من جرجا ص ٥١١ .

(ب) ثم اختلق سببًا آخر هو أنهم انتدبوا لحماية عبد الرحمن عمار الذي خشي أن يلجأ الأخوان المسلمون إلى الاتصال بأشقياء جرجا النازحين إلى القاهرة لتكليفهم بقتله انتقاماً منه بسبب تكهرب الجو بينه وبينهم ص ١١٧٩ .

تفنييد السبب الأول

(١) قرر حسين محمد بن رضوان أنهم لم يضبطوا أحدًا ص ١٣٨٧ .

(٢) وقرر أحمد حسين جاد أنه قبض على واحد اسمه السيد يوسف ثم ظهر أن الأسم مختلف ولما سأله المستشار عن مكان ضبطه قال "والله مش فاكر قبضت عليه فين" ص ١١٤٤ .

- (٣) وقال محمد سعيد اسماعيل "يظهر أنهم حسوا بنا ولا أعرفش هربوا على فين" ص ١١٥٧ .
- (٤) وقرر الضابط حسين كامل أنه لا يعرف مأمورية كلف بها المخبرون ص ١١٩٠ .
- (٥) قرر الضابط عبده أرمانبوس أنه لا يعرف سبب نذب المخبرين ص ١١٩٤ ، والمفروض أن الضابطين لا يعرفان سببا لنذب المخبرين غير السبب المعلوم (وحذف المعلوم جائز) .
- (٦) والشاهد نجيب خله صول المباحث بسوهاج يقرر أنه لم يكن لهم أثر في ضبط متهمين أو محكوم عليهم ص ٨٨٥
- (٧) والوصول محمد عبد السلام قرر أن المخبرين الثلاثة حضروا إلى إدارة المباحث الجنائية ولا يعرف المأمورية التي حضروا لها وقد ذكروا له أنهم حضروا في مأمورية خاصة بالأميرالاي محمود عبد المجيد
- (٨) وقرر الأستاذ علي علي بدر أنه كان قائمًا بعمل مدير اقليم جرجا من ١١/١١/١٩٤٨ إلى ١٩٤٩/١/٢٤ ورغم ذلك لم يعرف الغرض من نذب المخبرين الثلاثة وليس هناك سوابق لذلك .
- (٩) والشاهد محمد نوير حكمدار جرجا في سنة ١٩٤٨ قرر أنه "سمع أنهم كانوا في مأمورية سرية وأن محمود عبد المجيد ينتدبهم لمدة ويرجعوا" .
- فما هذه المأمورية السرية التي انتدب لها هؤلاء الأشقياء إذا لم تكن قتل المجاهد حسن البنا؟ وكيف لا نصدق الجاويش محمد محفوظ فيما أدلى به من اعترافات بشأنهم وأماننا هذه القرينة الناطقة وهي انتداب المخبرين فعلا في فترة الاغتيال وعجزهم جميعا عن أن يبينوا أي عمل آخر كانوا به مشغولين .

تفنيذ السبب الثاني

- لا يتصور أن يكون سبب انتداب المخبرين المحافظة على حياة عبد الرحمن عمار من أن يستأجر الإخوان لقتله الصعايدة النازحين من جرجا .
- (١) لأن الإخوان لا يلجأون إلى الجريمة والثأر بأيديهم .
- (٢) وإن وجد من الإخوان من يهديه تفكيره إلى ارتكاب جريمة يعتقد أنها لصالح عام فلا يلجأ إلى غيره لأنه لا يثق إلا في نفسه .

قاتل النقراشي :

ولهذا رأينا قاتل النقراشي (عبد المجيد حسن) الطالب بكلية الطب البيطري عندما رأى النقراشي يبغى على الإخوان ويعدم هيئتهم ويصادر أموالهم ويعتقل قادتهم ودعاتهم تقدم إليه بدافع من عقيدته يقول له بلغة الرصاص : لقد ظلمت واستبددت . وحاولت الدولة أن تصل عن طريق عبد المجيد حسن إلى مرشد الإخوان أو إلى واحد من أعضاء مكتب الإرشاد أو أعضاء الهيئة التأسيسية أو واحد من أفراد أسرة البنا فلم تصل إلى شيء رغم ما بذلت من جهود وإغراء وإرهاب ... وانتهى الأمر إلى أنه تصرف فردي لواحد من الإخوان أو أكثر يفندي دعوته بنفسه لا بوساطة مأجور من الأشقياء .

حادث المحكمة :

كما رأينا الأخ (شفيق أنس) يحاول نسف غرفة النائب العام فحمل بيده هو لا بيد سواء حقيبة المتفجرات ودخل بها إلى الغرفة المقصودة وتركها لتنفجر في الزمان المحدد .

لأنه اعتقد أن هذه هي السبيل الوحيدة لإعدام الأوراق التي ضبطت في سيارة الجيب والتي تحوي أسماء إخوانه الفدائيين الذين باعوا أرواحهم في سبيل دينهم وأمتهم .

وهو تصرف هده إلية تفكيره الخاص ولم تكن نيته أن ينسف المحكمة وإلا لوضع المتفجرات في مكان ضيف بالدور الأرضي كدورة المياه وانصرف مطمئناً وهذا هو العمل الفني للنسف ... ومع ذلك تحمل نتيجة تصرفه الفردي بكل جرأة ولم يستأجر أحداً من الأشقياء للقيام به .

قاتلا الخازندار :

بل لقد رأينا شابين من شبان الإخوان يتصرفان تصرفاً فردياً لا يزال يذكي في نفوسنا لهيب الأسي هو قتل المرحوم السيد – أحمد الخازندار لأن الشيطان وسوس لهما أن الخازندار لا وطنية عنده لأنه يحكم على الوطنيين بأحكام قاسية ... وثبت من التحقيق أنه تصرف فردي لا يمت إلى تفكير الجماعة بأدنى صلة ... وثبت أن الفاعلين من الشباب المتنفذ لا من الأشقياء الذين يستأجرون لجريمة القتل .

وإذا كان الإخوان المسلمون يلجئون إلى الجريمة والأخذ بالثأر فلماذا استمر حيا – إبراهيم عبد الهادي حتى الآن وقد كان في متناول أيديهم ؟ ولماذا استمر حياً عبد الرحمن عمار حتى مات على فراشه كما يموت البعير ؟ بل لماذا استمر حياً بطل التعذيب محمد الجزار ؟

وهل يستطيع أن يدلنا محمود عبد المجيد لماذا أعيد المخبرون إلى سوهاج بعد قتل الإمام الشهيد مباشرة وبالتحديد ١٩٤٩/٢/١٧ مع أن مقتل مرشدنا قد زاد البغض بيننا وبين عبد الرحمن عمار وكان السبب الأوحى في محاولة بعض الإخوان قتل حامد جودة ثم في موجة التعذيب الذي لم يخطر على قلب بشر ؟ شيئاً من الشجاعة يا فرسان الماضي ويا حماة العهد البغيض .

دليل يسوقه القدر

وكم للقدر من بدائع الصنع في كشف هذه الجريمة التي كان يظن مقترفوها أن الطغيان أسدل عليها ستاراً لا يزاح ضاربين صفحا عن القوى الخفية "وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ" .

فقد ضبطت في قضية الضابط الشهيد (عبد القادر طه) مذكرة بخط الأميرالاي (محمود عبد المجيد) تحوي أسماء المخبرين الثلاثة أحمد حسين ومحمد سعيد وحسين محمدين وتحتهم الضابط عبده أرمانوس والضابط حسين كامل .

ويرجع السر في وجود هذه المذكرة إلى أنه عندما اتجهت نية الملك إلى التخلص من الضابط عبد القادر طه في سنة ١٩٥٢ أراد رجال الحرس الحديدي أن ينفذوا الرغبة الملكية بوساطة الطاقم الإرهابي الذي استخدم في قتل الشهيد حسن البنا فكتب الأميرالاي محمود عبد المجيد هذه المذكرة لاستقدامهم جميعاً وتأثر على هذه المذكرة من مدير الأمن العام صلاح مرتجي بالحاق المخبرين بفرقة البلوكات ونقل حسين كامل إلى بلوكات نظام القاهرة وعبده أرمانوس إلى المحافظة .

كما أشّر عليها الأستاذ بدوي خليفة بالموافقة وحولت إلى إدارة البوليس حيث أرسل اللواء حسان سلمان إشارة تليفونية بنقل المخبرين إلى حرس الوزارات بدلا من البلوكات تنفيذا لتوجيهات شفوية من الأميرالاي محمود عبد المجيد .

وقد سئل الأميرالاي محمود عبد المجيد عن سر هذه المذكرة فأسقط في يده وتناقض في أقواله ولم يوجد له تعليل واحد معقول رغم تعدد رواياته فمرة يقول إنه كتب الورقة بناء على طلب الوزير شخصيا ص ٢٤٨٤ .

ومرة يقول إنه كتبها بناء على طلب محمد وصفي بتكليف من الوزير ص (٢٤٩٦) ومرة يقول أنه كتبها لأن محمد وصفي يريد أن يريحهم حتى لا يقال أنهم انتدبوا في عهد السعديين فقط .

ومن سخریات القدر بهذا الكذاب الأشّر أن يتنكر له الجميع فيكذبه الأستاذ صلاح مرتجي ص ١٨٠٤ والصاغ أحمد وافي سعيد (ص ١٧٩٠) والأستاذ أحمد مرتضي المراغي (ص ١٨١٦) واللواء حسان سلمان (ص ١٨٢٤) والصاغ عبد اللطيف كرامة (ص ١٧٨١) وهكذا يصفع الكذاب الذي داس كرامته وأغضب ربه وركن إلى الظالمين فأقل نجمه وتقطعت به الأسباب .

يا حضرات المستشارين :

ماذا يريد المتهمون لثبوت الجريمة ؟؟

هل يريدون أن يراهم السادة المستشارون وهم ينفذون جريمتهم ؟ أما يكفي لاقتناع عدالتكم أن نضع عقولكم وقلوبكم على خيوط المؤامرة الدنيئة ؟

إن اعترافات محمد محفوظ واكتشاف رقم السيارة وندب المخبرين والضباط كلها أدلة وقرائن متكاملة متساندة تحيط برقابهم .

مراكز أربعة من المتهمين

١ - أحمد حسين جاد (المتهم الأول) :

- (١) يقوم عليه دليل من اعترافات المتهم محمد محفوظ ، إذ نسب إليه أنه تقدم من سيارة المجني عليه فحطم زجاجها وأخذ يفرغ فيها رصاص مسدسه .
- (٢) تعرف الشاهد زكي عبد التواب عليه ص ١١٤٢ .
- (٣) تعرف الشاهد محمد حسنين زهير عليه بالجلسة أمام عدالة الهيئة الحالية والهيئة السابقة كما تعرف على المتهم حسين محمدين وقال انه كان يشاهدهما متسكعين أمام دار الشبان المسلمين .
- (٤) استفداه لإدارة المباحث الجنائية كان لمأمورية سرية لم يثبت انها خلاف مأمورية قتل الشهيد حسن البنا .
- (٥) إنكاره أنه يذكر أنه كان في مصر ليلة الحادث رغم ثبوت وجوده ثم إدعائه أخيرا أنه كان ليلة الحادث في جزيرة الوراق ولم يستطع أن يثبت ذلك (ص ١٥٧٨) وتكذيب زميله محمد سعيد له في هذه الواقعة ص ١١٥٦ وإقراره بأنه عندما وصل إلى القاهرة نزل في لوكاندة الشعب المصري

أسبوعاً وأمضى باقي المدة عند بلدياته وعجزه عن ذكر اسمائهم أو الارشاد عنهم وتكذيب كاتب اللوكاندة له وتقريره انه لم يبيت سوي ليلة واحدة سافر بعدها إلى سوهاج (ص ٣٨٥) .

(٦) ندبه هو وزميله المخبرين والضابطين مرة أخرى في سنة ١٩٥٢ ووقوع حادثة قتل الشهيد الضابط عبد القادر طه على أثر هذا النذب دليل على وجود رابطة قوية بينه وبين محمود عبد المجيد لا تفسير لها عقلا إلا استخدامه في المأموريات السرية امثال مأمورية قتل الشهيد .

(٧) أقوال العسكري فتح الله محمد السيد ص ٩٠٥ وما بعدها إذ ذكر أنه كان وقت الحادثة يعمل في بندر سوهاج وكان يعرف أحمد حسين ومحمد سعيد المخبريين و يخرج معهما في مأمورية مطاردة وفي يوم عرضاً عليه أن يكون معهما في مأمورية سرية بناء على طلب رؤساء عظام ثم ذكر له أحمد حسين بعد أن استحلفه بالطلاق انها خاصة بقتل الشيخ حسن البنا فرفض واعترفا له بقتله بعد الحادث إذ تقابل معهما في شارع القيصرية فقالا له (لو كنت معنا يا مغفل كنت قعدت مع عبد الرحمن عمار ومحمود عبد المجيد وإبراهيم عبد الهادي اللي أخذنا لزوجة النقراشي وقعدنا واحد على يمينها وواحد على شمالها وأعطتنا كل واحد ٢٠٠ جنيه) .

(٨) قرر الشاهد (زكي عبد التواب) أن مخبرا اسمه (فهمي مصطفى) أخبره أن (أحمد حسين) سأله مرة عن الشهيد قائلًا (الشيخ حسن رايح فين النهاردة) وأن مخبرين آخرين أخبروا الشاهد أن محمد محفوظ صرفوا له ٢٠٠ جنيه مكافأة وبيفتخر أنه ارتكب الحادث ص ١٠٤٤ وأيده المخبر فهمي مصطفى في ذلك ص ١٠٧٩

(٩) قرر الشاهد "سعد الله مصطفى أبو دومه" أن الأومباشي "أحمد حسين" قابله بعد الحادث بسوهاج وعرض عليه قطعيتين من الصوف يريد بيعهما وتواعدا على اليوم الثاني – وقابل الشاهد مصادفة الترزي (محمد الحسمدي) فاستعان به على تقدير سعر القماش ولا حظ الترزي أن القماش من النوع الجيد ، ولما استدرج الشاهد (الأومباشي أحمد حسين) قال له بالحرف الواحد " ان محمود عبد المجيد طلبني في مصر وقدمني لعبد الرحمن عمار وإبراهيم عبد الهادي لقتل (حسن البنا) وفي الصباح أخذني (إبراهيم عبد الهادي) على بيت النقراشي باشا فأعطتني حرمه القطعتين الصوف وصورة زوجها) وفعلا طلع لهما صورة ورزمه قال إن بها ٦٠٠ جنيه ورفض سعد الله شراء الصوف ص ٨٥٤ وما بعدها .

(١٠) وأيده في ذلك محمد أحمد الحسمدي :

إذ قال الرواية بنفس التفاصيل التي ذكرها من حيث أن القماش قطعان إحداها سوداء والثانية زيتي وأنهما من النوع الجيد وأنه هدية من حرم النقراشي وأنه أخرج حافظة بها حوالي ٦٠٠ جنيه ص ٨٤١ وما بعدها .

(١١) وأخيرًا تعرف الشاهد المجني عليه الأستاذ عبد الكريم منصور على أحمد حسين جاد بالسجن الحربي يوم الأربعاء ١٩٥٢/١١/١٩ رغم مضي مدة طويلة إذ أخرجه من الصف هو وآخران وقال بالحرف الواحد (إن اشتباهه ينصب على أحمد حسين أكثر من الإثنين الآخرين ولو أنه لا يستطيع أن يجزم على سبيل القطع لمضي المدة) ص ١٤٣٦ .

وإذا لوحظت ظروف الأستاذ عبد الكريم وانزعاجه وإذا لوحظ مضي المدة أمكن تقدير تعرفه كقرينة مؤيدة لمحمد محفوظ رغم ما فيه من اضطراب .

٢ - مصطفى محمد غريب أبو الليل : المتهم الثاني

(١) يقوم عليه دليل إدانة من اعتراف المتهم محمد محفوظ ومن إعطائه أوصافا تنطبق عليه (واحد لابس جلابية بيضاء ووشه أبيض وملفح بكوفيه بيضاء حول رأسه ورقبته وكل أسنانه العليا ذهب وتبين أن اسمه مصطفى أبو غريب من طما ص ١١٠٣ ومن تعرفه عليه في التحقيق .

(٢) إقراره أنه كان في بلدته ليلة الحادث وظهور كذبه بعد ذلك دليل على تهربه من القصاص ولا تفسير له غير ذلك إذ شهد في ١٠/٣٠/١٩٥٢ الشيخ أحمد يوسف محمد نائب عمدة طما أن المتهم كان في مصر ليلة الحادث وأنه أقام في مصر عدة سنوات ولم يحضر إلى طما إلا منذ ثمانية أشهر تقريباً وقبل أواخر سنة ١٩٥١ لم ينظره مطلقاً في بلده طما لست سنوات خلت (ص ١٧٥١ وما بعدها) وشهد الشيخ أحمد عثمان نائب عمدة طما أن المتهم كان يقيم في بلده طما وسافر إلى مصر سنة ١٩٤٤ وانقطع نهائياً عن الحضور إلى طما ثم عاد إليها في أوائل سنة ١٩٥٢ ومكث حوالي ستة أشهر حتى قبض عليه وكان بمصر قطعاً ليلة الحادث إذ لم يحضر إلى طما إلا في أوائل سنة ١٩٥٢ ص ١٧٥٣ .

وشهد أحد أفراد عائلته وهو الشيخ أحمد طه أبو غريب شيخ ناحية طما أن المتهم سافر إلى مصر وأقام بها حوالي ثماني سنوات ولم يره في خلال هذه المدة الطويلة حتى فوجئ بعودته إلى طما منذ عام واحد تقريباً ومكث بطما حتى قبض عليه وكان في مصر قطعاً في ليلة الحادث - وأكد الشاهد أن سنه ٨٤ عاماً ويقول ما يرضي الله وأن المتهم كان في تاريخ الحادث بمصر ص ١٧٥٥ ، وشهد عضو آخر من أسرته هو الشيخ عباس أحمد أبو غريب شيخ ناحية طما أن المتهم كان يقيم بطما لغاية سنة ١٩٤٦ ثم ذهب إلى مصر وعاد إلى طما في منتصف سنة ١٩٥٢ وأقام حتى قبض عليه وقرر أن المتهم غالباً كان في مصر ليلة الحادث ولكنه لا يجزم بغيبته عن طما في تلك الليلة .

وهذا الاحتياط من الشاهد لا يفيد المتهم مادام الشهود الثلاثة الأول قد قطعوا في هذه الواقعة بقول حاسم اتفقوا عليه جميعاً بل أن الشاهد الرابع نفسه خالف قريبه المتهم فيما زعماً بأقواله من أنه من نحو عشرين شهراً تقريباً سأل على تاريخ استجوابه في ٢٠/١٠/١٩٥٢ ذهب إلى بلده وأقام فيها وعلى فرض التسليم الجدلي بالمستحيل فبالرجوع عشرين شهراً إلى الوراء من هذا التاريخ نجدنا في ٢٠/٢/١٩٥٢ بينما ليلة الحادث كانت قبل ذلك بعامين وبالتحديد ليلة ١٢/٢/١٩٤٩ .

(٣) كيفية ضبط المتهم في ٢٩/٨/١٩٥٢ جاءت طبقاً للأوصاف التي أعطها المتهم محمد محفوظ وجاءت بمحضر الضبط الذي أجراه الضابط مختار محمد على بإدارة المباحث العامة ما يأتي "وقد قمت بعد ذلك بالتحري عن أقارب المخبر أحمد حسين فعلمت أنه لا أقارب له وإنما كان على علاقة صداقة وطيدة بالمدعو مصطفى من عائلة أبو غريب بناحية طما نظراً لما يشاع عن المذكور من اتجاره بالمخدرات واشتغال المخبر أيضاً بهذه التجارة متخذاً من عمله بمباحث المديرية ستاراً يحتمي فيه من القانون ... وفي طما تقابلت مع حضرة مأمور المركز وأدى بنا البحث إلى أن المخبر أحمد حسين كان على علاقة صداقة بالمدعو مصطفى محمد أبو الليل وهو متوسط الطول

قمحي اللون له وجه مربع وأسنان ذهبية بفكه العلوي ولا صناعة له كما علمت ان المخبر أحمد حسين كان يقول عن أصدقائه انهم اقاربه وقد قمت بالقبض على المذكور" .

فإذا ما جاءت التحريات الخاصة بضبطه بهذه النتيجة بينما المتهم ينكر أن له صلة أو صداقة بأحمد حسين جاد جاء هذا الانكار قرينة أخرى على أن مصطفى أبو الليل شريك في الجناية يحاول التبرؤ من شريكه بنفي الصلة والصداقة .

(٤) القصة الخيالية التي ذكرها المتهم للسيد رئيس النيابة في محضر التحقيق يوم ١٩٥٢/٩/٨ ومؤداها أن "واحد أفندي – هو محمد محفوظ – كان عايز يبيع جالون بنزين ليشتري سجائر ويشرب شاي فصعب على وأكرمه بعشرة صاغ كانت معايه ومحتاجها لشئون بيتي" .

هذه القصة غير معقولة فالباشجاويش محمد محفوظ لا يقطع هذه المسافة الطويلة من القاهرة إلى سوهاج دون أن يكون معه من النقود ما يكفي السجائر والشاي فهوأة السجائر لا يملكون إلا اختزان القدر الذي يكفيهم منها عند السفر أو الحرص على ثمنها في جيوبهم .

والشخص الذي لا يملك سوى عشرة قروش وهو محتاج إليها لشئون بيته لا يعقل أن يتبرع بها كلها لشخص لا يعرفه يعرض بنزيننا للبيع لأجل السجائر والشاي .

والشخص الذي يريد أن يبيع بنزيننا لا يذهب إلى القهوة ويسأل إذا كان هناك من يرغب في شراء جالون بنزين وإنما يعرض ذلك على محطات البنزين أو السيارات التي تصادفه في الطريق .

وإذا كان المتهم مصطفى أبو الليل قد أكرم المتهم محمد محفوظ هذا الإكرام فكيف يتصور أنه يجره معه في جناية عقوبتها الإعدام .

وكيف يكون هذا الإكرام المزعوم بمائة مليم كافيًا ليطلب المتهم مصطفى أبو الليل رده إليه في شكل بطاقة توصية من مدير جرجا الأميرالاي محمود عبد المجيد .

(٥) قرر الشاهد عبد الغني عبد الله الشهواني في بلاغه وفي التحقيق الذي أجرى معه بعد ذلك أنه كان مسجوناً بسجن الاستئناف حيث كان المتهم مسجوناً معه في حجرة مواجهة لحجرته وأنه قد توطدت الصداقة بينهما بسبب ما كان يؤديه له من خدمات .. وانه عقب زيارة زوجته للمتهم نزل من النافذة في حال اضطراب وقلق وكان يعرض على اصابعه ويلطم خديه وقال "أنا رايح في داهية في قضية الشيخ البنا وأنا عايز أقول كل شيء بس خايف لأن الناس الكبار دول هم اللي حيتفرجوا علينا" وقال إن مصطفى اعترف له بما ذكره أمام المسجون علي مصطفى مروان .

(٦) وشهد على مصطفى مروان بما يؤيد أقوال المسجون عبد الغني عبد الله في كل أقواله .

وقد قرر المتهم مصطفى أبو الليل أنه يعرف عبد الغني عبد الله من السجن كما يعرف على صالح مروان أنكر ما نسباه إليه من اعترافات دون ان يعلل اعترافهما ضده بأي تعليل .

وقد تبين من معاينة السجن أن الغرفة رقم ١٨ التي كان بها مصطفى أبو الليل تواجه على بعد عشرة أمتار الغرفة رقم ١١ التي كان بها المسجونان عبد الغني عبد الله وعلى صالح مروان وأنه يمكن لأي شخص يحمله آخر أن يطل من النافذة ويرى من في الطريق ويحادثه بصوت مرتفع .

٣ - عبده أرمانبيوس سرور : المتهم الثالث

(١) الدليل الأول اعترافات محمد محفوظ فقد نسب إليه اشتراكه في الجريمة حالة كون الضابط يقرر أنه لم يسبق أن وقع عليه أي جزاء أو عامله بخشونة ص ١١٩٧ .

(٢) الدليل الثاني أنه سعى عقب الحادث مباشرة لإثبات وجوده في مكان آخر بعيد عن مكان الجريمة واختار لذلك كازينو الأوبرا وراح يروي في التحقيق أنه جلس بكازينو الأوبرا مع الشيخ محمد أحمد عمر نائب دشنا السابق والأستاذ إبراهيم علي المحامي بجرجا من الساعة السادسة إلى التاسعة مساء ليلة الحادث وأنهم كلهم سمعوا بمقتل الشيخ البنا أثناء جلوسهم معا في الكازينو وأنه استعلم عن الحادث بالتليفون فلم يجبه أحد توجه إلى وزارة الداخلية وتحقق من المخبر وعاد وأخبرهما به .

وهذه الرواية مكذوبة ومختلفة واختلافا يدل على ان الاتهام صحيح يراد الافلات منه ودليل اختلافا ما يأتي :

(أ) كذب النائب السابق الشيخ محمد أحمد عمر ذاك المتهم إذ قرر أمام المستشار المنتدب ص ١٦٩٦ وما بعدها أنه كان ليلة الحادث بكازينو الأوبرا حقيقة من قبل غروب الشمس إلى ما بعد العشاء غير أن الضابط عبده أرمانبيوس حضر وقعد معهم ربع ساعة وبعد الربع ساعة سمعوا الجالسين أمامهم يقولون إن الشيخ حسن البنا قتل وكان ذلك حوالي الساعة الثامنة والنصف مساء تقريبا وأكد أن عبده أرمانبيوس لم يحضر لكازينو الأوبرا إلا قبل سماعهم بخبر الحادث بنحو ربع ساعة أو ثلث ساعة على الأكثر أي أنه حضر بعد الساعة ٨ الثامنة مساء - وقرر الشاهد أن المتهم غاب عنهم نحو دقيقتين ثم عاد بعد ذلك ولم يخبرهم بسبب تغيبه ولا يعرف إذا كان قد تكلم بالتليفون من عدمه وقرر أنه لا يذكر ان المتهم غادرهم إلى وزارة الداخلية ثم عاد إليهم وأكد لهم خبر الاغتيال إذا أنهم تفرقوا بعد سماع الخبر بنحو ربع ساعة أو ثلث ساعة وكل ذهب لحاله .

(ب) كذب المحامي إبراهيم علي عبد الرحمن المتهم ص ١٧٤٣ وما بعدها فيما ادعاه من أنه عاد إليهم بالكازينو بعد ذهابه إلى وزارة الداخلية ليؤكد لهم الخبر أما موافقته للمتهم في التفاصيل فلا قيمة لها إذ الثابت من أقوال الشاهد أنه صديق عبده أرمانبيوس وأنهما من بلد واحدة وأنه كثير الاجتماع به في كازينو الأوبرا .

(ح) والدليل على أن روايته مكذوبة أنه لم يدل بها عندما سئل أول مرة يوم ١٩٤٩/١١/٢٨ وكل ما قاله (لا أعرف شيء مطلقا عن هذا الحادث ولا شأن لي به ولا أستطيع أن أعلل ذكر اسمي في هذه العرائض ص ٤٨٠) وإنما أدلى بها لأول مرة أمام المستشار المنتدب في ١٩٥٢/١٠/٢١ بعد أن رتب أمره مع صديقه إبراهيم علي عبد الرحمن .

(د) وترقيته عقب الحادث إلى رتبة اليوزباشي بصفة استثنائية رغم أنه كونستابل سابق ... قرينة على بعض المقابل في هذا العمل .

(٣) الدليل الثالث استقدمه مرة أخرى في سنة ١٩٥٢ ووقوع حادث قتل المرحوم عبد القادر طه بعد هذا الاستقدام وظهور المذكرة المكتوبة بخط محمود عبد المجيد مع المخبرين الثلاثة والضابط عبده أرمانبيوس فهذه قرينة تؤيد اعترافات محمد محفوظ .

(٤) ثبت من التحقيق أن الضابط عبده أرمانبوس توجه إلى فندق إيدن عقب الحادث مباشرة يسأل الأميرالاي محمود عبد المجيد وكان مثلها لمقابلته ولا تفسير لذلك إلا أنه كان يريد أخباره بأن المأمورية التي كلف بها قد تمت على ما يرجو فلما علم أن هذه البشري قد سبقته إلى محمود عبد المجيد عبد المجيد بدليل انصرافه انصرف هو أيضاً .

سئل أحمد عبد الرعوف الضيع فقال إن عبده أرمانبوس حضر بعد انصراف محمود عبد المجيد بعشر دقائق وسأل عنه أي أنه حضر الساعة ٩,١٠ مساء ص ١٣٣٨ .

وقال الأميرالاي محمد اسماعيل أبو السعود "وفاتني أن أذكر أنه بعد انصراف محمود عبد المجيد في الساعة التاسعة مساء حضر الضابط عبده أرمانبوس وسألنا عن الأميرالاي محمود فقلنا له ده انصرف من برهة بسيطة" ص ١٣٥٢ .

٤ – بكباشي حسين كامل : المتهم الرابع

(١) الدليل المستمد من اعترافات محمد محفوظ بأنه اشترك في الجريمة ولم يستطع المتهم تجريح محفوظ .

(٢) استقدامه مرة أخرى في سنة ١٩٥٢ ووقوع حادث قتل الضابط عبد القادر طه بعد ذلك وظهور المذكرة المكتوبة بخط محمود عبد المجيد مع المخبرين الثلاثة والضابط عبده أرمانبوس مما يؤيد المتهم محمد محفوظ في أقواله .

(٣) أنكر – في مذكرته التي تقدم بها إلى غرفة الاتهام – أنه كان متصلاً بالمخبرين المتهمين في فترة وجودهم بوزارة الداخلية بزعمه أن المخبرين المذكورين كانوا متصلين اتصالاً مباشراً بمحمود عبد المجيد نفسه وبالضابط حنفي عبد الرحمن وآخرين ص ٢٣٣٦ وإذا ما ثبت كذبه في ذلك قام الكذب قرينة قوية تؤيد اعترافات محمد محفوظ ضده – وهذه آيات كذبه :

(أ) قرر أحمد حسين جاد أنه كان يتلقى أوامر من حسين كامل .

(ب) وقرر محمد سعيد إسماعيل أنه كان ينتقل من جرجا إلى مصر خلال يناير وفبراير سنة ١٩٤٩ لضبط محكوم عليهم بأمر حسين كامل عن طريق المدير محمود عبد المجيد .

(ج) وقرر حسين محمدين رضوان أن حسين كامل هو الذي كان مشرفاً عليه وقرر في موضع آخر أنهم ندبوا لضبط محكوم عليهم ولم يضبطوا أحداً وكان عملهم متصل بحسين كامل وهو الذي كان مكلفاً بضبط المحكوم عليهم .

(د) وقرر الصول محمد عبد السلام أن هؤلاء المخبرين كان اتصالهم بمدير المباحث الجنائية والضابطين حسين كامل وعبده أرمانبوس .

(هـ) وقرر الصول محمد البهي شرف (ص ٦٢٨) بأنه في شهر يناير سنة ١٩٤٩ أحضر مدير المباحث بعض الضباط والمخبرين الجدد الذين اختارهم بنفسه وقام بكتابة أسمائهم وأراد تعيينهم في الخدمة وقال ذلك لحسين كامل فقال له "دول ملكش دعوه بيهم دول جايبين في مهمة خاصة" وقرر أنه أخطر بنقله إلى المنوفية بعد ذلك بأسبوع وأمر بتنفيذ النقل في نفس اليوم ولا يجد مبرراً للنقل سوى أنه سأل عن المخبرين الثلاثة ... ولم يعد إلا في وزارة الرئيس حسين سري بعد نقل محمود عبد المجيد وفي موضع آخر (ص ٨٦٢) أكد أنه خاطب الصاغ حسين كامل بشأن المخبرين الثلاثة فقال له سأسأل مدير المباحث وأخبرك وفي الحال دخل عند الأميرالاي في مكتبه

وخرج يقول له "دول جايبين في مأمورية خاصة ومالكش دعوى بهم" وطلب منه ألا يعهد إليهم في عمل أو يثبتهم في الدفتر .

يا حضرات المستشارين ..

إلى هنا انتهيت من القدر المخصص لمرافعتي .

ولن أبرح هذه الساحة الموقرة قبل أن أقول لعدالتكم كلمات ثلاثاً :

الأولى : أنكم تفصلون في جريمة تم حبكها وتنفيذها بوساطة نوع خاص من الأشخاص هم رجال البوليس والمباحث وهم أقدر الناس على تنظيم الإفلات من المسؤولية لطول تجاربهم في تطبيق القانون وطول باعهم في الإلمام بالخطط البوليسية وكثرة ما لديهم من امكانيات .. مال وجاه وسلطان وغير ذلك . فإن رأيتم شيئاً من ذلك فاستفتوا قلوبكم فإنكم بمجلسكم هذا أعبد الناس وقلوبكم موصولة بربكم ولن تكذبكم أبداً .

وقد تجدون في الأوراق شهود زور يحاولون تضليل العدالة أمثال الأميرالاي إسماعيل فهمي ذكري والأميرالاي محمد إسماعيل أبو السعود والمدعو عبد الرؤف الضبع والمحامي إبراهيم على عبد الرحمن فاستفتوا في أقوالهم قلوبكم .. إنها أصدق معين .

وقد يقال لكم إن الخطة شابها عيوب كثيرة مما يقطع بأن الجناة أقل خبرة ومرانا من هؤلاء المتهمين .. فاستفتوا قلوبكم الموصولة بخالقها تفتيكم إنها آية الله ليححص الحق وتنطلق اساريره على السنة بعض المتهمين ، وتفتيكم أن هذه العيوب المكشوفة ما كانت لتكشف الجناة المستندين إلى حماية مولاهم وهي أثر من استهتارهم البالغ وتقتهم في دوام الأمر للملك السابق ولولا أن قيض الله لقضية الشهيد ثورة الجيش فنفضت عنها غبار السنين وسمحت لها أن ترى النور لظلت القضية مطوية الصفحات سنين أخرى .

في كل دفع يدفع به المتهمون استفتوا قلوبكم دائماً فلن يجانبكم التوفيق أبداً .

الثانية : أنكم تحكمون للتاريخ فلقنوا رجال البوليس والأمن بصفة عامة في أشخاص هؤلاء المتهمين درساً يحفظ ولا ينسى .. علموهم أنهم مرفق عام مملوك للأمة جميعاً لا فرق بين حاكم ومحكوم ولا بين مواطن وأن مهمتهم صيانة الأمن وحماية الأرواح ومن حاد عن هذه المهمة يضاعف له العقاب .. واجعلوا من حكمكم عليهم حكماً يحتذي "ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب" .

الثالثة : إنكم تحاكمون قتلة الإمام الحكيم والمجاهد الكريم حسن البنا وما أفدح الخطب فيه ، خطب مصر والعروبة والإسلام .

اللهم لا تحرمنا أجره .. ولا تفتنا بعده .. واغفر لنا وله .. وارفع منزلته في عليين .

على فهمي طمان

المحامي

١٥٣ شارع التتويج بالاسكندرية

البَابُ الْخَامِسُ
الإخوان المسلمون والآخِر

- (١) هـؤلاء هم الإخوان وان !!
(٢) أريد أن أتحدث إلى الإخوان .

(١)

هؤلاء... هم الإخوان!!

بقلم

عبد الحسين

محمد السامح

علي الحسين

كمال عثمان

جمال الدين حمادي

ناصر الدين الشاذلي

تقديم:

ما أن حدثت واقعة المنشية ومحاولة اغتيال عبد الناصر ، حتى حشدت الحكومة كل قواها لتشويه صورة الإخوان المسلمين ، فعقدت محكمة يرأسها جمال سالم ، وكان عاراً على المحاكمات والقضاء ، وقدمت دليلاً جديداً على مدى هوان القضاء على عسكريين نجحوا في السيطرة على مقاليد البلاد ، وكان من هذه المحاولات أن ملأوا الصحف بكتابات هزيلة ، واستصدروا فتاوى من شيوخ ، واستكتبوا عدداً من الكتاب ، كان منهم هذا العدد الذي صدر لا يحمل اسم من أصدره ولا اسم المطبعة التي طبعته وتضمن مقالات لعدد من الكتاب المشهورين .

أما الدكتور طه حسين فقد عصمة ذكاؤه وتقديره لشخصيته ولمنزلته الأدبية ، فكتب كما لو كان يضيف فصلاً جديداً في كتاب "الفتنة الكبرى" ، أما التابعي فقد صال وجال واستخدم كل فنون الصحافة للتشنيع على الإخوان ، ورواية الشائعات عن أحد الإخوان وجد في بيته صندوق ويسكي ، وكان يعاشر يونانية ، وعن الإخوان عملاء الملك والإنجليز كانوا يعطون الصهيونيين معلومات .. إلخ ، البهتان الذي لا يكون غريباً عند نوع من الصحافة .

أما الكتاب الآخرون .. فواضح أنهم كتبوا ما أريد لهم أن يكتبوا ، فكتبوا في اقتضاب ، وباستثناء الأخير ناصر الدين الشاذلي الذي كان كلامه كله نفاق في نفاق .

وهي صفحة يجب أن تُعلم ..

جمال البنا

رُخْصُ الحَيَاةِ !

قَتْنَةُ !

بقلم الدكتور طه حسين

رُخْصُ الحَيَاةِ !

لم تهن حياة الناس على الناس كما تهون عليهم في هذه الأيام ، فقديمًا عرف الناس الحرب وأجروا دماءهم غزارًا في سبيل الحق حينًا وفي سبيل الباطل أحيانًا ، وقديمًا عرف الناس المكر والكيد كما عرفوا البغي والعدوان ، وقتل بعضهم بعضًا جهراً مرة وغيلةً مرارًا ، ولكنهم كانوا يقدمون على ما كانوا يقدمون عليه من ذلك في كثير من التحرج قبل أن يقدموا ، وفي كثير من الندم والروع بعد أن يتموا ما أقدموا عليه .

كانت الحياة الإنسانية شيئًا له خطرة فقدستها الديانات وعرفت حرمتها القوانين ورعتها الأخلاق وعظم أمرها المعتدون عليها أنفسهم ، فكانوا يرون أنهم حين يجترئون عليها إنما يقتربون إثمًا عظيمًا .. لأنه من الآثام التي لا سبيل إلى تداركها .

فقد أتبح للإنسان أن يصلح كثيرًا من خطئه ويتدارك كثيرًا من ذنوبه ويمحو بالاحسان آثار الإساءة ، ولكن شيئًا واحدًا لم يتح له وهو أن يرد الحياة إلى من حرم الحياة ، فكان القتل خطأ أو عمدًا من الشر العظيم الذي يروع الإنسان ويملاً قلبه ذعرًا وروعًا وندمًا وإنكارًا .

وكان الناس يتحدثون فيكثرون الحديث عن المجرمين الذين يستحبون القتل ولا يحسون عليه بعد إقترافه ندمًا ولا يحسون منه قبل اقترافه رهبة أو خوفًا .

كانوا يرونهم شذاذا قد أفلتوا من قوانين الطبيعة الإنسانية التي تكبر الحياة الإنسانية ، وتعظم الاعتداء عليها عن عمد أو خطأ ، وربما دفع بعض الناس إلى شيء من الأمعان في إكبار الحياة حتى تجاوزوا بها حياة الإنسان إلى حياة الحيوان نفسه ، يرون أن الحياة جذوة مقدسة لا يجرؤ على إطفائها إلا الذين برأوا من شعور الرفق والرحمة والبر والحنان ، فحرموا على أنفسهم أشياء استباحها غيرهم من الناس ، يحرمون ذلك على أنفسهم دهرهم كله أو يحرمون ذلك على أنفسهم وقتًا معلومًا بين حين وحين .

ولأمر ما أمعن أبو العلاء فيما أمعن من الزهد حتى أنفق أكثر حياته لا يطعم إلا ما تنبت الأرض ، ولأمر ما رأي قتل الحيوان جنبًا ، ورأي فيه دليلًا على ضعة النفس التي تدفع إلى الاستعلاء على الضعيف والبغي على مالا يملك أن يدفع عن نفسه البغي والعدوان ، وقد تحدث الذين ترجموا له أنه مرض مرة وألح على المرض حتى اضطره إلى ضعف شديد فوصف الطبيب له أكل الدجاج وامتنع هو على الطبيب وعلى الذين كانوا يمرضونه ، فلما اشتد عليه إلحاحهم أذعن لما أريد عليه وقدمت إليه دجاجة فلم يكذب يمسه حتى أخذته رعدة شديدة ، فانصرف عنها وهو يقول لها :

استضعفوك فوصفوك هلا وصفوا شبل الأسد

يريد أن الدجاجة لا تستطيع أن تمتنع على من يريد لها . فالناس يطمعون فيها ويصفونها للمرضي على حين يمنع الأسد شبله ؛ فلا يطمع فيه طامع ولا يصفه طبيب لمريض ؛ ولأمر ما قال أبو العلاء فيما قال هذا الرائع في تحريم الحيوان على الإنسان ؛ فعرض نفسه لشر عظيم من غضب السلطان :

غدوت مريض العقل والدين فالقتى لتسمع أنباء الأمور الصائح
فلا تأكلن ما أخرج البحر ظالمًا ولا تبغ قوتا من غريض الذبائح
ولا بيض أمات أرادت صريحة لأطفالها دون الغواني الصرائح
ولا تفجعن الطير وهي غوافل بما وضعت ، فالظلم شر القبائح
ودع ضرب النحل الذي بكرت له كواسب من أزهار نبت فوائح
فما أحرزته كي يكون لغيرها ولا جمعته للنسدى والمنايح
مسحت يدي من كل هذا فليتني أبهت لشأني قبل شيب المسائح

فأبو العلاء كما تري يحرص على نفسه ويريد أن يحرص على غيره أكل الحيوان وما يخرج الحيوان؛ حتى الشهد الذي تخرجه النحل ، يرى ذلك ظلمًا وبغيًا ، ويخالف بذلك ما أباحت الديانات السماوية للناس من هذا كله ، وقد انتهى شعره هذا إلى مصر فناظره فيه داعي دعاة الفاطميين وكاد الأمر ينتهي به إلى العطب .

وتقديس الحياة الإنسانية هو الذي دعا الناس إلى إكبار الموت وما بعد الموت ، وهو الذي دعا الناس إلى أعظام حرمة الجناز مهما تكن . وقد روي ان جنازة مرت بالنبي ﷺ وهو جالس في أصحابه فقام لها وقام أصحابه لقيامه ثم قيل له أنها جنازة يهودي ، فقال : أليست نفسًا .

وتقديس الحياة كذلك هو الذي دفع إلى ما شاع في هذا العصر الحديث من إنكار عقوبة الإعدام مهما تكن جريمة من يقضي عليه بهذه العقوبة ، ويرى أصحاب هذا الرأي أن الحياة أعظم خطرًا وأكبر حرمة من أن يستبيح الإنسان لنفسه سلبها ، ويرون أن الحياة شيء لا يستطيع الإنسان أن يمنحه فلا ينبغي له أن يسلبه .. وإنما يسلب الحياة من منح الحياة .

وكذلك أمعن الناس في تقديس الحياة وفي إنكار البطش بها والاعتداء عليها ، وما زال أمر الله قائمًا بتحريم الحياة إلا بحقها وما زالت القوانين تحرم الاعتداء على الحياة وتعاقب عليه أشد العقوبة وأصرمها ، ولكن الدين والقوانين شيء وما دفع الناس إليه في حياتهم الحديثة شيء آخر ، وليس من شك في أن الناس لم يعرفوا قط عصرًا هانت فيه حياة الناس كهذا العصر الذي نعيش فيه .

تخالف الدول عن أمر الدين والقوانين فتقدم على الحرب المنكرة التي لا تعرف لحياة الأفراد والجماعات حرمة ، ولا ترجو للدين ولا للقوانين ولا للأخلاق وقارًا ، ولا تفرق بين الجند المسلحين المشاركين فيها والعزل الوادعين الذين لا يريدون حربًا ولا قتالًا ، ولا يتمنون إلا أن يعيشوا في دعة وسعة ، يحتملون أعباء الحياة ما خف منها وما ثقل ، لا يؤذون أحدًا ولا يحبون أن يريد لهم أحد بالأذى ،

وإغراق الحرب الحديثة في الإثم واستهانتها بالحياة واستخفافها بالمقدسات كلها وإشاعتها للموت ولل هول
بغير حساب ، كل ذلك أهدر قيمة الحياة أثناء الحرب وأهدر قيمة الحياة أثناء السلم أيضاً .

ومادام السلطان نفسه يستبيح الخروج على الدين والقوانين في سبيل المنافع والمطامع ، فلا على
الأفراد ولا على الجماعات أن يستبيحوا الخروج على الدين والقوانين في سبيل المنافع والمطامع أيضاً ،
ومادامت الدول المتحضرة التي بلغت أقصى ما كان الإنسان يستطيع أن يبلغ من الرقي إلى الآن ، تستبيح
لنفسها أن تزهق النفوس وتسفك الدماء بغير حساب لتكسب المال وتبسط السلطان ، فلا على الأفراد
والجماعات أن يصنعوا صنيعها ويسيروا سيرتها ، والناس يحصون صرعي الحربين العالميتين
بالملايين ويحصون صرعي الثورات الأوروبية بين الحربين بالمئات والألوف ، ويحصون صرعي
الاستعمار بعشرات الألوف ومئاتها .

وهذه الضحايا الكثيرة لا يضحى بها عن خطأ ولا يضحى بها في سبيل الحق والعدل ، وإنما
يضحى بها عن عمد وعن استجابة للبغي والطغيان وفي غير تخرج ولا تحفظ ولا احتياط .

وقد قرأت في إحدى الصحف الفرنسية التي وصلت إلى من باريس في هذه الأيام الأخيرة أن
الفرنسيين قتلوا من أهل الجزائر سنة ١٩٤٥ بعد أن وضعت الحرب العالمية أوزارها عددا ضخما يبلغ
المقلولون له خمسة عشر ألفا ويبلغ المكثرون له أربعين ألفا ، والله يعلم كم يقتل الفرنسيون من الجزائريين
في ثورتهم هذه القائمة ، وكم قتلوا من التونسيين والمراكشيين وكم قتلوا منهم أثناء هذا الصراع المتصل
بين قوم يريدون أن يعيشوا كراماً وآخرين يريدون أن يستذلّوهم ويتخذوهم رقيقا بعد أن ألغت الحضارة
الحديثة الرق فيما يقول أصحابها . وضحايا الاستعمار في الهند الصينية من المستعمرين والمناهضين لهم
لا يحصون بعشرات الألوف وإنما يحصون بمئاتها ومن يدري كم كان عدد الذين ضحي بهم الاستعمار
الانجليزي في شرق الأرض وغربها منذ أنقضت الحرب العالمية الثانية إلى الآن ؟

وأنت لا تقرأ صحيفة في الصباح أو في المساء إلا رأيت فيها حديث الموت الذي يصب في إيران
على الذين لا يعجبهم ما كان من الاتفاق على استغلال آبار البترول ، فقد أصبحت حياة الإنسان في هذا
العصر أهون شأنًا وأقل خطراً مما تخرج الأرض من ثمراتها الحية والميتة . فإذا شخصت هذا العصر
بأنه عصر الحياة الإنسانية الرخيصة والمنافع الإنسانية الغالية أو بأنه عصر الدم الإنساني الذي لا تبلغ
قيمه قيمة البترول الذي يبسط السلطان ويدر المال فلست غالباً ولا متجاوزاً للحق .

وكنت أفكر في هذا كله منذ وقت طويل وأحمد الله الذي لا يحمى على المكروه سواه ، وأقول لنفسي
ولكثير من الناس أننا مازلنا في عافية مما يمتحن به غيرنا من رخص الحياة الإنسانية وغلاء المال
والمنافع والمطامع على حقارتها .

ولكن الحضارة الحديثة قد ألغت المسافات والأماد وقاربت بين الناس على ما يكون بينهم من تباعد
الأقطار والديار .. وقد كنا نرى ذلك خيرا ونعده رقيا ودنوا إلى توحيد العالم أو تخفيف ما بينه من الفروق
وإلى جمع الناس على كلمة سواء وتطهير قلوبهم من الضغن وتخليص نفوسهم من البغي وتمكينهم من أن
يصيروا إخوانا يعيشون على ما أباح الله لهم من طبيبات الحياة دون أن يستغل بعضهم بعضا أو يستذل

بعضهم بعضاً أو يستعلى بعضهم على بعض أو يتخذ بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله ، فقد تبين إنا كنا نخدع أنفسنا ونطمع في غير مطمع ونتمني ما لم يؤن أو ان تحقيقه بعد . وتبيننا أن الشر يغري بالشر وأن النكر يدعو إلى النكر وأن الموت يرغب في الموت .

ونحن نصبح ذات يوم فإذا الهول يتكشف لنا كأشنع ما يكون الهول ، وإذا بعض المصريين يمكرون ببعض ، و إذا الموت يريد أن يتسلط على مصر ، كما تسلط على كثير غيرها من أقطار الأرض .

وإذا كل واحد منا كان آمناً أمن الغفلة الغافلة يظن أنه لن يتعرض إلا لما يتعرض له الناس الآمنون من هذه الآفات التي لا يسلطها الإنسان على الإنسان وإنما تسلطها الطبيعة على الحياة .. إنا كنا غافلين حقا خدعنا ما عرفناه عن وطننا هذا الوداع الهادئ الكريم الذي لا يحب العنف ولا يألفه ولا يحب أن يبلغ أرضه ، فضلا عن أن يستقر فيها .

ولم لا ؟ ألم نشهد منذ عامين اثنين ثورة يشبها الجيش وفي يده من وسائل البأس والبطش ما يغري بإزهاق النفوس وسفك الدماء ولكنه يملك نفسه ويملك يده فلا يزهق نفساً ولا يسفك دمًا ولا يأتي من الشدة إلا ما يمكن تداركه ، ولا يجرح إلا وهو قادر على أن يأسو ، ولا يعنف إلا وهو قادر على أن يرفق ، وإذا ثورتنا فذة بين الثورات لا تأتي من الأمر ما لا سبيل إلى إصلاحه غدًا أو بعد غد .

كل هذا لأن مصر لا تحب العنف ولا تألفه ، ولأن نفوس أهلها نقيّة نقاء جوها ، صافية صفاء سمائها ، مشرقة إشراق شمسها ، تسعي في طريقها مطمئنة كما يسعي نيلها مطمئنا ناشراً للخصب والنعيم من حوله . تضطرب فيها الضغائن والأحقاد بين حين وحين ، ولكنها لا تلبث أن تثوب إلى العافية كما تثور فيها الرياح فتملأ الجو غباراً ثم لا تلبث أن تعود إلى الهدوء الهادئ المطمئن .

كذلك عرفنا مصر في عصورها المختلفة وكذلك رأيناها حين ثار جيشها منذ عامين فأخرج الطاغية ولكنه أخرج موفوراً يحيا كما يحب أن يحيا مكفوف الأذى عن مصر ، لم يؤذ في نفسه قليلاً ولا كثيراً .

واشتد على بعض أبنائها شدة يمكن أن يتداركها باللين في يوم من أيام الصفو هذه التي تعرف كيف تملأ قلوب المصريين حباً ودعة وأمناً وسلامنا ، ولكننا نصبح ذات يوم فنستكشف أن فريقاً منا كانوا يهيئون الموت والهول والنكر لأخواتهم في الوطن ولأخوانهم في الدين ولأخوانهم في الحياة التي يقدها الدين كما يقدها شيئاً آخر غيرها من أمور الناس .

ما هذه الأسلحة وما هذه الذخيرة التي تدخر في بيوت الأحياء وفي قبور الموتى ؟ ما هذا المكر الذي يمكن ، وما هذه الخطط التي تدبر ، وما هذا الكيد الذي يكاد ؟ لم كل هذا الشر ، ولم كل هذا النكر ، ولم رخصت حياة المصريين على المصريين ، كما رخصت حياة الجزائريين والمراكشيين والتونسيين على الفرنسيين وكما رخصت حياة الأفريقيين والأسيويين على الانجليز ؟

يقال إن حياة المصريين إنما رخصت على المصريين بأمر الإسلام الذي لم يحرم شيئاً كما حرم القتل ، ولم يأمر بشيء كما أمر بالتعاون على البر والتقوى ، ولم ينه عن شيء كما نهى عن التعاون على

الإثم والعدوان ، ولم يرغب في شيء كما يرغب في العدل والإحسان والبر ، ولم ينفر من شيء كما نفر من الفحشاء والمنكر والبغي .

هيهات أن الإسلام لا يأمر بادخار الموت للمسلمين وإنما يعصم دماء المسلمين متى شهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، ويرى قتل النفس البريئة من أكبر الإثم وأبشع الجرم وإنما هي العدوى المنكرة جاء بعضها من أعماق التاريخ وأقبل بعضها الآخر من جهات الأرض الأربع التي تستحل فيها المحارم وتسفك فيها الدماء بغير الحق ويستحب فيها الموت لأيسر الأمر .

جاء بعضها من أعماق التاريخ . من أولئك الذين قال فيهم رسول الله ﷺ أنهم يقرأون القرآن لا يتجاوز تراقيهم ، والذين كان أيسر شيء عليهم أن يستبيحوا دماء المسلمين مهما تكن منازلهم في الإسلام ، وأن يتخرجوا فيما عدا ذلك تحرج الحمقي لا تحرج الذين يتدبرون ويتفكرون ويعرفون ما يأتون وما يدعون ، وجاءهم بعضها الآخر من هذا الشر المحيط الذي ملأ الأرض ظلماً وفساداً ، من هذا القتل المتصل في الحروب يثيرها بعض الأقوياء على بعض ، وفي البطش يصبه الأقوياء على الضعفاء في البلاد المستعمرة التي يريد أهلها الحرية ويأبى المتسلطون عليها إلا الخضوع والإذعان والسمع والطاعة يفرضون ذلك عليها بالحديد والنار .

وأبناء هذا الشر المحيط تملأ الجو من طريق الراديو ، وتملأ القلوب والعقول من طريق الصحف ، وتثير في نفوس الأخيار حزناً ولوعة ، وفي نفوس غيرهم ميلاً إلى الشر ورغبة فيه وتهالكاً عليه .

لم يأت هذا الشر الذي تشقى به مصر الآن من طبيعة المصريين لأنها في نفسها خيرة ، ولا من طبيعة الإسلام لأنه أسمح وأطهر من ذلك وإنما جاء من هذه العدوى .

والخير كل الخير هو أن نطب لهذا الوباء كما نطب لغيره من الأوبئة التي تجتاح الشعوب بين حين وحين . وقد تعلم الناس كيف يطبون للأوبئة التي تجتاح الأجسام وتدفعها إلى الموت دفعا . فمتي يتعلمون الطب لهذا الوباء الذي يجتاح النفوس والقلوب والعقول فيغريها بالشر ويدفعها إلى نشره وإذاعته ويملاً الأرض بها فساداً وجوراً ؟

بهذا يأمر الله عز وجل في القرآن العزيز حين يقول في الآية الكريمة : "وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ" .

فتنة !

كانت مصر أكرم على الله من أن يرد ابتهاجها إلى ابتئاس ، وسرورها إلى حزن ومن أن يحيل أعيادها البيض إلى أيام حداد سود ، ومن أن يجزى الخير بالشر والإحسان بالإساءة والمعروف بالمنكر ؛ ومن أن يكافئ الوفاء بالغدر ؛ والإخلاص بالخيانة كما ينظر إليها الآن ، فهي على بعد عهدها بالتاريخ وارتفاع قدرها فيه وضخامة حظها من المجد في العصور البعيدة حين كانت الإنسانية في أول الشباب وفي القرون الوسطى حين كانت البلاد الإسلامية تتعرض للمحن والخطوب ، هي على هذا كله دولة ناشئة في هذه الحياة الجديدة التي تحياها الإنسانية .

تجرب الاستقلال للمرة الأولى بعد أن خضعت لسلطان الأجنبي الخارجي دهرًا طويلًا وبعد أن حكمها غير أبنائها دهرًا أطول وأثقل ، والعالم يرقبها ليرى كيف تنهض بأعبائها الجديدة وكيف تلائم بين ماضٍ خطير ومستقبل تصوره لها الأمانى والآمال رائعًا مجيدًا .

والعالم يرقبها ليرى هل نسيت ما ألفت من النهوض بالأعباء الثقيل والقيام بجلائل الأعمال ومحاوله الأمور العظام في غير ضعف ولا وهن وفي غير تردد ولا تلكؤ ، أم هي لا تزال كما عرفها التاريخ محتفظة بقوتها كلها وجهدها كله وقدرتها على التمرس بما يعرض لها من عظام الأحداث خيرها وشرها .

والعالم يرقبها ليرى أقدرة هي حقًا على أن تنتفع بما يتاح لها من الحرية والاستقلال وتنتفع بهما الناس وعلى أن تشارك في تنمية الحضارة وتذكية جدوة الثقافة والانتقال بالإنسانية إلى طور خير من هذا الطور الذي تعيش فيه ، وإلى حياة خير من هذه الحياة التي تحياها ، أم هي جاهلة غافلة وقاصرة مقصرة تتلقي الاستقلال على أنه لعبة تلهو بها وعلى أنه حديث لا يغير من رأيها في نفسها ولا من رأى الناس فيها قليلًا ولا كثيرًا .

وتتلقاه لتظل بعده كما كانت قبله عيالاً على غيرها من الأمم التي تعرف الحق وتنهض بأثقاله تأخذ ولا تعطي ، و تسمع ولا تقول ، وتطيع ولا تأمر ، وتدعن كما يراد بها من الأمر دون أن يكون لها في الأمر شيء ، والعالم لا يرقبها وحده وإنما يرقبها معه الراشدون من أبنائها وهم على قلتهم قد امتلأت قلوبهم رضي عن الماضي البعيد وسخطا على الحاضر القريب وأملًا في المستقبل الذي سنكشف عنه الأيام ، وهم معلقون بين الخوف والرجاء يتمنون من أعماق نفوسهم أن يكون وطنهم كريمًا على نفسه ليكون كريمًا على الناس معتداً بقدمه ليعتز بحديثه قادرًا على أن يتلقي في قوة وحزم وعزم ومضاء ما أوتى من الاستقلال ليتدارك به ما أضاع عليه الاستعمار وليصلح به ما أفسدت عليه الأيام وليجدد نفسه حق تجديدها ويستقبل الحياة الحديثة عزيزًا كريمًا أبيًا للضميم منتفحًا بالتجارب مشاركا فيما يعرض للإنسانية من الخطوب والأحداث .

يتمنون هذا كله من أعماق نفوسهم ويشفقون أشد الإشفاق أن تحول أثقال الماضي الملئ بالظلم والذل وبالخوف والحرمان وبالشفاء والبؤس بين هذا الوطن وبين ما ينبغي له من النهوض بتكاليف الحياة

الحديثة ، وأن يشغل نفسه بصغائر الأمور عن عظامها ، وبسخر الحياة عن جدها ، وبهذا العبث الذي اضطر إليه دهرًا طويلًا عن الجد الذي يدعى إليه ويدفع إليه دفعًا .

الراشدون من أبناء مصر يرقبون وطنهم معلقين بين الخوف والرجاء والعالم الخارجي الحديث يرقب مصر من قرب ، منه من يشجعها ويتمنى لها النجاح ، ومنه من يضيق بها ويتمنى لها الإخفاق ويتربص بها الدوائر ويبث في سبيلها المصاعب والعقبات وفريق من أبنائها المحمقين لا يحفلون بشيء من هذا كله ولا يرقبون في وطنهم ولا في أنفسهم ولا في أبنائهم وأحفادهم إلا ولا ذمة ، ولا يقدر حقا ولا واجبًا ولا يرعون ما أمر الله أن يرعى ولا يصلون ما أمر الله أن يوصل وإنما يركبون رءوسهم ويمضون على وجوههم هائمين لا يعرفون ما يأتون ولا ما يدعون ولا يفكرون فيما يقدمون عليه من الأمر ولا فيما قد يورطون فيه وطنهم من الأهوال الجسام .

والحمد لله على أن هذا الكيد الذي كيد قد رد في نحور كائديه فلم تلق مصر منه شرًا وإنما كان امتحانًا مرًا ثقيلًا ممضًا خرجت منه ظافرة مطمئنة إلى أن الله يرعاها وأن قصر^(١) بعض أبنائها في رعايتها .

لم يفكر أولئك المحمقون في عاقبة ما حاولوا من الأمر لو تم لهم ما دبروا أو أتيح لهم ما أرادوا ولم يقدرُوا أنه الهول كل الهول والكارثة التي يعرفون أولها ولا يعرف أحد لها آخرًا .

كان رئيس الوزراء مؤمنًا بوطنه حين ثبت لهذا الكيد وحين قال ما قال بعد أن صرف الله عنه الشر بتلك اللحظات القصار فرد الأمل إلى الذين كانوا من حوله وأشاع الثقة في الذين كانوا بعيدين عنه وأشعر مصر بأنها أقوى من عبث الجهال وحمق المحمقين .

وأني لا أفكر في الأعقاب التي كان يمكن أن تلم بهذا الوطن لو تم للمجرمين ما دبروا فلا أكاد أثبت للتفكير فيها ، فقد كان أيسر هذه الأعقاب أن يثار الكرام من المصريين لفتى مصر ، وأن يصبح بأس المصريين بينهم شديدًا ، وأن يسفك بعضهم دماء بعض وأن ينتهك بعضهم حرمان بعض ، وأن يعلق النظام والقانون والأمن فترة لم يكن أحد يدري أكانت جديدة أم تقصر أم كانت جديدة أن تطول ، وأن يضيع هذا الاستقلال الذي ذاقت مصر في سبيله مرارة الجهاد الشاق الثقيل الطويل ، وأن يفرض الأجنبي النظام والأمن على الوطن فرضًا ، وأن ترجع مصر أدراجها وتعود كما كانت منذ حين وطنا ذليلاً يدبر أمره غير أبنائه من الأجانب لأنه لم يحسن أن يحتمل الأستقلال والحرية أياما معدودات ، ولأن بعض أبنائه ساق الموت إلى من ساق إليهم الحياة .

أهذا هو الذي كان يريده أولئك المجرمون أم هم لم يريدوا شيئًا ، ولم يفكروا في شيء ، وإنما أهمتهم أنفسهم وملكتهم شهواتهم ودفعتهم شياطينهم إلى الشر في غير تدبير ولا تقدير .

رائع من رئيس الوزراء أن يظهر ما أظهره من القوة والجلد وحسن الاحتمال وحسن الثبات للهول وحسن الظن بالمواطنين والثقة بهم وحسن الرأي فيهم ، وأن يرى أن كل واحد من المواطنين خليق أن

(٣) في الأصل مصر ، وهي خطأ مطبعي (الناشر) .

يحمل العبء بعده كما حمله وأن ينهض بالواجب كما نهض به وأن يحرص على الكرامة كما حرص عليها .

كل هذا رائع وأشد من هذا كله روعة أن يصدر عن رجل في اللحظة التي سيق فيها إلى الموت ، وكان جديراً أن يبلغه لولا أن صرفه الله الذي يمسك بيده الأجل فيطيلها إن أراد ويقصرها إن أراد ، ورائع أن يسمع المواطنون من رئيس الوزراء هذا القول فيقلبوه ويرددوه ويملأوا به أفواههم وقلوبهم ولكن المواطنين يخطئون أشد الخطأ وأثقله وأشده نكراً أن رضوا بذلك واطمأنت إليه قلوبهم وقنعت به ضمائرهم وظنوا أنهم قد نهضوا بحق وطنهم عليهم لأنهم قبلوا ما قاله لهم رئيس الوزراء وملأوا به الهواء صياحاً وهتافاً ، وإنما الحق الأول عليهم ، الحق الذي لا ينبغي أن يقصروا فيه لحظة ولا أن تشغلهم عنه الشواغل مهما تكن هو أن يشعروا قلوبهم وضمائرهم بأنهم قد مروا بلحظة من لحظات تاريخهم أو مرت بهم لحظة كانوا فيها عبيداً أذلاء قبل أن يستمرئوا طعم الحرية التي تساق إليهم ، وأن عليهم أن يحتاطوا لأنفسهم وأن يتدبروا أمرهم خيراً مما احتاطوا وخيراً مما دبروا إلى الآن .

عليهم أن يطهروا قلوبهم من الحقد والضغينة والموجدة وأن ينسوا منافعهم القريبة الصغيرة ويذكروا منافع وطنهم الخطيرة البعيدة وأن ينظروا إلى الحياة على أنها جد لا لعب ، وإلى الواجب الوطني على أنه عمل لا قول ، وأن يستقبلوا الاستقلال على أنه مولد جديد لوطنهم يخرجهم من ذلة إلى عزة ومن هوان إلى كرامة ومن ظلمة إلى نور .

عليهم أن يحيوا منذ الآن حياة صحيحة خيراً من حياتهم تلك التي كانوا يحيونها والتي كانت أشد الأشياء شبيهاً بالموت لأن أمورهم فيها لم تكن إليهم وإنما كانت إلى غيرهم يدبرونها لهم كما يدبرون هم حياة ما يملكون من الأدوات والأنعام .

وهذا كله يفرض عليهم أن يتعاونوا على الخير والبر والمعروف وأن ينفوا الخبث عن وطنهم وأن ينزهوا أسماعهم عما يلقي إليها من مقالات السوء وأن يطهروا قلوبهم مما يلقي فيها من كيد الشياطين وأن يصفوا نفوسهم من كدر الذلة والخضوع والنفاق .

لقد تمثل وزير الأوقاف ببيت كان يتمثل به على رحمه الله حين أنبئ بأن بين قومه من كان يريد به المكروه ويكيد له الكيد ويهيئ له الموت :

أريد حياته ويريد قتلي عذيرك من خليلك من مرادي

كان علي رحمه الله يريد لقومه الحياة الكريمة فأراد بعض هؤلاء القوم أن يسوق إليه الموت لولا أن الموت بيد الله يسوقه حين يريد هو لا حين يريد الناس .

وهناك بيتان آخران كان علي رحمه الله يرددتهما فيكثر ترديدهما ، ومن الحق على المواطنين جميعاً أن يتدبروهما أحسن التدبير ، وأن يتخذوهما درساً يملأ قلوبهم عظة وحذراً واحتياطاً فقد كان علي رحمه الله يعرف أن خصومه من قريش كانوا يدبرون له الموت فكان يقول :

تلكم قريش تمناني لتقتلني فلا وربك ما بروا ولا ظفروا

فإن هلكت فرهن ذمتي لهم بذات ودقين لا يعنوها أثر

وذات الودقين التي لا يعنو لها أثر هي الداهية التي لا يعرف الناس متى تنقضي عواقبها ، ولم يصدق شعر عربي قط كما صدق هذان البيتان .. فقد قتل علي رحمه الله وجر قتله على المسلمين شرًا لم يخلصوا منه إلى الآن ، فهم قد تفرقوا فرقا وأحزابًا منذ ذلك اليوم ولم يجتمع لهم شمل بعد .

فليحذر المصريون أن يتعرضون لمثل هذا الشر ، وليذكر المصريون أن يحرم عليهم دماءهم وأنفسهم إلا بالحق ، وأن الله يأمرهم بالعدل والإحسان وينهاهم عن الفحشاء والمنكر والبغي وأن الله يأمرهم أن يجزوا الإحسان بالإحسان وينهاهم عن العقوق والجحود والغدر ، وينذرهم بأن المكر السيئ لا يحيق إلا بأهله .

أما بعد فإني أجدد التهنئة مخلصًا لرئيس الوزراء ولمصر العزيزة بالنجاة من هذا الشر العظيم ، وأتمنى على الله أن يلقي المحبة في قلوب المصريين وأن ينزع ما في صدورهم من غل ويتيح لهم أن يعيشوا إخوانا يتعاونون على البر والتقوى ولا يتعاونون على الأثم والعدوان .

* * *

**الضحايا .. والمساكين !
نعم .. حدث انقلاب !
خيار وفقوس في موازين الثورة !
أخ في الله !
هـ - حسن -
ليسوا إخوانا .. وليسوا مسلمين !
ليس هناك إخوان .. وإخوان
تعبئة قوى النشر والإرشاد !**

بقلم الاستاذ محمد التابعي

الضحايا .. والمساكين !

توالت الصدمات الفاجعات في جلسات محكمة الشعب .. ولكن أكبر صدمة كانت تلك التي أصابت (الجاني) محمود عبد اللطيف حينما رأى مثله الأعلى تنهاوى أمام عينيه ! .

زعماءه ! .. زعماء قيادة الإخوان الذين طاعتهم من طاعة الله كما علموه ولقنوه ! .. رآهم يتخاذلون ويجنبون ويكذبون ويحنثون في إيمانهم بالله العظيم .. وكل منهم يحاول أن ينجو بجلده ويرمي التهمة على صاحبه وأخيه !

أشباه الرجال هؤلاء هم الذين كان محمود عبد اللطيف يؤمن بهم ويعتقد أن طاقمهم من طاعة الله كانت صدمة كبرى لهذا الفتى الأمي أو نصف الأمي أن يشهد بعينيه في ساحة محكمة الشعب مصرع مثله العليا .

سمع بأذنيه - في ذهول وهو يكاد يكذب بأذنيه - سمع أن فعلته التي أقدم عليها جريمة وخيانة في حق الوطن ! .. وأنها جريمة بشعة نكراء لا يقرها دين الإسلام ولا يرضى عنها المسلمون .

سمع هذا بأذنيه ! .. وممن ؟!

سمعها من الذين حرضوه وأعطوه المسدس وأفهموه أن هذه هي أوامر قيادة الإخوان التي طاعتها من طاعة الله والرسول ! سمعها محمود عبد اللطيف بأذنيه من هنداوي ومن الطيب ومن خميس حميدة ، وسمعها أخيراً من المرشد العام حسن الهضيبي .

وكان محمود يعتقد إلى يوم ارتكاب الجريمة أن هؤلاء جميعاً أقرب منه إلى الله ! . وأن المرشد العام الامام من أولياء الله بل لعله يلي مباشرة طبقة الأنبياء والمرسلين !

ثم سمع في ساحة المحكمة ما سمع ! ورأى المثل العليا تتهاوى أمام عينيه ! وأدرك كيف خدعوه وضللوه .. وتخلوا عنه الآن !

ولم يكن بينه وبين جمال عبد الناصر عداء ولا ثأر موروث .

ولكن هؤلاء القوم - أقطاب الجماعة ! الإخوان الكبار الا أقرب منه إلى الله والرسول ؟ الذين تجب لهم الطاعة لأن طاعتهم من طاعة الله ! .. - هؤلاء القوم كانوا أفهموه أن جمال عبد الناصر قد خان الأمانة وباع مصر في اتفاقية الجلاء .

وها هو يسمع - وقد تولاه زهول - ها هو يسمع هؤلاء القوم يقررون أمام المحكمة أن اتفاقية الجلاء لم تكن سبب اغتيال جمال عبد الناصر .. وأن الاغتيال كان أمراً مقررًا سواء أكانت الاتفاقية أمضيت أم لم تمض ! .. وأن جمال عبد الناصر لم يبيع بلاده ولم يخن الأمانة !

ووقف محمود عبد اللطيف ورأسه يكاد ينفجر والدمع في صوته .. وقف يستنزل لعنة الله على الذين خدعوه وضللوه .. ويعلم ندمه وحسرتة ويحمد الله على نجاة الرئيس جمال عبد الناصر .

والتفت إليه رئيس المحكمة قائد الجناح جمال سالم وقال :

— أقعد يا غلبان !

نعم .. غلبان .. ضحية .. مسكين .

يسميه القانون (الجاني) .. ولكني أسميه - وأنا استسمح عدالة القانون - أسميه ضحية ومجنياً عليه من زعامة أو قيادة عصابة الإخوان .

أو هو جان ومجني عليه .

وجنايته أنه صدق وآمن برسالة الإخوان ، وأن زعماء الإخوان لا ينطقون عن الهوى ولا يصدرون في أعمالهم إلا عن كتاب الله ولا يستهدفون سوي خدمة الإسلام وعزة المسلمين !

هذه هي جناية محمود عبد اللطيف .. الفتى الأمي أو شبه الأمي .. جنايته التي جناها عليه المتعلمون المثقفون .. والزعماء الذين أقسم بين أيديهم يمين السمع والطاعة ..

في معصية أو في غير معصية ؟

لهم وحدهم حق تفسير الكتاب ! . أما هو فإن عليه السمع والطاعة !

* * *

وهناك غير محمود عبد اللطيف كثيرون .. عشرات بل مئات شبان وفتيان مسلمون امتلأت صدورهم بحماسة الشباب وقلوبهم بحب رسول الله فذهبوا إلى جماعة الإخوان يطلبون مزيداً من الهداية ومن نور الله ! وأن تبصرهم الجماعة بأمر دينهم وأن تهديهم سواء السبيل .

وما أظن أن واحداً منهم خطر بباله وهو يطرق باب جماعة الإخوان أن الجماعة سوف تجعل منه قاتلاً باسم الله الرحمن الرحيم ! .. وغادر نثيماً باسم الدين الحنيف ..

ما أظن أن أحداً منهم مر بباله هذا خاطر وإلا لكان نكص على عقبيه .

شبان وفتيان في مقتبل العمر تنقصهم التجربة وينقصهم الإدراك السوي والقدرة على وزن الأمور بميزانها الصحيح .

شبان سذج .. آلات وأدوات سهلة طيعة .. تناولها زعماء الإخوان وقادتها وصاغوها في قالب الذي أرادوه .. و أخرجوا منها آلات خرساء صماء ، تتحرك بلا إرادة وتنفذ مشيئة سواها بلا تعقيب نزولا على حكم السمع والطاعة .. وأن طاعة القيادة من طاعة الله !

إن كانت هذه الآلات الخرساء الصماء تستحق التحطيم .. فأولى منها بالتحطيم والقطع الأيدي التي حركتها .. والرءوس التي فكرت ودبرت ورسمت لها خطط الاغتيال وأمرتها بالتنفيذ .

* * *

هؤلاء الشبان جميعهم ضحايا .. فليس الضحايا وحدهم هم الذين أريقت دماؤهم ظلما وعدوانا .. على أيدي هذه الآلات المسخرة الخرساء .

بل هناك كذلك الضحايا التي امتلأت نفوسها سماً صبه فيها زعماء الإخوان ممزوجاً بآيات الكتاب الكريم !

النفوس التي ضللت وخذعت باسم الله والصلاة على نبيه سيد المرسلين .. وقيل لها اقتلي وانسفي ودمري في سبيل الله .. لكي تحكم أو تقيم حكومة نشرف عليها نحن الهضيبي وحميده ويوسف طلعت والطيب وهنداوي دوير .

هذا حديث الضحايا أو بعض الضحايا وبقي حديث المساكين ، والمساكين مثل الضحايا كثيرون .

ومنهم المساكين الذين لم يلدغوا من جحر جماعة الإخوان .. ولا يريدون أن يتعظوا بما وقع في مصر .. ومن هنا لا يزالون يحسنون الظن بزعماء الجماعة و(دعوة) الجماعة ويتهمون مصر بالمبالغة والتجني .

هؤلاء المساكين - في سوريا الشقيقة - الذين يصدقون عبد الحكيم عابدين ومن معه .. ولا يصدقون حكومة مصر وصحافة مصر فيما تقوله وترويه .

هؤلاء المساكين في القطر الشقيق لا بد لهم أن يلدغوا من جحر جماعة الإخوان مرة ومرتين قبل أن يؤمنوا ويصدقوا بأنها جماعة قد جعلت سلاح دعوتها القتل والاغتيال والتدمير والإرهاب .. وفي الله سوريا الشقيقة شر ذلك اليوم .. ولكنه يوم آت لا ريب فيه ..

يوم تمسي سوريا وتصبح فاذا في جيشها خلايا وأسر ومنظمات .. وفي قوات الشرطة والأمن خلايا وأسر ومنظمات .. وبين طوائف الطلبة والعمال إرهابيون ينفذون ما يؤمرون به ويعتدون على حياة زعمائها وساستها وقضاتها الذين يحكمون بغير ما يريد زعماء الإخوان .

ويوم تصبح الدور الآمنة العامرة بالسكان في أحياء دمشق وحلب وحمص وحماه مخازن للمتفجرات ..

يومئذ سوف تفيق سوريا على أصوات الرصاص والقنابل .. ويفيق معها هؤلاء المساكين
المخدوعون المضللون ليجدوا أن زمام الأمر قد أفلت من يد القانون ومن أيدي الأمن والجيش .. لأن
مرافق البلاد على رأسها أعضاء من الجهاز السري ..

وقوات الأمن على رأسها ضباط إخوان أعضاء في الجهاز السري ..

وفي الجيش خلايا يرأسها إرهابيون أقسموا يمين السمع والطاعة للسيد السباعي المرشد العام ..

يومئذ .. الفتنة والنار والحديد !

وكان الله في عون سوريا الشقيقة وأهلها المساكين !

* * *

نعم .. حدث انقلاب !

أرادت عصابة الإخوان أن تقوم بعمل انقلاب في هذا البلد ... وقد وقع فعلا انقلاب .. ولكنه ليس
الانقلاب الذي كانت تريده عصابة الإرهاب .

انقلاب في الرأي العام .. هذا هو الانقلاب الذي حدث والذي كان أبعد ما يكون عن خاطر الإخوان
وتدبيرهم .

كان الرأي العام - إلى ما قبل جريمة الإخوان الأخيرة - يقف موقفا "مايعاً" من جماعة الإخوان .

فريق منه كان يعطف على هذه الجماعة ويلتمس لها أسباب العذر عما اقترفت من جرائم في العهد
السابق ظناً منه أنها جرائم طارئة وقعت في ظروف عارضة تحت ضغط أسباب قاهرة ، وأنها - هذه
الجرائم - لن تتكرر وخصوصاً بعد أن ولي أمر الجماعة رجل من رجال القضاء وهو السيد حسن
الهضيبي المستشار السابق بمحكمة النقض والإبرام الذي مارس القضاء سبعة وعشرين عاماً وفوق رأسه
في قاعة القضاء حكم الله .. "وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل" .. لا أن تحكموا بالقتل غدراً
واغتياًلا ..

وفريق كان يقف من الجماعة موقف الحياد ..

وفريق كان يغالب نفسه على حسن الظن بالجماعة ويؤثر التريث حتى يرى ما ستفعل هذه الجماعة
في العهد الجديد !

وفريق كان يسيئ الظن بالإخوان وبدعوتهم ودعاوهم ولكنه أضطر أن يكتفم سوء ظنه في صدره
بعد أن رأى الريح تملأ قلاع الإخوان ! والتيار في خدمة سفينة الإخوان .. وكل أمر مسير لخدمة مصالح
الإخوان !

هذا الفريق كتم سوء ظنه في صدره لأنه أشفق أن يكون سوء ظنه إثمًا !

ثم توالى الحوادث في العام الأخير .

وظهر الإخوان على حقيقتهم .. وافتضح ما كان خافياً من أمرهم .
وعرف الشعب الحقائق ..

كان الشعب قد سمع مثلاً أن جماعة الإخوان أنشأت جهازها السري أو جهازها الخاص لكي تحارب به فاروق في طغيانه وفساده .. ولكي تحارب الانجليز في منطقة القناة ..

ثم عرف الشعب أن هذا الجهاز السري لم يطلق رصاصة واحدة على فاروق ، أو أحد رجال حاشية الفساد التي كانت تحيط بفاروق .

وأن قيادة الجماعة كان طلب منها أن توفد "جندها" لمحاربة الانجليز في القناة .. ولكنها رفضت .
اذن فلا هي حاربت فاروق ولا هي حاربت الانجليز .

وعرف الشعب أن قيادة هذه العصابة – عصابة الإخوان – كانت تسلمت من الضباط الأحرار كميات ضخمة من الأسلحة والذخائر لكي تستعملها في معركة القناة .. ولكن بعض هذه الأسلحة بيع لحساب بعض زعماء الجماعة لكي يقتني به هذا البعض الأتيطان ويشيد به العمارات ..

والبعض الآخر أودع في مخابئ سرية .. لا لإستعماله ضد الإنجليز وإنما إستعماله ضد المواطنين المصريين .

وعرف الشعب بعد هذا وذاك أن جماعة الإخوان التي قامت دعوتها ودعايتها على أنها تريد حماية دين الإسلام من أعدائه .

قد تحالفت مع الشيوعية التي هي عدوة دين الإسلام وكل دين .. بل تحالفت مع الصهيونية وزودت حكومة إسرائيل بالمعلومات الكاذبة والتهامات الظالمة تضارب بها حكومة مصر .

وعرف الشعب فوق هذا وذاك أن زعماء الجماعة قوم جبناء منافقون كاذبون ، فهم مثلاً حاربوا اتفاقية الجلاء في منشورات كثيرة عديدة ... ورموا جمال عبد الناصر وإخوانه بالخيانة وأهدروا دمهم ، ثم وقفوا أمام محكمة الشعب يقررون أن اتفاقية الجلاء لا غبار عليها وأنها أحسن بكثير من الاتفاق الذي كان انتهى إليه مرشدهم الهضيبي مع الانجليز !

ثم رأهم الشعب كيف تخاذلوا وجبنوا وكيف أن كلا منهم راح يمسح التهمة في صاحبه (وأخيه المسلم) لكي ينجو بعنقه وجلده .

وزالت الغشاوة عن عين الشعب فرأى الإخوان على حقيقتهم أبشع ما تكون الحقيقة ! لا هم جنود الله ولا حاجة ! .. وإنما جنود الشهوة .. جنود الشيطان !

ووقع الانقلاب ، انقلاب الرأي العام ، فلا تلقي اليوم إلا كل ساخط أو ناقم على هذه الجماعة .

وفي يوم أمسك جمهور المصلين بأفراد ينتمون إلى جماعة الإخوان وساقوهم إلى مراكز البوليس .

وسمعت من صديق زميل في هذه الدار أن سيدة كريمة قالت له :

– آه لو وقعت يدي على أحد هؤلاء الإخوان ! .. لن أسلمه إلى البوليس إلا بعد أن أددشش رأسه

بأيدهم !

هذا هو الانقلاب الذي وقع !

الانقلاب الذي لم يخطر ببال قيادة الجهاز السري يوم رسمت خطوط الانقلاب !

خيار وفقوس في موازين الثورة !

لولا المقام جد لاخترت عنوانا لهذا المقال الأغنية المشهورة (صحيح خصامك والا هزار !!)
والسؤال موجه إلى رجال الثورة ؟

صحيح خصامكم مع جماعة الإخوان المسلمين ؟ .. أم أنه مثل كل مرة سابقة .. خصام أحباب
سوف يعقبه عتاب ثم تبادل الأحضان والقبلات ؟

ولكن المقام جد ، والجد حديث صريح ، ومن هنا أقول أنه ما كان ينبغي أن يكون في موازين
الثورة ميزان للخيار ! وميزان للفقوس ! ..

مجاملة ومودة للخيار ! وحزم وشدة مع الفقوس !

والخيار .. جماعة الإخوان المسلمين .

والفقوس .. بقية الأحزاب والهيئات الأخرى التي جعلت من السياسة عبثاً ولعباً وتجارة وشطارة !

ما كان ينبغي أن تختلف الموازين .. ولكن هذا ما حدث .. فمنذ قامت الثورة في يوم الأربعاء ٢٣
يوليو عام ١٩٥٢ وجماعة الإخوان – وحدهم دون سائر الهيئات والأحزاب – هم الأفضلون المدللون
الأعزة الأحاب الذين ترجي مودتهم ويطلب ودهم ويحرص على رضاهم .. ويكتفي منهم بالخطوة
الواحدة لا يخطونها إلا بعد أن يخطو إليهم رجال الثورة خطوات !

دلال منهم من بعد دلال .. يقابله حرص ومجاملة من رجال الثورة ما بعدهما حرص ولا مجاملة !

والذين يتتبعون سير الحوادث ينظرون ويقارنون ويعجبون ..

أما سواد الشعب فقد ثبت في خاطره – ومنذ اليوم الأول – وظواهر الحال وسير الأمور تؤيده فيما
ذهب إليه .. ثبت في خاطره أن هذه الثورة هي من صنع جماعة الإخوان المسلمين .. أو هي على الأقل
لم تقم إلا بتأييدهم .. وأنهم فيها أصحاب الفضل الأكبر .. وأنها أولاً وأخيراً منهم ولهم .. من حسابهم
ولحسابهم !!

والا ففيم هذا الإعراض والدلال من جماعة الإخوان ومرشدهم أو (مفسدهم) العام ؟ .. وفيم كل هذا
الصبر وكل هذا الحرص على الود والمجاملة من جانب الثورة ومجلس قيادة الثورة ؟

واستعرض الحوادث أو العناوين سريعة موجزة .

قامت الثورة في يوم الأربعاء ٢٣ يولييه .. وكان المرشد العام حسن الهضيبي أو حسن الهضيبي بك
كما أصر دائماً على أن يكتب اسمه في دفتر تشريفات فاروق مشفوعاً بلقبه (بك) .

كان المرشد المذكور يقيم يومئذ في مصيفه برمل الاسكندرية ورحم الله سلفه حسن البنا الذي كان يقضي أيام الصيف في الطواف بمدن الصعيد في زيارات لجماعات الإخوان .. وطلب بعضهم من حسن الهضيبي - وفي أول يوم لقيام الثورة - أن يصدر بيانا للناس يؤيد فيه باسم جماعة الإخوان الثورة ورجالها وأهدافها التي أعلنتها في بيانها الأول ..

ولكن حسن الهضيبي (بك) رفض وقال ما معناه "إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ" .

والمرشد أو (المفسد) العام لا تعوزه أبدا الآية الكريمة أو الحديث الشريف الذي يبرر به اتخاذ أي موقف من مواقف الدجل والنفاق ..

وكان معنى الصبر هنا وعدم الاسراع إلى اصدار بيان بتأييد الثورة .. كان معناه الانتظار والتريث حتى ينجلي غبار المعركة التي نشبت بين رجال الثورة وفاروق .. عن أيهما الغالب وأيهما المغلوب ! .. والا فماذا يكون موقف حسن الهضيبي (بك) إذا أيد الثورة في بيان منشور .. ثم غلبت الثورة على أمرها وانتصر عليها جلالة (الملك الكريم) وولي النعم والأمر فاروق ؟ !

ومن هنا نصح فضيلة المرشد العام بالتريث والانتظار وأن الله مع الصابرين .

وذهب إليه في اليوم التالي - الخميس ٢٤ يولييه - من يرجو ويلحف في الرجاء أن يقوم الاخوان - وبطريقة ما - بإظهار اغتباطهم بالثورة وتأييدهم لرجالها .. وانه إذا كان من غير المرغوب فيه إصدار بيان منشور .. فلا أقل من أن يعود السيد المرشد العام إلى القاهرة ويزور قادة الثورة في مبني القيادة العامة .. أو على أقل القليل يحدثهم بالتليفون مهنئا وداعيا لهم بالنجاح والتوفيق :

ولكن الهضيبي (بك) رفض وأصر واستمسك بأن الله مع الصابرين !

ومرت أيام الخميس والجمعة والسبت والأحد ..

وتم طرد فاروق ..

ولما تأكد فضيلة المرشد العام من أن الثورة قد نجحت فعلا وأن فاروق قد غادر فعلا أرض مصر وأنه قد أصبح في عرض البحر في طريقه إلى منفاه ..

لما تأكد فضيلته من أن فاروق قد انتهى .. وأنه قد أصبح في حساب السياسة المصرية صفراً على الشمال .. رضى فضيلته أن يترك مصيفه وأن يعود إلى القاهرة لكي يتفضل ويتنازل ويزور رجال الثورة ويبلغهم طلباته أو شروطه وهي أن تكون الثورة ومجلس قيادتها تحت وصايته بوصفه المرشد العام لجماعة الإخوان المسلمين .. فلا يقضون أمرا إلا برأيه ولا يبرمون أمراً إلا بمشورته !

هكذا .. ! لقد جزع حسن الهضيبي لقيام الثورة لأنها قلبت حسابه رأسا على عقب وأفسدت عليه خطته وسياسته .. وكان حسابه وكانت سياسته منذ تولى أمر جماعة الإخوان أن يحالف فاروق وأن يصل إلى حكم مصر عن طريق "ولي أمره ونعمته" فاروق .. ومن هنا كانت مقابلته الكريمة للملك

الكريم . وكانت زيارته المتكررة للقصر الملكي وتسجيل اسمه في دفتر التشريرات في كل مناسبة ..
وأعلانه في أحاديثه المنشورة في الصحف عن وجوب إطاعة ولي الأمر فاروق !

كانت هذه هي السياسة التي رسمها الهضيبي وهي تولي سلطات الحكم في مصر عن الطريق
الشرعي وبتأييد ولي الأمر الشرعي الذي كان اسمه فاروق .. وما كان المرشد أو المفسد العام لتعوزه
يومئذ مائة آية كريمة ومائة حديث نبوي شريف يبرر بها سياسته هذه لو أنه كان أفلح في تحقيقات مناه !

ولكن الثورة قامت .. فأفسدت حسابه وقلبت موازينه !

ولقد جزع الرجل في أول الأمر كما قلت .. ولكنه لم يلبث أن استرد هدوء نفسه ومن ثم أسرع
عائدًا إلى القاهرة لكي يطلب من الثورة أن تقيمه وصيًا عليها ..

أي أن يحكم مصر !

وما فاته عن طريق فاروق .. قد يناله عن طريق مجلس قيادة الثورة !

* * *

وأحس رجال الثورة بهذا كله منذ اليوم الأول . وفهموا حسن الهضيبي على حقيقته وأدركوا ما
يرمي إليه .. هو وخاصته وبطانته من بين أفراد الجماعة ولكنهم بدلا من أن يحزموا أمرهم ويأخذوه
بالشدة والحزم اللذين أخذوا بهما الكثيرين من فقوس أو زعماء الأحزاب والهيئات الأخرى .. آثروا أن
يعاملوه وحده هو وجماعته معاملة "الخيار" فمدوا له في حبال الصبر والود والمجاملة ..

وآية ذلك أن القانون الصادر بإلغاء الأحزاب والهيئات السياسية لم يمسه بسوء .. ولم تتناولهم
أحكامه بحجة أن جماعة الإخوان المسلمين لا شأن لها بالسياسة (هكذا ؟) وأنها جماعة تزاوّل نشاطا دينيا
وثقافيا واجتماعيا ..

**نعم ! .. كأنما اغتيال النقراشي كان عملا دينيا ؟ .. واغتيال القاضي المستشار الخازندار كان
عملا ثقافيا ؟ .. ومحاولة نسف مبني محكمة استئناف القاهرة كان عملا اجتماعيا ..**

وهكذا ترى أن هذه الحجة ذهبت في المغالطة إلى أبعد حدودها .. حرصًا على رد^(١) جماعة
الإخوان ومجاملة لهم ولفضيلة مرشد الخيار العام !

ومن قبل صدور قانون إلغاء الأحزاب .. كان صدر قانون آخر بالعفو عن طائفة من المحكوم عليهم
في جرائم سياسية .

ولقد أحس كل واحد يوم صدور قانون العفو المذكور أنه - مثل السترة - قد فصل خصيصًا لكي
يلانم جسم الإخوان المسلمين ..

وفتحت أبواب السجون وخرج منها الإخوان المحكوم عليهم في قضايا القتل والنسف والاغتيال .

(١) في الأصل رد (الناشر) .

وقوى شأن الجماعة وازداد خطرهما .. وأمن من لم يكن قد آمن أن الثورة هي فعلا من صنع جماعة الإخوان ..

أو على الأقل أنها – أي الثورة – لا تعيش إلا بتأييدهم .. هي إذن تخشاهم وترهبهم وتعمل لهم حساباً ومن ثم تحرص على رضاهم ومقابلة دلالهم وصددهم بالصبر الجميل .. والود والإحسان !

وهذا كلام قد يؤلم بعض من أعرف من قادة الثورة ... لكنه حقيقة وحق !

وسارت الثورة في طريقها تهدم وتبني .. وتصلح وتعمر وتؤلف بين القلوب وتحشد القوى لمكافحة المستعمر وتجند الشباب وتدربه على استعمال السلاح ..

مضت الثورة في طريقها مؤيدة من جميع المصريين إلا من جماعة الإخوان "ومفسدهم" العام وحلفائهم الذين اختاروهم يوماً من بين فلول الأحزاب البائدة .. ويوماً آخر من بين الشيوعيين والصهيونيين الذين أطلق بعضهم لحيته تشبهاً بالإخوان لكي يستطيع هو أيضاً أن يتجر بالدين وينصب نفسه إماماً ومرشداً للمسلمين كما قرأت في مقال آخر للسيد وزير الأوقاف .

ناصر الإخوان وحلفاؤهم الثورة العداء .. ومن اجتماعاتهم ومن وكورهم وجحورهم انطلقت الإشاعات ضد الثورة ورجالها ، فما من إشاعة خبيثة وما من إشاعة ظالمة إلا وكان مصدرها الإخوان وحلفاؤهم الشيوعيون .

هذا وقادة الثورة يسمعون ويرون ويعرفون ويسكتون .. وكانت محكمة الثورة لا تزال قائمة ..

كانت قائمة يوم انطلقت مظاهرات يقودها نفر من الإخوان تنادي بسقوط الثورة ورجالها وسقوط الحكم "الظالم" القائم ؟ !

وكانت محكمة الثورة قد حاكمت فعلا نفرا من المصريين .. وكان الأعداء المقام ضدهم أنهم نشروا الإشاعات الكاذبة ضد الثورة وضد أمن البلاد .. أو أنهم عملوا على تقويض الثورة ونظام الحكم القائم .

وصدرت فعلا من محكمة الثورة أحكام بالسجن ضد هذا النفر من المصريين ..

وكان هذا النفر من جماعة الفقوس ..

أما جماعة الإخوان الذين نادوا نهاراً جهاراً بسقوط الثورة وحكمها ونظامها .. والذين اختلقوا الإشاعات الكاذبة الظالمة وأطلقوها فإن واحداً منهم لم يقدم لمحكمة الثورة أو لأية محكمة أخرى ، لماذا لأنهم من جماعة الخيار ؟ .. وللخيار حصانة خاصة أو ميزان خاص !

وكان بعد ذلك هذا وذلك أن وضعت السلطات يدها على خيوط مؤامرة واسعة من صنع الإخوان ومرشدهم العام .. وضبطت في نفس الوقت مقادير ضخمة من الأسلحة والمواد المتفجرة مخبأة في دور بعض البارزين من جماعة الإخوان .

وألقى القبض عليهم واعتقل في نفس الوقت السيد المرشد العام وأعلن في الصحف أن الجميع سوف يقدمون لمحكمة الثورة أو يمثلون أمام محكمة عسكرية .

ولكن .. إن هي إلا أيام حتى أفرج عن الجميع ..

وحفظت القضية أو القضايا ، وأغض القانون عينيه عن الأسلحة والمواد المتفجرة التي كانت مخبأة معدة لغرض خبيث خبيء !

أغض القانون أو غمضت الثورة عينها حباً في سواد عيون المرشد العام !!

* * *

ولقد كان بين الادعاءات التي أقيمت في محكمة الثورة على نفر من المصريين الادعاء الخاص باتصالهم بدولة أو بسلطة أجنبية بقصد الإضرار بالثورة ومصصلحة البلاد !

ولقد ثبت - ومنذ شهور عديدة وأيام كانت محكمة الثورة لا تزال قائمة - ثبت أن حسن الهضيبي اتصل بدولة أجنبية هي بريطانيا وبأحد رجالها وهو مستر إيفانز .. وكان الاتصال بقصد الإضرار بالثورة ومصصلحة البلاد .. لأن فضيلة المرشد العام لجماعة الإخوان قبل في حديثه أو مفاوضاته مع ممثل الدولة الأجنبية المذكورة أموراً كان رجال الثورة يرفضونها لأنها ليست في مصلحة البلاد .. ومنها مثلاً - وهذا باعتراف وإقرار حسن الهضيبي نفسه ت منها مثلاً عقد اتفاق سري مع بريطانيا يبيح لها العودة إلى قاعدة القتال عند قيام الحرب .. أي حرب .. وكل حرب تقع اليوم أو بعد عشرين أو خمسين عاماً ؟!

ولقد حوكم بعض من رجال مصر أمام محكمة الثورة من أجل ادعاءات أقل خطراً وشأناً بكثير من هذا الادعاء الذي كان يمكن رفعه ضد المرشد العام .

ولست أنا وحدي الذي أقول هذا ، بل يقوله - وأكثر منه - كاتب مقال زميلتنا "الجمهورية" المنشور على صفحة ٤ في عددها الصادر صباح الخميس الموافق ١٦ سبتمبر سنة ١٩٥٤ وقد جاء في ختام مقال الزميل .. بعد أن عرض لمقابلة الهضيبي مع إيفانز ..

هذا هو الهضيبي الثائر ! الغائر من أجل عزة الإسلام .. خائن سادر في خيائته ، كل خطيئته أنه ظن أن الشعب مستعد لقبول كل شيء على أساس من السمع والطاعة حتى ولو كان هذا السمع وهذه الطاعة يشملان السكوت على بيع الأوطان في اتفاقيات سرية للمستعمر ولصالح الرجعية !

أرأيت ! محرر "الجمهورية" يتهم الهضيبي بالخيانة وأنه خائن سادر في خيائته !

وخيائته كما بينت ليست بنت اليوم .. بل هي بنت شهور عديدة لأن مقابلته مع رسول الدولة الأجنبية واتفاقه الخائن معه كان منذ شهور عديدة ..

وكانت محكمة الثورة لا تزال قائمة .

ومن العبث أن أسأل بعد كل الذي عدته من آيات الدلال والدلع والتدليع .. من العبث أن أسأل لماذا لم يقدم هذا الخائن السادر في خيائته إلى محكمة الثورة ؟

عبثاً أسأل .. لأن الجواب حاضر على لسان الفقوس !

- الادعاءات ضدي أنا وحدي .. أما هذا .. فإنه كبير الخيار !! .

أما بعد ..

فهذا صنيع الثورة مع جماعة الإخوان .. وهذا جزاؤها - جزاء سنمار - من جماعة الإخوان ومرشدهم العام .

وأنا لا أستعدي أحداً على أحد .. وإنما أطلب فقط أن يكون للثورة صاع واحد أو كيل واحد .. وأن يكون (كذا) أمام موازينها سواء ! لا فضل لخيار فيهم على فقوس !

وأخيراً ..

لعل قادة الثورة قد لاحظوا أن الصحافة المصرية قد وقفت موقف الحياد البارد من حديث أو حدث اليوم وهو هذا الصراع المكشوف بين المرشد العام ورجال الثورة ، فراحت - أي الصحافة المصرية - تكتب في كل موضوع وتعرض لكل موضوع إلا موضوع هذا الصراع .. وهذه الحرب التي يشنها المرشد العام على الثورة ورجالها ..

لعل قادة الثورة قد لاحظوا هذا وعجبوا وتساءلوا لماذا ؟ نعم .. لماذا ؟

لأن الصحافة المصرية لم تعد تؤمن بجدية خصامكم مع حسن الهضيبي وجماعته .. فكم من مرة تخاصمتم ثم تصالحتم .. وكم من مرة أغمضتم العين على كثير مما لا ينبغي أن تغمض عين عليه !

والصحافة تعتقد أنها معذورة في طلب السلامة ! ..

والسلامة في دينها هي الوقوف على الحياد . فذلك خير من "التهور" وتأييد الثورة ضد المرشد العام .. ثم يصبح الصباح فإذا الثورة والمرشد العام في عناق الأحباب ..

ويبقى لها وحدها حقد وكيد فضيلة المرشد العام !

هذا هو السبب في سكوت معظم الصحف عن الخوض في حديث اليوم .

ومرة أخرى : لولا أن المقام جد لسألتكم بلسان الصحافة بل بلسان هذا الشعب .. (صحيح خصامكم ولا هزار؟!)

أخ في الله !

معظم الرسائل التي وصلت إلى في الأسابيع الأخيرة عن (الإخوان المسلمين) .. بينها رسائل التأييد .. ورسائل التهديد !

ومن هذا النواع الأخير رسالة ممضاة (أخ في الله) ..

ويقول "أخويا في الله" أنه صبر طويلاً على مقالاتي (المأجورة) ضد جماعة الإخوان وكظم غيظه من التهم السخيفة (كذا) التي رميت بها هؤلاء الإخوان المجاهدين في سبيل الله .. ولكن صبره نفذ عندما قرأ لي مقالا أخيراً رميت فيه هؤلاء الإخوان بالخسة والجبن والندالة .

ومضى "أخويا" في الله يقول : انني - محمد التابعي - أمر به كل يوم في طريقي وأنه سوف ينفذ فيه حكم الله !

يعني .. طاخ طوخ !

وأمضى خطابه (أخ في الله) ..

وأقول لصاحب الخطاب المذكور أنه ليس في الله أخ جبان أو غادر أو قاتل لئيم !

ثم أسأله : هل قرا حديث فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر المنشور في "الأهرام" في يوم الأربعاء ١٧ نوفمبر .. لقد قال فضيلة الشيخ بين ما قاله ..

وشر أنواع القتل هو قتل الغيلة وهو اغتيال البرئ الآمن وأخذه على غرة فإنه يمثل الدناءة والخسة والوحشية !

هل سمعت يا (أخويا في الله) ما يقوله شيخ الإسلام وإمام المسلمين ؟

ولكنك مسكين وضحية من ضحايا عصابة الخداع والتضليل.

٥ - حسن !

قرأت لأديب معروف مقالا قيماً عن جماعة (الحشاشين) وهذا هو الاسم الذي عرفت به في التاريخ .. ولكنها كانت جماعة دينية أو هكذا كانت تزعم . وكانت تتوسل بالاغتيال والقتل إلى تحقيق مآربها .. وكانت تستعين (بالحشيش) على تهيئة أعضائها المكلفين بالقتل وجعلهم آلات صماء لا إرادة لها ومن هنا أطلق التاريخ على الجماعة أسم (الحشاشين) .

ومن عجب أن الذين توالوا على رئاسة أو زعامة هذه الجماعة كان كل منهم اسمه حسن ..

حسن بن الصباح ثم حسن بن محمد .. ومن بعدهما الحسن جلال الدين .

وجماعة الإخوان تستعين بالاغتيال على تحقيق مآربها السياسية .

وكانت الجماعة الأولى - جماعة الحشاشين - تخدر أعصاب آلتها بالحشيش .. أما الجماعة

الأخرى - الإخوان - فكانت تخدرهم بالدين وتبشرهم بدخول الجنة من غير حساب !

وأخيراً .. حتى تتم المقارنة ويكتمل التشابه ..

لقد تولى منصب المرشد العام في جماعة الإخوان .. تولاه حسنان !

(حسن) البناء و (حسن) الهضيبي !

ليسوا إخوانا ... وليسوا مسلمين !

كلمة قالها المرحوم حسن البنا في عام ١٩٤٨ .. وقد قالها يصف بها جماعته أو الذين انحرفوا من أعضاء الجماعة .

ولعل الرجل – غفر الله له – قال كلمته هذه يومئذ بلسانه .. أو هي خرجت من بين شفثيه لا من قلبه ! لأنه يصعب على العقل أن يصدق أن أمراً ما أو شيئاً ما كان ممكناً أن يقع يومئذ في جماعة الإخوان أو بيد أحد الإخوان من غير أمر موافقة المرشد العام حسن البنا غفر الله له وعفا عما جنت يده ، يصعب على العقل أن يصدق هذا بعد أن أجمع الشهود في قضية اليوم على أن حسن البنا كان الكل في الكل وكان يشرف مباشرة على الجهاز السري وكان رأيه القول الفصل .. وكان "عملاقاً" على حد تعبير أحد الشهود ولعله هنداوي أو الطيب أو خميس لا أذكر ..

وكان شهود قضية اليوم إذا ذكروا اسم حسن البنا حرصوا على أن يقرنوه أو يردفوه بقولهم رضي الله عنه ! أو رضوان الله عليه .. والامام الشهيد إلى آخره ..

إلى هذا الحد بلغ من تقديرهم أو توقيرهم واحترامهم لمنشيء جماعة الإخوان المسلمين .. ولهذا قلت أنه يصعب على العقل – أو عقلي أنا على الأقل – أن يصدق أن أعمال الجهاز السري بقيادة عبد الرحمن السندي في عامي ١٩٤٧ و ١٩٤٨ قد وقعت بغير علم وموافقة حسن البنا .. رضوان الله عليه؟! هذا مالا يقبله العقل ..

ولهذا قلت أن كلمة (ليسوا إخوانا .. وليسوا مسلمين) ، قد خرجت من بين شفثيه فقط لا من قلبه .. ولعله قالها وهو مرغم وكاره ، ولكنه قالها يومئذ لكي يسترضى بها الحكومة ويتقي نقمة القانون .

ولكنها مع ذلك كلمة تصدق اليوم كل الصدق في حق هؤلاء الإخوان .. فما أعرف جماعة من المتهمين – ويتأدب القلم فلا يقول المجرمين – لا أعرف متهمين تنكروا بعضهم لبعض كما تنكر الإخوان أمام محكمة الشعب .. فراح "الأخ" يرمي التهمة على أخيه .. ويحاول جاهداً أن ينقذ نفسه وعنقه ولو دقت أعناق إخوانه أجمعين !

بضع حقائق

والذين تتبعوا هذه القضية وأداروها وما دار فيها – ومن الحق أن أنوه بفضل الإذاعة المصرية في إذاعة أدوار المحاكمات أولاً بأول – يخرجون بهذه النتائج أو هذه الحقائق ..

أولاً : أقطاب هذه الجماعة التي تزعم أنها قامت لنشر تعاليم الإسلام وتبصير المسلمين بأمر دينهم الحق .. أقطاب هذه الجماعة لا يعرفون شيئاً من أصول دينهم .

وقليل منهم الذي يحفظ بعض آيات القرآن ، وأقل القليل الذي درس التفسير أو يحفظ الحديث ، وقد امتحنت المحكمة بعضهم فسقط في الامتحان .

ثانياً : كلما ارتفع مقام (الأخ) في الجماعة كلما هبط نصيبه من الشجاعة والصراحة وازداد نصيبه من الجبن والمراوغة والنفاق .. واذكروا شهادة الثعلب المراوغ خميس حميدة ومقامه الكبير في الجماعة هو نائب المرشد العام ! والواقع أن الجبن والمراوغة واللف والدوران كان من نصيب الإخوان المتعلمين المثقفين لحملة الشهادات العليا والدبلومات .. ومنهم القاضي والمحامي والصيدلي وخريج كلية الزراعة أو كلية العلوم .

وكانت الصراحة أو الشجاعة الأدبية من نصيب الأميين أو أنصاف الأميين مثل يوسف طلعت ومحمود عبد اللطيف !

أما المتعلمون فقد علمهم العلم كيف يلفون ويراوغون ويداورون

ثالثاً : جاء في الأنباء – أن بوليس الأسكندرية "ضبط" في مسكن قطب كبير من أقطاب الإخوان صندوقاً من الويسكي .. وأسفر تحقيق البوليس عن أن الأخ المسلم الكبير المذكور كان يعاشر سيدة يونانية معاشرة الأزواج .. من غير عقد زواج !!

هؤلاء هم الإخوان ! .. وهم المسلمون ! وهم الذين زعموا أنهم قاموا ليجاهدوا في سبيل الله وليعلو كلمة الإسلام وليبصروا المسلمين بأمور دينهم الحنيف !

رابعاً : تبين من التحقيقات وأقوال الشهود أن نظام الجماعة قام على أسس مقتبسة من نظم البوليس السري في روسيا (الأوجيو) والجستابو في ألمانيا و (الافرا) في إيطاليا الفاشية .. ففي كل من هذه الانظمة كان يوجد جواسيس وراء الجواسيس ! وإرهابيون وراء الإرهابيين .. فكان برياً في روسيا وهملر في ألمانيا النازية يعهد إلى بعض رجاله بمراقبة البعض الآخر من رجاله .. كما أنه كان يأمر بعض الإرهابيين باغتيال الإرهابيين الذين لم تعد لهم فائدة أو الذين يخشى من ثرثرتهم أو افتضاح أمرهم

وقد تبين أن الجهاز السري في جماعة الإخوان كان يسير على هذه النظم ، ومن هنا اغتال إخوان إرهابيون زميلاً لهم هو المهندس السيد فايز لأنه (ثرثر) وتحدث بما لا ينبغي أن يتحدث عنه ..

ومن هنا كذلك اعترف يوسف طلعت أنه كان هناك وراءه من يهدده بالقتل إذا هو حاد عن الطريق ! .. الطريق الذي رسمه سلاح الغدر والإرهاب !

عقوبة الإخوان

وجاءني بالبريد خطابان طريفان .. أحدهما يسألني كيف يمكن لعاقل أن يصدق أن النيابة العمومية تسمح للنوبي الذي عثر على مسدس محمود عبد اللطيف بالحضور من الإسكندرية إلى القاهرة سائراً على قدميه ومع المسدس ، ويمضي الخطاب فيقول أن هذه الواقعة تكفي وحدها للتدليل على أن الحكاية كلها مسرحية مزيفة !

والخطاب حديث كما يدل خاتم البريد على الغلاف .. ومعنى هذا أن صاحب الخطاب لا يقرأ الصحف ولا يسمع بالاعترافات التي أدلى بها في محكمة الشعب محمود عبد اللطيف وهنداوي وإبراهيم الطيب والهضيبي ويوسف طلعت .. الخ .. الخ .

أو لعله سمعها كلها ولكنه مع ذلك يكذبها ويكذبهم . وهذه عقليته المخدرة والسلام !
والخطاب الآخر من (أخت مسلمة) وهو خطاب طويل ومكتوب باللغة العامية .. وانقل منه هذه
العبارات كما كتبتها (الأخت المسلمة) ..

**أمن العدل أن يعذبوا الإخوان بوضع السبرتو على أرجلهم ويشعلون فيهم النيران ! أمن الحق
يوضع على أجسامهم الزفت المغلي .**

وضمير الغائب يعود هنا إلى الحكومة التي وضعت السبرتو على "أرجل" الإخوان ووضعت
الزفت المغلي على أجسامهم؟!!

هكذا تقول (أختنا المسلمة) .

كأنها لا تعيش في مصر وكأنها لم تقابل أحدًا من الذين شهدوا جلسات المحاكمة ليؤكد لها أن
(إخوانها المسلمين) قد مثلوا جميعًا أمام محكمة الشعب وهم في أتم صحة وعافية وليس في أبدانهم أثر
لعذاب أو تعذيب .. ولو كان وقع شيء من هذا لكانوا انتهزوا فرصة وجودهم في المحكمة وأعلنوا
وفضحوا الحكومة على مسمع من المئات الذين يشهدون جلسات المحاكمة ! ولكنها عقلية الإخوان
والأخوات !

ثم تمضي (الأخت المسلمة) في خطابها وتقول :

**... وكفاية الإبر التي يحقنوا بها الإخوان علشان تلخبط عقولهم وتحل أسنتهم وتغيبهم عن
وعيمهم علشان لم يقولوا الحقيق .**

ولعمري ما قرأت عبارة حوت من المتناقضات قدر ما حوته هذه العبارة !

ما حاجة الحكومة مثلا بالسبرتو وإشعال النار ووضع الزفت المغلي .. ما دامت عندها هذه الأبر
التي تحل عقدة اللسان ؟

كذلك كنا نسمع عن أبر أو حقن تحل عقدة اللسان ليقول الصدق .. ولكن – لا أنا ولا أنتم – سمعنا
عن أبر تنطق المرء بالكذب ! وأي كذب ! وأي خيال وأي اسهاب في التفاصيل !

أنا شخصيًا مستعد لأن استعمل هذه الأبر .. لكي اتفرغ بعدها لكتابة القصص المثيرة التي سوف
تنافس قصص إسكندر ديماس !

ولكنها عقلية الإخوان والأخوات !

وتختم (أختنا المسلمة) خطابها بهذه العبارة :

... وإذا كان حد بيرسل لك جواب تهديد وأنت إيه ذنبك أنت عبد المأمور .. وعشمننا في وجه الله .

أي أنني كتبت عن الإخوان ما كتبت نزولاً على أمر الحكومة؟!!

ومثلي طبعاً جميع الصحفيين والكتاب في مصر ... ومثلنا طبعا الصحافة الاجنبية ووكالات الأنباء الاجنبية ومحطات الإذاعة في الخارج . فهؤلاء جميعا كتبوا وتحذثوا وأذاعوا الكثير عن جرائم الإخوان وتدابيرهم الجهنمية ..

ولكن (أختنا المسلمة) تعذرنا وتعذرهم لأننا وهم عبيد مأمورون !
عشمتنا في الله خير حقا أن يرد على هؤلاء الإخوان .. والأخوات عقلهم المسلوب !

ليس هناك إخوان ... وإخوان

أغالب العقل والمنطق لكي أحسن الظن بهذا النفر من كبار جماعة الإخوان الذين وقفوا أمام محكمة الشعب يعلنون استنكارهم لجماعة القتل والغدر .. ويؤكدون إيمانهم بأن دين الإسلام ينهي عن القتل والغدر ... ويبدون سخطهم على حسن الهضيبي وما جرته سياسته على جماعة الإخوان .. ويفخرون بأنهم تركوا الجماعة أو استقالوا منها بعد أن انحرفت (الدعوة) عن سيرتها الأولى كما رسمها المرحوم حسن البنا .. وقد انحرفت كما أكدوا أمام محكمة الشعب لدواع شخصية وأغراض ذاتية كانت تساور نفس حسن الهضيبي وبطائته التي اصطفأها وقربها إليه دون سائر الإخوان .

أغالب العقل والمنطق لكي أحسن الظن بالسادة الأفاضل عبد الرحمن البنا وعبد المعز والبهبي الخولي والكثيرين غيرهم من جماعة الإخوان الذين ينكرون علمهم بوجود جهاز سري أو أسلحة وذخائر أو تنظيمات سرية أو سياسية وخطط مرسومة للقيام بعمليات اغتيال ونسف وإرهاب .

أغالب العقل والمنطق لكي أصدقهم وأحسن الظن بهم ، ولكن العقل يأبى ويتمرد ، والمنطق قاطع قاس لا يلين .. وكلاهما - العقل والمنطق - لا يؤمنان إلا بالوقائع الثابتة المؤيدة بألف دليل ودليل ..

.. وكلاهما - العقل والمنطق - لا يؤخذان بالزيف والتشويه . ولا بهز الرعوس انكارا واستنكاراً ! .. ولا باللحي التي لم تهتز أسي وغضباً .. إلا بعد وقوع الفأس في الرأس .. ولا بالدموع التي تجري على الوجنات حسرة على ما أصاب (الدعوة) من انحراف ..

كأن الدعوة لم تنحرف إلا في عهد حسن الهضيبي وحده .. أما في عهد (الإمام الشهيد) فأنها كانت تسير على صراط مستقيم !؟

وهذا هو الخطر الذي نوشك أن نعرض له طوائف السذج وما أكثرهم في هذا البلد !

وهذه هي الغلطة التي نوشك أن نتعثر في حبالها حتى لتضطرب في يدنا موازين القانون والعدل والإنصاف .. فنفرق بين إخوان .. وإخوان .

وعندي أن الإخوان جميعا سواء ..

سواء في المسؤولية .. وإن تكن مسنولية كل منهم بقدر معلوم ، وسواء في المبدأ والغاية وتحقيقها والوصول إليها بوسائل الاغتيال والإرهاب .

وسواء في العلم بوجود جهاز سري مسلح مدرب على فنون حرب العصابات .
وسواء في شهوة الحكم والرغبة في الاستيلاء على سلطات الحكم بالقوة والارهاب ..
عندي أن الإخوان جميعاً سواء ! ..

سواء منهم الذين بقوا مع الهضيبي واخلصوا لبيعته ومشوا وراءه لا يسألونه إلى أين ؟
وسواء منهم الذين اختلفوا معه وانشقوا عليه .. لأنه – كما زعموا – قد انحرف بالدعوة عما كانت
عليه في عهد إمامهم الشهيد رضي الله عنه ورضوان الله عليه !

وعندي أن حسن الهضيبي لم ينحرف قيد شعرة عن دعوة حسن البنا ولم يحد عن صراطها
المستقيم .

وإلا فليقل لي أحد أين هو وجه الانحراف ؟ .. وأين هي الفروق بين نشاط الجماعة في عهد
الهضيبي .. ونشاطها في عهد (الإمام رضوان الله عليه) ؟

نشاط إجرامي إرهابي هنا .. ونشاط إجرامي إرهابي هناك !

جهاز سري هنا .. وجهاز سري هناك !

ورئيس الجهاز السري هنا اسمه يوسف طلعت .. وكان اسمه هناك عبد الرحمن السندي !
وأسلحة وذخائر ومدافع هنا .. ومثلها هناك .

ومحاولة اغتيال قائد الثورة وإخوانه والضباط الأحرار ..

ويقابلها هناك اغتيال أحمد ماهر والنقراشي والخازندار وسليم زكي ونسف مبنى محكمة الاستئناف
.. وإلقاء القنابل على دور السينما والمحال التجارية .

والجهاز السري برياسة يوسف طلعت كان خاضعاً مباشرة لحسن الهضيبي .

والجهاز السري برئاسة عبد الرحمن السندي كان خاضعاً مباشرة لرضوان الله عليه !

أي فرق اذن بين هؤلاء الإخوان .. وهؤلاء الإخوان ؟

وأي شيء وقع في عهد حسن الهضيبي ولم يقع مثله في عهد حسن البنا إمامهم الشهيد ؟

ولكنهم يزعمون أنهم تركوا الهضيبي وثاروا عليه ، لأنه انحرف عن الدعوة لدواع شخصية
وأغراض ذاتية ؟

وهل كان اغتيال أحمد ماهر في عهد المرحوم حسن البنا لدواع وطنية قومية ؟

أم أن الرجل قتل خيانة وغدرا لأنه – كما ظنوا – أسقط حسن البنا في الانتخابات ، ومن هنا اجتمع
مكتب الإرشاد وقرر في جلسة سرية قتل أحمد ماهر ؟

وهل كان اغتيال النقراشي والخازندار لدواع وطنية أو دينية روحانية ؟

النقراشي الذي وقف في مجلس الأمن .. يقول للإنجليز (ياقرصنة اخرجوا من بلادنا !)

الخازندار الذي حكم بذمة القاضي في قضية نسف وتدمير إرهاب .. وما كان في مقدوره أمام أدلة الاثبات أن يحكم بغير هذا ! بل لو أن حسن البنا نفسه كان في مركزه لما استطاع أن يحكم بغير ما حكم به الخازندار؟

هؤلاء هم الشهداء حقا .. ومعذرة يا إخوان !

أعود فاسأل هؤلاء السادة الأجلاء من كبار الإخوان الذين كنت أحب أن أحسن بهم الظن .. لولا أن العقل يأبى والمنطق يثور ..

أعود فاسألهم : ما الذي حدث اليوم في عهد المرشد حسن الهضيبي .. ولم يحدث مثله بل أكثر منه في عهد المرشد الشهيد ؟

هذه الجرائم . جرائم القتل الغادر والاختيال والنسف والتدمير ! هذه الجرائم التي وقعت في عهد المرحوم حسن البنا وبإيد أفراد من الإخوان ومن أعضاء الجهاز السري كما ثبت من التحقيقات ومن أحكام القضاء ..

هذه الجرائم هل وقعت بعلم حسن البنا أو من غير علمه ومن غير أذنه ؟

لو كانت جريمة واحدة لقلنا ربما وقعت بغير إذن منه ! .. ولكنها جرائم وجرائم وقعت خلال أربع سنوات من ١٩٤٥ إلى ١٩٤٨ .. وفي كل مرة كان يضبط فيها الفاعل المجرم فإذا به أخ من (إخوانكم المسلمين) ، فما الذي فعله يومئذ الامام الشهيد الذي لم تنحرف الدعوة في عهده عن صراطها المستقيم ؟ .

ما الذي فعله – وهو باعترافكم وشهادتكم جميعا الأمر النهائي في شئون الجماعة ، العالم بكل ما ظهر وما خفى .. العملاق الجبار الذي تنحني له رعوس الإخوان سمعا وطاعة ؟

ما الذي فعله رضوان الله عليه ؟ هل أنكر او استنكر ؟ .. أو بكى واستبكي .. وندب حظ الإسلام والمسلمين؟

هل حل جهازه السري .. أو ذهب إلى الحكومة وقال لها أجمعي هذه الأسلحة من أيدي هؤلاء المجرمين العتاة ؟

وأنتم يا رفاق الإمام الشهيد – بين صحابة وتابعين .. وهذه القابكم وصفاتكم مادام أحدكم قد وقف في محكمة الشعب يقارن بين حسن البنا ومحمد ﷺ ! – وأنتم يا أخيار يا أبرار يا أبرياء من كل دم زكي أريق .. يا حريصون على سلامة الدعوة وطهارة دين الإسلام .. يا من غضبتكم لانحراف الهضيبي وعصابته .. أنتم ماذا فعلتم يومئذ ؟ ..

هل سألتهم إمامكم الشهيد لماذا يقتل " أخوكم المسلم " العيسوي الدكتور أحمد ماهر ؟

ولماذا يقتل أخ منكم النقراشي ؟ .. وأخ ثالث منكم القاضي الخازندار ؟

هل سألتموه في هذا .. وناقشتموه وحاسبتموه .. ثم غضبتهم وخرجتم وتركتموه ؟

أم سكتم .. وتجاهلتم ما لا يجهل .. ورضيتم أن تكونوا صمًا بكما أو طراطير ؟

تماما مثل زملائكم الطرايطير في عهد الهضيبي ...

ثم جئتم أمام محكمة الشعب تتحدثون عن الدعوة وانحرافها وعن إمامكم الشهيد رضوان الله عليه !
.. ولولا بقية من حياء لقال أحدكم "صلوات الله عليه" .

رضوان الله على من أنشأ الجهاز السري وزوده بالسلاح ودربه على فنون القتل والاعتقال .. باسم الدين .

ورضوان الله على من اغتيل في عهد أحمد ماهر الوطني الشجاع ، والنقراشي الطاهر الذليل ،
والخازندار القاضي العف النزيه ..

وأعود مرة أخرى فاسأل : هل وقع حقيقة انحراف في عهد الهضيبي ؟ أم أن الانحراف داء قديم؟ ..

واذن فيم الخلاف ؟ وفيم الخروج على الهضيبي وشق عصا الطاعة عليه ؟

هذا ما يجب أن يعرفه الشعب وما أكثر طوائف السذج فيه الحقيقة التي يجب أن تعلن هي أنه ليس
هناك إخوان ... وإخوان . بل أن الجميع سواء ... وأن الجميع أقروا الغدر والقتل والارهاب .. والجميع
أقروا قيام جهاز سري ، وأقروا سياسة الاستيلاء على الحكم بالقوة المسلحة ..

هذه هي الحقيقة أو الحقائق أو الحقائق التي يجب أن تعلن حتى لا يخدع البسطاء والسذج بدعوي
هذا النفر من كبار الإخوان الذين يزعمون اليوم أنهم خرجوا على الهضيبي لأنه انحرف بالدعوة عن
صراطها المستقيم .

ولقد بينت بدلائل الواقع القاطع الذي لا يأتيه الباطل ، أن الهضيبي لم ينحرف بل كان أخلص
المخلصين للدعوة كما رسم سيرها الامام الشهيد رضوان الله عليه !

أخلص المخلصين لأنه قوي الجهاز وأعاد تنظيمه من جديد وزوده بالأسلحة والذخيرة .

وأخلص المخلصين لأنه أقر سياسة الإرهاب أو على الأقل لم يقاومهما ولم يعترض عليها !

فكيف إذن تتهمون الرجل ظلما بالانحراف ؟

فيم اذن الخلاف بينكم وبين الهضيبي ؟

لم يكن الخلاف على مبدأ أو غاية أو على وسيلة . وإنما كان الخلاف على المناصب والسلطة في
جماعة الإخوان ومكتب الإرشاد هل تحتفظون بسلطاتكم التي كانت لكم في عهد المرحوم حسن البنا ؟ ..
أم تتخلون عنها لهؤلاء الغرباء الدخلاء " العيال " - على حد تعبير أحدكم - الذين أتى بهم حسن
الهضيبي ومكن لهم في الجماعة وأولاهم ثقته وقربهم إليه ؟

وقد نظر بعضكم إلى حسن الهضيبي نفسه على أنه دخيل عليكم ، فكيف يرث حسن البنا في عزه
ومقامه وسلطانه ؟

بل كيف يرث في لقبه لقب (المرشد العام) ..

والذي يقرأ أقوال الأستاذ عبد الرحمن البنا شقيق الأمام الشهيد يشعر أن الخلاف دب أول ما دب يوم اتخذ الهضيبي لنفسه لقب المرشد العام ! وكان عبد الرحمن يريد أن يظل هذا اللقب وقفا على شقيقه حسن رحمة الله عليه !

هذه هي حقيقة أو حقائق الخلاف ..

لا خلاف على غاية وشهوة في الحكم !

ولا خلاف على وسيلة من وسائل الإرهاب والاعتقال ..

وإنما خلاف على المناصب والسلطات .. وكيف يجوز في شرع الله وشريعة الدعوة أن يتقدم عليكم منير الدله وحسن العشماوي وصالح أبو رقيق وغيرهم من الهلافيت أو العيال الذين لا سابق تاريخ لهم في خدمة الجماعة .. ولا هم مثلكم من الصحابة والتابعين ؟ !

* * *

هذه هي الحقائق التي يجب أن تعلن .. لأنني أشفق على طوائف السذج والبسطاء أن تؤخذ بأقوال هذا النفر من كبار الإخوان ..

.. وأن تعود (الدعوة) - إياها ! - سيرتها الأولى .

والذين خرجوا مع السيد عبد الرحمن السندي لا يزالون موجودين !

ومخابئ الأسلحة والذخائر لا تزال سليمة لم تمس ..

والأسلحة التي وجدت أقل بكثير من الأسلحة التي لم يعثر عليها بعد ..

والجهاز السري القديم قد يبعث من جديد ..

وقد تنحي اليوم رعوس إلى أن تمر العاصفة بسلام ! فإذا ما اطمأنت عادت ورفعت رعوسها لتبشر بالجهاد وتلتفن المؤمنين سورة آل عمران !

هذا ما أخشاه .. وأشفق منه على هذا البلد الذي لم ينكب في تاريخه الحديث بقدر نكبته بهذه

الدعوة .. دعوة الإخوان المسلمين !

دعوة الإخوان كما صورها الأستاذ عبد القادر عودة أمام محكمة الجنايات حين سأله الأستاذ حماده

الناحل عن رأيه في اغتيال النقراشي ..

لقد ابتسم ساعتئذ وكيل الإخوان وقطب الدعوة وأجاب :

- النقراشي ؟ .. عيل داسته عربية الإخوان !

وما أكثر "العيال" الذين كانت عربية الإخوان تنوي أن تدوسهم في طريقها إلى الحكم والسلطان!

* * *

تعبيئة قوى النشر والإرشاد !

لو كان الأمر بيدي لأصدرت أمراً أو قانوناً عبأت بموجبه جميع قوى الدعاية والنشر والتوجيه والإرشاد لفضح أعمال جماعة الإخوان وتبصير الشعب بمقدار ضلالهم وخستهم ونذالتهم وفداحة الجرم الذي اقترفوه في حق دين الإسلام .

ولن تأتي قوى الدعاية والنشر بأقوال أو حجج من عندها .

بل سوف تكتفي بالأقوال التي أدلي بها هؤلاء الشهود (الإخوان) في ساحة القضاء أمام محكمة الشعب .. والأقوال التي أدلوا بها في محاضر التحقيق .

وأن في هذه وتلك ما يصلح لأن يكون موضوعاً ومادة لعشرات المقالات وعشرات الأحاديث وعشرات الخطب التي تلقي في المساجد أو من محطة الإذاعة .

مثلاً .. هذه المسرحية أو هذه المأساة (الأخ المسلم) محمود الحواتكي يقسم بالله العظيم ثلاثاً أن (أخاه المسلم) إسماعيل محمود كاذب في أقواله .

و(الأخ المسلم) إسماعيل يقسم بالله العظيم أن (أخاه المسلم) محمود الحواتكي هو الذي يكذب في أقواله .

ويقول لهما قائد الجناح جمال سالم :

– لا بد أن يكون أحدكما كاذباً وحانثاً في يمينه بالله العظيم .

ويوافق الأثنان على أن أحدكما كاذب !

والشاهد أو (الأخ المسلم) الآخر الذي بيدي أمام المحكمة آسفه وندمه ويعلم أنه لو كان قد عرف عن هذه الجماعة ما عرف اليوم لما انضم إليها .. ويكي حسن لأن الجماعة قد رمته هو وشقيقه المحبوس معه في هذه المصيبة وليس للعائلة سواهما !

والشاهد أو (الأخ المسلم) الآخر الذي يزعم أنه لم يقبل الانضمام إلى الجهاز السري إلا ليكون "صمام الأمان" لمنع وقوع الجريمة ..

ثم تبين من مناقشته واستجوابه أنه كاذب .. وأنه لم يقصد في ساعة ما أن يكون "صمام أمان" ، بل دخل الجهاز السري وهو مفتوح العينين وعالم مقدماً أن مهمة الجهاز وهي القتل والنسف والاختيال ..

وخامس وسادس وسابع وثامن ... إلى آخره ...

جميعهم أقسموا اليمين على المصحف الكريم أن يقولوا الحق . ولكنهم لم يقولوه كله ، لأن كلا منهم كان كل همه أن ينجو بجلده وأن يرمي التهمة على "أخ مسلم" آخر .. وأن يتوب اليوم ويندم ويأسف ويتحسر .

وهو لم يتب ويندم إلا بعد أن أصبحت عنقه في قبضة القانون .

أهذا هو الإسلام الذي علموه ولقنوه على أيدي زعماء جماعة الإخوان!؟

أهذه هي الدعوة أو دعوة الفدائية والاستشهاد في سبيل الله!؟

أهذا الجبن والانحلال الخلقي والقسم كذبا بالله العظيم هي كل ما تعلموه في جماعة الإخوان؟

أهؤلاء هم "الرجالة" أو "الرجال" الذين أراد حسن البنا أن يربيهم ليخوض بهم البحار؟

هؤلاء الكاذبون الحانثون في إيمانهم المتهالكون على النجاة بجلودهم بأية وسيلة أشبه بفيران السفينة عندما تشرف على الغرق؟

لقد كنت أمقت الواحد منهم ولكني كنت أحترمه لو أنه وقف أمام محكمة الشعب وقفة الرجل الذي لا يبكي ولا يحاول إصاق التهمة بآخرين .. ولا يندم ولا يتخاذل .

الرجل الذي كان يقول لمحكمة الشعب أنه فعل ما فعل عن عقيدة .. وأنه ليس نادماً على ما فعل .

الرجل الذي كان يتحمل نصيبه من المسؤولية كاملاً ويقف في ساحة القضاء مرفوع الرأس ثابت الجنان قوي الإيمان بأن ما فعله كان حقاً في سبيل الله .. وفي سبيل ما قد يلقي من قصاص !

كنت أحترم هذا "الأخ المسلم" ولكنني لم أجده ..

كلهم – وبعد أن دخلوا السجون وأطبقت على أعناقهم يد القانون – كلهم بكوا وندموا وأسفوا وراحوا مثل جردان السفينة يتلمسون أسباب النجاة . !

وهذه هي الدعوة التي أفلحت جماعة الإخوان في نشرها وتلقينها .

الدعوة إلى الجبن والكذب والنفاق .

موضوع ومادة لعشرات المقالات والخطب والأحاديث .. وكما قلت – لو كان الأمر بيدي – لعبأت كل القوي ولو لمدة أسبوع واحد لفضح هذه الجماعة التي لا يلمس الناس اليوم أثراً واحداً لها في خير أو فضيلة .. ولكنهم يلمسون لها عشرات النقائص والردائل تعلن عنها أقوال واعترافات إخوانها المسلمين !

وكانوا قد رأوا من قبل الدم الزكي الذي أريق .. والأرواح البريئة التي أزهقت برصاص الغدر والارهاب !

والله يتولاها بحسابه .. والله منتقم جبار .

لؤلؤم تهتز يد محمود عبد اللطيف إرهاب بالجملة

بقلم الأستاذ على أمين

لؤلؤم تهتز يد محمود عبد اللطيف

ماذا كان يحدث لمصر لو لم تهتز يد محمود عبد اللطيف ؟ كانت الخطة الموضوعية هي قتل جميع أعضاء مجلس قيادة الثورة والتخلص من ١٦٠ ضابطاً بالقتل أو الخطف ثم تأليف وزارة تأنمر بأمر الإخوان لتمهيد الطريق لحكومة من الإخوان .

فماذا كان يحدث لو تولى الإخوان الحكم ؟

سيماً الهضيبي ١٢ وزارة خالية بأثني عشر عضواً من مكتب الإرشاد ..

وسيغضب مائة عضو لم يجد لهم وزارات ! وسيقول السمكري محمود عبد اللطيف أنه صاحب الانقلاب وسيطالب بوزارة ! وسيقول المحامي هندأوي دوير أنه العقل وراء الانقلاب لأنه اختار السمكري ويطلب بوزارة ، وسيقول عبد القادر عوده أنه هو الذي أختار المحامي الذي اختار السمكري وسيطالب بوزارة لنفسه أيضاً !

وسيقبض الهضيبي على السمكري ومحامي السمكري ومحامي محامي السمكري ويضعهم في السجن !

ويجتمع المائة عضو الذين خرجوا من المولد بلا حمص ويؤلفون جهازاً سريراً للخلاص من الهضيبي .

وتنتقل ٨ رصاصات أخرى ! وإذا طاشت فسيقبض الهضيبي على المائة عضو وإذا أصابت فسينفذ أعضاء الجهاز السري الجدد الخطة الموضوعية ويقتلون جميع وزراء الهضيبي ويتخلصون من ١٦٠ من أنصاره بالقتل أو الخطف ثم يتولون الوزارة !

وتمتلى ١٢ وزارة بأثني عشر عضواً من مكتب الإرشاد ويغضب الباقي !

وتنتقل ٨ رصاصات أخرى وتكرر الانقلابات !

ولكن ماذا سيحدث لمصر خلال هذه الفترة ؟

أن الأستاذ الهضيبي يرى أن الفائدة التي تتقاضاها البنوك تتنافى مع الإسلام .. ولذلك سيمنع البنوك من أن تتقاضى فوائد من المدينين .. ولما كانت البنوك ليست جمعيات خيرية فسترفض أن تقرض أحداً .. ولما كانت كل الشركات والمصانع لا تستطيع أن تعيش بغير تمويل البنوك فستقفل كل

المصانع أبوابها ، ولا يبقى في مصر إلا باعة الترمس والفول السوداني لأنهم لا يعتمدون في تجارتهم على البنوك !

وستغلق كل الشركات الأجنبية أبوابها وتسرح عمالها وموظفيها ، لأنها لا يمكن أن تتعامل إلا على أساس القانون المدني الحديث ، وحكومة الإخوان ستطبق القانون الذي كان متبعًا منذ ألف عام !

وستمتلئ الشوارع بالعمال العاطلين ، والبطالة ستشجع الإجرام ، فتتألف عصابات لقطع الطريق وسلب المارة .

وستغلق حكومة الإخوان المسارح والملاهي وتمنع بيع الخمور .. وسينقطع على الفور مورد السياحة ، فالسائح لا يمكن أن يزور بلدًا لا مسارح فيه ولا ملاهي ، وستستأنف عصابات لتهديب الخمور إلى داخل القطر فتضيع من الدولة ملايين الجنيهات التي تتقاضاها من رسوم الجمارك وتدخل في جيوب المهربين !

وستلزم حكومة الإخوان المرأة المصرية بأن تلتزم بيبتها وإذا خرجت منه فلن تخرج إلا وعلى وجهها برقع كثيف ! وستمنع دخول أدوات الزينة والتواييت لأنها تزيّف الملامح التي خلقها الله ! وستغلق المحال التجارية أبوابها ، وستضيع من الدول ملايين أخرى كانت تتقاضاها من رسوم الجمارك على أدوات الزينة .

وستواجه الدولة بسبب هذه الإجراءات بنقص ضخم في ميزانيتها يصل إلى حوالي المائة مليون جنيه في العام . فتبدأ في فصل الموظفين وتخفيض عددهم إلى النصف ثم تضطر إلى تخفيض مرتبات الباقين إلى النصف !

وستقف المشروعات ، وسيبقى القطن مكسًا في مزارع الفلاحين ، لأن معظم مستوردي القطن سيرفضون التعامل مع حكومة من المتعصبين .

وستلغي اللغات الأجنبية ، وتفرض الكتب العربية القديمة على المدارس والجامعات فلا يدرس طلبة طب إلا كتاب ابن سينا ولا يدرس طلبة الطيران إلا مخاطرات ابن فرناس الذي حاول أن يطير منذ ألف سنة في الجو بجناحي طائر فسقط قتيلًا !

وسيغلق الحلاقون محالهم لأنه سيصدر قانون يلزم كل الرجال بإطلاق ذقونهم !

وستختفي السيارات وتحل محلها العربات الكارو !

وستختفي البنطلونات وتحل محلها الجلابيب والقفاطين !

وسيغلق أطباء العيون والآذان عياداتهم ، لأن السعداء في عهد الإخوان هم الذين لا يبصرون ولا يسمعون .

ولهذا شاءت رحمة الله بمصر وشعب مصر أن يهتز المسدس في يد عبد اللطيف .

إرهاب بالجملة

اعترف الإخوان أنهم هم الذين قتلوا النقراشي رئيس الوزراء والخازندار رئيس المحكمة وحاولوا نسف محكمة الاستئناف ودور السينما والمنشآت العامة ، واعترف الهضيبي أن رئيس الجهاز السري

استأذنه أخيراً في عمل مظاهرات مسلحة ، وأنكر الهضيبي أنه استؤذن في اغتيال جمال عبد الناصر ، فإذا كان هذا صحيحاً فمعنى ذلك أن الجهاز السري اعتبر أن اغتيال رئيس وزراء مصر وأعضاء مجلس قيادة الثورة و ١٦٠ ضابطاً وعشرات من المدنيين المصريين من المظاهر البسيطة للمظاهرات المسلحة وأن لا داعي لاستئذان المرشد العام في هذه المسائل الصغيرة !

وهذه الاعتراف من أخطر الاعترافات التي أذيعت في تاريخ الجماعات والأفراد ، فقد تعودنا أن يتبرأ الزعماء من أعمال الإرهاب التي اشترك فيها بعض أنصارهم ، بل يتبرأون من هؤلاء الأنصار ويقسمون أنهم اندسوا خلسة في صفوفهم ، ولكن الهضيبي اعترف هذا الأسبوع بأن كل جرائم الاغتيالات والنسف التي حدثت في تاريخ مصر الحديث كانت من تدبير الإخوان وتنفيذهم .

وخطورة هذا الاعتراف أن الاغتيال السياسي عادة هو حماقة يرتكبها شاب مجنون .. ولكن حين يصبح هذا الاغتيال سياسة مرسومة لجماعة من الناس ، يختلف الوضع ، ويتطلب الأمر علاجاً سريعاً حاسماً .

فهذا الإرهاب لم يعد فكرة للخلاص من حاكم ، وإنما أصبح وسيلة سياسية للخلاص من كل إنسان يختلف مع أعضاء الجهاز السري !

فإذا رأى أعضاء الجهاز السري أن دخول السينما حرام ، فسينسفون دور السينما بمن فيها من سيدات وأطفال . وقد حدث هذا فعلاً فنسفت سينما مترو ونسفت سينما ميامي ! وإذا رأى أعضاء الجهاز السري أن محكمة الاستئناف تطبق القانون المدني ولا تطبق قانون الجهاز السري ، فمن حق هذا الجهاز أن ينسف المحكمة بمن فيها من مستشارين وقضاة ووكلاء نيابة ومتقاضين وكتبة وشهود .. وقد حاولوا فعلاً نسف المحكمة منذ سنوات .

وإذا اختلف أعضاء الجهاز السري مع عضو من أعضائه القدامى فمن حقهم أن يقتلوه نسفاً كما قتلوا السيد فايز ونسفوا معه شقيقه الصغير الذي لم يزد عمره على ثلاث سنوات .

وإذا اختلف أعضاء الجهاز السري مع رئيس محكمة في طريقة تنفيذ قانون العقوبات ، فمن حق أعضاء الجهاز أن يقتلوا رئيس المحكمة غدراً . وقد حدث هذا وقتل الخازندار !

وإذا اختلف أعضاء الجهاز السري مع رئيس الحكومة فمن حقهم أن يقتلوه .. كما قتلوا أحمد ماهر والنقراشي وحاولوا قتل جمال عبد الناصر !

وإذا رأى الجهاز السري أن التعليم في جامعة القاهرة يعتمد على الابحاث الاجنبية والكتب العلمية غير العربية ، فمن حقهم أن ينسفوا جامعة القاهرة بمن فيها من طلبة وطالبات وأساتذة ! وإذا رأى الجهاز السري أن سيدات البيوت يخرجن في الشارع سافرات وهذا لا يتفق مع تقاليد الجهاز ، فمن حقهم أن يقتلوا كل سيدة تسير سافرة في الطريق العام ، وأن ينسفوا دار كل فتاة تطل من النافذة أو تحلق شعرها على طريقة مارلين مونرو !

فالارهاب لم يعد موجهاً ضد زعيم أو رئيس حكومة ، وإنما أصبح موجهاً ضد جميع طبقات الشعب . وكميات الجليجنايت والدينامين التي كانت مخبأة ، لم تكن معدة لقتل جمال عبد الناصر وحده

ولا لقتل زملائه التسعة ولا لقتل ١٦٠ ضابطاً من الضباط الأحرار .. إنها كانت معدة لقتل عشرات الألوف من أفراد الشعب .. معدة لقتلي وقتلك ! معدة لقتل أبلك وهو في السينما ، وزوجتك وهي تشتري من المحل التجاري وأخيك وهو يعمل في المؤسسة ، ووالدك وهو يشهد في المحكمة .

فالمواد الناسفة لا تصوب إلى فرد وإنما إلى مجموعات . المارة في الشارع .. النائمين في بيوتهم .. الجالسين على مكاتبهم.

فقضية الإرهاب لم تعد قضية الحاكم .. لقد أصبحت قضيتك أنت وقضيتي وقضية أسرتك وأسرتي .. وقضية شعب بأكمله !

ويوم نقضي على هذا الإرهاب تستطيع أن تخرج من بيتك وأنت واثق أنك ستعود إليه فلا تجده أنقاصاً !

* * *

الإرهاب

بقلم الأستاذ كامل الشناوي

أحق هذا أم خيال...؟

ديناميت ، مدافع ، قنابل ، مسدسات ، بنادق ، ألغام ، أجهزة سرية تصنع الإرهاب والخراب

لمن هذه الاستعدادات كلها ؟ ان كانت للعدو فلماذا هي سرية ؟ إنها لنا نحن .. لحريتنا ، لأفكارنا ، لآرائنا ، لعقائدنا ، لأعمارنا .. انها تهديد للحاكم والمحكوم معا ، بل هي أخطر على المحكوم ، لأن الحاكم يستطيع أن يواجه الحديد والنار بالحديد والنار .. أما المحكومون العزل من السلاح فكيف يحمون أنفسهم من السلاح ؟ كيف يغمضون أعينهم وفي كل جدار احتمال لوجود مخزن ذخائر كيف يقفون أو يقعدون .. ؟ وتحت كل أرض احتمال لوجود قنابل مخبأة ؟ .. كيف يمشون والطريق نار ولغم .. ؟ وكيف يمارس أعمالنا والدمار يكمن في كل مكتب وكل مدرسة ، وكل دكان .. ؟ حتى حقول الزراعة أصبحت هي الأخرى ملغمة .. !

إن هذا الإرهاب هو حكم على مصر بالشلل ، والتأخر والفرع .. إنني لا أعجب كيف استطاعت السلطات أن تضع يدها على كل هذه الأحوال ، ولكني أعجب كيف استطاع الإرهابيون أن يصنعوا كل هذا وهم آمنون مطمئنون ؟

إنني حزين أن يوجد إنسان واحد ، لا جماعة منظمة ، يصنع الموت للناس ، ويحترف التخريب والتدمير ، وأن قلبي ليقطر حزنا إذا كانت هذه الجماعة ترتكب جرائمها بأسم الإسلام ، وتجد من يصدقون دعواها !

أن الإسلام الذي يدعو إلى المحبة والسلام برئ من أسلحة المقت والختل والاعتيال ، الإسلام الذي يقول كتابه الكريم : "وَجَادِلْهُمْ بآلَتِي هِيَ أَحْسَنُ" .

لا يقر الجدل بالمسدسات والمدافع والمتفجرات .

الشعب الذي يقول : لا

بقلم الأستاذ جلال الدين الحمامي

كلما قرأت الاعترافات التي يدلي بها المتهمون في قضايا الجهاز السري للإخوان المسلمين أحسست بالإشفاق والألم .. الإشفاق على مصر التي سعت طويلاً نحو الاستقرار ، فلما أوشكت أن نحققه أبى فريق من أبنائها إلا أن يحيلوا هذا الاستقرار إلى فوضى ، وخراب ، ودمار .. سعيًا وراء حكم ، وجرياً وراء سلطان !!

أما الألم .. فمن أجل أولئك الذين اعترفوا بأنهم كانوا ضحية لعملية من أخطر عمليات الخداع والتخدير السياسي ، وبأن فهمهم لاتفاقية الجلاء كان من زاوية عكسية ، صنعها المتآمرون وحاولوا بها أن يثيروا الناحية الوطنية في قلوب بعض المساكين من الفئات التي تسمع لنفر من الناس ، ولكنها لا تبحث ، ولا تدقق !

وهذا الألم من جانبي ، لا يعني العطف على هؤلاء الجهلاء ! أو أن يكون مقدمة للمطالبة بمعاملتهم بالرأفة .. بل لعل ما أريده هو العكس ، فقد حان الوقت لكي نطالب كل مواطن بالألّا ينصاع إلا لضميره ، وحكمه الشخصي .. بل يجب عليه أن يسأل بنفسه ويقراً بنفسه ان أمكنه أن يقرأ ويواصل الدرس والبحث قبل أن يبدي رأيه النهائي ..

أن من الخطأ القول بأن الثورة قد قضت تماماً على العقلية القديمة ، التي كانت تركع بأرائها للزعامات والقيادات ، فما زال الانصياع الأعمى قائماً ، وما زالت هناك زعامات تسعى إلى إذلال الناس ، وجبرهم على الأذعان لأرائهم الخاطئة المضللة .

لهذا نرى أن هذه الفترة التي تمر بها مصر – وهي أخطر فترات تاريخها الحديث – يجب أن تكون فترة تطهير من التعصب .. بل يجب أن تكون فترة تطهير من كل الآراء التي يراد فرضها بالدم ، حتى نظهر في عهد الاستقلال بمظهر العارفين بقيمة الاستقلال في الرأي ، والفكرة . والمبدأ ... والحكم على الأشياء بحقائقها الكاملة .

اننا نريد شعباً يقول "لا" ، يقولها في كل وقت ، وفي كل حين ، متى تطلب الموقف أن يقول كلمة "لا" ، وبغير هذا .. ما قيمة الاستقلال ؟

تجارب الأبطال ..

قلم الأستاذ ناصر الدين النشاشيبي

في بيت جمال عبد الناصر ، وعلى المقاعد القليلة التي صادقت رجال الثورة فسمعت أحاديثهم وحبست أسرارهم ورأت في اليوم الموعد فجر ثورتهم .. في ذلك البيت الفقير بكل ما فيه الغني بكل من فيه ، جلست إلى رئيس وزراء مصر أستمع إليه وهو يروي على مسمعي قصة ذلك اليوم :

يوم المنشية .. وثمانى رصاصات .. وربع مليون إنسان .. !

وقلت لجمال عبد الناصر :

هل هي التجربة الأولى ؟

وضحك الثائر الأول وقال :

— لعلها العاشرة .. بل المائة ، بل الألف ! فقد واجهت رصاص إسرائيل شهورًا طويلة وأنا انتقل بين الفالوجه و "عراق المنشية" .. كان طريقي في تلك الأيام هدفًا دائمًا لرصاصهم وقنابلهم .. كنت أقطع أميالًا طويلة وأنا أرافق الانفجارات وأداري الألغام . كان الموت سميري وملازمي وصديق أيامي .. وقد عرفته ورأيتة وعشت معه . والذي يواجه الموت من أجل فلسطين .. لا يهرب منه من أجل مصر .. !

قلت : وهذه التجربة الأخيرة ..

تجربة المنشية والرصاصات الغادرة الثماني ؟

وبنفس الأعصاب الهادئة الصخرية ، الأعصاب التي هيأت للثورة أسبابها يوم طردت فاروق وألغت الملكية واقتحمت الصعاب وحققت الجلاء .. بهذه الأعصاب الطيبة التي لا تتحكم ولا تستبد ، بدأ جمال عبد الناصر يقول لي :

— لم تصدق عيناى ما سمعته أذناى ! لم أصدق أن هذا الوهج الذي يلهب بصري هو النار التي تحمل معها رصاصات الغدر إلى صدري . لم أصدق أن بين هذه الآلاف التي احتشدت أمامي تهتف بحياة مصر ، إنسانا واحدًا يهتف بحياة الموت لجمال عبد الناصر ، كان صوت الرصاص يقرع سمعي وأنا أسائل نفسي في أسى وذهول ، أنا .. ؟ أنا المقصود .. ؟ !

ومضى جمال يقول :

وسمعت الرصاصات الأولى فالثانية فالثالثة فالرابعة .. وحاولت أن أتقي باقي الرصاصات فأحنيت رأسي قليلا ثم عدت لأواجه بقية الغدر والجبن والخيانة . ولم أعد أرى شيئا أو أحس بشيء ... لقد رأيت أمامي جموع الناس تتدافع في زعر وهلع وسمعت في أعماق نفسي صوتا يهتف بي لمناداتها فأدعوها للبقاء ، لقد صرخت بدمي وأعصابي أيها الرجال فليبق كل في مكانه ! ، ورحت أكرر هذا النداء في

عبارات سريعة متتالية ، لقد شعرت بواجبي في أن أعيد إلى ذلك الجو هدوءه واستقراره ، وكان يهمني الا يعكر أمن ذلك البلد الحبيب أي حادث ولو كان حادث إعتداء على حياتي وفرحت وأنا أرى الجموع المحتشدة تعود إلى أماكنها في لحظات خاطفة وتمنيت لو كان هناك مصور صحفي ليسجل بعدسته هذه الدقائق القليلة الخالدة فيبرز صورة الجماهير وهي تتدافع أثر الحادث تبحث عن مفر ، فإذا بها تسمع صوتي وتلبي ندائي وتعود إلى أماكنها في هدوء ونظام ..

وقال جمال :

لقد شعرت بأيد كثيرة تجذبني وتشدني إلى مقعدي .. كانت جهود رفاقي تنحصر في منعي عن الكلام رحمة بجهدي وصحتي وحالتي .. كانت أيديهم تعارك جسمي في قوة لا أحس بها ولكني أدفعها بقوتي وإصراري على متابعة الكلام .. وتكلمت .. وصوت الرصاصات مازال يقرع مسمعي .. ووهج النار يلهب بصري .. وأصوات خفية صارخة تهتف بي في حيرة وذهول : أنا .. ؟ أنا المقصود ؟!

وخفض صوت جمال وهو يقول :

لقد عزت على مصر ، وعزت على نفسي ، وعز على مشهد الجماهير الوفية البرينة تهتف بحياة مصر ، وحياتي . وتهدج صوتي واستبد بي التأثير المؤلم فسمعت نفسي أقول للناس .

— روجي لكم .. دمي من أجلكم .. أنا فداء لكم !

وسكت جمال ثم رفع رأسه ليقول لي :

— تلك هي قصتي .. فهل من سؤال !

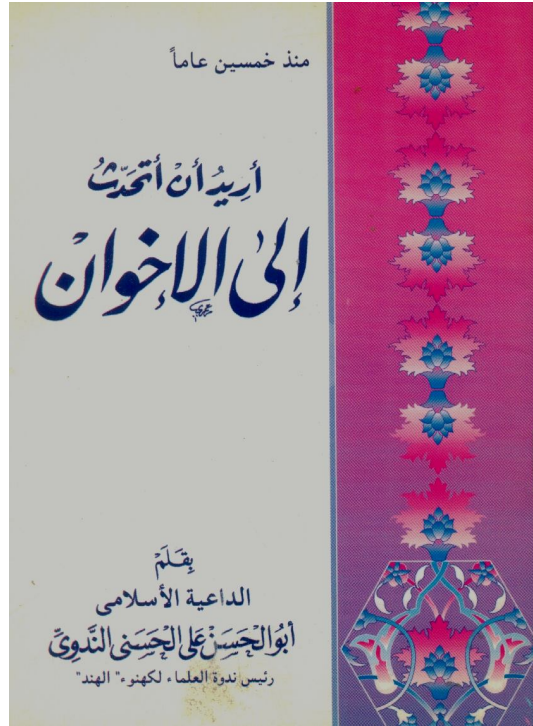
قلت : لا !

قال : فلأسألك بدوري .. ما رأيك أنت ؟

ووجدت نفسي أتمتم أمامه :

— حفظك الله .. وهداهم !

(٢)



تقديم:

في شخصية الإمام أبي الحسن الندوي نجد الصورة المثلى للداعية الإسلامي في العصر الحديث فقد ولد في أسرة مسلمة عريقة (عام ١٩١٤) في الهند وترى تربية إسلامية وتضلع في العربية واختير أميناً عاماً لندوة العلماء عام ١٩٦١ ، وأمضى حياته كلها في زيارات للعالم الإسلامي وللعالم الأوروبي مباشرةً بالإسلام ، وقد جمع حمية وإيمان الهنود وعقل وتفكير المحدثين وإخلاص وإيمان الأسلاف ، وقد زار القاهرة واجتمع بالإخوان وأصدر رسالته تلك .

ووجدنا لدينا طبعتين طبعة من لجنة الشباب المسلم التي تكونت في الأربعينات وضمت مجموعة من شباب الإخوان المتطلعين إلى آفاق جديدة ، أخذوا لهم مكاناً يجاور المركز العام للإخوان بميدان الحلمية ، وأصدروا فيما أصدروا كتابات أبو الأعلى المودودي ، وقد طبعت بالمطبعة السلفية سنة ١٣٧١ ، والأخرى أصدرتها دار التوزيع والنشر الإسلامية وأصدرتها في ثوب أنيق وطبعتها عام ١٩٩٩ ، وفي كل منها المقدمة التي كتبها الشيخ محمد الغزالي .

ويمكن أن نعتبر أن ندوة العلماء هي أقرب الهيئات إلى فكر الإخوان ، والفرق أنها ركزت عملها في مجال الدعوة والنشر دون أن تتورط في متاهات السياسة العامة ، وبهذا آمنت العداوات والمزالق .

جمال البناء

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقْتَلَمَاتٌ

إنها "صِبْغَةُ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً" ؟

عندما قرأنا للداعية الإسلامي الجليل العلامة أبي الحسن على الحسني الندوي رسائله التي سبقت مقدمه إلى مصر ، ثم عندما قرّرت عيوننا برؤيته وطابت نفوسنا بعشرته ، تأكّدت لنا الحقيقة الكريمة وزدنا بها إيماناً ، وهي أن الإسلام على اختلاف الأمكنة والأزمنة يصنع نفوس أتباعه على غرار واحد ، ويجعل المشابهة قريبة جداً بين نظرتهم إلى الأشياء ، وأحكامهم على الأمور . وأن انفجار الوعي الإسلامي في مصر والشام والهند والمغرب تمخض عن نفر من الرجال الأمجاد أحسنوا فهم الإسلام وأحسنوا العمل له ، فضمهم – من حيث لا يشعرون – نهج واحد في الإصلاح ، ولفتهم عاطفة واحدة نحو ما يعترض المسلمين من عوائق ويُرمون به من مكاييد وخصومات .

أصغينا إلى الأستاذ وهو يحدث عن إخواننا المسلمين بالهند ويؤرخ لسير الإسلام هنالك ، فرأيناه يبصر الأسباب الخفية ولا تخدعه حركة عما وراءها ، وأصغينا إليه يصف مشاعره نحو إخوانه المسلمين بمصر خاصة والشرق الأوسط عامة فرأيناه فطنا إلى التيارات المتضاربة مقدراً لجهود الدعاة المخلصين ، ومقدراً كذلك ما يزحم طريقهم من صعاب ، وهو مع تمسكه الشديد بالإسلام شكلاً وموضوعاً – حتى ليظنه السطحيون متزمتاً – تراه واسع منادح النظر ، مرناً في مواجهة ما يرضى وما يسخط ، مرونة الخلق العالي لا مرونة التحلل وقلة الاكتراث .

وكم يحتاج رؤساء الهيئات الإسلامية عندنا إلى هذا المسلك الراشد .

زارنا الأستاذ أبو الحسن – ونحن نكافح الأمر العسكري بحل جماعتنا – فتعهدنا الرجل الحصيف بنصحه ، وقام بحق الإسلام عليه في توجيهنا إلى مرضاة الله وخدمة دينه ، وحفظ المقدرات العظيمة التي آلت إلينا من أسلافنا الأمجاد ، والثبات ضد أمواج الغزو الصليبي والتبشير الثقافي الذي يرمينا الغرب به بين الحين والحين .

وتحرى أن نلتزم في جهادنا للإسلام الأساليب الإسلامية نفسها ، فإن الخير لا يدرك إلا بالخير ، وهيهات أن نصل إلى حق بباطل ، وقد سجل هذه النصائح في الرسالة التي نتشرف بتقديمها للإخوان المسلمين .

ونحن إذ نشكر الله سبحانه على ما أتاح لنا من خير عندما ساق لنا الأستاذ أبا الحسن ، فإننا نعاهده على أن نظل ما حيينا أبناء بررة للقرآن الكريم ، وجنوداً مهرة في تنفيذ أوامره وبلوغ أهدافه .

محمد الغزالي

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوان والسادة ! كان من أعز الأمانى وأحلى الأحلام عندي أن ألتقي في مصر بفضيلة الأستاذ الشيخ حسن البنا المرشد العام للإخوان ، ولكن تأخرت زيارتي لمصر لأسباب قاسرة ، واستأثرت به رحمة الله وسبقت له الحسنى ، ولا أزال طول عمري ألوم نفسي على هذا التقصير والتأخير في السفر، على أن ما فات الإنسان من خير لم يكن ليذكره وكان أمر الله قدرًا مقدورا ، وليس لي عزاء عن هذا الحرمان إلا في وجودكم والاجتماع بكم والحديث معكم ، فأريد أن أحييكم تحية كنت أحييها فقيد الإسلام ، وأبث إليكم ما في قلبي من خواطر وأفكار وآمال وآلام ، وما أحمل لهذه الدعوة العظيمة وصاحبها من التقدير والإجلال والحب والإخلاص ، وما يخامر نفسي في ذلك من سرور وأمل ، وما يساور نفسي كذلك من إشفاق ووجل ، فأرجوكم أن تسمحوا لأخيكم بشيء من التفصيل وتكرموا عليه بشيء من وقتكم العزيز .

لستم في حاجة أيها الإخوان الكرام أن أصور لكم العالم الإسلامي وما تجتاحه الآن من موجات سياسية واقتصادية وخرافية ، وأصف لكم الأخطار المصلتة على رقاب المسلمين وما أصيب به العالم ويستقبله من نكبات ومصائب ، فأنتم من أعلم الناس بها ، ولكن الذي أريد أن أقول لكم إنه في حيرة عظيمة وارتباك شديد ، إنه يتأرجح بين عوامل متناقضة وقوى متنافسة .

إن العالم الإسلامي حائر اليوم بين دين لا يسهل عليه العمل به والقيام بمطالبه لعادات نشأ عليها ، وحكومات أفسدته ، وتعليم أزاغه ، وشهوات لا تتفق مع عقيدته ورسالته ، وبين جاهلية لا ينشرح لها صدره لإيمان لا تزال له بقية فيه ، وقومية عجنت مع الإسلام وحضارة تخمرت مع الدين .

إن العالم الإسلامي حائر بين شعوب مسلمة بسيطة في عقليتها ودينها ، وحكومات داهية لم تنتشر صدور رجالها لهذا الدين ولم تطاوعهم نفوسهم على العمل به ، ولكنهم يصرون على أن يحكموا هذه الشعوب التي تؤمن بهذا الدين ، ولا يرون حياتهم وشرفهم إلا في البقاء في الحكومة ، ولا يرون لهم محلا في الحياة إلا الزعامة والحكومة ، ولا موضعا في العالم إلا المجتمع الإسلامي الذي ولدوا ونشأوا فيه ، فالشعوب في تعب منهم وهم منها في بلاء وعناء .

إن العالم الإسلامي حائر بين فطرته التي تنزعه إلى الدين وتاريخه الذي يدفعه إلى الإيمان والجهاد، والكتاب الذي يقبل به إلى الآخرة ويبعث في نفسه الثورة على المجتمع الفاسد والحياة الزائفة ، وبين التربية العصرية التي تزين له المادية وتطبعه على الجبن والضعف والزعامة التي تفرض عليه الاتكال على الغير والاعتماد على العدو والفرار من الزحف . إن العالم الإسلامي حائر بين شباب ثائر ودم فائر وذهن متوقد وأزهار تريد أن تتفتح ، وبين قيادة شائخة شائبة قد أفلست في العقلية والحياة وحرمت الابتكار والإبداع ، والشجاعة والمغامرة .

إن العالم الإسلامي حائر بين مواد خامة من أقوى المواد وأفضلها في الإيمان والقوة والشجاعة ، وبين موجهين وصناعيين لا يعرفون قيمة هذه المواد ولا يعرفون أين يضعونها وماذا يصنعون منها . هذا هو العالم الإسلامي الذي يواجهه العالم اليوم فلا يجد فيه غناه ، ولا يجد فيه غوثاً ومعقلاً عن لصوص العالم المنظمين وذئاب الإنسانية التي تحكمت وعاثت فيها .

ثم هذا هو العالم العربي الذي تعيشون فيه أيها السادة ، وهو اليوم مع كل أسف أضعف أعضاء جسم العالم الإسلامي . وقد كان واجبا أن يكون أقواها وأصحبها وأن يكون في العالم الإسلامي بمنزلة الرأس أو القلب في البدن ، وقد تضافت عليه عوامل الافساد والضعف فأحدثت فيه علة كثيرة ، وقد ولد فيه ضعف الحكم التركي وغفلته عن تعليم الشعوب وتربيتها ، وإنفاقه الأموال في غير موضع والاحترام في غير وقت ، وعسفه في غير هواة ؛ أورث كل هذا البطالة وسقوط الهمة والجهل المطبق في كثير من البلاد العربية ، وجاء الاستعمار الأوروبي فأورث التفسخ في الأخلاق والانحلال في الدين والاندفاع المتهور إلى المادية والتهالك على الشهوات ، وقامت الحكومات الشخصية فأورثت التملق وكثرة المجاملات والنفاق والخنوع للقوة والمادة ، ثم جنى عليه قربه من أوروبا فكان هدفا لتياراتها المدنية ومنتجاتها الصناعية ، وأفكارها المتطرفة ، وأساء إليه موقعه الجغرافي وأهميته السياسية والاستراتيجية فلج به الغرب وطمع فيه الاستعمار وطوقته الجنود الأجنبية ، وكان من بقايا الحضارة الشرقية والنظام الإقطاعي والحكم الشخصي الترف والبذخ والتفاوت الشديد بين الطبقات في المعيشة ، ثم كان أن خفت في العالم العربي صوت الدعوة الدينية من زمان ، وانقرض الرجال الذين كانوا يكفحون المادية ويكبحون جماحها ويلطفون من حدتها بدعوتهم إلى الله وإلى الآخرة وإلى الزهد والاعتدال في الحياة وقمع الشهوات ويشعلون جمرة الإيمان ، واستسلم العلماء ورجال الدين أمام تيار الغرب وتغيرات العصر فوضعوا أوزارهم للمدنية الغربية ، وهجم عليه الأدب الشهواني والصحافة الماجنة ، فحلت العقد ونفخت في الشهوات ، واجتمع بعض ذلك إلى بعض حتى أصبح هذا العالم منحلا منهاراً متداعياً ، لا يمسه الإيمان ، ولا تحفظه القوة المعنوية ولا تقف في طريق اندفاعه دعوة قوية .

في مثل هذه الفترات المظلمة والسحب المتركمة كان الله يبعث الأنبياء والمرسلين في الزمن السابق ، ولكن نبوءة محمد ﷺ لم تكسف شمسها ولم يتوار نورها ، وإن دينه لا يزال حيا ، وإن الكتاب الذي جاء به لا يزال محفوظا ، وإن أمته التي أرسلت معه لتبليغ رسالته والقيام بدعوته لا تزال على وجه الأرض ولا تزال فيها الحياة والروح ، لقد أغنانا الله بفضل دينه المحفوظ وكتابه المتلو ونبوءة محمد ﷺ الخالدة عن رسالة جديدة ورسول جديد ، ولكن لا بد من تجديد واسع ، ودعوة صارخة وكفاح شديد يغير هذا الوضع الجاهلي الذي تورط فيه العالم الإسلامي تورطا قبيحاً وأمعن فيه العالم العربي إلى أبعد حد ، وقد وعد الله وأخبر رسوله باستمرار هذه الدعوة الإسلامية وبقاء التجديد الديني ودوام الكفاح في تاريخ الإسلام ضد الجاهلية التي ترفع عقيرتها زمناً بعد زمن وحيناً بعد حين ، وقد أصبح خطب العالم الإسلامي وفساد أحوال المسلمين وانحرافهم عن جادة الإسلام وطغيان بحر المادية أعظم وأوسع من أن يتدارك بجهود فردية وخطب منبرية ودروس دينية ورسائل دورية ومباحثات فقهية ومسائل جزئية ومحاربة الأفراد والأشخاص ، إن السيل لا يمسه إلا سيل مثله ، والتيار لا يدفعه إلا تيار أقوى منه ،

فلا بد من كفاح عنيف وصراع شديد يغير مجرى الزمن ويقلب تيار الحياة من جهة إلى جهة ويحدث انقلاباً في المجتمع والحياة وفي الأذواق والرغبات وفي قيم الأشياء وموازينها .

من هنا كان سرورنا عظيماً لما رأينا نوراً جديداً على أفق العالم العربي . ظهرت دعوة الإخوان من مصر – زعيمة العالم العربي ومصدر الخير والشر للشرق الأدنى – فتجدد الأمل في مستقبل الإسلام، واعتقدنا أنها هي الدعوة المنتظرة لإحياء المسلمين ، وهي التي ستحقق آمال المصلحين وأحلامهم ، وتتدارك هذا العالم المنهار وتمسك به ، وما لبثت أن تحولت هذه الدعوة إلى سيل متدفق وتيار جارف ، فأمسك سيول الإباحة والتحلل والإلحاد واللا دينية ، وصد تيارات المدنية الغربية التي كادت تجرف بالبقية الباقية من الغيرة الإسلامية والحياة الدينية وأصبحت تؤثر في حياة البلاد تأثيراً قوياً كاد يغير اتجاه البلاد ، وقد اجتمع لهذه الدعوة خصائص كثيرة لم تجتمع على ما علمنا منذ أمد بعيد لحركة دينية وإصلاحية في هذا البلد :

(١) منها شخصية الداعي الأول وهو فضيلة الأستاذ الشيخ حسن البنا رحمة الله عليه ، فقد كانت كما بلغنا شخصية فريدة يظهر من حياة صاحبها ونشأته أنها قد أعدت لهذا الأمر العظيم إعداداً ، وقد كان رحمه الله يجمع بين الفهم الواسع للإسلام والغيرة الملتهبة عليه والنشاط الدائم والعمل المتواصل لإعلانه والخطابة الساحرة والشخصية الجذابة والنفوذ العميق في نفوس أصحابه وإخوانه أو بلفظه هو نفسه "الفهم الدقيق ، والإيمان العميق ، والحب الوثيق" ، ولا بد للزعيم المسلم وقائد الدعوة الدينية أن يجمع بين هذه الصفات .

(٢) اجتمع لهذه الدعوة ما قلما يجتمع للحركات الدينية من قوة الإيمان وقوة العمل ، والعلم العصري والتنظيم الحديث ، والأدب والصحافة ، والصناعة والتجارة ، مما جعل هذه الدعوة دعوة شعبية عصرية عامة ، يجتمع فيها العالم الديني مع المثقف المدني مع التاجر الكبير مع العامل الصغير مع الكاتب الأديب مع الصحفي البار مع الصانع الماهر مع الفلاح القوي مع الطالب الشاب مع المعلم الوقور مع الموظف المسئول مع الطبيب النطاسي مع المحامي الكبير مع السياسي المحنك ، تجمع بينهم رابطة الإخوان وتربطهم شخصية الداعي الكبير .

(٣) لقد بعثت تربية الداعي والاشتغال بالدعوة ورد الفعل ضد التحلل والتفسخ حماسة عظيمة وتماسكاً عجبياً في نفوس الدعاة وجعلت من الشعب "الرخو الرقيق" – كما قال زعيم من زعماء الإخوان – شباناً أثبتوا بطولتهم في حرب فلسطين ، وجددوا ذكريات تاريخ الجهاد الإسلامي ، وأثبتوا رجولتهم وعصاميتهم في عهد الاعتقال والمحنة والتعذيب .

(٤) امتاز الداعي الأول والدعاة بدورهم بالتصريح بالحقائق الإسلامية والظهور في المظاهر الدينية التي كان الناس يخلعون منها ، فنشجع الناس وأصبح الدين في هذا البلد شيئاً لا يخجل منه المثقفون والمتطرفون ، وبدأ الناس يصلون في المقاهي والأندية والولائم وقارعة الطريق بعدما كانوا يستحيون من ذلك ، وأصبح الخطباء والكتاب يطالبون بالحكم الإسلامي وتطبيق أحكام الإسلام الاجتماعية ويثيرون موضوعات دينية كانت وقفاً على رجال الدين ولم تكن تتجاوز دائرة البحث العلمي ، ولا شك أن ذلك من نتائج الحركة الإسلامية القوية .

كان كل ذلك ، ولو طالبت حياة المرشد العام وجرت المياة في مجاريها لكان أكثر من هذا ، لتغيير الوضع الاجتماعي والخلقي للبلاد ، وماتت بدع كثيرة وعاشت سُنين ميته ، وأقفر الحانات وعمرت المساجد ، وتوارى الفجار والدعاة إلى الإباحية والخلاعة ، وكسد الأدب السافر الفاجر ، واحتجبت المجالات الماجنة والصحف الخليعة ، وخف السفور الوقح واختلاط الرجال بالنساء ، إلى غير ذلك من العيوب الخلقية والاجتماعية التي يعانيتها المجتمع .

ولكن البلاد لم تستطع أن تقدر هذه النهضة قدرها ، كما أن المعدة الضعيفة المريضة لا تستطيع أن تهضم الغذاء الصالح القوي فتتخم في بعض الأحيان ، فكان كل ما يعلمه الجميع ، وكانت كارثة إسلامية لم يخسر فيها الإخوان فقط ، بل خسر فيها الإسلام وزرئ بها العالم الإسلامي .

ولكني أعتقد أيها السادة أن الله سبحانه وتعالى قد أراد بهذه الدعوة خيرا إذ ردها قسراً إلى مرحلة الدعوة الأولى لتزداد هذه الدعوة نضجاً وليزداد رجالها تربيةً وحنكة ومبادئها رسوخاً وقوة ، وأخذ بنواصي العاملين الدعاة ليفكروا في مستقبل هذه الدعوة ويرسموا خطتها ويحكموا وضعها وأسلوبها .

ليس خطب الدعوة الدينية والتجديد الإسلامي بهين أيها الإخوان الكرام ، فليست رسالتها ومهمتها قلب نظام فقط أو تغيير وضع سياسي بوضع سياسي آخر ونظام اقتصادي بنظام اقتصادي آخر ، ولا نشر الثقافة والعلم ، ومكافحة الأمية والجهل أو محاربة البطالة والتعطل ، أو معالجة عيوب اجتماعية أو خلقية ، إلى غير ذلك مما يقوم له الدعاة والمصلحون في أوروبا وفي الشرق . وإنما هي دعوة "الإسلام" التي تشمل العقيدة والأخلاق والأعمال والسياسة والعبادة والسلوك الفردي والاجتماعي ، وتتناول العقل والقلب والروح والجسم ، وتعتمد على تغيير عميق في القلب والنفسية والعقيدة والعقلية ، وتتبع من القلب قبل أن تتبع من قلم أو صحيفة كتاب أو منصة خطاب ، وتنفذ على جسم الداعي وحياته قبل أن يطالب بتنفيذها على المجتمع والأمة .

هذه الدعوة كانت جديرة في الحقيقة بالأنبياء ومواهبهم وقواهم ورسالتهم وإيمانهم وجهادهم وثباتهم وفقههم وحكمتهم وإخلاصهم ، ولكنها ليست خاصة بالأنبياء بل هي دعوة خلفائهم وأتباعهم كذلك ودعوة كل عصر ومصر ، وحاجة الإنسانية كلها والعصور كلها ، فلا بد أن تجدد في كل زمان وفي كل محيط ، وتكون على أساس دعوة قوتهم ، مطابقة لسيرتهم مقتبسة من مشكاتهم . فلنرجع إلى هذا المصدر ولندرسه دراسة عميقة واسعة .

إذا تتبعنا أيها الإخوان سيرة الأنبياء عليهم السلام في دعوتهم رأينا جوانب كثيرة تمتاز بها سيرتهم وتقوم عليها دعوتهم ، وأريد أن أشارككم في دراسة هذه السيرة وطبيعة هذه الدعوة فأعرض عن إنكم بعض النقط المهمة التي تفرق بين سيرتهم ودعوتهم ، وبين سيرة القادة والمصلحين من عامة البشر .. منها :

(١) الالتجاء إلى الله في جميع مراحل الدعوة والجهاد ، بل في جميع مراحل الحياة ، والاطراح على عتبة عبوديته اطراح الفقير الكسير ، والارتقاء في أحضان رحمته ارتقاء الطفل الصغير في أحضان أمه ، والإيمان القوي بأنه هو النافع الضار والناصر الخاذل ، وأن لا مانع لما أعطي ولا معطي لما مانع ، ولا كاشف لضره ، ولا ممسك لرحمته . ولا سهل إلا ما جعله سهلاً وهو يجعل

الحزن سهلاً ، وينصر الضعيف على القوي والقليل على الكثير ، والضعيف مع نصره قوي ، والقليل مع رحمته كثير ، هذا الايمان كان يوحى إليهم بالابتغال في الدعاء وإطالة الوقوف ببابه وشدة الالتزام بأعبائه والإلحاف في المسألة ، ويلهم المعاني العجيبة والتعبيرات الرقيقة ، انظروا أيها الإخوان إلى قول سيد الأنبياء وسيد الدعاة إلى الله إلى يوم القيامة وهو يمثل خير تمثيل لإيمانه وشعوره بفقره وضعفه وافتقاره إلى رحمة الله "اللهم إنك تسمع كلامي وترى مكاني ، وتعلم سري وعلانيتي ، لا يخفي عليك شئ من أمري ، وأنا البائس الفقير المستغيث المستجير الوجل المشفق المقر المعترف بذنبه ، أسألك مسألة المسكين ، وأبتهل إليك ابتغال المذنب الذليل ، وأدعوك دعاء الخائف الضرير ، ودعاء من خضعت لك رقبته وفاضت لك عبرته ، وذل لك جسمه ، ورغم لك أنفه ، اللهم لا تجعلني بدعائك شقياً ، وكن لي رعوفاً رحيماً يا خير المسؤولين ويا خير المعطين" ، واذكروا دعاءه - ﷺ - في الطائف وقوله "اللهم إليك أشكو ضعف قوتي ، وقلة حيلتي وهواني على الناس ، يا أرحم الراحمين إلى من تكلني ، إلى عدو يتجهمني ، أم إلى قريب ملكته أمري ، إن لم تكن ساخطاً على فلا أبالي ، غير أن عافيتك أوسع لي ، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ، من أن يحل بي غضبك أو ينزل علي سخطك ، لك العتبي حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة إلا بك" ، واذكروا موقفه في بدر قال ابن إسحاق "ثم عدل رسول الله - ﷺ - الصفوف ، ورجع إلى العريش فدخله ومعه فيه أبو بكر ليس معه غيره ، ورسول الله - ﷺ - يناشد ربه ما وعده من النصر ، ويقول فيما يقوله "اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد" (١) .

هذه كانت عدة الأنبياء عليهم السلام وقوتهم ومفتاح دعوتهم ، فقد امتازت دعوتهم بتقدير الدعاء والاهتمام به والابتغال فيه ، وليس الدعاء إلا رمزاً للإجابة إلى الله والاعتماد عليه والاعتزاز به ، فامتازت دعوتهم وجهادهم في سبيلها بطابعهما الروحي والإيماني ، وقد روى أنه كان - ﷺ - إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة ، وقال الله تعالى {وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ} ، ولا شك أن مهمة الدعوة أعظم من أن يضطلع بها الإنسان بقوته الجسدية وعدته المادية وكفايته العلمية والعقلية ، لا يستقل بها إلا بالقوة الروحية ونصر الله ومعونته ، وإن هذه الصخور العظيمة بل الأطواد الشامخة التي تقف في سبيل الدعوة وتهجم على رعوس الدعاة وتصطدم بجهودهم لا تذوب إلا بنصر الله الذي يستنزل بالدعاء والاتجاه إليه .

(٢) امتازت دعوة الأنبياء وجهودهم بتجردها من التفكير في المنافع المادية والثمرات العاجلة ، فكانوا لا يبتغون بدعوتهم وجهادهم إلا وجه الله ، وامتنال أوامره وتأدية رسالته ، تجردت عقولهم وأفكارهم من العمل للدنيا ونيل الجاه وكسب القوة لأسرتهم أو أتباعهم والحصول على الحكومة ، حتى لم يخطر ذلك ببال أصحابهم وأتباعهم ، وكانت هذه الحكومة التي قامت لهم في وقتها والقوة التي حصلت لهم في دورها لم تكن إلا جائزة من الله ووسيلة للوصول إلى أهداف الدين وتنفيذ أحكامه وتغيير المجتمع وتوجيه الحياة كما قال الله تعالى {الَّذِينَ إِنْ مَكَّأَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ} ، ولم تكن هذه الحكومة قط غاية من غاياتهم أو هدفاً من أهدافهم أو حديثاً من أحاديثهم أو حلماً من أحلامهم ، إنما كانت نتيجة طبيعية

(١) سيرة ابن هشام ، ج ٢ ، ص ٢٧٩ .

للدعوة والجهاد ، كالثمرة التي هي نتيجة طبيعية لنمو الشجرة وقوة إثمارها ، وقد قال كاتب هذه السطور في رسالته (بين الهداية والجبابة) ما يحسن نقله هنا :

"بعث محمد - ﷺ - فدعا الناس إلى الإسلام فالتف حوله {فَتِيَّةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَرَزَقْنَاهُمْ هُدًى * وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ الْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا * هُوَ لَاءَ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا} وكان هؤلاء الفتيان هدف كل قسوة وظلم واضطهاد ، وبلاء وعذاب ، وقد قيل لهم من قبل {أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ} فصددوا لكل ما وقع لهم وثبتوا كالجبال ، وقالوا {هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ} حتى أذن الله في الهجرة ، ولم تنزل الدعوة تشق طريقها وتؤدي أكلها حتى قضى الله أن يحكم رجالها في العالم ويقوموا القسط ويخرجوا الناس من الظلمات إلى النور ومن عبادة العباد إلى عبادة الله وحده ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، فقد عرف أنهم إذا تولوا وسادوا {أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ} .

وهكذا جاءت الدعوة بالحكومة ، كما تأتي الأمطار بالخصب والزرع ، وكما تأتي الأشجار بالفاكهة والثمر ، فلم تكن هذه الحكومة إلا ثمرة من ثمرات هذه الدعوة الإسلامية ، ولم تكن هذه العزة والقوة إلا نتيجة ذلك العذاب الذي تحملوه من قريش وغيرهم وذلك الهوان الذي لقوه في مكة وغيرها .

وفرقت كبير - أيها السادة - بين الغاية التي تقصد والنتيجة التي تظهر ، ويظهر هذا الفرق في نفسية العامل والساعي ، فالذي يقصد الحكومة يتوانى ويقعد إذا لم ينلها أو انقطع أمله فيها ، ويشغل بها عن الدعوة ويطنغي إذا نالها ، وخطر على كل جماعة تتكون عقليتها بحب الحكومة والسعي لها أن تقعد عن الجهاد في سبيل الدعوة أو تتحرف وتزيغ في قصدها ، لأن أساليب الوصول إلى الحكومة تخالف أساليب الدعوة .

فيجب علينا أن ننقي عقولنا ونفوسنا ونجردها للدعوة وللدعوة فحسب والخدمة والتضحية والإيثار وإخراج الناس بإذن الله من الظلمات إلى النور ومن الجاهلية إلى الإسلام ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ومن جور الأديان المحرفة والنظم الجائرة والمذاهب الغاشمة إلى عدل الإسلام وظله ، ولا يكون دافعنا إلى العمل والجهاد إلا امتثال أمر الله والفوز في الآخرة وما أعد الله لعباده من الأجر والثواب ، ثم الشفقة على الخلق والرحمة بالإنسانية المعذبة والحرص على نجاة الإنسان ، فإذا كان ذلك لا يمكن في مرحلة من مراحل الدعوة أو في فترة من فترات التاريخ - بعد تغلغل مبادئ الدعوة في نفوس الدعاة ورسوخ العقيدة فيهم - إلا بالحكومة ، سعينا لها لمصلحة الدعوة والدين كما نسعي إلى الماء للوضوء ونجتهد لهذا السبب بنفس العقلية وبنفس السيرة وبنفس العفة والنزاهة والصدق والأمانة والخشوع والتجرد الذي نجتهد معه لواجبات الدين وأركانه والعبادات الأخرى ، فلا فرق للمؤمن بين الحكومة وبين العبادات إذا حصل الإخلاص وصحت النية ، فكل في رضا الله وكل في سبيل الله وكل عبادة يتقرب بها العبد إلى الله .

(٣) ومما امتازت به حياة الأنبياء عليهم السلام وسيرتهم النبوية المثابرة على الدعوة والصبر عليها ، فلا يتخطون هذه المرحلة التي هي الأساس بسرعة وعجلة ، ولا يطفرون منها طفرا إلى مرحلة

أخرى ، بل يقضون فيها سنين طوالاً ، ولا يشتغلون بغيرها ، ولا يطمئنون إلى أن المجتمع قد عقل دعوتهم واستساغها ولا إلى الدعاة أنهم قد بلغوا رسالتهم وأدوا مهمتهم وإلى النفوس أنها قبلت هذه الدعوة وهضمتها هضمًا صحيحًا وأحلتها منها محلا لائقا وأنست النفوس باتباع الأحكام وانقاد لها جماعها ولانت لها قناتها ، لا يطمئنون إلى كل هذا حتى يتحققوه ويختبروه مرة بعد مرة فلا يخدعون عن أنفسهم ولا تغرهم بهرجة الكلام ، فكون نتيجة هذه التربية المتينة والدعوة الطويلة أنها تؤتي أكلها ناضجة شهية ، ولا تخذج الدعوة نتاجها ، فإذا قامت الحكومة قامت على أساس متين من الأخلاق ، وعلى أكتاف رجال أقوياء : أقوياء في عقيدتهم ، أقوياء في سيرتهم ، أقوياء في خلقهم ، أقوياء في عبادتهم ، أقوياء في سياستهم ، لا يندفعون مع التيار ولا تجرف بهم المدنية ولا يلعب بعقولهم الغني بعد الفقر ، واليسر بعد العسر ، والقوة بعد الضعف ، ولا تميل بهم المحسوبيات والأرحام والصدقات ، ولا تستهويهم المطامع والمنافع ، هذا كان شأن الخلافة الراشدة وهذه كانت سيرة الخلفاء الراشدين ، وهنا أنقل مرة ثانية ما قلته في رسالتي : (بين الجباية والهداية) :

"تأسست دولة الإسلام ، وفتحت فارس وبلاد الروم والشام ، ونقلت إلى عاصمة الإسلام - المدينة المنورة - كنوز كسرى وقيصر ، وانصبت عليها خيرات المملكتين العظيمتين ، وانهل على رجالها من أموال هاتين الدولتين وطرفها وزخارفها ما لم يدر قط بخلدهم ، وقد انقضى على إسلامهم ربع قرن وهم في شدة وجهد من العيش وفي خشونة المطعن وخشونة الملابس ، لا يجدون من الطعام إلا ما يقيم صلبهم ولا من اللباس إلا ما يقيه من البرد والحر ، فإذا بهم اليوم يتحكمون في أموال الأباطرة والأكاسرة ، ولو أراد الواحد منهم أن يلبس تاج كسرى وينام على بساط قيصر لفعل ، لقد كانت والله هذه محنة عظيمة تزول فيها الجبال الراسيات ، وتطير له القلوب من جوانحها وتعمش العيون ، ولكنهم سرعان ما فطنوا أنهم ما وقفوا بين الفقر والغنى فحسب ، بل إنهم خيروا بين أن يتنازلوا عن دعوتهم وإمامتهم ومبادئهم وينفضوا منها يدهم فلا يطمعوا فيها أبداً ، وبين أن يحافظوا على روح هذه الدعوة النبوية وعلى سيرة رجالها اللائقة بخلفاء الأنبياء والمرسلين وحملة الدعوة المؤمنين المخلصين .

كان لهم أن يؤسسوا ملكاً عربياً عظيماً على أنقاض الدولة الرومية والفارسية وينعموا كما نعم ملوكها وأمراؤها من قبل ، فقد ورثوا الامبراطوريتين الفارسية والرومية ، وجمعوا بين موارد دولتين ، فإذا كان كسرى يترفه بموارد فارس فقط ، وإذا كان هرقل يبذخ بموارد الروم فقط ، فهذا عمر بن الخطاب يمكنه أن يترفه بموارد الامبراطوريتين ويبذخ بذخاً لم يبذخه أحدهما .

كان له ولأصحابه كل ذلك بكل سهولة ، ولكنهم سمعوا القرآن يقول { تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ } وكانهم يسمعون نبيهم - ﷺ - يقول قبل وفاته " لا الفقر أخشي عليكم ولكن أخاف أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتهلككم كما أهلكتهم " فتهتفوا عن آخرهم قائلين : " اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة ، فاغفر للأنصار والمهاجرة " .

وهكذا حافظوا على روح الدعوة الإسلامية وسيرة الأنبياء والمرسلين وعاشوا في الحكومة كرجال الدعوة ، وفي الدنيا كرجال الآخرة ، وملكوا أنفسهم في هذا التيار الجارف الذي سال قبلهم بالمدنيات والحكومات والشعوب والأمم ، وسال بالمبادئ والأخلاق والعلوم والحكم .

ما زال الناس يعدون اقتحام المسلمين دجلة بخيلهم وجندهم تحت قيادة سعد بن أبي وقاص ووصولهم إلى الشط الثاني – من غير أن يصابوا في نفس أو مال أو متاع – حادثاً غريباً من أغرب ما وقع في التاريخ ، إن الحادث لغريب ولكن أشد منه غرابية وأدعى للعجب أن المسلمين في عهد الخلافة الراشدة وعصر الفتوح الإسلامية الأولى خاضوا في بحر مدينة الروم وفارس وهو هائج مائج وعبروه ولم يفقدوا شيئاً من أخلاقهم ومبادئهم وعاداتهم ، ووصلوا إلى الشط الثاني ولم تبطل ثيابهم ، ولم يزل الخلفاء الراشدون وأمراء الدولة الإسلامية من أصحاب النبي - ﷺ - محتفظين بروحهم ونفسياتهم وزهدهم وبساطتهم في المعيشة وتخشنهم في أوج الفتوح الإسلامية^(١) .

(٤) ومن مزايا الأنبياء والدعاة إلى التجرد للدعوة والتفرغ لها بالقلب والقالب والنفس والنفيس والوقت والقوة ، فمن شأنهم أنهم يركزون جهودهم ومواهبهم ويوفرون أوقاتهم وقواهم لهذه الدعوة ونشرها والجهاد في سبيلها ، ويعطونها كلهم ولا يضمنون عليها بشيء مما عندهم ولا يحتفظون بشيء ولا يؤثرن عليها شيئاً ، لا وطناً ولا أهلاً ولا عشيرة ولا هوى ولا مالا ، ثم تثمر جهودهم وقد لا تثمر في الدنيا ، وقد تثمر بعد حياتهم ، فهذا هو النبي - ﷺ - يخاطب بقوله تعالى {وَأَمَّا تُرَيَّبُكَ بَعْضَ الَّذِي نَعُدُّهُمْ أَوْ نَتَوَقَّيْتُكَ قَالَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ} "يونس" وإذا كان هذا شأن الدعوة بعد ما أعطاهم الأنبياء كل ما عندهم فكيف بها إذا أعطيناها بعض ما عندنا ، وكانت الدعوة تملك عليهم عقولهم ومشاعرهم وتملك عليهم تفكيرهم وصحتهم ، فما زال القرآن يسلي النبي - ﷺ - ويقول له : {فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا} "الكهف" .

(٥) ومن مزايا الأنبياء عليهم السلام ومن على طريقهم في الدعوة إلى الله أن هذه الدعوة إلى الله وإلى الدار الآخرة تسري في حياتهم كما يسري الماء في عروق الشجر والكهرباء في الأسلاك وتظهر في أخلاقهم وعباداتهم ، فترق قلوبهم وتخشع نفوسهم وتزداد رغبتهم في العبادة ويشد اهتمامهم بها وحرصهم عليها وإيثارهم لحقوقها ، فعن المغيرة بن شعبة رضى الله عنه قال : قام النبي - ﷺ - حتى تورمت قدماه ، فقيل له : قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، قال : أفلا أكون عبداً شكوراً^(٢) ، وعن عائشة رضى الله عنها قالت قام النبي - ﷺ - - بأية من القرآن ليلة ، والآية {إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدَاكَ وَإِنْ تُعْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}^(٣) . وانتقلت هذه اللذة بالعبادة والاهتمام بها إلى الصحابة رضى الله عنهم في أشد الأوقات شغلاً وأقلقها خاطرًا ، حتى كان أعداؤهم يعرفون ذلك عنهم . وقد وصفهم رجل من الروم بقوله "هم فرسان بالنهار ، رهبان بالليل" ويقول قائل "لو حدثت جليسك حديثاً ما فهمه عنك لما علا من أصواتهم بالقرآن والذكر" .

(٦) ومن مزايا الأنبياء عليهم السلام ومن كان على قدمهم أنهم يأخذون بالعزيمة في الدين ولا يأخذون بالرخصة - إلا بيانا للحكم الشرعي ، وشكرًا لنعمة الله ، ورفعاً للرجح عن الأمة - ولا يعفون أنفسهم ولا يتساهلون في العبادات ، لأن إتباع الناس للدين وعملهم به بمقدار تصلب هؤلاء السادة في الدين وتمسكهم به ، فإذا اهتم هؤلاء بالنوافل اهتم الناس بالفرائض ، وإذا اكتفى القادة بالفرائض

(١) رسالة "بين الجبابة والهداية" ، ص ٧-٨-٩ .

(٢) متفق عليه .

(٣) رواه الترمذي .

استرسل الناس إلى تركها والاستهانة بحقها . لذلك كان الصحابة رضى الله عنهم وقادة هذه الأمة يشمرون عن ساق الجد في العبادات والمحافظة على الجماعات ، والعمل بالسنن الدقيقة والاهتمام بالآداب ، ولا يكتفون بالأدنى ولا يقفون عند الفريضة ، وبذلك استطاعوا أن يورثوا للدين هذا الجيل موفورًا غير منقوص ، وهو أمانة عند هذا الجيل فليُنظر كيف يورثه الأجيال الآتية .

(٧) ومما يمتاز به الأنبياء والمرسلون عن الحكماء والمؤلفين والعلماء المحققين أنهم يعنون بتربية النفوس والأشخاص الذين يضطلعون بأعباء الدعوة بعدهم وينفذون تعاليمهم ورسالاتهم علمًا وعملاً ، ومعلوم أن دعوتهم العظمى لا تقوم إلا على أكتاف الأصحاء الأقوياء الحنفاء المخلصين في إيمانهم والمخلصين في تفكيرهم والمخلصين في نياتهم ، الذين قد تنقت رءوسهم وصدورهم من ألوات الجاهلية ، والذين هضموا الإسلام هضمًا صحيحًا وانقطعت كل صلة في حياتهم عن الجاهلية بأوسع معانيها وخلقوا في الإسلام خلقًا جديدًا .

ونرى ذلك واضحًا في حياة سيدنا موسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام ، فلما كان بنو إسرائيل قد نشأوا في حياة العبودية والذل والاضطهاد والسخرة الظالمة وماتت رجولتهم وإبائهم ومردوا على الخنوع والاستكانة والخضوع للقوى الغالب ، وعلى الجبن والحرص الشديد على الحياة والخوف الشديد من الموت وأسبابه ، حتى لما قال لهم نبيهم {يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ} * قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَنْدْخُلُهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ} ولم يشجعهم على التقدم والقتال قول موسى عليه السلام {كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ} مع أنه كان ضمانا لانتصارهم ، وأخيرا قالوا بكل صراحة ووقاحة {يَا مُوسَى إِنَّا لَنَنْدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ} فظهر أن نشأتهم الأولى تأبى عليهم أن يخوضوا في معركة ويدخلوا في امتحان ويعرضوا أنفسهم للخطر ، وقطع موسى من هذا الجيل الفاسد الرجاء وقال : {رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ} هنالك أمره الله بالاعتزال مع قومه (لا عن قومه) في بيداء سينا حيث الشظف وخشونة الحياة وهنالك ينقرض هذا الجيل الفاسد الذي شب على الجبن والضعف وشاب عليه ، وينشأ الأولاد والشباب الاسرائيلي – الذين لا يزالون في مقبيل العمر – على التخشن والجلادة وتحمل شدائد الحياة ومكارهها ، وينشأ جيل جديد يولد في هذه العزلة والبداءة على معاني الرجولة والفروسية ، وهكذا تتكون أمة جديدة تقوم بدعوة النبي وتطبيق تعاليمه ومبادئه وتجاهد في سبيلها .

وذلك أيها السادة معني بليغ من معاني الهجرة النبوية ، فقد استطاع سيد الأنبياء وسيد الدعاة إلى الله – عليه الصلاة والسلام – بانتقاله مع أصحابه من ضيق مكة إلى سعة المدينة وحريرتها ، أن يكمل تربية أصحابه وأن ينشئ الجيل الإسلامي الجديد ، الذي لم يلبث أن اضطلع بأعباء الدعوة المحمدية ومثل الإسلام تمثيلا كاملا .

كذلك الدعوة الإسلامية التي تكلفتم بها والجهاد الذي أخذتموه على عواتكم يفرض عليكم – أيها السادة – إنشاء جيل جديد للإسلام : جديد في قوة إيمانه ، جديد في حماسه وثقته ، جديد في أخلاقه ، جديد في تفكيره وعقليته ، جديد في كفايته العلمية واستعداده العقلي ، وإن نجاحكم في هذا الانتاج البشري مقياس نجاحكم في مهمتكم ودعوتكم ، فكلما كان نجاحكم كبيرا في إيجاد هذا الجيل وتكوين هذا الشباب

كان نجاحكم باهرا في دعوتكم ورسالتكم ، ومعلوم عند حضراتكم أن إنشاء الجيل الجديد أو تقويم الجيل المعاصر - الذي لم يفقد صلاحيته ونموه - ليس بالأمر الهين ، إنها مهمة لتتواء بالعصبة أولي القوة ، إنها تحتاج إلى تكريس الجهود وتركيز القوى على هذه الغاية ، والتفكير العميق الواسع والتعاون الشامل والتصميم الحكيم ، إنها تطلب أساليب التربية الحكيمة العميقة الأثر ، وجهودًا عملية في ميدان الدعوة والإصلاح ، إنها تطلب حركة التأليف والإنتاج الواسعة ، ومقدارًا كبيرًا من الابتكار ، إنها تطلب وضع منهاج جديد على أساس جديد للدراسات ومثالا جديدًا من المدارس والكليات والجامعات ، ومؤلفات ومنشورات جديدة في شرح الدين الإسلامي وعرض الفكرة الإسلامية وتأليفات جديدة في السيرة النبوية وتدوين جديد للتاريخ الإسلامي ، وسبك جديد للعلوم الإسلامية ، وتفسير جديد للعلوم الكونية ، وتلقيح على جديد ، وطرز جديد للصحافة والأدب والروايات والشعر ، إنكم أيها السادة أمام أنقاض عقلية وركام بشري وخامات مهملة تننون بها بيتا جديدًا وتصنعون بها سفينة جديدة تمخر عباب الحوادث والموانع . إنكم ستبدؤون في عمل جديد وجهاد جديد يستغرق منكم وقتًا طويلا ويستنفد جهودًا عظيمة ، وذلك وإن كان عملا شاقا طويلا متعبًا مملًا متشعبًا ولكن لا بد من إنجاز هذه العمل ومن مواجهة هذه الحقيقة والتغلب على العقبات التي تعترض في سبيلها .

هذه مزايا الدعوة النبوية أيها السادة ومزايا الدعوة التي تكون على قدم النبوة وواجباتها ، وبذلك تمتاز دعوتكم عن الحركات القومية والإصلاحات الاجتماعية والثورات السياسية والاقتصادية ، ومن هذه المنابع تستمد دعوتكم القوة والروح وتستحق من الله النصر وتجلب الرحمة ، فلنحافظ عليها محافظتنا على الشعائر والعقيدة ولنحرص عليها حرصنا على الحياة والقوة .

عندكم - أيها السادة - ثروة ضخمة من الصدق والإيمان والحب والإخلاص ليست عند الدول الكبيرة والأمم العظيمة ، عندكم أمانة مقدسة جدًا ، أمانة القلوب التي تجتمع على حكم وتدين بولائكم وتثق بقيادتكم ، هذه الأمانة التي خلفها لكم الامام الراحل فأحسنوا القيام عليها وأخفوه فيها .

إن نكبة الدعوة بفقد داعيها الأول ومؤسسها العظيم كانت من غير شك نكبة عظيمة وخسارة فادحة، ولكن كل نكبة أيسر وكل خسارة أهون من وفاة رسول الله - ﷺ - ، وقد أصيب بها المسلمون بما لم يصب به جماعة أو فرد لشدة تعلق قلوبهم برسولهم - ﷺ - ، واجتمعت لهم يومئذ مصائب لم تجتمع قبل ولن تجتمع بعد ، فلننظر كيف تلقاها الصحابة رضی الله تعالى عنهم .

لقد أعد الله سبحانه وتعالى لهذه المرحلة القاسية والمحنة الشديدة الصحابة رضی الله تعالى عنهم من قبل سنين ، فلما طار في الناس يوم أحد أن رسول الله - ﷺ - قد قتل سقط في أيديهم وفقد كثير منهم شعورهم وخذلتهم قواهم ولم يستطيعوا أن يتحملوا هذه الصدمة ، ثم تحقق أن الشائعة كانت غير صحيحة ، ورسول الله ﷺ حي فانتعشت قواهم ، ولكن الله تعالى قد أعدمهم في ذلك الوقت ليتلقوا نبأ وفاة الرسول - ﷺ - في صبر وجلد ، وربطهم بالدعوة وذكر أن الداعي تجري عليه سنة الله في خلقه فيرحل عن هذا العالم كله كما رحل من قبله من المرسلين فقال { وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ } "آل عمران" .

وكان ذلك ، فلما حدث برسول الله ﷺ - حدث الوفاة تماسك المسلمون وعلى رأسهم خليفة رسول الله ﷺ - أبو بكر الصديق فما وهنوا وما استكانوا ولم ينقلبوا على أعقابهم ولم يخذلوا الإسلام ولم يخذلوا الدعوة ، واجتمعت على الإسلام محن وخطوب لم تجتمع من قبل ولن تجتمع من بعد ، فقد ارتدت العرب إما عامة وإما خاصة في كل قبيلة ، ونجم النفاق ، واشترأت اليهود والنصارى ، والمسلمون كالغنم في الليلة المطيرة الشتائية لفقد نبيهم ﷺ - وقتلهم وكثرة عدوهم" (١) .

ولم يكن مسجد الله تعالى في بسيط الأرض إلا ثلاثة مساجد ، مسجد مكة ومسجد المدينة ومسجد عبد القيس في البحرين في قرية جواثي ، وكثر المنتبئون ، ومنع الناس الزكاة وقصد المرتدون المدينة وسرح أبو بكر في هذه الحال جيش أسامة إلى الشام تنفيذاً لوصية رسول الله ﷺ - ورغبته ، وكلمه في ذلك عمر وكبار الصحابة وأرادوا أن يمنعوه من ذلك فلم يمتنع وقال : "لو ظننت أن السباع تخطفني لأنفذت بعث أسامة كما أمر به رسول الله ﷺ - ، ولو لم يبق في القرى غيري لأنفذته" (٢) .

استحضروا أيها الاخوان هول الموقف وغربة الإسلام وضعف المسلمين فقد أشرفت الدعوة الإسلامية على أثر وفاة نبيها ﷺ - على الانقراض ، واجتمع للمسلمين حادثان ، حادث وفاة الرسول ﷺ - ، وحادث ارتداد أمتهم وقومهم ، ولكن ذلك بالعكس أثار فيهم روح المقاومة والجهاد وألهب غيرتهم ، وقال أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه : "أينقض الدين وأنا حي" وأبى المسلمون أن يستسلموا لهذه الحوادث ويخذلوا الدعوة فلم يحافظوا على وضع الإسلام وتراثه فقط ، بل فتحوا فارس والروم الامبراطوريتين اللتين كانتا تحكمان العالم وأضافوهما إلى ثروة الإسلام ، جزاهم الله عن نبيه ودعوته وعن المسلمين خير ما جزى خلفاء الأنبياء وقادة الدعوة الإسلامية الأمناء الأقوياء .

وفي الأخير تفضلوا بقبول تحية صادقة من محب مخلص تجمعكم بكم وحدة العقيدة الإسلامية وجامعة الفكرة الدينية على بعد الدار ومن وراء البحار ، ويتمنى لكم ولكل داع مخلص ومجاهد صادق السداد والتوفيق .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،،

أبو الحسن علي الحسيني الندوي

(لكنو - الهند)

نزيل القاهرة

١٣٧٠ / ٦ / ٩ هـ

(١) رواه الطبري في التاريخ عن هشام بن عروة بن الزبير عن أبيه .

(٢) تاريخ الكامل لابن الأثير .